



خارطة

الطوائف

تاريخ موجز للأديان
وعرض للمشهد العالمي
واستشراق للصراع

أحمد دعدوش



النسبيل

خارطة الطوائف

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
من إصدارات



السبيل

a@sabot.net

بالتعاون مع



الطبعة الأولى

2024-1443

رغم إدراج في الكتب المخطوطة، المرأة العانة، الملكية المغربية

2024MO1260

[illegible]

978-9920-583-85-5

+21 266 789 3030

GATRUNNADA MA

QATUNNADA, MA

FONDATION CATRINA

FOUNDATION@KUALAUMPANG.COM



يطلب هذا الكتاب (بالطبيب العربي) الكثرة والارتقاء والقدرة
للمنفعة العامة والخاصة والرفعة والكرامة والجلالة والعلو

MEM(6) - GH(1) Madinat - Sidi Elhemouel

Cristianca - Romano - du Maroc

Tel: +212667693030

ولي مؤثراتيا واول الساجل والمخاض
والمؤثرات الساجل والمؤثرات الساجل
والمؤثرات الساجل والمؤثرات الساجل

Tel: (+222) 2001 1000-49497878

وَلِيٌّ مِّنْكُمْ وَنَحْبُكُمْ

د. محمد زكريا الشافعي، محاضرة في جامعة القاهرة

Tel: +2011 15550071/72

Yeni Mahalle İslami Caddesi Dış Apartman
Boulevard - Hacı - Türkiye

Yeni Mahalle İstisnai Çiftlik Otel Apartmanı
Beşiktaş - Huzar - Türkiye

Borshchuk - Hany - Turkmen

Tel: (+91) 0539 543 8998-0531 6233 353

خارطة الطوائف

تاريخ موجز للأديان
وعرض للمشهد العالمي
واستشراف للصراع

أحمد دعدوش

من إصدارات

المبيل

2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى كل من لا يكتفي بالأجوبة الجاهزة والقوالب
التمطية البالية، ويتمشّوَف إلى التكامل المعرفي
وعمق التحليل...

أرجو أن تجد في هذا الكتاب ما يشبع نهمك!



المحتويات

13	المقدمة
15	الطاوية.. ديانة السلام والقوة الناعمة للصين
16	فلسفة الأجراس
17	أصول المعتقد
19	تنجيم وطقوس
21	الطاوية والسياسة
25	الكونفوشية.. فلسفة للحياة قاومت الاستبداد الشيوعي وأصبحت فخراً للصين الحديثة
27	الأصل الباطني
28	التركيز على الأخلاق
29	التأثير في السياسة
31	القوة الصاعدة
35	الشتوية.. تراث أسطوري يحكي قصة اليابان من نشأتها حتى الاستسلام
36	أصول نسق التاريخ
37	آلهة غامضة وتاريخ مقدس
39	الأسطورة في خدمة الياسة
41	صراع الأسطورة والحداثة
44	الهندوسية.. تخطيط من الأساطير يشق طريقه نحو الحداثة والتطرف في آن واحد
45	الكتب المقدسة
46	طيف واسع



47	الألوهية والخلق
49	طبقية حتمية
51	دورة الحياة
52	ما بين الحكم الإسلامي والحدائنة
54	الهندوسية السياسية
59	السيخية.. ديانة هندية نشأت على التلقيق وتحلم بالاستقلال
61	أهم التعاليم
62	التطورات السياسية
65	من الإمبراطورية إلى التقسيم
70	نجاح في الغرب
72	البوذية.. فلسفة إحادية روحية نشأت في الهيمالايا واندمجت في الحدائنة
74	دين أم فلسفة؟
76	أهم التعاليم
77	الكارما والتناسخ
77	من الجحيم إلى الجنة
80	انتشار البوذية
84	من اللاعنف إلى الإرهاب
89	الزرادشتية المجوسية.. ديانة للفرس اندثرت على يد الصحابة وتعود من جديد
90	الكتاب المقدس
93	الدين والسياسة
97	محاولات الإحياء
100	حركة العصر الجديد.. تصاعد الروحانية الباطنية في عصر العلمانية والعلم
100	العقائد الباطنية والعلوم السرية



105	هيلينا بلافانسكي والثيوصوفيا
111	العقيدة السرية
117	التسلسل الهرمي الروحي
127	أولكوت ويسانت واكتشاف المايتريا
133	أليس بيلي ولوسيفر ترست
139	جماعات أخرى
145	انتعاش الروحانيات بعد الحرب
149	روحانية بلا دين
153	إعادة الإحياء
158	الشامانية.. تراث وثني سحري يتشرب في الغرب من جديد
159	ما قبل التاريخ
164	إعادة الإحياء
165	جدل ثقافي وطبي
171	اليهودية.. طائفة رعت مصيرها بحركة عنصرية غاصية
175	توحيد أم وثنية؟
178	التوراة والتلمود
180	أهم العقائد
184	أسطورة العرق اليهودي
189	الصهيونية وحلم الدولة
195	الدولة المأزق
199	انحسار التهدين
202	شبح الزوال



المسيحية المتصهية.. إحياء الصليبية وحماية إسرائيل تمهيداً لـ"المسيح"

207
211 نظرية الحق الإلهي
214 نظرية العصور الثلاثة
216 طريق القدس يبدأ من أميركا
219 الإصلاح الديني والبروتستانتية
226 خطة الرب للدهر
231 التأثير في السياسة البريطانية
235 صهيون في "العالم الجديد"
238 الانفصال والتوسع
240 الإمبراطورية الجديدة
245 أهم الشخصيات والمؤسسات
253 سر التحالف
255 هدوء ما قبل العاصفة
258 هجمات 11 سبتمبر وعودة الحلم
264 "التغيير" ومزيد من الانقسام
270 مستقبل صعب
276 أميركا اللادينية.. جدل الهوية ومخاوف الانقسام مع انحسار التدين
279 تفكك وانقسام
283 اليأس والانتحار
284 هوية المجتمع
 انحسار المسيحية.. أسئلة مصيرية عن البدائل والهوية ومستقبل الحضارة الغربية
289



292	الدليل الإسباني
298	نهاية المسيحية أم المحاصرة العربية؟
301	لأرثوذكسية كيسة ارتطفت بالسياسة من قسطنطين إلى بونين
301	لمحة تاريخية
305	الحلم الروسي
307	عودة الحلم
312	حرب الأشقاء...
314	ضريبة السياسة
318	لتشيع طاعة إسلامية انحدت من لحاكمية السياسة عقيدة وشريعة
318	أصل التشيع وتطوره
322	أصول التشيع
328	التاريخ السياسي
334	تصدير الثورة
338	مرحلة اصطدام
341	الصراع في لبنان
344	الصراع في العراق ...
355	الصراع في سورية ...
364	الصراع في اليمن ...
370	طموح وتحديات.
375	لإسلام هل تشهد صحوة قريبة؟
379	الإسلاموفوبيا
383	هل يصعد الإسلام في العرب؟
396	وماذا عن الشرق؟

40	مستقل عامص
405	صراع النبوءات.. المشاريع لمسكوت عنها في عالم السياسة
407	1- في طائفة السنة:
414	2 في الطائفة الشيعية
417	3 في اليهودية
423	4 في المسيحية: ...
429	5- في العلمانية الإلحادية الغربية
432	6- في الهندوسية: ...
434	7- في البوذية: ...
437	8- في حركة عصر الحديد
440	9- في الغوصية:
442	10- الزرادشتية:
443	صراع لسوءات
443	الحاتمة



المقدمة

قَرَّ في البدايه بأن احبار عنوان هذا الكتاب كان مهمته شقة استغرقت لكثير من الوقت وطلب المشورة. فهو كتاب عصي على التصنيف، إذ حاولت تصنيفه كلاً من التاريخ والعرض والاستشراق، لأرسم من خلاله خارطة عممة تُعين على فهم أهم الطوائف الدينية في عالمنا اليوم

يطلق بعني من تاريخ بشكل العفائد، ويمرّ بتطورها لمؤدي إلى واقعها المعاصر، مع محاولة فكك عناصر "القوة الناعمة" في بعضها، وإشارة إلى توظيفها من قبل قيادات الامم المسافرة، وصولاً إلى استشراق مستقبل الصراع بأدوات الدين وثقافة وقد كانت بؤة البحث سلسلة مقالات نُشرت على موقع الجزيرة نت، ثم أعدت جمعها وترتيبها في إطار أوسع، لتشكل في النهاية هذا الكتاب.

لا أرعم تصميم دراسة بحثية بأدوات أكاديمية، ولا خارطة موسوعية تستوعب الصورة الشاملة لأديان صارية في العمق ولتسوع. بن اطرح رؤية لتستند إلى تداخل التاريخ والجغرافيا في قصة نشوء الأديان وتطورها، وأحاول توسيع مدارك المثقف غير المتخصص لفهم موقعه في عالم محتدم بالصراع، كم أقدم نصاً لصناع الرأي والقرار صورة حديثة للمشهد العالمي الذي تتسارع أحداثه بطريقة غير مسبوقة، وتنبدل بعض ملامحه في المدى القصير بما يستلزم مواكبة مستمرة لمستجداته.

وبأني باحث مسلم ومشتغل بالجدل العقدي. عايني لا أقف في كتابي هذا موقف المراقب المحايد، بل أصع في التحسبان أنه كتاب موخه لمن يشاركني لعقيدة، ونجاور الخوص في مسائلها معتبراً أنها ليست موضوع لبحث، كما



أصبح في الحسبان مسبقاً أن الحكم على الأدباء الأخرى بمعيار دين الباحث حق مشروع طالما ظل مقيّداً بالإبصار ووجب الافتراء وإن كان الإبصار غريب - كما يقال - فهو مع ذلك ممكن. أما التجرد المطلق فمُحال أصلاً

خلاصة القول هي أن الكتاب ليس بحثاً في مقارنة الأدباء، ولا سفرًا من أسفار التاريخ، ولا حتى كتابًا استراتيجيًا في التحليل السياسي، بل محاولة لاقتباس شعبة من الحفول الثلاثة وهو مُصنّف يقدم صحفَي قصصٍ عشر سنوات في غرفة أخبار شبكة الجزيرة، وفي الوقت نفسه باحث أكاديمي في العقيدة ومفكرة الأدباء، وأيضًا ناشط في النقاشات الفكرية والسياسية والعبث لمعير مقرّ بلاشت بقصوره الشرقي، وملتصق العصر من لصرى الدكي



الطاوية، ديانة السلام والمود الناعمة للصين

في منتصف عام 2022، أثير الجدل في مواقع التواصل الاجتماعي عن مؤتمر دولي للسلام في إسطنبول في حزام فعالياتاته، نشرت صور يقرع فيها بعض الرعاء والسياسيين حرمًا معدنيًا صحنًا، كما قدمت في المؤتمر أنشطة فنية وثقافية تحمل شعارات السلام، وذلك ضمن طقوس تحييها منظمة تابعة للديانة الطاوية.

سرعن ما اسلح الجدل عن مواقع التواصل ووسائل الإعلام بشأن قرع الحرم، وتساءل الكثيرون في تونس هل اعتنق لرئيس الأسبق لمصنف المرزوقي تلك الديانة الوثنية؟ مما دفعه إلى إصدار بيان يوضح فيه تمسكه بالإسلام، وأن الأمر لا يعدو كونه تقليدًا ثقافيًا

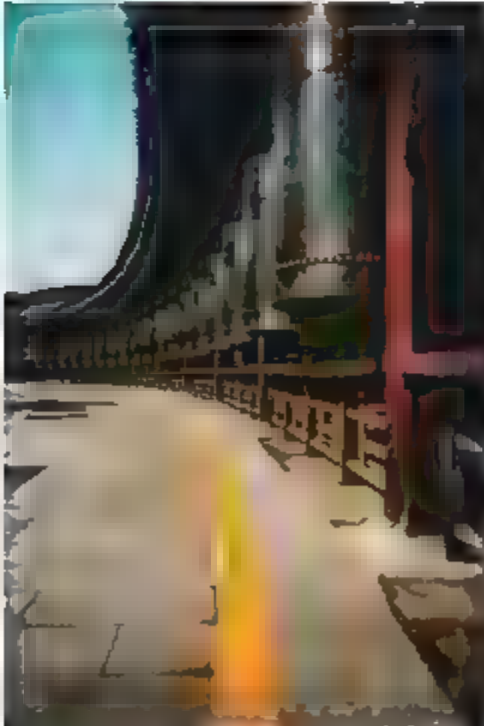
وكانت القصة قد بدأت باحتضان إسطنبول في يومي السبت والسبع من شهر يونيو القمة الاقتصادية الأوروبية الخامسة والعشرين، والتي حضرها رؤساء دول وحكومات ومسؤولون من أكثر من 40 دولة، حيث ناقش المؤتمر تحت شعار "إعادة البناء بشكل أفضل" - قضايا لسلام والاقتصاد والصافة والتنمية المسدامة وأزمة العداء وبعر المناخ، لا سيما في حقبة ما بعد وباء كورونا، وتدايات الحرب الروسية في أوكرانيا

وكان اتحاد السلام والمحبة العالميين (FOWPAL) من أبرز المنظمات التي دعيت للمساهمة في فعاليات القمة، وهو منظمة أنشأها الناشط الصيني هونغ طاو تري بالولايات المتحدة عام 2000، ويجمع في صفه إلى عائة المنظمات غير الحكومية التابعة للأمم المتحدة

وبحسب الموقع الرسمي للاتحاد، تعرض هذه المنظمة على تنظيم فعاليات دولية لبشر ثقافة السلام، ومن أبرزها إحياء "اليوم العالمي للصمير" كما يقدم الموقع بعض رسائله في إطار ديني، مثل أغنية "صلاة من أجل السلام"⁽¹⁾ وفي اليوم الأخير لفئة إسطنبول، احتفل الاتحاد بفرع حرس السلام والحب الذي برز 240 كيبوغراف، وهي فعالية يحرص الاتحاد على دعوة رعماء العالم في مناسبات عدة للمشاركة فيها، وتنطبق فرع الجرس بمطربة صحنمة ثلاث مرات، مع إصمير ثلاث أممات (صلوات) في كل طرفة، في الأولى يدعو الطارق دعاء السلام للصمير، وفي الثانية بالسلام للناس، ثم في الثالثة بالسلام للعالم كله.

فلسفة الأجراس

يتمتع الجرس بمكانة خاصة في الثقافة الصينية، فالمكتشفات الأثرية تكشف عن الاهتمام بالأجراس في العصور السابقة على أسرة تشين (القرن الثالث قبل الميلاد) التي وجدت الصين. وبعد دخول البوذية هذه البلاد أصبحت الأجراس أدوات مهمة، إذ يقول المثل الصيني "هناك أجراس في كل معبد، وبدون أجراس لن تكون هناك معابد"



تمايزت أشكال وأنواع الأجرام بحسب استخداماتها، فكانت هناك أجرس يودية وأجرس طوية، وثالثة للبلاط الامبراطوري، ويمكن سماع دوي الكبيرة منها على بعد خمسة كيلومترات، لذا رُبط استخدامها في المعابد بأداء لطقوس لجذب قلوب المصلين وبث الرهبة في قلوبهم

وبحسب لمصدر الطاوية، فإن قرع الأجرس يؤدي إلى تحرث المصلين والأرواح معاً، ودفعها نحو الاندماج والاتحاد مع "الطاو"^(١)

* أصول المعتقد

كي يفهم جدور هذه الطقوس، نعود إلى منبع العقيدة نفسها، فالأديان الشعبية الصينية تنتمي إلى عائلة المعتقدات الآسيوية التي لا تنمك عن أصبها لباطني (لفوضي)، حيث يغلب الاعتقاد بحلول كائنات روحية في الكون، تنوع بين طريقي الخير والشر، وهي أقرب ما تكون إلى الآلهة، وقد يعود بعضها إلى الأسلاف الغابرين

ظهرت المسمعة الكوموشية في القرن السادس قبل الميلاد خلال عهد سلالة ترو الحاكمة، ومع أن الطاوية نشأت في لوقت نفسه فإنها لم تنتشر إلا في عهد سلالة هان بالقرن الثالث قبل الميلاد، وذلك قبل أن تنتشر ليهودية (دات الأصغر اليهودي والتي نشأت في بابل) بعهد سلالة تانغ، التي ترمز حكمها مع ظهور الإسلام بجزيرة العرب.

يعتبر الفيلسوف لاو تسي المؤسس الأبرز لئطاوية، ويشكك بعض المؤرخين في وجوده ويعتقدون أنه شخصية رمزية، بينما يرجح آخرون وجوده فيما بين عامي 600 قبل الميلاد و500 قبل الميلاد وتقول الروايات إنه كان مؤرخاً ومشرفاً على حفظ الوثائق، فيما يشبه منصب أمين المكتبة الوطنية اليوم،

(١) خالد بشير، "ماذا تعرف عن الطاوية؟"، موقع جفراند، halryal.com 12 مارس 2018



وعندما فقد الأمر في إصلاح بلاده التي أهكها الحروب قرر الخروج إلى لغابات والتسك كالرهبان⁽¹⁾

وتسك لروية والتي تعتبرها البعض أسطورة: أن حرس بوابة المدينة طلبوا من لاو تسي أن يترك لهم كتاباً يختصر فيه كل حكمته قبل الرحيل، فقدم لهم كتاباً يتضمن 81 قصيدة قصيرة تلخص أفكاره، وسمّاه "طاو تي تشينغ"، وبشأ بذلك مفهوم الطاوية. أي "الطريق"⁽²⁾

عقائد الطاوية لا تختلف عن مثيلاها الباطنية (الفيوضية) الأسبوية. حيث نكثر فيها التعبيرات المجازية وتتعدد احتمالات التأويل، وهي لا نقدم لها مفهومًا و صيغًا للألوهية، ولا نجد لديها وصفًا لشعائر العبادة.

تحتفي الطاوية بما يسمى "الطاحينو"، وهو رمز شهير بالثقافة الصينية ولا يُعرف تاريخ شأته، ويمثل مفهوم الاتحاد بين مبدأين متعارضين "ييين ويانغ" فيُرمز لهم بدائرة خارجية تمثل "كل شيء" وبداخلها منحنيان متدحلاان، يد يؤدي تفاعل طاقة الـييين "الأسود" مع ليانغ "الأبيض" ليشوؤ الحياة وتعدد أشكالها



⁽¹⁾ لاو تشينغ، الأفكار الفلسفية الصينية، دار النشر الصينية عبر القارات، بدون تاريخ، ص 22

⁽²⁾ via Kohn, Daoism Handbook, Boston: Brill Academic Publishers, 2000, p. 50-56

وترى هذه الممثلة أن الاضداد يحتاج كل منها للآخر كي يوحد ويستمر، فإلظام يتكامل مع النور، والمسكون يحتاج إلى النشاط، ولبارد يتحد مع الساخن، والذكر يتحد مع الأنثى. وهكذا يستمر الحياة

وكما هو حال معظم العائلات الطاوية الأخرى، سيق تكون لدى الطاوية من قوصى ولىة (هيوى بالمصطلح الفلسفي) ثم يدخل في سلسلة منظمة من دورات الاتحاد بين الين واليانغ، **لستكل** بذلك هيئته الأشياء، سواء كانت أرواحاً أو أجساماً مادية⁽¹⁾

وتتدد الطاوية مفهومها لصراع الاضداد لتقرصه على كل ماضي الحية، فهو أساس طب الصيني الشعبي مثلاً، إذ يقسم العمليات الحيوية في جسم الإنسان على أساس أن تكون كل منها من حرين متضادين ومكامين في لوقت نفسه، لتصبح مهمة الطبيب قائمة على إعادة ضبط التوازن بين العنصرين في كل عضو، وفي كل وطيمة حيوية على حدة⁽²⁾

فمثلاً، عندما ترتفع نسبة ئيس في الجسم يظهر أعراض ارتفاع درجة الحرارة والصداع واحمرار الوجه والتهاب الحلق، فيسارع لطبيب إلى ممارسة الصموس واستخدام الادوية والاطعمة التي تحرص على رفع نسبة اليانغ، طمناً في استعادة العافية

١. تنجيم وطقوس

تتشبه لطاوية أيضاً مع الاديان الصينية والهندية الأخرى بقديسها للأرواح، إذ تمثلى لمعاد لطاوية بالأعلام المربعة والمثلثة. وهي نحن مخططات

(1) Anne et M. Simpons; Alexander C. Simpons, Simple Taoism a guide to living in balance, Boston: Turtle Publishing, 1999, p. 10- 13

(2) Stephan Feuchtwang, Religions in the Modern World: Traditions and Transformations New York: Routledge, 2016, p. 150- 151



تهدف إلى تحقيق وظائف عدة، أبرزها توجيه أرواح الموتى، والنقرب للآلهة و"الخالدين"

ويحظى التحميم بحفاوة بالغة لدى الطاوية، كما تند حل مهام كهنة المعبد بما كان يمارسه العرفون والشامات والسحرة في العصور العاربة

وعلى سبيل المثال، كان "المانعشي" بالقرن الثالث قبل الميلاد هو الشaman الذي يمارس السحر لطرد الأرواح الشريرة والتواصل مع عالم الشياطين، واستمرت ممارسته في لتطبيق مع ظهور الطاوية، وما زالت كذلك حتى اليوم. ونرغم أن لها دورا في عبود العلاج والامتنعاء بالطاقة الحيوية

تتميز الطاوية عن الأديان الصينية الأخرى بمد نشأتها بسبب طقوس النصحية، فقبل تأسيس الطاوية كانت القرابين تقدم لأرواح الموتى والآلهة على السواء في المعابد، لكن لطاوية رفضت ذلك بسده، وما زالت معابدها تحظر تقديم الأصحيات الحيوانية، ونكتفي بقبول حرق بعض النباتات والبخور

ويحيي أتباع لطاوية أعيادهم كل سنة باحتمالات كرمالية صابحة، فيطلقون الألعاب النارية ويطلقون مسيرات ملاي بالرهور، ويصعدون رقصات الأسد ولتين، كما يرتدي بعضهم دمي صبحمة تمثل الآلهة الأسطورية، ويقدمون استعراضات الكونغ فو

ويعتقد الطاويون أن المشاركين في هذه الطقوس ليسوا مؤثرين فقط، بل تتلص بهم الأرواح، لا سيما عندما يمارسون طقوسا خطيرة مثل طعن أجسادهم بالسيف والأسياخ.

وتحظى الاحتمالات والمهرجانات الطاوية بحضور جماهيري كبير في أنحاء الصين، كما تقام من قبل الجاليات الطاوية في دول عدة مثل ماليزيا واليابان وتايلند وحق كندا.



٥ الطاوية والسياسة

يرى بعض المؤرخين أن الطاوية تطورت بهدف نصحيح الكوموشية، فالطاوية ترفض التشدد الكوموشي في الطقوس وهرمبه لنظام الاحتشاعي، وتقدم بديلاً أكثر بر عمانية يتجسد في المفاهيم الطبيعية ولعمومه، كما نجد فيها جدوراً لفلسفة المردانية التي بطى على ثقافته الغرب اليوم

وعندما دحبت البوديه الصين اسماءات كثيرًا من لطاوية، كما كان للأخيرة دور في تشكل مذهب بودية الرن الذي يحتفي كثيرًا بالطبيعة، ولا يكثر للكتب المقدسة، ويركر اهتمامه على الحياة الدنيوية ونرى هذه الأفكار مسجومة مع نمط الحياة العنماني في العرب الذي يجد في الصاوية وبودية لرن تطعيمات "روحية" للحياة المادية بدون التزام بالطقوس والتكاليف الدينية التي يفرصها الأديان السماوية. وهو ما يبدو جلياً في انتشار معتقدات "حركة العصر الجديد" منذ ستينيات القرن العشرين وحتى اليوم

ولعن تركيز لطاوية على التطبيق العملي ساعدها على السجوة، إذ لم تصطدم الحكومات لصسية الحديثة معها كما فعلت مع غيرها، فعندما أعلن لرعيم الصيني ماوتسي تونغ فرض الشيوعية الإلحادية على الأمة لصصية وحر ريعيات القرن العشرين، بدأت الحملة على الأديان لاستئصالها من المجتمع، فأغلقت الكنائس والمساجد والمعابد البودية، ثم حرمت "الثورة لثقافية" حيره النصوص الدينية، فاضطر الكثير من رجال الدين للتحفي أو الهرب

وبالرغم من هذا الاصطهاد الواسع، ظلت الكوموشيه والطاوية في مأمن نسبي من حملات الاستئصال، فهما جزء أصيل من التراث الصيني الذي



يصعب المكاث عنه بعكس الأدباء الأخرى، كما جرت العادة منذ القدم على

اعتبارهم فلسفة لحياة أكثر من صعبها إلى غائبة الأديان⁽¹⁾

وعندما تراجع الشيوعيون عن اصطهاد الأدباء منتصف السبعينات، وعن
مراغم "الثورة الثقافية" باعتبار التراث الديني سبباً للرجعية، عادوا للاحتفاء
والعديّة بمعابدهم حتى مع إكثارهم للاعتماد بوجود أرواح وآلهة، لا سيما مع
اعتمادهم بإمكانية توظيف هذه الفلسفات في تأليف المجتمع الصيني،
واختراق مجتمعات الغرب أيضاً

كان المؤسس لاو تسي يركز على إفحام مفهوم "الطاو" في الأفكار
الاجتماعية والسياسية لتحقيق السلام والازدهار، فخصص الكثير من وصاياه
لحكام، وقال "إذا اتبع الملوك والنبلاء أحكام الطاو، فس تستطيع حتى
الاشباح والأرواح أن ترعجهم" مطالب إياهم بتجنب الصدام مع شعوبهم،
ومشدداً على رفض الحروب وصروره العمل الدؤوب على تجنبها بكل وسيلة
ممكنة⁽²⁾.

تحدث لاو تسي أيضاً عن ضرورة بوضع الحكام، وتجنب التدخل في
تفاصيل حياة الشعب، وكان يميل إلى التبسيط والعودة إلى نمط حياة
البدائي، فيقول، به كلما كان الحاكم أقل دكاء زادت سعادة لشعب، وكلما
صغر حجم المدن وقل عدد سكانها مالت حياتهم إلى الطمأنينة ولهموء⁽³⁾

ويرى نشطاء السلام في فلسفة الطاوية اليوم ما يدعم أهدافهم، وقد
يكتفي البعض باقتباس نصوص لاو تسي، أو الاستفادة من كتاب "فن للحرب"

(1) "تحولات ثقافة في مجتمعات حديثة ما النهضة الدينية الجارية في الصين"، موقع نجرية نت،

مترجم عن موقع The Conversation، 13 يناير 2022

(2) "حمد فرحات، "تعمد السياسة من الصين"، العربي الجديد، 24 فبراير 2019

(3) الأفكار الفلسفية الصينية، ص 24-25



الذي وضعه في القرن السادس قبل الميلاد الفيلسوف والقائد العسكري الصيني سن ترو، لكن منظمات أخرى ترى في دعوات السلام هذه نافذة لترويج المعتقدات الطاوية نفسها، باعتبارها الحامل القسوي للمبادئ السياسية السلمية

وعلاوة على ذلك، يمكن القول إن الطاوية باتت إحدى وسائل القوة الناعمة لتصبح الصاعدة اليوم، فمع أن قادة الحرب الشيوعي لا يتنبؤ - كما يبدو - شيئاً من مصنح لاو تسي، إلا أنها تقدم لهم التسويات الدبلوماسية الملائمة لتقديم مساهمتهم لخارجية في صوره سلمية

ففي آخر حصول الاستقلال السيامي لهذه الديانة القديمة، أعلنت الحكومة الصينية "الملحدة" في 24 سبتمبر 2023، عن تأسيس الاتحاد العالمي لطاوية، وذلك أثناء انعقاد المنتدى الدولي الخامس لطاوية في جبل "ماوشن" الطاوي الشهير بمقاطعة جيانغسو شرقي الصين، وبحضور أكثر من ألف شخص.

ويضم الاتحاد 52 منظمة طاوية من 20 دولة ومنطقة، وهو يهدف - بحسب المؤسسين - إلى "تعزيز وحدة وتعاون الطاويين في جميع أنحاء العالم، وتسهيل الانتشار الدولي للطاوية"، إلى جانب المساهمة "في التنمية السميّة للعالم، وبناء مجتمع لمستقبل المشترك للبشرية"¹

أثر هذا الحدث انتباه العديد من وسائل الإعلام الأجنبية، والمنتدى يعقد كل أربع سنوات منذ 2007، ويشهد تطوراً مستمراً في كل دورة وتطور نشاطه أخيراً بتأسيس اتحاد عالمي يضم في عضويته شخصيات من روسيا والولايات

[1] "تأسيس الاتحاد العالمي لطاوية" تقرير وحدة "طاويين"، وكالة رينيو الصينية، arabic.news.cn.

المنحدة وكندا والمكسيك وإيطاليا وفرنسا. وحتى إيران^[1] وسحدث المسؤولون علناً عن سعيهم من خلاله لتسهيل "الانتشار الدولي للطاوية"، وكأب الحكومة الشيوعية أصبحت تنبى مشروع الدعوة لهذا الدين!

وبالحلصة، إلى جانب السلاح النووي والنصوريخ لباليستية وحاملات الطائرات الصببية، هناك أيضاً أجراس السلام التي يصرعها الناشطون الطاويون الصبييون برهمة مئات الرعماء، حاملين معها شعرات المحبة إلى أنحاء العالم. وفي الوقت نفسه طيقاً من الأساطير الدينية، والمصالح السياسية أيضاً



[1] Frédéric Lemaître "In China, the political correctness of Taoism" lemonde.fr 8 October



الكوموشيه.. فلسفة للحياة قاومت الاستبداد الشيوعي

وأصبحت فخراً للصين الحديثة

بالرغم من مرور أكثر من خمسة وعشرين قرناً على ظهورها، وبعد كل ما عاينته من قمع مهيج على يد الحرب الشيوعي، ما زالت الكوموشية تحظى باحترام بالغ في الصين، إذ لم تكنف تتجاوز عقبات الزمن وتقنيات لسياسة، بل أصبحت إحدى أدوات القوة الناعمة للصين الحديثة، ووعاء للحفاظ على هوية القوة الصاعدة في صدارة اقتصادات العالم

نسب هذه الفلسفة -أو الديانة- إلى كوموشوس، وهو شخصية ما زال الجدل قائماً حول هويتها الحقيقية، إلا أن الشائع عن سيرته أنه ولد في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وكان اسمه الحقيقي "كوج فو نسه"، كما تذكر بعض الروايات أنه كان معاصراً لمؤسس الطاوية لاونسي

نشأ كوموشوس في أسرة فقيرة بولاية "ليو" (مقاطعة شاسويع حالياً)، وترقى في عدة مناصب حكومية، ثم تصرّع في سن التقاعد لتعرض الناس فوعد الحكمة، ولم يكن يعدّ نفسه مبتكراً لفلسفة جديدة بل بأفلاً لتعاليد أخلاقية قديمة.

كان كوموشوس معدداً على الطواف في الأقاليم الصينية لتبشير بأفكاره، وكان حلاً اهتمامه منصّباً على إصلاح الحكام والأمراء لم تحرّج الروح عالياً بما تشهيه سفته، وعانى كثيراً من الرفض والبيد، فحى مع فوره ببعض لتكريم والمناصب من قبل حقه من الحكام إلا أنه لم يجع في إقذع أي مهم بتطبيق فلسفته على الوجه الصحيح

لم يترك كوموشوس كتباً نحتط لما أفكاره وأقواله بطريقة يمكن التيقن من بساطتها إليه أو سلامتها من التحريف والتعديل، فأقدم المصوص المنسوبة



له لم تُؤن إلا بعد رحيله نحو أربعة قرون، لذا سيظل الجدل مستمرا حول الكثير من تفاصيل حياته ومعتقداته، فالبعض لا يستبعد كونه نبيا مرسلا من الله إلى شعبه. لا سيما أنه كان يتحدث عن أن السماء أوكلت إليه مهمة علاج بلاده من أوجعها، كما كان يشير إلى ثفته بأن السماء لن تخذله، وأنها لوحده التي تفهمه (1).

تقول الحكمة الماثورة "لا كرامة لبني في قومه"، وقد كانت لكونفوشيوس كرامة في قومه ولكن لس في عصره، فبعد مائة بضع قرون أصبحت فلسفته هي لمطة الاعم للتقاليد الدينية الصينية، حتى نُسبت إليه معظم المؤلمات التاريخية التي أنتجها الفكر الصيني في العصور اللاحقة، وقيمت الهياكل

والتماثيل لتبجيلة على عادة الصينيين في تقديس الأسلاف، حتى كاد البعض يرفعه إلى مصاف الآلهة في السماء

ومن أهم الكتب المنسوبة له كتاب "تعاليم كونفوشيوس"، وهو مجموعة مدونة من أقوال وأفعال كونفوشيوس وتلامذته، كما يضم العديد من حواراته معهم. ويمكن اعتباره المصدر الرئيس لأفكاره وتعاليمه. والتي ما زال لها تأثير كبير على الفكر والقيم في الصين ودول شرق آسيا حتى اليوم



تمثال كونفوشيوس في أحد معابد الصين

(1) هيا ديجر شين، حكمة الصين. دراسة تحليلية لمالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور. دار جعارف.

١٣ الأصل الباطني

شارك الكوموشية مع الطاوية وبقية المعتقدات الصينية في عموص نشأة الوجود، فمعظم الأدب الباطني (الجنوصية) الاسيوية تصفي عن الكون بعداً روحياً يجعله مستقلاً بذاته، وربما مستعياً عن الحلق فالكون يحلق نفسه من فوضى أولية، ثم تسطم مكوباته من خلال قطبية العنصرين المتناقضين "بين وسين"، حيث تستمر عملية التحق في دورات لا نهائية ما رلنا نرى آثارها إلى اليوم.

تشير مآثورات كوموشيوم إلى "تيان" الذي يحلّ في لسماء، ويتحدث كتاب "تعاليم كوموشيوم" عن تيان بصفته مصدراً للحياة، كما يص عن أنه يراقب البشر ويحكم عليهم، إلا أن الباحثين المعاصرين يصرون على أن "تيان" لا يمكن فهمه بطريقة تشابه مفهوم الإله في الأدب السماوية، فهو ليس إلهاً فاعلاً خالقاً مبدئاً، بل هو مثل "الطاو" في لطاوية و"براهمان" في الهندوسية، أي أنه مبدأ الانظام في الطبيعة، ومن خلال التأمل والاتحاد معه يكتشف البشر كيف يجب أن يعيشوا ويتصرفوا

بناء على ذلك، تستبعد الكثير من المراجع المعاصرة اعتبار المعتقدات الصينية -ومها لكوموشية- ديناً^(١)، على اعتبار أن شعائر لتقديس والتبجيل لا تأخذ صفة العبادة، وأن من يمارسها لا يقصد بها بل رص، له ما أو محبته، ولا انتظر مثوبه في الآخرة، بل يبحث من خلال تقربه إلى "المطلق" عن اتباع الطريق الأمثل للحياة، والتدغم مع بقية مكوبات لوجود

وفي كذب "تعاليم كوموشيوم"، بحث كوموشيوم أتباعه على ممارسة الشعائر الهندسية (لي) التي تعني احترام المواقع وحسن التقدير، كنوع من العبادة (جيين) للآلهة (ش)، التي تتلى وسين من "تيان"

(١) الأفكار الفلسفية الصينية، ص 13

وعندما يسأل بلعيد كوموشيو من عن تقديم القرابين، يجيبه بضرورة معرفة واحترام تير أولا، ثم تأدية شعائره التي تشمل تقديم القرابين بشكل صحيح، وعليه أيضا أن يقدم نصائح شخصية وأن يؤثر في الوجود، ولا فإن عمله لن ينتج شيئا والنتيجة هي ربط الشعائر دائما بما تركه من أثر في النفس، وفي الوجود كله⁽¹⁾.

وفي موقف آخر، سأل أحد تلاميذه عن الموت، فقال كوموشيو من "بك لا تعرف الحياة فكيف ستعرف الموت؟"، مستبعدا بذلك أن يفهم الإنسان الكثير من أسرار الحياة الملموسة، ما يجعل من المستحيل العوض في العيبات وما بعد الموت، كما أنه أنكر وجود الأرواح ولم يعني بالبحث عن الإله⁽²⁾.

١٢ التركيز على الأخلاق

لم يشغل كوموشيو من كثيرا بفلسفة الوجود، فكان يطلق من الأسس الياطية التي ستفادها من المعتقدات الموجودة سابقا في الصين ليربطها بالأخلاق والسلوك وتنظيم المجتمع، وإصلاح القيادة السياسية. وبما أن لسماء وجدت حسب تعاليم كوموشيو من - بنظام منضبط، فيتعين على الإنسانية أن تتبعه في اتباع "طريق معتدل" يحفظ التوازن بين قوى اليبس واليبس، وهذا التناغم الاجتماعي، لنفهم على التمسك بالأخلاق الحميدة يتطلب احترام الأحقاد العظماء إلى درجة تقديمهم وعبادتهم، وذلك من خلال تجنب تعائيلهم وتقديم لقرابين لأصرحهم.

(1) Homer Dubs. *Theism and Naturalism in Ancient Chinese Philosophy*. University of Hawaii Press. 1960, p. 160-175

(2) الأفكار الفلسفية الصينية، ص 13

كما شطّاب هذا التناغم صيغُ السلوك الجماعي بحمسة ثوابت، هي رد (الإحسان للأحرار)، بي (الحق)، لي (ممارسة الشعائر)، شي (المعرفة)، مين (النزاهة)

أما سلسلة الأخلاق لسوكية فتتضمن أربع فصائل رئيسية، هي شون (الإخلاص)، سي (بر الوالدين)، سيه (العارض السماوي)، وب (الحق) الذي يوجد أيضا ضمن قائمة الثوابت الخمسة وتضاف إلى هذه الفصائل عناصر أخرى فرعية، مثل الصدق والرحمة والشجاعة واللطف والتواضع^{١٠}

١٠ التأثير هي السياسة

تكتسب كوفوشيه أهميتها من دمجها للنظامين السامي والاجتماعي في وحدة متكاملة، فالمصائل الشخصية التي حث كوفوشيون أتباعه عليها يجب أن يشارك فيها الحكام والشعب على السواء

كان كوفوشيون يدعو إلى حكمه أبوية بطريركية (تسّطية) يتمنع فيها لحاكم باحترام شديد، وذلك بمقابل احترام الحاكم لمطومه الفصائل وتقيد به حتى يبلغ الكمال، ويصبح قدوة لشعبه.

ومع أن بعض الباحثين المعاصرين يرون في التقيد الكوفوشي تكريسًا للاستبداد، وتسهيلًا لحصول الحاكم على التمويص بسلطات "إلهية"، فهو أشبه بالأب الذي يطبعه الأطفال بدور اعتراض، إلا أن لبعض يدفع عن كوفوشيون بأنه كان يدعو إلى تعميم التعليم بين كل أبناء الشعب بدون طبقية، وأنه كان يحث على الترام الحكام والمحكومين معًا بالمصيلة

كان كوفوشيون يحلم بدولة يسند فيها النظام عن طريق نشر الشعائر (لي) والموسيقى، وكان يهتم كثيرًا بإرشاد القصائد الصينية القديمة بالبحر



هوميستية، ويطوف أقاليم بلاده ليقنع الحكام بأن دعمهم بالمصيلة سيجعل الدول في عني عن تشريع القوانين واستخدام القوة. لكن هذه الدعوة كانت أقرب إلى الطوباوية من الواقع

وبالرغم من عدم نجاحه في حياته، فقد انتشرت أفكاره كونيوشوس بعد وفاته، وانتشرت المدارس في أنحاء البلاد لتعلم الناس فلسفة "المعلم الأكبر"، وأصبحت أفكاره قوة لمطومة دينية تقام لها المعابد والمعاهد. لا سيف في فترة الحروب الطاحنة التي عصفت بأقاليم الصين وممالكها الممرقة

والمفرقة العجيبة أن أول من وُجد الصين ومعها صفة الأمة والإمبراطورية الموحدة هو أشد الحكام عداء لآرث كونيوشوس، وهو تشين شي هونغ - أو شي هونغ دي - أول إمبراطور للصين، والذي اتحدت البلاد اسمها من اسمه

في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد. نجح تشين في تشكيل أقوى جيش بالمحطة، ومن حسن حظه سقطت مملكة هان (التي بناها كونيوشوس) في عصره. ثم تكتد دولة تشاو حسانر مؤلمة جراء زلزال مدمر، فانهر تشين الموصبة في غزو كل الممالك وسقاطها واحدة تلو الأخرى لتشكيل دولة الصين الكبرى.

كان تشين معروف بطغيانه وحروبه. وبما أنه دمر مئات العنماء وفلاسفة حياء، ورحم حزين حتى الموت بمحرد مخالفهم له وبما أن الكونيوشيه كانت مدمره في بعض الممالك التي أسقطها فقد عذبه تهديدا لسيبته. وأمر بحرق كل الكتب التي لا تتوافق مع لمبسه الوحيدة التي عمنده، وهي "القانونية"، د كل القانونيون يرون أن الدارج يشهد بمشمل أحلام كونيوشوس في التعويل على اتحاد الحكام قدوة، وعني المصائر التي يتمتع بها الشعب، وأصروا على أن الحكم يجب أن يستند إلى القوانين لا إلى الحكام، وأن الناس يجب أن يرفعوا على الطاعة حتى تصبح جراً أصيلاً من طبيعتهم.



وكما يقول ويل ديورانت في كتابه "قصة الحضارة". فقد كُتب لعسمة كويموشيون النصر أحر الأمر، فما إن انقضى عهد الإمبراطور الأول، وعهد أسرته قصير الآخر، حتى تربع على لعرش أباطرة آخرون أعادوا للعيسوف مجده الأول. وجعلوا حكمته أساساً لبرامج لتعليم والحكومة، ونقشوا أقواله على حجارة المعابد. واعتمدوا قسمه دينا رسمياً للدولة، فما تكاد اسم عيسوف آخر يصحى اسمه في الصين منذ ألفي سنة⁽¹⁾

ويقول لدكتور وان هايمينغ، وهو أكاديمي صيني تلقى تعليمه في الولايات المتحدة، ربما لم يحظر على يال كويموشيون أن فلسفته ستنمى بالاحترام من قبل حكام الصين منذ أسره هان الملكية وحتى اليوم، وأن تأثيره سيمتد إلى البلدان المجاورة مثل الجزيرة الكورية وفيتنام واليابان، ثم ستصبح فلسفة عالمية تحظى بالقبول في الغرب⁽²⁾.

القوة الصاعدة

في عام 1993 طرح المفكر الأميركي صامويل هنتنغتون نظريته "صراع الحضارات"، مسبب بموجة كبيرة من الجدل حول تعلم. حيث يرى أن الصراعات المقبلة ستكون بين الحضارات لمتمايزه تهايد وريثا وليس اقتصاديا كما كان شائع في ظل العولمة واعتبر أن أكثر لحضارات لمرشحه للصدام مع الحضارة الغربية هي الحضارة الإسلامية، كما لم يعف محذوفه من لصدام مع الحضارتين الأرثوذكسية (الروسية) والصينية

وبعد طرح تلك النظرية، هزل الكثير من المختبرين لاسر، تحيين يعتبرون الفصاء لنفاقي الصيني Sinosphere كنة متجاسدة، كما يعتبرون الكوموشية أحد أهم مكوناته فمع أن الصين تنكرب لراثها وديها وتنب

(1) ويل ديورانت، قصة الحضارة، المجلد 1 الجزء 23، ص 1121

(2) الأفكار الفلسفية للصينية، ص 17-18

الإتحاد الشيوعي منذ إعلان ماو تسي تونغ تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام 1949، لكن الصين الصاعدة اليوم بقوة أصبحت أكثر بصالجا مع هويتها الكوموشية

ومند أو حر سيعينات القرن العشرين. سمح الحرب لشيوعي الحاكم بإعادة الاعتبار للأديان، كم يواصل الرئيس الحالي شي جين بينغ سياسة التسامح مع الدين بدعمه مكونا مهفا من مكونات التاريخ والهوية، وأصبحت للاستفادة من دوره في ملء الفراغ الروحي والاحلاقي الناشئ عن النمو الاقتصادي المتسارع

ويسو أن هذا التسامح يلقي ترحيبا من الشعب. إذ كشف استطلاع للرأي أجره مركز بيو للأبحاث في عام 2020 أن 48.2% من سكان الصين يقرون باعتقادهم بأحد الأديان، وهي نسبة كبيرة في بلد يُعتد أن الكثير من مواطنيه لا يجروون عن الإفصاح عن أفكارهم بحرية، ما يعني أن نسبة الندين والإيمان قد تكون أكبر بكثير.

وفي ظل هذا النعير، لم يكتف الحرب الشيوعي بالنعير عن انتقادات مؤسسية للتعالم الكوموشية، والدين رأوا فيه ممثلا للرجعية البورجورية، بل أصبح الحرب بصفه اليوم حارما للتعالم الكوموشية. لا سيما أنها توفر له أساسا مبنيا لانصباط الشعب واحترام الرعيم، لذا أصبح من المألوف السماح ببناء المزيد من المعابد والمعاهد الكوموشية، ورعاية المؤتمرات والمهرجانات، وحتى تقديم محاضرات لمسؤولي الحرب عن التعالم الكوموشية، في حين تعاني اتباع المسيحية والإسلام من القمع والتضييق

واليوم، يدير الجهاز الحكومي "هانيان" التابع لوزارة التربية ولتعليم في الصين- حوالي 500 معهد وأكثر من ألف فصل كوموشي في جامعت ومدرس حول العالم لتعليم اللغة وثقافة الصينية، إذ مارال هذا الجهاز الذي تأسس

عام 1987 يتوسع بحث شعارات التفاهم المتبادل وتعرير لصداقة مع شعوب العالم، بينما يراه المراقبون أحد أهم أدوات القوة الساعمة للسياسة الصينية (1)

وبعد نحو عقد ونصف العقد على نشر محته فورين افيرز "المقال الذي بشر فيه متبعون بنظرته -فيل أن يصردها كتاباً لاحقاً- نشرت لمجلة نفسها في صيف 2017 مقالا للأسد بجامعة هارفارد غراهام كيسيون، حدد فيه الدكند على أن لصراع بين العرب والصين سيكون تدفيع بالدرجة الأولى وليس قبضاداً محسباً، ولعب الانظر إلى المساء الكونغوشي الأول عرف وطلب"، والذي تعبر به سببه لصين اليوم لتوحيد صفوف شعبها من حبيب، في حين ينظر شعب الأمريكي والعربي عموماً إلى الحكومة على أنها شر لا بد منه" (2)

صيف إلى ديف ل الكونغوشي بررع في الفرد لصيني هيم لصحيته من أهل المجتمع، ما يجعله مستعداً لتبارك عن حرة كبير من حربته وحقوقه في سبيل صيط ليطام ومع الموصى، بينما يشك الفرد العربي على مفاهيم "الفردانية" وحرية الشخصية، ما يفسر بالمرء من مخاوف تفككت المجتمعات الغربية

لدا يرى المفكر الروسي الكسندر دوغين أن قطب لصين لصاعد يقوه بسبعين الماركسيه العربيه، التي أعيدت صيغتها بشكل كبير في لثوته، بحيث سمو بشكل عني على نحو متزايد في لثقافه كونغوشية، وبصبح رئيس العرب

(1) "باشاء 100 من معاهد كونغوشيون الصين بفتح نوابه عبور ثقافتها إلى العالم"، موقع arabic.cn.cn

6 أغسطس 2015

(2) Graham Allison, "China vs. America Managing the Next Clash of Civilizations"

foraaffairs.com, September/October 2017



الشيوعي لصيبي (رعيم لبلاد بكنه) بصوبتها منبوي لحكم كل ما تحت
 لسماء" ساعسره الامر طور الحقبسي (ببشبا) ¹

لو لم يكن الاله موجوداً لوجب عليه حيازة"، هكذا نكلم فولتير إيس
 لثوره الفرنسيه لتي بوردت حتى طغيان الكنيسة، إذ كان يرى أن ليس
 ضروري لصيبت بوصفه المجتمع، وأن وجود الاله ضروري لتأسيس مفهوم
 العدالة ويبدو أن عمود منطوية من محاولات بكريس الالحد لشيوعي في
 الصين به تنجح في استنصال هدد بصيرورده، فحتى لو كان لدين مشون
 بالانصاير ولحرفااب ولاصول العامصة سسطن عتدقه من هس لسيطة
 ولشعب على السواء افضيل من الانماء في شوة لعدم، وأكثر هدره على تعبير
 لهويه والاسماء، ومفرعه لقوى الكرى على انترج موقع الصيرة



الشنتوية . تراث أسطوري يحكي قصة اليابان

من نشأتها حتى الاستسلام

كما هي حال الديانات الأسبوية الصارية في عرق التاريج، يتراكم تراث طويل من الأساطير والتقاليد لتشكل "الشنتوية"، ديانة اليابان القومية وصانعة هويتها المميزة، التي ما زالت حاضرة في أروقته السياسية وتُصيب الحروب ومراسم الزواج، وحتى أفلام الأنمي⁽¹⁾.

وبالرغم من اعتماد معظم اليابانيين العلمانية بعبارة لحياتهم، وليس مهجاً سياسياً فحسب، فإن التراث لشنتوي ما زال حاضراً في تفاصيل كثيرة، وقد يكون الابتعاد والافتراق منه مؤشراً لمعايير النجاح في شتى المجالات، لا سيما مع تصدر الحرب البيري في الديمقراطية⁽²⁾ للمشهد السياسي منذ عقود، وهو الذي يحرص على إيجاد توليفة للجمع بين البيرلية الغربية وإحدى لهوية الشنتوية للبلاد.

وقد يضاف القارئ بالاطلاع على نداحر الديانات في اليابان، فالإحصاءات تشير إلى أن عدد معنقي الشنتوية يبلغ 160 مليون، وأن عدد من يعدون أنفسهم بوديين 96 مليوناً، مع أن إجمالي عدد السكان هو 125 مليون نسمة وسبب وجود ريادة في عدد معنقي الديانتين عن إجمالي عدد السكان هو

(1) يطلق مصطلح 'الأنمي' على رسوم المتحركة اليابانية التي تجذب ملايين المتابعين والشباب حول العالم، ولها طابع في وثقافتها يعزها عن مثيلاتها الغربية

(2) هو حزب يميني قومي وأصل نجاحه في قيادة الحكومة لأكثر من خمسين عاماً منذ عام 1955 وحتى

عام 2009، كما عاد للحكم في السنوات الأخيرة، وفاز مجدد في انتخابات صيف 2022



الجمع بين الشنتوية والبوذية لدى كثير من اليابانيين، إذ لا يجدون أي مشكلة في دمج معتقداتهم بأديان من أصل غير قومي أيضاً ومن الشائع في اليابان الاحتفال بالأعياد الشنتوية واليهودية والمسيحية معاً، وقد تمام حفلات الرفاف في أحد المعبد أو الكنائس، كما يفصل كثيرون إقامة طقوس الدفن على الطريقة البوذية.

٤ أصول تسبق التاريخ

مع أن الغموض يكتنف كل الديانات الآسيوية، لباطنية (لعموصية)، إلا أن الشنتوية قد تكون أكثرها عموصاً في شأنها، إذ لا يُعرف حتى الآن مصدرها الأول، وقد تعود جذورها إلى التقليد السحرية والوثنية في "فترة جومو"، التي تمتد إلى ما قبل التاريخ، ثم ترمحبت في أثناء "فترة يايوي" خلال القرن الأول قبل الميلاد مع ظهور زراعة الارز في اليابان وبدء تشكل الحضارة.

طلت العرماجات (الشامانات) مترعات للكهنة الديني في تلك الفترة من خلال تصلبهم "بالأرواح"، وبالأحرى شياطين الجن وكانت لهم سلطة كبيرة في المجتمعات الزراعية، ثم ساقصت أدوارهم مع بدء توحيد قبائل لتشكل نواة الدولة الجديدة في "فترة كوفو"، تحت سلطة سلالة الأباطرة "ياماتو"، التي بدأ حكمها في القرن الرابع الميلادي وما زالت مستمرة حتى يومنا هذا.

ويرجع أصل تسمية فترة كوفو إلى الأكوام الكبيرة من التراب التي اتخذت أصرحة لقيادة الكبار، التي كان طول بعضها يمتد إلى أكثر من 200 متر، على هيئة ثقب المعلق، وكانت تحاط بأطباق لتقديم القرابين للآلهة¹

وفي القرن الميلادي الخامس، ومع تشكل الدولة واكتمال بصحتها، وضع الكهنة طقوس معقدة وطويلة لكل مراحل حياة الإنسان، من الولادة إلى البلوغ

1 Tony Hoang, "Kofun Period" worldhistory.org, 23 March 2016.



ثم لروح والوفاء وفي هذه الفترة نفسها بدأ دخول البوذية عن طريق الاتصال بالحصارة الكورية، واندمجت بالشتوية في سلسلة من حركات التأثير بين الطرفين.

تعود أولى مراحل الدخول في اليابان إلى القرن السابع الميلادي، أي بعد دخول البوذية وتشكل الكثير من مظاهر لحصارة والدين، مما يعني صعوبة تحيين ما حدث في البداية المرافقة قبل ذلك وتعد مجلات "كوجيكي" أقدم الكتابات الأساسية، وهي سابقة بضميل على مدونات "نيهون شوكي"، التي نعرف منها على أسطورة نشأة بلاد اليابان، وعلى نسب العائلة الإمبراطورية وكان هدف تدوين هذه الكتابات المبكرة وغيرها هو تسجيل أسبقية معتقدات الشنتوية ومدى توفيقها مع البوذية الدخيلة.¹

• آلهة غامضة وتاريخ مقدس

حسب الأسطورة الشنتوية، كان الكون في حالة غامضة من عدم، لنشكل والسكون، ثم تشكلت الجريئات الأولية تنقائنا، فربيع الصوء عن قمة لكوب، وتكثفت من تحته حريئات المادة المطلمة وبطريقه غير مفهومة، بدأ ظهور الأشكال الأولى من الآلهة، ولم يكن لها حسن محدد، وكانت تحبب عند ولادتها، إلى أن ظهرت خمسة أرواح من الآلهة، كل منها مكون من إله ذكر وإلهة أنثى.

وكان الإله "إيرامي" والإلهة "إيرامي" هما آخر الأزواج، وقد أوكلت لهما مهمة إيجاب العالم وحلق أرحيل اليابان، فوفقا على جسر السماء العائم، وقدره في المحيط رمحا مرصفا بالجواهر، ثم رفعاه إلى السماء فتقاطرت منه قطرات أصبحت جرز اليابان "المقدسة" ومن خلال براوجهما الطبيعي، نتجت سلسلة لجس الياباني، أما إلهة الشمس "أمانيرامو أومي كامي" فانبثقت من

(1) Taro Sakamoto. The Six National Histories of Japan: Rikokushi. John S. Brownlee 1991 p

العين السري للإله "إيراماي"، والتي منحت لها العلالة المقدسة لأباطرة اليابان.

تعتمد الأسطورة أيضا بوجود الأصل الباطني للوجود "كامي" وهو مفهوم عدمص تصعب ترجمته للغات الأخرى. ويشمل كل ما يتعلق بعالم الأرواح غير المادي يرفض كهنة الشنتوية تعريفة بالإله أو الآلهة، فهو في اعتقادهم أكثر شمولاً، إذ يطلق على كل تشكيلات الآلهة وعلى أرواح المادة العظماء وعلى رأسهم الأباطرة. كما يمثل في كل قوى الطبيعة من جمادات وأشجار وحيوانات، ولا يمكن فهمه إلا من خلال معتقدات الخلوية العنصرية التي نصفي معنى روحياً على الكثير من مظاهر الوجود^(١)

وتربط الشنتوية بين كل ظاهري وأله معينه، فأعداد الكامي لا يمكن حصرها، ويمكن لكل قرية أو عشيرة أو عائلة أن تحدد الكامي التي تربي عبادتها، فتقدم لها لقرابين وتتوقع منها لتكرم بالرق والحماية وفي العصر الحديث المنتم بالمردابية، يمكن لأي شخص أن يفترض وجود آلهته الخاصة حسب نمط حياته.

وبما أن الأباطرة يترفعون على قمة الهرم، فمن المتوقع اعتبار الكامي الخاصة بسلالهم هي الأقدس والأشهر وقد أدت الشنتوية دوراً جوهرياً في تشكيل ثقافة الانصباط بالمجتمع الياباني، بدءاً بوصفها "لقداسة على البلاد نفسها، ثم على قادتها المنتسبين إلى إلهة الشمس

ومن الجدير بالذكر أن الشنتوية ديانة عرقية مربطة بأرض اليابان، فهي لا تعنى بالتنشيط، كما ينظر إليها اليابانيون على أنها شعائر وممارسات للاتصال بالكامي وليس وسيلة فلسفية لفهم العالم والوجود

1 True Nobutaka, "Perspectives toward Understanding the Concept of Kami" kokugakuron.ac.jp



الأسطورة هي خدمة السياسة

نقول سجلات "يهون شوكي" إن الإمبراطور جيمو أسس اليابان عام 660 قبل الميلاد، لكن كثيرًا من المؤرخين المعاصرين لا يقرون بوجود حقيقي له، ويرون أن الإمبراطور أنكو من القرن الخامس الميلادي، الذي يحتل المرتبة العشرين في السلالة، هو أول حاكم تاريخي لليابان، مع أنهم ليسوا متأكدين أيضًا من دقة تاريخه.

ومع أن الأصل الإلهي للملوك كان أسطورة شائعة حول لعالم لإصماء الشرعية عن الحكم، لكن اليابان هي البلد الوحيد الذي احتفظ بأسطوره تلك، حتى بعد دحوه السريع في عالم الحداثة ولحاقه بالثورة الصناعية التي كانت مرادفة للعلمانية في الغرب.

ولعل تراجع العديد من الأباطرة عن الممسك الصلبي بمقاليد الحكم لعب دورًا في احتصاصهم بقدر سهم، فبعد أواخر القرن الثاني عشر الميلادي كان الشوغون (الحاكم العسكري لليابان) هو صاحب السلطة العليا، بحماية محاربي الساموراي، وظل هذا العرف سائدًا حتى نهاية فترة ييدو عام 1868، أي مع بدء لتاريخ لحديث للبلاد الموافق لبداية فترة ميجي، وهي التي شهدت ما سمي بالإصلاحات السياسية والاقتصادية والإدارية المعلنسة من أوروبا، وما تبع ذلك أيضًا من قتل ناس لأسباب الهمة العلمية والصناعية.

وفي عام 1924، جلس ولي العهد هيروهيتو على العرش الإمبراطوري، مبتدئًا أطول مدة حكم في تاريخ البلاد، ولعبها أيضًا الأكثر حظورة، ففي عهده استلعت الحرب الصينية اليابانية الثانية عام 1937، وبعدها ببضع سنوات دحنت اليابان الحرب العالمية الثانية، ولم تحرج منها إلا بسقوط لصينيين السوفييتين الوحيدتين في السارج على اثنين من كبرى مدنها، هيروشيما وماغازاكي.



وفي 15 أغسطس/ آب 1945، شت الإداعة بلاغ بصوت الإمبراطور هيروهيتو معلناً إنهاء الحرب، وجاء فيه "بدأ العدو باستخدام قنبلة جديدة وأشد ضراوة، لا تحصى قدرتها على الأذى، وتسبب خسارة الكثير من الأرواح البريئة إدا وصلنا الكفاح، لن يؤدي ذلك إلى انهيار الأمة اليابانية وطمسها في نهاية المطاف فحسب، بل سيؤدي أيضاً إلى الانقراض التام للحضارة الانسانية".

ثم قال "في هذه الحال، كيف سجد الملايين من مواطنينا، أو يكفر عن انفسنا أمام الأرواح المقدسة لأسلافنا الإمبراطورين؟ هذا هو التسبب في قبولنا أحكام الإعلان المشترك لدول الحالف" ومعاً لنس، أكدت الإداعة أن اليابانيين قُبلت "الاستسلام"، وهي لفظة لم ينطق بها الإمبراطور حفاظاً على الهيبة.

حرصت لولايات المتحدة على الاحتفاظ بما بقي من هيبة الإمبراطور، فملا في تحقيق لسلام بعد الحرب، ولم يحمله الإعلام الغربي المسؤولية التي أدت إلى شيطنة حقيقه، رعيي ألمانيا وإيطاليا أدولف هتلر وبنيتو موسوليني، بل اعتُبر



الإمبراطور بمثابة "رئيس صوري" أمام مجلس الوزراء والأوليغارشية العسكرية. ومع ذلك، سقطت عن الإمبراطور آخر أوراق القداسة التي احتفظ بها أجداده طوال قرون، وأدرك شعبه أخيراً أنه ليس سوى إنسان مثلهم، لا سيما بعد نشر صورته بجانب الجنرال الأمريكي دوغلاس ماك آرثر في الشهر التالي للاستسلام، حيث بدأ الإمبراطور بقامته القصيرة حالاً من كل مظهر الألوهية.

أحد صورا هيروهيتو بجانب الجنرال سريكي دوغلاس ماك آرثر بعد استسلامه في صوكيه بعد الاستسلام

١٠ صراع الأسطورة والحداثة

كانت الهرمة صدمه لليابانيين بكل المعاييس، وجاءت بعد صدمتهم الأولى سحول بلادهم المسالمة حقبة من الخروب والطع في البلاد المحيطة، فلم يتخلصوا من عنها إلا وهم سقصون العبار السوي عن الأنقص.

وبينما كانت أوروبا المدفرة تكافح لإعاده الأعمار، والولايات المتحدة تحصد ثمار انتصارها بالتربع على صدارة العالم، تمكنت اليابان من حرق المرحس واستعاده أمحادها بسرعة، وحقت في ستينات وسبعينات القرن العشرين معجزة قتصادية كادت أن تغيب بها على الولايات المتحدة نفسها.

يرى بعض الباحثين أن الدستور الجديد، الذي عُمِد عام 1947 في أعقاب لحرب، هو الذي مكّن اليابان أحيّزا من التخلص من عبء اليوقراطية (الحكم لذيي) الأسطورية التي أنملت كاهلها، فمع أن الأباطرة "المصمسين" لم يستبدوا بالحكم منذ ظهور الشيوعوب ومحاليس لوزراء، إلا أن الدستور السابق كان يحفظ للأباطرة لحق الإلهي بالنشريع.

وتنص الفقرة رقم 20 من الدستور الحالي على أن "حرية الدين مصمونة لجميع ولا يجب أن تحصل أي منظمة دينية على أي دعم مالي من الحكومة، أو أن تقوم بأي نشاط سياسي"، لكن الحكومات التالية حاولت تحقيق بعض التوارب، وأعادت إحياء تراث البلاد الديني من باب الحفاظ على الهوية، وقد لا يخلو الأمر من إثارة بعض الجدل.

ففي ربيع عام 2019، أقيمت مراسم تنصيب الإمبراطور ناروهيتو، إثر تخلي والده أكيهيتو عن العرش لأسباب صحية، وفقاً للطقوس الشنبوية المعتدة وبعد عدة شهور من بدء المراسم، أقيم طقمس دايجوساي لذي ينصهر ارتداء الإمبراطور ملابس بيضاء، ثم الدحول إلى قاعة حشبية مظلمة لقضاء الليل برهقه لإلاهه الشمس "ماتراسو أوميكامي" التي سحدر من نفسها،

كما تقول الأمطورة.

وفي العام التالي، رفع دامتسون ملحدون ومسيحيون دعاوى قضائية إلى القضاء الياباني. يدّروا أن هذه المراسم تنتهك الدستور العماني، وتكلف الحكومة نحو 25 مليون دولار لتنفيذها⁽¹⁾.

وفي تحقيق أجره معهد غالوب الدولي عام 2015، احتلت اليابان المرتبة الثانية -بعد الصين- في قائمة الارتفاع عن الإيمان، إذ قال 31% من اليابانيين أنهم ملحدون، بينما رأى 57% منهم أنهم يدون أسماء ديني⁽²⁾، ولا يتعارض ذلك مع الإحصاءات التي أوردناها في بداية هذا الفصل، فالجبابي لا يجد حرجاً في اعتبار نفسه معسفا الشنتوية أو البودية، ثم يعلن أنه متحد لا يؤمن بالله.

ولعل التعايش مع هذا التناقض هو الحر الوحيد لدى سبي إليه اليابانيون، فعنتاقهم الشنتوية أو البودية لا يتجاوز قيام بعض الطقوس الاحتفالية، طلباً لبركة والهدوء النفسي، ولمسد بعض فراغ الروحي البشري عن نمط الحياة المادي، أما الأسئلة الوجودية فيحاولون التهرب منها بالمزيد من العمل والإنجاز المهني.

لا تقدم الشنتوية حلاً عاجلاً للقول من الموت، فهي لا تتحدث عن البعث والخلص، لذا يعصر اليابانيون اعتماد الطقوس البودية في جديتهم، مع أنهم لا يحدون في المسحة المعدلة منها وهي "بودية الزن" - ما يشبع هم الإنسان في البحث عن الجود، إذ لا تتجاوز وعودها تحرير الروح من أسر التناسخ

1، "موظفون بقاصون حاكم «كيوتو» بسبب تنصيب 'الإمبراطور الياباني'، وكالة ألب، 14 مايو، 4

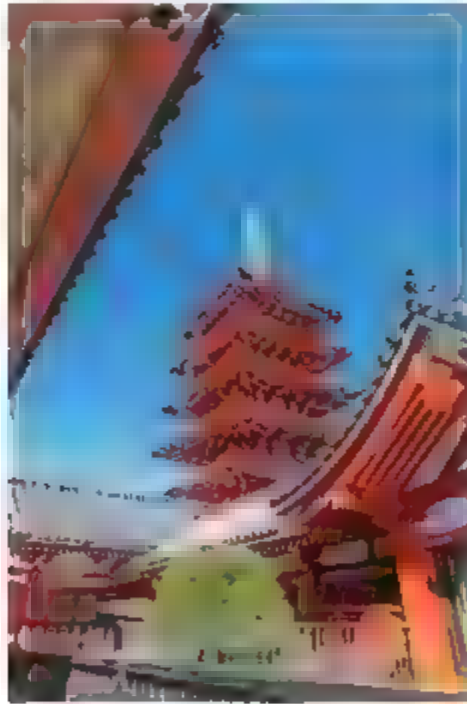
نوفمبر 2020

2) "Losing Our Religion? Two Thirds of People Still Claim to Be Religious" galup-international.bg, 8 June 2015.



للاندماج بالروح الكلية للكون.

وبما أن الشئونة لم تعد تحقق الكثير من الأبحاث، سوء على صعيد تقديم الأجوبة الفردية، أو ضبط العقد الاجتماعي، فمن المفهوم حلول معابد الهياكل التي يدير عددها 80 ألفاً من المصلين، واقتصار أدوار كهنتها على تقديم البركة وأداء المرسوم التقليدي واستقبال المياع.



الهندوسية.. خليط من الأساطير

يشق طريقه نحو الحداثة والمنظر في ان و حد

تعد الهندوسية ثالث الأديان الكبرى من حيث عدد الاتباع في العالم، يدبر عدددهم عن المليار، كما يعدها مؤرخون أقدم ديانة حية حتى الآن، مع ما يشوب أصولها وعقائدها من غموض وصطراب، لكن ذلك لم يخل دون ربطها بالقومى الهندية، لتصبح سلاحاً بيد اليمين المتطرف، مع أنها من أدونت القوة الداعمة لعولمة الثقافة الهندية.

لا توجد رواية متفق عليها لأصل هذه الديانة، فالقومى الهندوس يرعمون أن دينهم يعود إلى ما قبل نشأة الإنسان نفسه، وأنها برلت على العرق الأري السيل الذي كان يقطر الهند قبل آلاف السنين، لكن طيفاً آخر من الهندوس، وكذلك لمشقون عنهم من البوديين والجديين والسبح، يعتقدون أن الهندوسية توليفة تجمع تراثاً مراكماً لمعتقدات وثنية وحدث هناك قبل التاريخ

ويرى هذا الفريق الذي يدعمه معظم المؤرخين العربيين أن الروايات الأولى تشرح بقايا الوثنية القيدية في العصر الحديدي بشمال الهند، الذي كان بدوره مركباً من أساطير ومعتقدات محلية، والثقافات المبروليثة القديمة من الهبة الإبراهيمية في العصر الروماني، والتقاليد السرايدية في جنوب الهند¹.

وعندما هجر الأريون إلى الهند حوالي عام 1500 قبل الميلاد، بدؤوا تشكيل الديانة التي نعرفها اليوم، كما كرس الأريون نظام العبودية الطبقي

1 Bruce M. Sullivan, The A to Z of Hinduism, Rowman & Littlefield, 2001 p. 8- 15



لإبقاء لسكان الأصليين تحت السيطرة، واحتكروا لأنفسهم ماصب الكهنة، وربطوا هذه المظومة الاجتماعية بالدين¹

١- الكتب المقدسة

يميز رجال الدين الهندوس بين نوعين من الكتب المقدسة الأول يدعى "شروتي"، وهو الذي يعتقدون أنه وحي مرل، ويشمل الصيدات والأوبانيشد، ويرجح المؤرخون أن تاريخ الشروتي يعود إلى الفترة بين عامي 1500 و 300 قبل الميلاد⁽²⁾.

وتعد لميدات أقدم مجموعة من التراجم والاساطير باللغة السنسكريتية (التي تعني الكامنة المقدسة)، وهي لغة الأريين، وكان أول هذه النصوص وأهمها "رغ فيدا"، ثم تأتي نصوص سامفيدا (أغاني تنلى خلال الصوت)، وباحورفيدا (عبارات نثرية تنلى عند تقديم القرابين) وأهرفييدا (طلاسم سحرية)، وبشكل هذه الكتب الأربعة "المصحمة" "الميدات" التي يعتقدون أنها وحي تلقاه الكهنة الأوائل

أما الأوبانيشد فتعني "الجلوس على مقربة"، ونطلق على نصوص مقدسة سرية تماثلها الكهنة الأوانس، وألحقت بالميدات

ويدعى النوع الثاني من الكتب المقدسة "سمرتي"، ويعني المنقول أو المنذكر، ويعتقد لهندوس أنها تقوم على الوحي لكن الكهنة هم الذين كتبوها بأسلوبهم

١) جون كولر، الفكر الشرقي القديم، ترجمه كامل يوسف حميد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1995، ص 34 وما بعدها

٢) كيم بوت، الهندوسية مقدمة قصيرة جدا ترجمه أميره الصديق، مكتبة صداوي، 2022، ص 29 وما بعدها

وتتوزع السمرية على ثلاثة أصناف من الكتب أولها **الملاحم**، وتتضمن "بها عداد عيتا" و"راما يانا"، ويرجع تاريخها إلى ما بين عامي 500 قبل الميلاد و100 بعد الميلاد، ويدور قصصها حول الملوك والمحاربين العظماء

أما الصنف الثاني فهو السمونات التي كتبت في الفترة نفسها، وتتضمن الدرام وليفوغ ولعبدنا وماو سمرية، وتشمل مواضيع الحكم والمواعظ والتشريعات وأما الثالث فهو البورنا، وهيصوص ظهرت بين القرنين الرابع والعاشر الميلاديين، وتتناول أساطير عن الآلهة

وتسعى المرحلة التي ظهرت فيها كتب الشروني الفترة القيدية، أما الفترة التالية التي ظهرت فيهاصوص السمرية، أي قبل الميلاد بنحو خمسة قرون، فهي المرحلة الكلاسيكية، بدأ فيها انتشار الملاحم والبورانات، بهدف نشر العقيدة الأساسية بين الضائال الأمية التي لم تكن مسخرطة في الطغوس لكي يحكمها الكهنة الآريون

وفي بداية هذه المرحلة كان بودا بدأ نشر دعوته، التي انتشرت أصلا عن الهندوسية ولم تنقيد بأساطيرها وآلهتها، وبني الإمبراطور الهندي أشوكا في القرن 3 قبل الميلاد مهمة نشر البودية على أوسع نطاق، لكن الهندوسية عادت إلى الانتشار لاحقاً حتى صارت لها اليد العليا في الهند بدءاً من القرن الثامن الميلادي

طبوع واسع

مع تراكمصوص والأساطير على مر القرون، أصبحت الهندوسية مظنة وسعة لمجموعة من الطوائف والمداهب التي تبدو متناقضة في مواضع عدة، وقد يفاجأ البعض عندما يرى تحت هذه المظلة من يؤمن بالتوحيد والتثليث وتعدد الآلهة والإلهاد في آن واحد.

ويقول المؤرخ جون كولر في كتاب "المكر الشرقي القديم" إنه من الصعب تتبع تاريخ الهندوسية لأنه ينسم بالعموص في ما يتعلق بالأسماء والتواريخ



والأماكن، فالهندوسية تركز على العقائد والمبادئ أكثر من أي شيء آخر. لكن ترتيب أولويات العقائد يبدو مختلفا عن الأديان الأخرى (1)

فالعواصم المشتركة لدى جميع الهندوس هي الإيمان بالقيادات، والاعتقاد بفكرة ناسخ الأرواح ومرور لكون بيوت الخلق والاتحاد، أما الإيمان بالآلهة وعبادتها، سواء بالحية أو الخوف، فلا يعد هد شرطا جوهريا ليماء لهندي هندوسية وهكذا يصبح كل هندي يعتقد بالناسخ - على أقل تقدير - ويحترم قوميته، ولا يعتقد ديناً آخر، داخل في حكم الهندوس، حتى لو كان علمانياً ملحدًا

الآلهة والخلق

تنص كتب الشروتي على الإيمان بآله و حد متعل. مجرد عن التجسد، لا صورة له، هندوس، هندي عباده ويعمر ديوبهم ومع ذلك، نجد في هذه الكتب أيضاً أوصافاً أخرى لمصدر أولي للكون يدعى براهمان. وهو كائن عامض انتشبت عنه الآلهة الأخرى وبقيّة الموجودات بطريقة الفيض



معبد معتمد يمثل شيفا في
معبد بهمنية مرديتشوار الهنديّة

وتقوم الميثولوجيا الهندوسية على ثلاث آلهة رئيسية انتشبت عن براهمان: أولها براهم، وهو لخالق ومانح الحياة، والثاني فيشتو إله الحياة والرحمة والحب، والثالث شيفا إله الفناء والموت والدمار (2)

(1) الفكر الشرقي القديم، ص 33

(2) هندوسية مقدمة قصيرة جداً، ص 61-72

ويقول المؤرخ البريطاني ويل ديورانت في كتابه "قصه لحضارة" عن آلهة الهندوس "تردحهم هم مفيرة العظماء في الهند، ولو أحصيت أسماء تلك الآلهة لتطلب ذلك ما مئة مجلد، وبعضها أقرب في طبيعته لملائكة، وبعضها هو ما قد تسميه نحن لشياطين، والبعض الآخر أجرام سموية"⁽¹⁾ وهكذا يطبق الهندوس على طيف واسع من الكائنات وصف الألوهية، بما يشمل بعض الحيوانات، حتى يبلغ عددها مئات الملايين، كما تخصص بعض المذاهب والطوائف آلهة معينة بالعبادة دون غيرها

وعندما يتعلق الأمر بالآلهة فينشو، فهو يتشكل في صور متعددة تسمى "أفانار"، وبعض لبورنا على تسجيل عشر صور مؤكدة مبهمة، ومنها بعض الحيوانات كالسمكة والأسد والسلحفاة، ومهما شخصيات تاريخية مثل الملك رام الذي كان بطلا لإحدى الملاحم، وكذلك بودا، وسيتجسد أيضا في صورة الفرس "كالكي" راكبا على حصان أبيض، وهو لمخلص الذي سيظهر في آخر عصر الظلام.

وتعد الروح "اتمان" بمثابة الدات الحقيقية لكل فرد، وهي حقيقة حادثة تحدث في الكون كله، ونمة خلاف بين المذاهب الهندوسية بين وصفها بالحقيقة المطلقة للآلهة براهمان أو منفصلة عنه.

وتكتسب الأصنام والايقونات قدسها من التأملات التي يدرسها المتحاشون ومن المعيير الهندسية المنصوص عليها في الكتب المقدسة، وكذلك من الطقوس التي يقوم بها الكهنة عند نصبها، فمحت فيها الطاقة الحيوية (برانا) وينتجى من خلالها الآلهة، حسب معتقدتهم. لذا يجب على الاتباع تقديس هذه الأصنام وتجميلها ومحبها الحب، وقد يعزّون إليها بالمسير آلاف الأميل لنيل البركة والتواصل المباشر مع الآلهة.

(1) ويل ديورانت، قصه الحضارة، ترجمة ربي نجيب محمود ومحمد بدر، الهيئة المصرية العامة



أما تقديس الهندوس للبقرة فلم يبدأ إلا بعد كتابة نصوص السمريتي⁽¹⁾، حيث رُبِطت بزلهه الرجاء "شري"، وُعِدَتْ كل أعصابها مقدسه، وكل ما يجرح من جسمها -سواء كان حبيبا أو رؤثا- طاهرا ومباركا، بل تحمل صفات علاجية. وتطور الأمر في لقرن التاسع عشر عندما أصبح تقديس البقرة علامة فرقة للهندوس، فعُدوا كل من يقصُر في معييدها دحِيلا، أما من يجرؤ على إيذائها -فضلا عن ذبحها- فقد يُعاقب بالقتل



بقرة في أحد شوارع مدينة مومباي الهندية

طبعه حتمية

يُصنّف الكذب المقدس "ربع عيدا" على تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات بدءا على أسطورة الخلق، إذ أُنشِئوا وصنعوا هذه الأسطورة من الأريين لشعب سُن

(1) "Sanctity of the Cow" britannica.com.

برهما خلق كل فئة على هيئة مسبقة، فلا يمكن تجاوزها ولا السرد عليها، بل ينبغي لكل فرد أن يبذل جهده للقيام بواجباته الديوية وإرضاء الآلهة، طمعا في أن تعود روحه بعد الموت إلى إنسان حر في طبقة أفضل خطا⁽¹⁾

وأعلى هذه الطبقات طبقة البراهمة التي تصمم رجال الدين الذين سئقوا من هم الآلهة، ثم تأتي طبقة الكاشاتريا، وهم الأمراء والمرسان الذين خرجوا من دراعيه، ثم طبقة الميشيد، التي تصمم عامة المجتمع الذين خرجوا من عقديه، وأخيرا طبقة الشودرا التي تصمم المسودين الذين خرجوا من قدميه، فهؤلاء يُحكم عليهم بالبقاء مدى الحياة في أدنى المجتمع، ويحصر دورهم في القيام بالمهن التي يأبى منها الآخرون مثل التنظيف وحفر القبور

وإلى جانب لطيفة (فارنا) هناك أيضا الطائفة (جتي)، فهي لتقسيم الطائفي يعاد تنظيم المجتمع أيضا حسب الطهر النسبي، فالكهنة لرهميون في القمة، وللمسودون في القاع، وهم في حكم الانجاس الذين يحثى الآخرون الاحتكاك بهم كي لا يصيبهم الدنس ويكنصب كل مولود طائفته أيضا منذ ولادته، فيتزوج امرأة من الطائفة نفسها ويعمل في المهنة المنحقة لها

نص الكتب المقدسة أيضا على احترام "الدارما"، وهي تعني لواجب أو القدوس، فمن خلال إدراك كل فرد لطيفه أو الطائفة التي ولد فيها، ينبغي أن يلتزم بالدارما الخاصة به.

ويتولى رجل الدين "البرهم" مهمة الحفاظ على تناغم العالم من خلال انضباط الأفراد والمجتمع عموما بالدارما، كما يقوم لبرهم بتقديم القرابين للآلهة التماسا منها للحفاظ على التناغم.

ولتحقيق هذه العاية، يمتع الكهنة المولود الذكر الحديد صفة "لمولود مرتين" ما لم يكن من طبقة الشودرا، وعندما يبلغ سن الرواح يربطون ببسه

(1) الهندوسية مقدمة قصيرة جدًا، ص 54 وما بعدها



وبين زوجته، كما بقومون بطقوس أخرى عند وفاته لصمان عودة روحه بسلام ضمن سلسلة التماسخ (سامسارا)

❦ دورة الحياة

لا تكتمل دورة التماسخ "سامسارا" إلا بناءً على قواعد "الكارما"، وهو مصطلح يُترجم على أنه قانون القدر القائم على التماسخ بين السبب والنتيجة، أو بين الفعل ورد الفعل، ويمكن أن يُعبر عنه بماعدة "كم تدب نُدان" فالكون يوفق لهندوسية- يحمل في داته اليةً لكارما التلقائية، بحيث يتلقى كل فرد جزاءه وفقاً لأفعاله

وعندما يموت، تتولى لكارما مهمة المرور لتحديد الطبقة ولطائفة التي سيبدأ بعثه فيها من جديد وعندما يرد بودا في القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد إيجاد طريق الخلاص للخروج من مؤس الحياة سبب إلى قاعده الكارما نفسها

وبما أن الإله والكون والانسان جوهر واحد في الاسطورة الهندوسية، فهناك قنوات للاتصال يمكن تنشيطها عبر شحذ الطاقة الروحية للإنسان، ومن خلال التمل وممارسة طقوس اليوغا يصبح بمقدور الروح (أنم) أن ترتقي وتنصل ببقية الكائنات، وصولاً إلى بلوغ درجة الألوهية نفسها، وليس الانحد بالإله فقط، وهذه هي حالة الموكشا الهندوسية، والتي تقابل لفرقان البوذية (1).

وفي مذهب التانترا الهندوسي، تستهدف ممارسة اليوغا اقتباس طاقة "برنا" من الكون ليواصل إلى اتحاد جنمي مع الإله الأمي "شاكتي"، ويتطلب ذلك تلاوة تعاويذ شيطانية، والتأمل في معططات ورسوم رمزية تدعى "ماسالا"

[1] سارة عيسى محمود، شكلية النص في الفكر الهندوسي، رسالة ماجستير في جامعة دمشق.



وحفظت لنا بعض المعابد من القرن العاشر الميلادي منحوتات تجسد هذه المعرّبات لاستنزل تلك الطاقة السحرية. وهي مقبولة لدى طائفة من البوذيين أيضاً.

ث ما بين الحكم الإسلامي والحداثة

مد عصر التبعين في القرن السابع الميلادي. تشكلت مجتمعات مسلمة صغيرة في الهند نتيجة للاحتكاكات التجارية. ثم بدأ لتفعل الإسلام في شمال الهند بداية القرن الحادي عشر على يد محمود الغزنوي حاكم السولة الغزنوية التركية، وتوسع الحكم الإسلامي في عصر معول الهند بدءاً بالقرن السادس عشر ليسيّطر على معظم أنحاء شبه القارة الهندية.

شابت مرحلة الحكم الإسلامي في بعض فترها الكثير من الشوئب، من طيمية ومصطهد وقلاقل سيايمية، ومع ذلك اعتنق ملايين لهود لدين الجديد. حتى قرر سلطان معول الهند خلال الدين أكبر في القرن السادس عشر إنشاء "الدين الإلهي" على أسس صوفية، والذي كان بمثابة دين تلفيقي، أساسه الإسلام ويقنن من الهندوسية والأديان الأخرى. فلم يُكتب لمشروعه الانتشار.

وفي منتصف القرن التاسع عشر، بدأ الاستعمار البريطاني لشبه القارة الهندية على "نفاص الإمبراطورية الإسلامية، وحرص الاستعمار على تطبيق سياسة "فرق تسد" من خلال إثارة لئعات الطائفية، وتحرص الهندوس على المسلمين، كما نجحت سياسة التقسيم في فصل بينغاديش وباكستان ومدطق أخرى عن بقية الهند، كي لا تبقى في الهند سوى أهمية من مسلمين، لا تكاد نميتها تزيد اليوم على 15% فقط.

وحاول الأوروبيون -من برتغاليين وإنجليز- إدخال الهندوس في المسيحية، لكن جهود التبشير لم نفلح كثيراً. ونشأت بدلاً من ذلك دعوات إصلاحية من



دحر الهندوسية، ومن أهمها مشروع الكاهن البرهمي رام موهان روي في القرن الثامن عشر، الذي رفض النظام الطائفي الطائفي، وطالب بوقف عادة حرق الأرام، ودعا إلى تعليم النساء. حتى أصبحت جمعيته "برهمو سماج" مدبراً للنشر هذه الأفكار⁽¹⁾

في عام 1886، ومع وفاة البرهمي منري رام كريشنا، أسس تلاميذه رسمياً نظام "راما كريشنا" على أسس التانتر، وفي أواخر القرن التاسع عشر حمى تلميذه سوامي فيفيكاناندا هذه التعاليم إلى نيويورك ليؤسس هناك جمعية فيدانفا، التي كانت بوابه لنشر فلسفة الهندوسية واليوغ في الغرب⁽²⁾



تموره سوامي فيفيكاناندا، بناءً على فكرة فيديان
دبان في ميكاغو وقد كثر حتى بصورة تعصبه
واحد لا ياتي الطهارة والقداسة. أسس في العقد
والصعوبات، لتعطي إجلالاً لك

ومع أن فيفيكاناندا توفي في بداية الأربعينات من عمره فإن نشاطه الكبير ترك بصمة مهمة في الغرب، إذ نجح في لفت الأنظار إلى الهندوسية بمشاركته في برلمان الأديان العالمي في شيكاغو عام 1893، وتمكن من خلال ارتفاعه السريع في النظام الماسوني من وضع الهندوسية في صلب تعليم الجمعيات السرية ومنظمات الثيوصوفيا الباطنية وحركة العصر الجديد التي انتشرت بقوة في الغرب منذ منتصف القرن العشرين

(1) الهندوسية: مقدمة قصيرة جداً، ص 76-80

(2) Niran Smart. The World's Religions, Cambridge 1998. p.409

ونتيجة لهذا التداخل والاندماج، اقتنعت أفكار الكارما والتسحج لثقافة الشعبية في أمريكا وأوروبا، كما يتواصل انتشار اليوغا الذي يُرَوَّج له في صورة لا تتعارض مع العلمانية، حتى أقرت الأمم المتحدة عام 2014 الاحتمال باليوم العالمي لليوغا في 21 يونيو/حزيران من كل عام، مع أنه طُفِسَ ديني حاص بديانة لا تقبل العولمة⁽¹⁾.

الهندوسية السياسية

كان مهاتما غاندي قد وحد في القومية الهندوسية إرث مقدس يجمع الانبعاث حوله بعد جلاء الاحتلال البريطاني، لكن محاولاته التحديثية لم ترقى لطوائف من الهندوس المتشددتين الذين «عنبروه علمانيًا وحداثيًا، وبعد خمس محاولات لأغسله، لمي مصرعه في المحاولة السادسة على يد أحد الهندوس مطلع عام 1948، فالتجهت الأنظار بقوة نحو خطر لتطرف الهندوسي الصاعد.

كابت الحركة القومية تحمل حلم "الهبة الهندوسية" منذ القرن 19، وكان رعموها يتحالمون مع المستعمر الانجليزي لتقصاء على نفوذ المسلمين، بهدف إنشاء دولة هندوسية بعد الاستقلال، وهم يرون أن الهندوس هم أبناء الهند الحقيقيون، وأن على الفئات الأخرى مثل المسلمين والمسيحيين أن يقبوا بالعيش بصفتهم مواطنين من الدرجة الثانية، بحيث لا يُسمح لهم بالاقتراب من دوائر السياسة

ومند نحو قرن، تصدر ملشنيات "راشتريا سوايامسيفاك سانع" (RSS) الجماعات الهندوسية القومية، وهي تدرب أتباعها على حمل السلاح، وتطالب بإعادة بقية اليهود إلى ديارهم الوثنية الأصبية، بحجة أن يتقال الملايين منهم

(1) "اليوم العالمي لليوغا"، موقع الأمم المتحدة un.org



للإسلام والمسيحية قبل قرون كان فسرًا، وأنه لا يمكن لمهدي إلا أن يكون هندوسيًا⁽¹⁾.

تعتمد هذه الحركات على أفكار الماشط السيامي فيسات دودر سافاركار، الذي ابتكر فلسفة "الهندوفا" في عشرينات القرن العشرين، معتبرا أن "الهند لهندوم"، وأنه يجب أيضا إعادة تشكيل الهندوسية نفسها، بوصف أن الهند أرض مقدسة، وهي الموطن الأصلي للآريين، فهم السكان الأصليون وليسوا غزاة أو فاتحين⁽²⁾.

وفي أواخر الثلاثينات، استلهم الميلسوف المتطرف ماهداف سادشيف من السارية فكره الحزب الهائي لتعامل الهند مع المسلمين والمسيحيين، وتبني ماهداف سادشيف عولوكر هذه الإستراتيجية مع ترعنه لجمعية "آر إس إس" المسلحة، وظلت لجماعه تدشر إرهابها إلى أن اضطرت الحكومة لحظرها بعد اغتيال غاندي، لكنها كانت تعود إلى العمل عبر جماعات أخرى باسنة

وفي مطلع الخمسينات، تأسس حزب "جانا سانغ" المتطرف، وكان يُنظر إليه على أنه الذراع الميسية لجمعية "آر إس إس" (RSS)، وظل يهاص سياسات حزب المؤتمر الوطني الحاكم على مدى ثلاثة عقود، إلى أن نشأ على أنقصه حزب "بهارتيا جانا" في بداية الثمانينات، الذي صعد بقوة في الانتخابات مستعلا المنصة الطائفية التي اندلعت أثناء المطالبة بهدم مسجد بابري الأثري في مدينة يوديا بولاية أوتار براديش، على اعتبار أنه بُني في موقع

(1) فاطمة بن حماد، "الهند من هم عناصر الر.م.م.م. القوميين الهندوس المتطرفين بتركاب العنف والإفراط ضد مسيحيين"، موقع observers.france24.com، 3 مارس 2020

(2) Eviane Leid g, Hindutva as a variant of right-wing extremism. Patterns of Prejudice

Volume 54, 2020 Issue 3, p. 215- 237



ولادة الميت زاما. الذي كان أحد مجسّدات الإله هيشو، مما يعني ضرورة استعادة المكان وإقامة معبد فيه (1).

وفي أواخر عام 1992، نجح المشددون الهندوس بالتعاون مع حرب بهاراتيا جانتا في حشد نحو 150 ألف شخص. وتمكنوا بالفعل من هدم المسجد بأدوات يدوية. رغم احتشاد قوّب الأمن، فرددت بذلك شعبية الحزب المتطرف.

وبعد عشر سنوات، اندلعت أعمال شغب بولاية غوجارات وذهب ضحيتها مئات القتلى من مسلمين، وأشارت أصابع الاتهام داحيا ودوليا إلى حاكم الولاية آنذاك ناريسر مودي بتأجيج العنف وإفساح المجال لمتطرفين الهندوس بارتكاب المذبحة، ومع الشرطة من المدخل لمدة ثلاثة أيام، لا سيما أن مودي ينتمي للحزب المتطرف نفسه (2).

فقطعت دول العرب حكومة غوجارات. ومعها الولايات المتحدة مودي من دخول أراضيها عام 2005 بسبب الاتهامات الموجهة له. لكنه نجح في صياغة صورته الإعلامية مستغلا مواقع التواصل وصعود الخطاب المتشدد، حتى فوجئ العالم بموره في انتخابات عام 2014 لينولى منصب رئاسة وزراء الهند، ويربح حربه لمتطرف حزب المؤتمر الوطني الذي حكم الهند منذ عام 1947

وبإعلان المور طُويت صفحة مذبحة غوجارات، وأعلن الرئيس الأميركي آنذاك باراك أوباما أنه سيتواصل مع مودي لتفوية العلاقات ثنائية، كما جمعت مودي بالرئيس اللاحق دونالد ترامب علاقة قوية، أما العلاقة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو فكانت أقرب إلى الصداقة الشخصية، لا

١ "معبد باري، القضاة الهندي يرى رماء بالحرب الحاكم في قضية مدعاه" موقع بي بي سي عربي،

سيما مع إعلان القوميين الهندوس أنهم يجدون في الحركة الصهيونية تجربة ملهمة^١



ناريندر مودي يتجسس إلقاء خطاب أمام الجمعية العامة، بمناسبة عيد الاستقلال في صيف عام ٢٠٢٠.

وبالرغم من التنديد العربي المتواصل بالاصطهاد لدى تمارسه حكومة الصين ضد المسلمين من أقضية الإيغور، فإن سياسات التمييز والامتنعصال التي تمارسها حكومة مودي ضد مسيحي الهند لا تكاد تلقى أي تنديد يذكر، بل لا تثير سياساته اليمينية وتكرسه بصورة الحاكم المردي لشمولي أي انتقاد معتد في الأوساط المسيحية الليبرالية، فهو يحظى بمكانة مهمة في التحالفات العربية الرامية إلى حواء الصين، وإلى مع صعود أي قوة إسلامية في المنطقة وفي مطلع عام 2023، انتزعت الهند من الصين لقب أكثر دول سكاناً في العالم، حيث أكدت مخطمه "World Population Review" أن عدد

(١) Sumit Ganguly "Modi Walks a Political Tightrope with Israel" fore gipoi cy.com 18

سكان الهند بلغ 1.423 مليار نسمة، مقابل 1.411 مليار شخص في الصين، كما توقع أن يسو عدد سكان الهند بشكل مطرد حتى عام 2050 ليصل إلى 1.688 مليار شخص، في مقابل انكماش سكان الصين إلى 1.317 مليار¹،

ويقدر عدد المسلمين في الهند بنحو 210 ملايين فقط، كما يتوقع مركز بيو للأبحاث أن عددهم سيصبح 311 مليوناً بحلول عام 2050²، أي أن نسبتهم الحالية إلى مجمل السكان تقدر بنحو 6.7%، وستهبط في 2050 إلى 4.5%، ومع ذلك يواصل المتطرفون الهندوس -بما فهم أعضاء الحرب الحاكم- نشر الشائعات والمعلومات المصنّعة عن "انفجار ديمغرافي" وشيخ، محذرين من وجود مؤامرة إسلامية لتحقيق النمو الاقتصادي للمسلمين في الهند³، ما يدفع حركات قومية متطرفة مثل "باجراج دال" إلى حشد أنصارها للتظاهر في الشوارع والمطالبة بموازين تحد من تزايد عدد المسلمين.

فعلى سبيل المثال، قالت وزيرة المالية الهندية نيرمالا سيهرمان -وهي من الحرب الحاكم- أثناء مشاركتها في منتدى دولي في أبريل 2023 إن الهند لديها ثاني أكبر عدد من المسلمين في العالم، وإن النمو السكاني في البلاد يقتصر على المسلمين وحدهم، لكن الخبراء ردوا على هذه الدعاية المتطرفة بأنه لا يمكن أن يتجاوز عدد المسلمين عدد الهندوس خلال الـ 100 سنة المقبلة⁴.



¹ في ظل تراجع الصين، الهند تصبح أكثر مكاناً في العالم وكالة لامبول، 19 يناير 2023.

² "هجوم ديموغرافي مصاد، يثير مؤرخون هندوس بيانات مضنية عن عدد المسلمين في الهند"، الجزيرة نت، 2 مايو 2023.

(3) المرجع السابق.

⁴ مظاهرة هندوسية تطالب بموازين تحد من تزايد عدد المسلمين الهندوس، الجزيرة نت، 1 يونيو 2023.



المسيحية . ديانة هندية

نشأته على السليمي وبحلم بالاسقلال

تعود جذور الديانة المسيحية إلى منطقة البنجاب (شمال غرب شبه القارة الهندية)، وتشكلت هويتها وتعاليمها بتقلبات الأوضاع الاجتماعية والسياسية هناك. فبعد نشأتها قبل خمسة قرون واجهت صعوبات مع حكام مغول الهند لمسلمين، ونجحت أخيرًا في تشكيل دولها المستقلة فترة قصيرة قبل أن تنهار على يد البريطانيين وببما تعيش أغلبية السبع في شمال الهند اليوم. فمن جالياتهم تحظى بمود اقتصادي وسياسي لافت في العرب

كانت البداية على يد الشاب الهندوسي "ناناك" الذي ولد عام 1469 في بلدة سميت لاحقًا "نانك صاحب"، قرب مدينة لاهور الواقعة دحل باكستان اليوم، التي كانت آنذاك تابعة لسلطنة دلهي الإسلامية. تحت حكم السلالة الغورية⁽¹⁾.

كانت نشأة ناناك في عائلته من طبقة العشيا، وهي الطبقة الثالثة وقبيل الأخيرة في التسلسل الهرمي الهندوسي، التي يمتنع أبائوها التجارة والوطنية البسيطة والمهن اليدوية.

تمثل ناناك في سن 16 إلى مدينة مسطانبور (شمال الهند) لمتابعة العمل في وظيفة والده، وهي المحاسبة، مما ساعده على الاحتكاك بالمرب من المسلمين والتعرف على الإسلام من باب التصوف، كما عُرف عنه الاهتمام بالإشاد الديني وكتابة الشعر.

(1) William Hewart McLeod, "Guru Nanak" britannica.com.

وفي من الثلاثين كما يقول بعض الروايات، بدأ نانك تسعوة إلى ديباته الجديدة، محاولاً إيجاد حالة تجمع بين الهندوسية والإسلام معاً، فأطلق على نفسه لقب "غورو" الذي يقصد به في الهندوسية المعلم أو الإمام، وسعى أتباعه "السيخ" أي التلاميذ⁽¹⁾

وبما أنه لم يترك كتباً تشرح رسالته بوصوح، فقد نُقلت تلاميذه شفويًا حتى دُوت في بداية القرن 17، مما يلقي بظلال من الشكوك على أصالة تعاليمه وتفاصيل حياته الخاصة، لا سيما بعد اختلاطها ببعض الأساطير

يروى بعض أتباع نانك قصصاً عن رحلاته إلى مناطق بعيدة للتبشير بدعوته، بدءاً بالنيب ولسغال شرقاً، ومروراً ببعداد وأدريجن ولقدس ومكة المكرمة، حتى وصل إلى الماتيكا في أقصى الغرب، لكن بعض هذه الروايات لا تعطي بتأييد كبير من المؤرخين



توفي نانك عام 1539 بمدينة كارتاربور، عن عمر ناهز 70 عامًا، وتقول الأسطورة إن أتباعه من الهندوس والمسلمين تنازعوا على جذب الغطاء الذي كان يغطي جثته، ففوجئوا باختفائها وظهور كومة من الزهور⁽²⁾.

رسم نقولي للمؤسس نانك على جدار أحد المعابد

(1) Pritpal Singh Bindra, Guru Gian Sakhiat: Tales of the Sikh Gurus, p. 75-82

(2) "Guru Nanak", southasia.ucla.edu

أهم التعاليم

قد تبدو المسيحية محاولة إصلاحية نشأت د حل الهندوسية، لكنها تختلف عن أصلها الهندوسي في بعض المبادئ، وهي أقرب إلى الهندوسية من الإسلام، بالرغم من محاولات مؤسسيها لإيجاد صيغة توافقية ملقعة بين الديانتين

ومن أهم الأسس التي أقام عليها بانك ديته هو التوحيد، إذ رفض التعددية (الشركية) الهندوسية، وحاول إقناع أتباعه بأن الإله الهندوسي "هينسو" هو نفسه الإله الواحد الذي يعبد المسلمون، مبيّن أنه إله مجرد لا يقبل لتجسد ولا يدركه العقل، ولا يليق التقرب إليه بالأضام والصور^{١٠}

وبطراً لميوله الصوفية العنصرية، احتفظ بانك بعقيدة وحدة الوجود الهندوسية، ورأى أن غاية البشر هي التمرد من الإله للاتحاد به

تشبه المسيحية مع الهندوسية أيضاً في أهم مبادئها، وهو ساسخ الأرواح وكما يسعى الهندوسي إلى كسر حلقة التناسخ بعد الموت عبر الالتزام بالتعاليم وممارسة ليوغا، وذلك للوصول إلى مرحلة الانعتاق الروحي (موكشا)، يسعى لمسيحي أيضاً إلى الخلاص وكسر دوره التناسخ بالالتزام بتعاليم دينه، ولكن الهدف الأسع لديه هو تكريس النفس للإله

وعندما يتعلق الأمر بمعنى الحياة، تبدو المسيحية قريبة نسبياً من الإسلام، إذ تعتقد أن الابنية والعصب والجنس والتعلق ولشهوة هي "الخصوم الخمسة" التي تشتمت الانتباه، وعلى الإنسان أن يدرك أن العالم لذي يعيش فيه بمثابة "وهم مؤقت" أو غير واقعي، لأن المرات التي يحصل عليها لا تحقق سوى إشباع عابر يصرفه عن التمرد من الإله، ولأنه يكمن في تكريس النفس لإرضاء الإله بدلاً من الانغماس في الشهوات.

(١٠) W. H. McLeod, The Sikhs History Religion and Society New York Columbia

University Press, 1989, p. 15- 22



ومع ذلك، تبدو السيخية منوارة وبعيدة عن المقتشف لمبالغ فيه، فهي تحرم الرهبة، وبطالِب أبناعها بالسعي لطلب الرزق، وبهاهم عن لسيبة والتقاعس (1)

وعلى الصعيد الاجتماعي، تنص السيخية على المساواة بين الرجل والمرأة في المعاملات، وتحسب لها النص على إعاء الطبقة لهدومسية والمساواة بين جميع البشر، مع أن التطبيق العملي لهذه التعاليم ما زال بعيداً عن المأمول حتى الآن

ومن اللافت أن كثيراً من التعاليم المتبعة اليوم وصحت بعد وفاة بانك، إذ عهد في آخر حياته إلى العورو أبعاد لحلافته، على أساس أن سلسلة المعلمين الذين سيتوارثون قيادة الطائفة مؤهلون لاقتباس الحكمة وتطوير هذا الدين الجديد، وكان أبعاد أول شخص يكتب في السيخية، مما يجعل كتاباته بمثابة النص الأولي للاتباع.

١ التطورات السياسية

ارتبط تطور السيخية ارتباطاً وثيقاً بما عاصرت من أحداث وبصطريات سياسية، ففي حياة المؤسس بانك سيطر المغول المسلمون على دلهي وابتزعوها من سلالة اللوديين. وذلك تحديداً عام 1526، ثم توسع نفوذهم للسيطرة على معظم شمال الهند بعد وفاة بانك، وإرادت بذلك حدة التوتر بين الحكام المسلمين وبين شريحة من الهندوس والمسيح

وفي منتصف القرن السادس عشر، أسس المعلم الرابع عورو رامداس المدينة المقدسة لسيخ في البنجاب باسم رامداسيور، التي تسمى اليوم

1. W. H. McLeod, *Guru Nanak and the Sikh Religion*, Oxford: Clarendon Press, 1968, p.



أمريتسار، وتقع حاليًا في الطرف الهندي للبحجاب، وعلى مقربة من الحدود الباكستانية⁽¹⁾

وبوفاة رامداس، تولى ابنه العورو أرجان قيادة الطائفة. وبعد أنهم معتمداً بعد ذلك، فهو الذي جمع تعاليم المسيح لأول مرة في "الكتاب المقدس" (أدي غراث). وأسس المعبد الذهبي الذي يعد حتى اليوم المعبد الأكثر قداسة لدى السيخ، والأهم من ذلك أنه وضع أسس تشكيل سلطة جديدة للطائفة

تعرض السيخ في عصر أرجان للاضطهاد من الحكام المغول، فبدأ تسليح أتباعه، مما دفع السلطان جهانكير -الذي يعد المؤسس الحقيقي للإمبراطورية المغول- لاعتقاله وتقول المصادر السيخية إنه تعرض للتعذيب عدة أيام حتى وفاته عام 1606 عن 43 سنة، مما جعله شهيداً مقدماً لدى السيخ حتى اليوم⁽²⁾

حدث مقتل أرجان بقلة نوعية في مسار تطور الديانة الباشنة، إذ تحلى المعلمون اللاحقون عن مبادئ المحبة والسلام، وتأججت الروح لقتالية لدى الأتباع في عصر العورو الخامس هارغوبيند الذي بدأ تشكيل جيش سيخي للانتقام لمقتل والده أرجان، وكان يتفقد سيمب يرمران للعالمين الروحي والرمزي، وهما اللذان أصبحا رمزا للسيخ فيما بعد.

حاص جيش هارغوبيند أربعة حروب ضد المغول، وطلت الحرب سجالاً بين الطرفين، إذ صمد المسيح طويلاً بالرغم من حسانتهم الكبيرة، وبدأ التوتر في عصر المعلمين التاليين هاراي وهار كريشنا، إلى أن جاء العورو التاسع نيم بهادور الذي كان محارباً جنداً، ووقع أسيراً في قبضة الإمبراطور المغولي محي الدين أورنغزيب.

(1) W. H. McLeod. Textual Sources for the Study of Sikhism. University of Chicago Press, 1990, p. 28—29

(2) "Arjan Sikh Guru" Encyclopædia Britannica, britannica.com

بعد أورغريز آخر سلاطين معول الهند العظماء، وكان سياسيًا محكًا
نقر ستعالة الهندوس بتولييتهم مناصب علي في الجيش و لحكومة، فحجج في
فرص الهوية الإسلامية على أنحاء الهند، وكان لا يتهاون في معاقبة المسميين
الذين استمالتهم الهندوسية في بعض المناطق، كما اتخذ سياسة صرامة في
التصدي للشيخ وفرص عليهم الجزية

تقول بعض المصادر إن أورغريز حاول إجبار العورو تبع بهادور على
اعتناق الإسلام تحت الضغط والتعذيب، وعندما رفض الأخير الانصياع كان
مصيبه الأعداء بتهمة التمرد، ليكون ثاني المعتمين "الشهداء" في تاريخ الشيخ،
وحسنه من بعده لمعلم العاشر والأخير عورو غويند سبيع

أضاف غويند سبيع تعديلات جديدة على الديانة السيخية، فهي عدم



1699 ابتكر مفهوم "خالصة" (1)،
المقتبس عن المصطلح العربي، وهو نظام
للحياة يقوم على صفاء القلب والعقل،
وعلى الاستعداد الدائم لمحاربة الظلم،
وأصبح الرجال لشيخ الذين يتم تعميدهم
وفقاً لهذا النظام يتخذون لقب "سيخ" أي
الأسد، إذ ما زال هذا اللقب شائعاً بين
السيخ حتى اليوم

وضع غويند سبيع أيضاً القواعد
الخمس التي يجب على الرجال السيخ

الالتزام بها، وجميعها تبدأ بحرف الكاف باللغة البنجابية، وهي "كيس" أي
إطالة شعر الرأس واللحية للرجال مع وضع العمامة، و"كنعها" وهي حمل

1 "Khalsa, Sikhism" Encyclopædia Britannica, britannica.com

مشط دائما لتصفيف الشعر. و"كاشا" التي تعني لنس سرول متسع ينتهي تحت الركبتين، و"كارا" وهي اتحاد سوار فولادي حول المعصم. وأخير "كيزبان" التي تلزم لسيخي بحمل حجر فولادي للتحلي والحماية من أعدائه غير لسيخ ومن أهم إنجازاته، وضع غوبند سبيع الصورة الهائية "لكتاب المقدس"، فأصاف إلى "ادي غراث" ملحقاً آخر سمي "غورو غراث صاحب"، معلناً أن هذا الكتاب سيكون هو المعلم الحادي عشر والأبدى للسيخ وما زالوا يعظمون هذا الكتاب حتى اليوم، فيحتفطون به تحت مظلة على مصبة مرتفعة، ويخلعون أحذيتهم في وجوده.

من الإمبراطورية إلى التقسيم

مع وفاة السلطان أورنغزيب عام 1707، بدأت شمس مغول الهند بالافول، ليهتبر لسيخ لفرصة لإعادة تنظيم صموههم وتوسيع مجال نفوذهم في مساحات الانحسار، فشبو حملات ضد قلول المغول وصد الأفغن في الغرب، وبجحوا في تأسيس ولايات متخالفة فيما بينها، تمهيداً للاستقلال.

وبعد قرب على وضع نظام "خالصة"، نجح رنجيت سبيع في توحيد لسيخ تحت سلطته وتأسيس أول إمبراطورية سيخية، واتخذ لنفسه لقب مبراحا، باسطاً سلطته على مناطق واسعة من البنجاب وكشمير وندج وبيشاور، كما اعتنق العديد من الفلاحين المسلمين والهندوس في تلك المناطق الديانة السيخية المهيمنة⁽¹⁾.

تشير التقديرات إلى أن نسبة السبيع من سكان الإمبراطورية لم تكن تزيد على 15%، فالأغلبية كانوا من المسلمين، بجانب أقلية صغيرة من الهندوس. لم ينتهج الحكام السبيع سياسة الانفتاح على رعاياهم، ومحووا المسلمين مناصب مهمة في الدولة.

(1) Ranjit Singh, "Maharaja, Sikh Cyber Museum" & kheybermuseum.org.uk. Marc 2016.

وعندما بدأ البريطانيون احتلال الهند في القرن التاسع عشر، حرص السيخ على مهادنتهم وعدم الاصطدام بهم، كما حرص البريطانيون على تقييد النفوذ السيخي عند حدود نهر ستليج الذي شكل خط الحدود بين الدولتين وبعد وفاة رنجيت سبغ عام 1839، وقعت مملكته لداشنة في لموضي، وتوتر الوضع عند الحدود مع البريطانيين، فاندلع أول حرب بين الطرفين عام 1845، وخلال بضعة سنوات تم حل الدولة السيخية وانهار حلم الاستقلال

ومع كل ما سبق، نجحت السياسة البريطانية في استمالة السيخ إلى جانبها، وتكثفت حركة تجنيد السيخ من البنجاب في الجيش الهندي لبريطاني، حتى أصبحوا قوة صارية طيبة 90 عامًا التالية من حكم الراج البريطاني في الهند، وكان لهم دور في قمع حركات المرد الوطنية ضد الاحتلال.



علم المسيحية مكرس من سيف دي حدين وسلا مشاكس م ندي دججججج

وبعد قرن على انهيار الدولة السيخية، امتثلت شبه القارة الهندية عن الاحتلال البريطاني، وبدأت مرحلة أخرى من الاضطرابات بتقسيم لبلاد بين الهند وباكستان، فكانت البنجاب الواقعة بينهما من أكثر المناطق تصرر، إذ

اصطُر ملايين السيخ والهندوس والمسلمين للانتقال بين طريقي الحدود، وانتهى الأمر باستقرار أغلب السيخ في الجزء الهندي من البنجاب

طالب السيخ منذ استقلال الهند عام 1947 بدولة خاصة بهم تحت مسمى "خالصتان"، وتأسست لذلك حركة سيامية باسم حركة سوبدا ليجانية، وبعد عقدين من المحاولات وافقت الحكومة الهندية على وضع لبنجاب ضمن منطقة شندريغار ومنحها صفة المنطقة الاتحادية التي تدار مركزياً، لكن ذلك لم يكن كافياً، حيث طالب قادة السيخ في عام 1973 بحكم ذاتي، ولكن من دون جدوى

خلال عقد السبعينيات. دُشِط بعض قادة السيخ في باكستان والولايات المتحدة وبريطانيا للفت الانتظار إلى قضيتهم، وفي عام 1980 تأسس "مجلس خالصتان" في لندن، وبدأت بذلك بعض المظاهرات الطائفية بين الهندوس والسيخ في الهند، مما دفع الحكومة إلى إطلاق عملية أمنية باسم "النجم الأزرق"، تصبغت ببرسال قوات عسكرية للقضاء على التمرد في يونيو 1984¹، وانتهت باقتحام لمعبد الذهبي المقدس في مدينة أمريتسار بالبنجاب ومقتل لمئات من المسلحين والمدنيين وعناصر الجيش

وفي أواخر أكتوبر تشرين الأول 1984، صُدم لعالم بنبأ اغتيال رئيسة الوزراء الهندية أنديرا غاندي. التي كانت أول امرأة تشغل هذا المنصب في تاريخ الهند، إذ لقيت مصرعها على يد اثنين من حراسها الشخصيين السيخ بنقائاً لطائفهم.

أدى حادث الاغتيال إلى تجديد العنف الطائفي بين السيخ والهندوس، ففتن خلال الأيام التالية ما يزيد على ثلاثة آلاف من السيخ، معظمهم في أحياء

(1) Karishma Mehrotra, "India sees signs of renewed Sikh separatism and sounds the alarm"

washingtonpost.com, 16 April 2023.



الشيخ بالعاصمة بيودلهي، بينما فرّ نحو 20 ألفاً من الهندسة ولم تشهد المحاكمات بعد ذلك إلا حكماً واحداً بإعدام أحد القنّة الهندوس لتورطه في قتل الشيخ، ثم حدثت في أواخر عام 2018 -أي بعد 34 عامًا من التحجير- أول إدانة رفيعة المستوى للمتورطين في المجازر باعتقال النائب في البرلمان ساحن كومار، الذي حكمت عليه محكمة بيودلهي العليا بالسجن مدى الحياة⁽¹⁾.



المعهد الديني في أمريتسار

هذا التور بعد المجازر الدامية، حيث نالت الخلافات الداخلية بين الانفصاليين، كما تجددت المفاوضات مع الحكومة لإيجاد حل سياسي وفي بداية تسعينات القرن العشرين تجددت محاولات التمرد التي واجهتها قوات الأمن الهندية بالقوة، وتزايد في الوقت نفسه نشاط الانفصاليين في الحراج

(1) 1984 anti-Sikh riots: Sajjan Kumar convicted' HC reverses acquittal hands life term to Congress leader" financialexpress.com, 17 December 2018.

ومهد ذلك الوقت، بنواصل خروج المظاهرات المطالبة بتأسيس "خالفستان" في بعض المدن الأمريكية والكندية والأوروبية وسط سديد الحكومة الهندية في 18 يونيو 2023. قُتل رجل الدين السيخي هارديب سينغ سيجار بالرصاص أمام المعبد الذي كان يفوده في صواحي مدينة فانكوفر لكندية، ووُجّهت تهمات غير رسمية لمحايرات الهندية بصله بعدما فشلت في محاولات تسليمه لبيودلي، حيث كانت تهمه بتدبير عمليات قتل مستهدفة في الهند^(١) وأدى اغتياله إلى مظاهرات حاشده في كندا وإسلاخ أزمة دبلوماسية بين البلدين، كما حاول أنصاره إشعال النار في القنصلية الهندية بمدينة سان فرانسيسكو الأمريكية



واجهة معبد صواحي سينغ هارديب في كندا، مقرسنة مؤلف

(١) Anirudh Bhattacharyya, "Canadian police frees Khalistani separatist Hardeep Nijjar after 24 hours in custody" Hindustan Times, 27 April 2018.

نجاح في الغرب

يبلغ عدد السيخ في لعالم اليوم نحو 35 مليوناً¹ . معظمهم في الهند، في حين تتوزع كبرى الجاليات بين الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا وأستراليا، إلى جانب أقليات صغيرة في أنحاء العالم. أما عددهم في باكستان فيعتقد أنه يقارب من 790 ألفاً⁽²⁾.

يحظى نسيخ في بعض الدول الغربية سمود لافئ. لا سيما مع تمتعهم بوصف اقتصادي جيد، الأمر الذي يمكن نسبه جزئياً إلى تعاليم سالك المشجعة على السعي واكسب بدل التمسك.

كما أدت ثقافته التكاتف والانعلاق التي تراكمت خلال قرون من الصرع مع المعول إلى احتفاظ الجاليات المسيحية بعدد مهم من الانصباط والتعاون، الأمر الذي يبدو حلياً في صخامة معابدهم ببعض المدن الامبركية والأوروبية، والتناف أساء الجالية حول الجمعيات الثقافية الخاصة بهم.

والى جانب التكاتف بين أبناء هذه الجاليات، يسجج لعديد من أبنائها في ارتقاء سيم لنجاح الاقتصادي والسياسي، فهي كندا -على سبيل لمثال- سجج 20 سيخياً في الانتخابات البرلمانية عام 2015، ثم أصبح أربعة من هؤلاء لنواب السيخ وزراء في حكومة رئيس الوزراء جاسن ترودو. وهو عدد يريد على عدد الوزراء السيخ في الهند⁽³⁾.

1. 'Sikhs in Wolverhampton celebrate 550 years of Guru Nanak' BBC News. 12 November 2019

2. 'Pakistan's dwindling Sikh community wants improved security' The Dawn Pakistan, 17 April 2017

(3) "Sikhism in Canada", en.wikipedia.org



وس أبرز هؤلاء ثوراء هارجيت مسيح ماجن الذي تولى منصب وزير الدفاع الكندي منذ 2015 وحتى 2021، وذلك بعد خدمته الطويلة في صفوف الشرطة والاستخبارات والجيش، وطن ملتزمًا ببعامته السيخية طول تلك الخدمة

أما لمحمي الكندي حاعيت مسيح، فتحت عام 2017 في تولي رئاسة الحرب الديمقراطي الجديد، ودخل في عام 2021 سباق الانتخابات على رئاسة وزراء كندا، مع التزامه أيضًا بمظهره السيخي الذي يشمل إطلاله الملحية وارتداء العمامة.

من جانب آخر، سطر الحكومة الهندية بعض لربة للجالية السيخية في الشتات، وتصبط على بعض الحكومات العربية لمحاولة احتواء الانفصاليين منهم، كما تتكرر كثيرًا أحداث الصدام بين السيخ والهندوس في المدن العربية ولا سيما أثناء تظاهر السيخ للمطالبة بدولة "خالصين"



اليودية.. فلسفة إلحادية روحية

نشأب في الهمالانا واندمحبت في الحدائنة

تعدّ اليودية من كبرى الديانات الرئيسية عالميًا، إذ تحتل المرتبة الرابعة من حيث عدد أتباع. وهي تخطى بانتشار متزايد في لغرب لتوافقها مع العلمية، لكن قصة نشوئها وأساطيرها محفوفة بالغموض، ومبادئها في اللاعنف لا تصمد كثيرًا أمام إغراءات السياسة.

نشأت اليودية في شمالي الهند على يد شاب يدعى مدهارت غوناما، والذي وُلد في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، ولأسرة أرستقراطية هندوسية. فكان والده رعيماً لقبيلة شاكيا التي تستوطن مستوح لهما لايا د خل حدود نيبال اليوم.

وتقول الأسطورة إن والدته تلقت في المنام نبوءة أثناء حملها بأنه سيكون ذا شأن عظيم، وعند ولادته لاحظ والده علامات في جسمه تتوافق مع النبوءة، فكان مؤهلاً لأن يكون إما حكيماً أو ملكاً عظيمًا، لد حرص والده على تدريبه تدريباً عسكرياً معيَّزاً، مع إغراقه منذ طفولته بكل متطلبات الحياة الرغيدة، كي يصرفه عن الاحتمال الأول (1).

وبحسب الأسطورة، كان مدهارتا ذكياً وفصولياً وعميق التفكير. وبدأ أنه أكثر اهتماماً بفهم الكون من القصايا السياسية والعسكرية وعندما بلغ سن الشباب وتزوج وأنجب طفلاً، خرج أربع مرات من قصور والده في جولات بالعربة، هالتقى بالمهتشرين الذين يكابدون الحبة ويعانون من الأمراض، كما التقى بجداره أحد الموتى، وكان يعود إلى قصره في كل مرة ليتأمل في طبيعة

(1) داهين كيون، اليودية مقدمة قصيرة جداً، ترجمه صغية مختار، مكتبة هندووي، ص 29 وما بعدها.

الحياة، حتى رأى في المرة الأخيرة ناسكا منسولا، فقرر أن يحدار لنفسه هذا الطريق، وكانت تلك هي بداية تحقيق السيوة التي حاول ولده إبطالها⁽¹⁾

غادر سدهارنا القصر ليبدأ طريق البحث عن معنى الحياة، وتلقى مبادئ التأمل من بعض السناك، فسبق كل المعلمين في بلوغ حالات الاستعرق التي يعيب فيها الوعي، ثم أخذ يجزئ النقشف في حدوده المصوى، فكبح كل شهوات جسده، وكفى بمنعقه طعام كل يوم، حتى شارف على لهلاك، فاقنع أخيراً بصرورة احتيار "الطريق الوسطي" بين النقشف ولرفاه⁽²⁾

وفي أحد الليالي، وبينما كان يمارس عادة التأمل تحت شجرة نين، اكتشف حالة اليقظة الكاملة التي كان يسعى إليها (النوير)، والتي أطلق عليها "النيرهان"، فيقال إنه رأى سلسلة الحيوانات السابقة التي كان يعيشها، ثم اكتسب بصره حرفة كشفت له رؤية ميلاد ووفاء كل الكائنات، وقبل طلوع الشمس، سقى معرفة يؤكد له أن قد نخلص من كل ما يندس روحه ومن كل شهوات جسده إلى الأبد.

تقول الأسطورة إن سدهارنا ظل يفكر سبعة أسابيع فيما يصعله بعد ذلك، ثم ألهمه أحد الألهة بن تعليم الناس هو "الحبار الأمش"، فانتطق لينشر بما سقاه من "نوير"، وقد أصبح اسمه بودا أي المستنير، وسرعان ما آمن به خمسة من أصدقائه ليشكلوا أول بوادة للرهبنة، ثم اتسعت دائرة الأتباع ممن نجحوا في تكرار تجربة بودا، لكن القب طر حكرها عليه لكونه المكتشف الذي تلقاه بنفسه وليس تعليمًا من أحد.

1. أحمد شامي، أدبيات الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، ص 140-142

2. جون كولر، تفكير الشرقي القديم، ترجمة كامل يوسف حميد، نفسه عالم المعرفة، الكويت،

1995، ص 183 وما بعدها



ويقال إنه ظل يسخر تعاليمه في رحلاته بشمال الهند، حتى مات في سن الثمانين، وهو في أقصى حالاته التأملية. ودخل بذلك حالة "اليرقان" لخالدة¹ ويحذر بالذكر أن مسيرة حياة بودا ليست مؤكدة، بل يشكك كثير من الباحثين في وجوده التاريخي. فالحقيقة ظلت مداولة شعوبًا صمدًا أبشيد متوارثة يصعب التحقق من دقتها، وأقدم مدوناتها المؤكدة هو "قانون بالي" الذي كتبه في سريلانكا في القرن الميلادي الأول، وهناك نظريات كثيرة عن إقحام الأساطير في القصة الأصلية، كما يرى البعض أن سدهارتا كان سيًا يلقى لوعي من السماء قبل أن تُحرف رسالته. وهي دعوى لا يمكن التحقق منها أيضًا

٢. دين أم فلسفة؟

يحتل هذا السؤال صدره الفلاس عند التطرق للبودية، فلو أخذنا بأبسط تعريف لدين وهو الإيمان بالخالق وعبادته، فالبودية لن تكون دينًا، إذ تُنكر وجود إله خالق، بل رعم من إيمانها كالمسيحية- بوحد عدد هائل من الآلهة

لن يعتمد بعض الباحثين على نظرية ألكسندري بيبس سمات التي تحلل لدين إلى سبعة أبعاد رئيسة²، وهي البعد العملي لشعائري، والبعد العاطفي لشعوري، والبعد القصصي، والبعد العقائدي الفلسفي، والبعد الأخلاقي التشريعي، والبعد الاجتماعي المؤسسي، وأخيرًا البعد المادي. وعند تطبيق هذه المعايير على البودية، يمكننا دراستها على أنها دين متكامل الأركان.

(1) البودية مقدمة قصيرة جدًا، ص 40

(2) شرح سميرت هند "نظريته في كتابه" ظاهره انبي The Phenomenon of Religion المصادر عام 3 19



مسجد كيروان في حد الفاسد نايلا

أهم التعاليم

في أول خطبة لبودا، والتي تعد نقطة انطلاق هذه الديانة، تحدث عن أربعة حقيق مينة⁽¹⁾، لتشكل أركان الدين الجديد. الأولى هي "المعاناة"، وتعني ضرورة فهم قيام الحياة الانسانية على مبدأ المعاناة المتواصلة، منذ الولادة وحتى الممات.

والحقيقة الثانية هي "أصل المعاناة"، ومعناها أن الانسحاق وراء شهوات هو أصل لمعاناة، وأن لجهر بهذه الحقيقة يؤلّد الشهوانية ولحقه والوهم، ثم تتولد عن هذه الأصول كل الرذائل.

والحقيقة الثالثة هي "إيقاف المعاناة"، والتي تؤكد إمكانية كبح الشهوات، ومن ثم القضاء الكلي عليها.

أما لحقيقه الرابعة فهي "الطريق الذي يؤدي إلى إيقاف المعاناة"، وهو مؤلف من ثمان مراحل، ويسمى بالدرب الثماني السبل، وهي مصبمة بدورها د حل ثلاث فئات فالمئة الأولى هي الحكمة التي تشمل الرؤية الصحيحة والعزم لصحيح، ولثانية هي فنة الأخلاق التي تصم الكلام لصحيح ولسلوك الصحيح ولعيش الصحيح، وأخيرا فنة التأمل التي تشمل الجهد لصحيح والوعي الصحيح والتأمل الصحيح⁽²⁾.

وبالنتيجة، يعتقد البواديون أن من ينترم هذه التعاليم سيصير إلى مقام العصمة عن الخطأ والتخلص التام من الشهوات، وهذه غاية لا يجدها لدى الأديان الأخرى، فحتى الأنبياء والملائكة لا يبلغونها في اليهودية والمسيحية

(1) البوذية: مقدمة قصيرة جدًا، ص 59 وما بعدها

(2) الفكر الشرقي القديم، ص 188 وما بعدها

١١ الكارما والتناسخ

تعد "الكارما" من أهم عناصر العقيدة البوذية، ويمكن تلخيصها بأن كل ما يفعله الكائن الحي (إنسان أو حيوان) لا بد أن تترتب عليه عواقب، وهي تتوالى وتتمو إلى أن تصبح لسقوط على صاحبها. فيكون جراؤه إما ثواب أو عقاب. وبما أن العمر قد يقصر عن اكتمال دورة العدة، فتأتي أسطورة تناسخ الأرواح ليست تهدد الثغرة، إذ يتختم على كائن أن يبعث مرة أخرى في جسد جديد لينال الجزاء الذي يستحقه.

ويعم نظام الكارما وفق قانون طبيعي مستقل، فهو لا يخضع لإرادة إلهية، وهو نظام صارم ومنعقد الأوجه، فقد تتحدد من خلاله كل صفات الإنسان كالحمال والذكاء والعمر والثراء والمركز الاجتماعي. إذ يعتقد البوذي أن أي نقص يعترض حياته هو عسوة لأخطائه، التي ارتكبها عندما كان يعيش حياة سابقة لا يدركها شينا، والعكس بالعكس أيضا.

وقد يؤدي سلسلة التناسخ إلى أقصى درجات الانتكاس أو الارتفاع، فربما يعود في حياته التالية إلى جسد حيوان عقوبة له أو تكافأ على امتثاله للتعاليم الصادرة بأن يبعث بعد موته على هيئة إحدى الآلهة، فيخرج بذلك من سلسلة التناسخ (1).

١٢ من الحميم إلى الجنة

تقسم البوذية الوجود إلى ستة عوالم، ومع أنها مصنفة طبقا إلا أنها تُصوّر في ترتيب دائري داخل "عجلة الحياة" لأن الكائنات تدور بينها صعودا وهبوطا، وهذه العوالم مقسمة إلى درجات يصل مجموعها إلى 31 قسم. نجد في الطبقة السفلى عالم الحميم، وهو الذي تهبط إليه الكائنات الشريرة لتنال عقابها، وفيه من أشكال العذاب ما بعده تقريبا في وصف

(1) لبوذية مقدمة قصيرة جدًا، ص 43 50



الحكيم لدى الأديان السماوية، وفوقه يوحد عالم الحيوانات، والذي يحشئ البوذيون أن يولدوا فيه أيضاً حتى لو كان حالها من التعذيب، ثم يأتي عالم الأشباح التعيسة، وهم يطوفون حول عالمنا البشري ويتنفون عقابهم في نسج بانتظار الخلاص. أما العالم الرابع فهو عالم الجبارة (الشياطين) الذين يعشقون الحروب ويعيشون سرى لمرعات العنف

في العالم الخامس يعيش البشر، وقد يولد فيه الإنسان مرة أخرى ليعيش في جسد جديد، مع اختلاعات كبيرة في تفاصيل حياته وفق لمظومة الثواب والعقاب على ما أقرقه في الحياة السابقة.

أما العوالم التالية، من السادس وحتى الواحد والثلاثين، فهي مدارل الآلهة (ديفا)، وهم ليسوا سوى أشخاص مثلنا أعيدت ولادتهم في ذلك لعالم غير المادي بطبقته الستة والعشرين، جرأة على امتثالهم لتعاليم بودا، ولترامهم بالمصيبة، وقد تُعاد ولادة من يصل إلى هناك أياً وبيرل إلى العالم البشري. باستثناء من يصل إلى الجحيم الخمس العلبي فهي خاصة بغير العائدين، أي الذين لن يعودوا إلى أجساد بشرية.

ويعتقد البوذيون أن بودا وصل إلى المستوى الواحد والثلاثين عندما بع حالة اليقظة، البامة "الاستدارة" (الميرفانا) تحت شجرة لتين وهو في سن الخامسة والثلاثين، ثم انتقل إليه ليحلد فيه عندما مات في الثمانين، أي أن بلوغ هذه السرجة عبر تطبيق طريق الثماني والتأمل هو أمر ممكن في هذه الحياة. ولكن في تجارب مؤقتة فقط، ثم بعد الموت يحدث الانتقال لنهاي إلى هذا لعالم الخلد، في حالة ذهبية متلاشي فيها فكرة العدم، وتُعرف باسم "الإدراك واللاإدراك"⁽¹⁾

(1) Steven Collins Selfless Persons: Imagery and thought in Theravada Buddhism.

Cambridge University Press, 1990, p. 80- 85



ويجدر بالذكر أن بودا رفض المفهوم الهندوسي للإله (برهمن) ولروح (أنعام)، إذ كانت الهندوسية تؤمن بأن براهمن هو المطلق الميتافيزيقي الذي استق منه الكون، ولكنه ليس إلهًا مريدًا كما في الأديان السماوية. وأن أنعام هي الجرة الذي ينشق من براهمن وحلّ في جسد كل كائن حي لكن بود اعتبر أن الكائن الحي مكوّن من جسد وأحاسيس ومعارف وطباع ووعي، ولم يؤمن بوجود الروح. فالتناسخ ليس استقلاً للروح بل إعادة تشكّل

تأليه بودا

بعد رحيل بودا بدأ الانقسام بين أتباعه، وظهرت طائفتان كبيرتان، ثم تشتتت كل منهما إلى طوائف أصغر سرعان ما اندثر معظمهما، إلى أن أصبحت طائفة الماهايانا هي الأكثر انتشاراً، والتي تشكلت في غضون القرن الميلادي الأول قبل الميلاد.

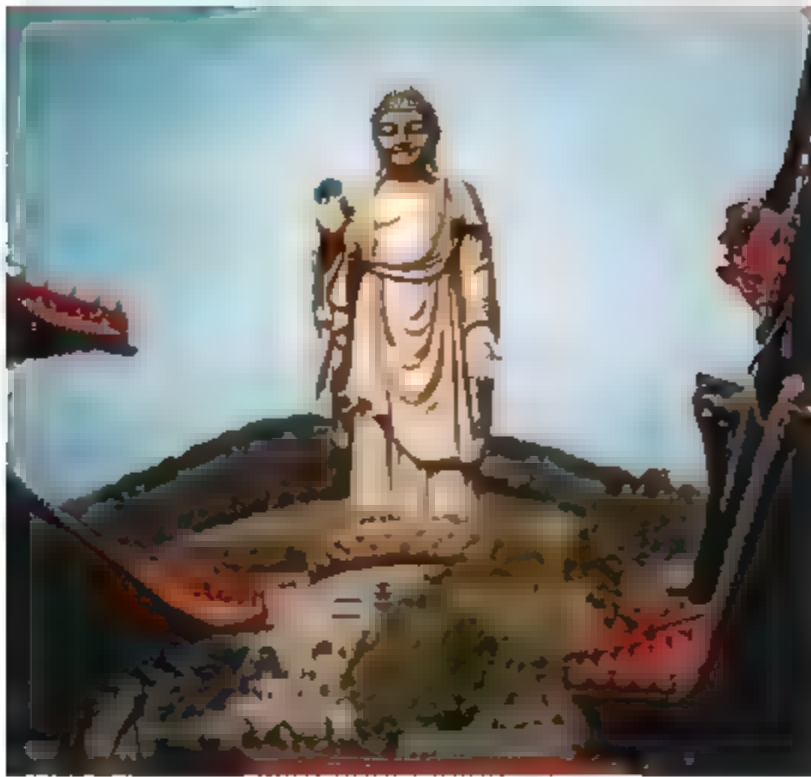
ظهر داخل الماهايانا مبدأ "البوديساتفا"⁽¹⁾، وهو لعب يطبق على الشخص الذي يتعهد بالعمل على مدار كل حيواته المتتالية على أن يفود الآخرين إلى النيرفانا، فاستطاع بذلك دعاة البوذية للتشهير بها. ويرر فيها كهنة كبار، ثم ظهرت فكرة بنظر المختص الآخر الذي سيظهر في نهاية العصر الحالي، واسمه مايترييا، ليعيد دعوة الناس إلى التنوير كما فعل بودا من قبل

نشأت أيضاً مفاهيم جديدة حول مصير بودا، فاعتقد البعض أنه لم يرحل إلى لعالم العلوي وتركهم بدون تواصل، بل انتقل إلى عالم سموي ليعمل على منح السعادة للكائنات، وهكذا أصبح شيئاً بالاله الذي يتقربون منه بالصلوات وتقديم القرابين⁽²⁾.

(1) Jonathan A. Silk, "Bodhisattva", britannica.com

(2) ليونتيه مقدمة قصيرة جداً، ص 73





صنال بوت لكم في جمع من بعد طه حـ معصم النصبية جمع ارتفاعه 80 مـ

انتشار البوذية

في القرن الثالث قبل الميلاد، اعتنق إمبراطور الهند أشوكا موريا البوذية، وجعلها ديانة رسمية لمملكته بدلاً من الهندوسية، ثم انتشرت بقوة في سريلانكا ونيبال وبورما وتايلاند وفيتنام وبوتان وكمبوديا وكوريا، لكنها اندثرت لاحقاً في الهند لصالح الهندوسية والإسلام.

وفي الصين، انتشرت لبوذية بسبب وجود الديانة الكونفوشية، التي نحتت على توطيد العلاقات الأسرية والاجتماعية تحت سلطة الدولة، أما لبوذية فكانت أشبه بحركة تمرد تشجع الشباب على الانعزال بحثاً عن الخلاص الفردي، وبالرغم من محاربة السلطة لها فقد انتشرت بين الصينيين لأنها

قسمت لهم أجوبة على الأسئلة الوجودية، وهو عالم يجسده في دياناتهم المحلية مع ذلك، بداخت اليهودية مع ديانة الطاوية، الصينية، وشذ عنهم مذهب "تشان"، وهو الذي انتقل إلى اليابان في القرن الثالث عشر الميلادي ليتحول هناك إلى مذهب "بودية الزن".

أما هضبة التبت، على سفوح جبال الهيمالايا، فوصفت إليها البوذية في القرن الثامن، وتشكلت فيها طائفة الناسترا، وهي ملبئة بالعاليم لسحرية واستخدام لتعاويد ولعرائم، كما أبدت تساهلاً في العلاقات لجسسية التي قُدمت في إطار فلسفي روحاني، مع أنها تُعد من الشهوات التي يجب كبحها في لبوذية الأصيلة.

وقد تعرّف المسلمون على البوذية وأهلها منذ القرن الهجري الأول، فبعدها غزت الدولة الأموية آسيا لوسطى بعباده قتيبه بن مسلم الباهلي بدأ الاحتكاك بين الأمتين، وعرفوا أبدال بين المسلمين باسم السمنية أو الشمسية، وهو مصطلح مشتق من تسميته الهدية وتلفظ "شرمه"، أي البست المتصوف.

عُرف السمنية في كتب العقيدة بأنهم أول من طرح فكرة الاتحاد وإيكار وجود الخلق، فكانوا سباً في ظهور بوادر البدع وبشكل الفرق الكلامية. إذ يقول أحمد بن حنبل في كتابه "الرد على الردقة والجهمية" إن الجهم بن صفوان، الذي كان من علماء حرامس المسلمين في القرن الأول، "لقي أدم من المشركين يقال لهم السمنية فعرفوا الجهم، فقالوا له تكلمك من طهرت حجتنا عليك دحيت في ديسا وإن طهرت حجتك علينا دخلت في دينك فكان مما كلموا به الجهم أن قال: له أليس نزع من أن لك إلها؟ قال الجهم نعم فقالوا له فهل رأيت إله؟ قال لا قالوا فهل سمعت كلامه؟ قال لا قالوا فشمت له رائحة؟ قال لا قالوا فوجدت له حشاً؟ قال لا قالوا فوجدت له محشاً؟



قال لا قتلوا فلما يبرئت منه إله؟ قال فتعير الجهم فلم يبر من يعبد أربعين يوماً، ثم انتهى إلى أن الله لا يرى له وجه، ولا يُسمع له صوت، ولا تُشم له رائحة، وهو غائب عن الابصار ولا يكون في مكان دون مكان⁽¹⁾ وكان من نتائج هذا الاحتكاك ظهور فرقة الجهمية داخل الإطار الإسلامي، التي تُلَبِّس إليها تعطيل صفات الله تعالى.

ويعرف أبو الريحان البيروني في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة" السمنية بأهم "أصحاب البد"، وهو مصطلح معرب لبودا، الذي يُنطق اسمه في بلاده "بودا" ويصيف البيروني أن يعود البوذيين أمد إلى حراسان وفارس والعراق، وصولاً إلى حدود الشام، ثم انحسر بظهور زرادشت وعتناق الإمبراطورية الفارسية لدينائه، فراجع البوذية إلى مشارق بلخ⁽²⁾.

كما يقول ابن السديم في كتابه "المهرست" به اطلاع على مخطوطة لأحد المؤرخين من أهل حراسان، فوجد فيها أن السمنية كان لهم بي يسمى "بود صفا" (3)، ويبدو أنه تعريب للكلمة "بوديسانفا" التي ذكرها سابقاً، ولي تعني المستنير أما ابن الأثير فتحدث عن غزو محمد بن القاسم لبلاد الهند ودخوله "ملتان" بعد حصار، وهي مدينة تقع بمحاذاة البنجاب في باكستان اليوم، هزل أهلها على حكمه، وبذلك "قتل المقاتلة وسبى الدرية وسدنه البد"، وهم ستة آلاف، وأصيبوا ذهباً كثيراً وكان بُدّ الملس (أي النمثال) تهدي إليه الأموال ويُحج من البلاد ويحلّقون رؤوسهم ولحاهم عنده⁽⁴⁾، وعيّن محمد بن القاسم بعد ذلك

¹ أحمد بن حنبل، البد على الزنادقة والجهمية، المطبعة المملعية، القاهرة، 1973، ص 19

² أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة معبولة في العقل أو مردولة عالم الكتب، بيروت،

2011، ص 19

³ ابن السديم، نبعفادي، المهرست، دار النهضة، بيروت، 1978، ص 408

⁽⁴⁾ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 1، ص 342

والتيا على السيد في عهد عبد الملك بن مروان واسه الوليد، وعاش البوذيون تحت سلطة المسلمين من غير إكراه، وعندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة رغب في دعوتهم إلى الإسلام، فأرسلت قيادة اليهوديين في القبت مدوناً إلى دمشق يطالبون معلماً مسلماً، وعاد المدون ومعه معلم يدعى الحنفي⁽¹⁾

تمرد اليهوديون لاحقاً عندما صبحت الدولة الأموية، ثم أعاد ليعاسيون السيطرة على المنطقة ودمروا العديد من معابد المتبردين، وعندما شيد أبو جعفر المنصور عاصمته الجديدة استعان بمهندسين من الهند، وسماها بعدد مضيق اسمها من السسكرينية وتعني "هبة الرب"⁽²⁾

ويبدو أن المسلمين في تلك الحقبة كانوا لا يميرون كثيراً بين أتباع الديانات الشرقية، إذ نجد في الروايات أحياناً بعض الصفات مثل ألوان ملابس الكهنة والسيدة وهياتهم الممبزة، فيكتشف أن القصة تشير إلى أتباع طائفة الجينية أو لبودية أو الهندوسية أو الرادشيتيه (المجوسية)، إذ لم يكن علماء المسلمين مهتمون بذلك تصنيف هذه الديانات ولم يشأ بعد دراسات الملل والبحر (مقارنة الأديان)، بل كان الجهد منصباً على توسيع الفتوحات ودعوة الآخرين إلى اعتناق الإسلام أو الرضوخ لسلطة دوله

وفي العرب، تأخر اكتشاف اليهودية إلى القرن الثالث عشر، وطُلبت محاطة بالأساطير المملوطة، ثم بدأ الأكاديميون بدراسها وترجمة نصوصها في القرن الثامن عشر ومع تريد اهتمام الأوروبيين بالحوارف والسحر في القرن التاسع عشر، ومع الانتشار السريع للجمعيات المبرية والطوائف الباطنية، تزايد الاهتمام العربي بالهندوسية والبودية معاً، لا سيما في ظل الاحتلال البريطاني

١. حامد محمد قاسم صراء اليهودية مع الإسلام في العصر الحديث، رسالة ماجستير في جامعة المدينة

العلمية، كوالامبور، 2017، ص 59

(2) لمرجع السابق، ص 61



لهب، وكادت هجرة نحو نصف مليون بودي من شرق آسيا إلى لولايات المتحدة، التي كانت بذلك القوة لصناعية المساعدة⁽¹⁾

وبعد الحرب العالمية الثانية، وفي ظل انتشار أفكار التمرد والاسلطوة (الأناركية)، وصعود نجم حركة "الهيبيز" وحركة العصر الجديد، سرعان ما أصبحت "بودية الرن" بصاعة راتجة في الولايات المتحدة، وصار استخدام المخدرات وسيلة لبلوغ حالة اليقظة، كما وجد بعض معلّمي البودية فرصة لافتتاح مدارس التأمل وبيع المنتجات.

ومما شجع على انتشارها في الغرب، ظهور البودية في صورة الفلسفة العقلانية العلمية، لا سيما أنها تستبعد وجود الخلق، فالكثير من مدرّس التأمل تنحى الحديث عن العوالم الخفية ويسمع الأرواح، ونكتفي بطرح فلسفة لمعاناه وطريق لحلاص عبر مفاهيم عملية، وتُدرّس الدراسات العلمية التي تثبت ما يحققه التأمل من نتائج إيجابية

من اللاصف إلى الإرهاب

اشتهرت البودية عالميًا بثقافتها السلمية. إذ كان بودا يقول إن الجود الذين يُقتلون في المعارك يذهبون إلى الجحيم، ويُفسر ذلك بأنه حتى الدفاع عن النفس يُعد خطًا، كما لا ينبغي للبودي أن يمثل الحيوانات لأي غرض كان، سواء للهو أو حتى للأكل، بل عليه أن يرفق بالحيوان ويعدّه مساويًا له في الخلق وليس أدنى منه⁽²⁾.

ويذكر التاريخ أن الإمبراطور البودي الأول أمشوكا طبّق هذه التعاليم السميّة بالفعل، وذلك بعدما ولع في دماء أعدائه قبل اعتناقه لهذا الدين. وفي

(1) البودية: مقدمة قصيرة جدًا، ص 134 وما بعدها

(2) أحمد شلي، أديان الهند الكبرى، ص 177



القرن الثاني الميلادي، ظهرت تأويلات تسمح باللجوء للحرب في حالة فشل الوسائط السمية، كما سجلت وثائق تاريخية سريلانكية سيجر بعض الملوك لأنهم قادوا معارك مظلّمة ضد الهنودوس.

ويعتقد أن الجناح المتشدد من البوذيين نجح في تحريف مبدأ "الأهيمسا" (العنف) لدى يعد من المبادئ الخمسة الأساسية للعالم البوذية، وزعموا أن بودا قتل في أحد الأيام كاهنًا من البراهمة (الهندوس) لأنه شتم أسمره المقدسة، وعندما عوتب بودا على القتل قال إن البراهمي هبط إلى الجحيم بعد قتله، ثم وُلد من جديد بالتسمج وعاش عشرة أحقاب أخرى، وكأنه يبرر بذلك قتله⁽¹⁾

وفي سمر "سوسيناماتي تاريخيتشا" يجد البوذيون ما يبرر القتل بأن المقتول ليس سوى اسم وهكرة، فإن استطاع القاتل أن نحلي دمه من الأفكار والأسماء أثناء القتل فلا يُعد فعله قتلا، إذ "ليس ثمة سيف ولا كارما ولا عقاب"، وكل ما حدث هو محض خيال⁽²⁾.

كما نجح رهبان البوذية في تسويق العنف بأن ميرر لكون "دهارما" قد يتطلب أحيانًا التدخل، بل يصبح القتال صد قوي الشر ضروريًا من أجل إعادة لتورن إلى لكون، وهكذا يصبح العنف حراً أصيلاً من سلوك المفاتيح البوذي الذي يؤمن أصلاً بأنه يخصوص حراً عادلة⁽³⁾

وفي اليابان، أصبحت الأديرة البوذية خلال لتورن الوسطى مؤسسات نزية تمثلت الأراضي وتجنّد المجارئين لخدمتها، بل دمج مقاتلو الساموري معتقدات "الزن" في مهاراتهم القتالية

(1) صراع البوذية مع الإسلام في العصر الحديث، ص 63

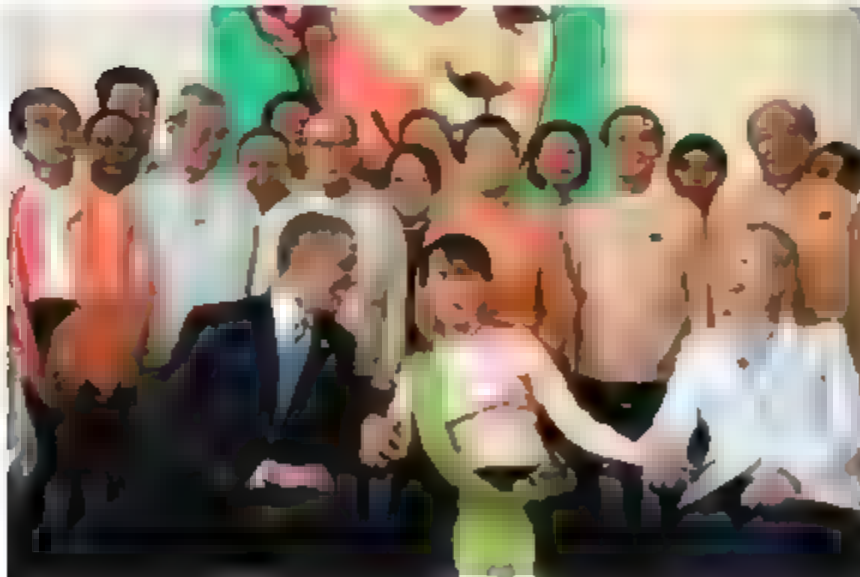
(2) انرجع السابق، ص 64

(3) انرجع نفسه، ص 64



أما في العصر الحديث، فلم تعد البوذية أقل عنفاً من أي ديانة أو أيديولوجية أخرى، ففي الحرب العالمية لثانية شارك البوذيون في كل لمعرك بحماس بالغ، وشركوا أيضاً في الحرب الكورية خلال الستينات، وفي السبعينات تعالت أصوات كهنة بوذيين في تايلاند وغيرها لإبادته لشيوعيين.

في مهبمار (بورما)، حارب رعيمة المعارضة أون من سونثي على جائزة نوبل للسلام عام 1991، وصارت مثلة عملية لمسلطة اللاعنف، كما تحدى الرهبان لبوذيون المجلس العسكري الحاكم أثناء "ثورة الرعمرن" عام 2007، وعندما وصلت سونثي للمسلطة ضُدم العالم بصفتها على تحرير الرهبان الصريح لعنف ضد أقلية الروهييغا المسلمة، ثم خرجت عن صمتها واتخذت موقفاً مؤيداً للاضطهاد المسلمين⁽¹⁾



تريسن (ميركي، مسق ن آب ودها وفي بره مع حيه هيلاي كينسوت بورا، ان أون من سونثي في منزلها بمدينة وانغون في عام 2012،

1 'مو ثني' ناشطة حقوقية بشرف على إبادته الروهييغا، موقع الجزيرة نت، 16 مارس 2012

ويستخدم المتطرفون البوذيون في ميانمار نفس الخطاب الذي ترفعه الحركات الهندوسية القومية في الهند، إذ يمتحضرون تاريخ الفجوات من العصر الأموي وبعثوها اعتداءات عنصرية قصت على لوجود البوذي مناطق واسعة^١، لا سيما في باكستان وأفغانستان وإيران، ويرون أن مهمتهم تتمضي إعادة السكان في بلادهم على الأقل - لليودية التي كان يعتنقها أجدادهم قبل أكثر من ألف سنة، ولا فلا بد من طردهم من البلاد

ومند عام 1999 وحتى اليوم، تفود حركة "969" لبودية القومية أعمال العنف الدموي ضد أقلية الروهينغا في إقليم أراكان بميانمار، حتى أصبحت هذه الأقلية توصف بأنها الأكثر اضطهاداً في العالم

وكان الراهب البوذي أشين ويرثو، قد انضم لحركة "969" في عام 2001 وصار من أبرز وجوهها بخطبه الباردة وتحريضه على العنف، فقبضت عليه السلطات بعد عامين وحُكم عليه بالسجن لمدة 25 عاماً، لكن أُطلق سراحه في عام 2012 مع سجناء سياسيين آخرين، ولكن تجربة السجن لم تكن قد أجذبت نمفاً إذ عاد للتحريض بجرأة أكبر من السابق

وفي 2013، نشرت مجلة "ديم" الأميركية صورة أشين ويرثو على غلافها تحت عنوان "وجه الإرهاب البوذي"، كما اضطّر موقع فيسبوك لإغلاق صفحته بعد تحديده مرات عدة من معية نشر خطاب الكراهية، إذ كان يطالب باستمرار بمقاطعة الشركات المملوكة للمسلمين، وإلى طرد مسيحي الروهينغا من بلاده.

حظي ويرثو بشهرة عالمية، وظل يفود المظاهرات ويلقي لخطب المليئة بالشتائم بحزبة، ففي مطلع عام 2015 وصف مبعوثة الأمم المتحدة يانغي لي بأنها "عاهرة" وطلبها بتفديم نفسها للمسلمين، ثم وصف به الجرأة في 2019

(1) صراع اليوتية مع الإسلام في العصر الحديث، ص 66



إلى إطلاق الوصف المشين مرة أخرى خلال خطبة علنية على أو ساس سوتشي وهي على رأس السلطة، فقبض عليه مجدداً ومنح

وفي فبراير 2021، سلب المجلس العسكري على الحكم و عتقل سوتشي، بينما أطلق في المقابل سراح الراهب البوذي المتطرف، ليعود مجدداً إلى ممارسة التحريض تحت شعارات بودية والاعرب من ذلك أنه حظي بأعلى تكريم في ميانمار بمنحه لقب "ثيري بيانتي" في مطلع عام 2023، وذلك "لعمله المتميز لصالح اتحاد بورما (ميانمار)"⁽¹⁾.

وحتى المسيحيون من أقبية إثنية تشين في غربي ميانمار يتعرضون للضرب والإجبار على اعتناق البوذية، فالنصف السائدة بين كثير من الرهبان هي "أن تكون بورمياً يعني أنك يجب أن تكون بودياً"⁽²⁾

وفي سريلانكا، لعبت الشوفينية البوذية دوراً كبيراً في توظيف المشاعر الدينية بين طائفة السهاليين البوذيين خلال الحرب الأهلية ضد تمرد الاقنية الهندوسية بقيادة ممور التاميل، والتي انتهت عام 2009 بعد مقتل نحو 40 ألف مدني، وما زالت خطابات الكراهية تتصاعد هناك حتى اليوم. كما تلتصّب تماثيل بود في مناطق الهندوس بالجريد لسكّيرهم بهرماتهم



(1) "لقبة الشيخ ب"وجه" (راهب بوذي) ميانمار تكرم إهاب أشهر بمعداته لأقبية نروهييف

المسماة "الجزيرة نت، 3 يناير 2023

(2) جون فوئر "هل يواجه مسلمو الروهينجا تطهيراً عرقياً من المتطرفين البوذيين؟"، مواقع حريات

نقلا عن موقع The Conversation، 13 ديسمبر 2017



الزرادشتية الميوسية.. ديانة للفرس

اندثرت على يد الصحابة وتعود من جديد

بعد قرون طويلة من اندثارها على يد الخلافة الراشدة، شططت الدعوة موحراً في إقليم كردستان العراق لأعناق لذيابة الزرادشتية القديمة، التي وجد فيها لبعض روسط تاريخية ذات أبعاد قومية، مما أثار الجدل حول أصولها ودوافع إحيائها، لاسيما أن الباحثين يشككون في روايات نشأتها وتطورها إلى ما آلت إليه اليوم.

تعود البداية إلى القرن السادس قبل الميلاد على الأرجح، وربما إلى بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، عندما ظهرت بعض "المعجرات" -وفقاً للأسطورة- لرحل بسيط من سكان أذربيجان، ويقال أيضاً تركمانستان أو شمال إيران، لنشره بأنه سيولد له طفل ذو شئ عظيم، ثم ظهرت إشارة لوالدة الطفل أثناء الحمل بأنها ستلد سيئاً يدعى زرادشت ولما انتشر بها ولادته، حاول لسحرة أن يتخلصوا منه، لكن العناية الإلهية حفظته من مكائدهم.

وعندما أصبح زرادشت شاباً، حاول الشيطان إغراءه بمنحه سلطة على الأرض مقابل تخليه عن الرسالة الدينية، فلم يقبل وتقول بعض الروايات إن زرادشت كان كاهن على دين قومه الوثني، ثم انشق عنهم وبرز عليه وحي النبوة في سن الثلاثين عن طريق أحد الملائكة، إذ عُرض به إلى اسماء للقاء الإله "هورا مزدا".

وتذكر الرواية أن زرادشت بدأ بدعوة قومه إلى الدين الجديد، فلقى من الصب والاصطهاد ما يلفاه كل الأسياء وبعد عشر سنوات من المحاولات الصعبة، انطلق زرادشت إلى حاكم إقليبي يدعى غوشتاسب لإقناعه، فعقدت

في القصر مضطرت دين زرادشت والكهنة، ولما انتصر عليهم آمن الحاكم بنبوته، وبدأ بذلك انتشار الدين الجديد



في طهران مع حجر عسيرة وجمود زردشت على شكل طائر وكان شعاراً

للإمبراطورية الفارسية

* الكتاب المقدس

يعتقد زردشتيون أن زرادشت كان نبياً يوحى إليه من إله أمورا مردا، وأن كتابه المقدس هو الأفيستا أو الأيشاق، وهذا الاسم يعني باللغة الأفستية "البناء القوي"

ويقولون إن النص الأصلي كان مورثاً على 29 كتاباً، كتبت جميعها بماء الذهب، ثم أُلْهِق أغلبها عندما غزا الإسكندر الأكبر مدينة تحت جمل شهيد عاصمه الإمبراطورية الأخمينية، ولم يبق من الكتاب الآن سوى رُبْعهُ تقريباً، وهو مقسم إلى 5 أقسام، أهمها "ناسا" الذي يضم تراثين تدعى غاثا، وهي تتحدث عن نشأة الكون وشعائر العبادة

وفي وقت لاحق أصبحت بصوص أخرى على قسم "الفستيراد"، كما كُتبت بصوص النويل ولشريعة "زدهايمستا" باللغة اليهودية في زمن غير معروف، مما يجعل لتتحقق من لبصوص الأصبية ويميرها عن الدحية متعزراً

نص هذه الديانة على أن الإله أهورا مردا لم يكن متوحد في الوجود، فاختار أن يوجد روحين توأمين هما سبيتا ماييو وأنعرا ماييو. ومنحهما حرية الاختيار، فاختار الأول الخير ودُعي "الروح القدس"، واختار الثاني الشر ودُعي "الروح الخبيث"، ثم بدأ الصراع بينهما.

وقد بلغت العجأة بالشرير الذي صار اسمه أهريمان أن يمزد ويصبح ندا للإله الأعلى نفسه. وهكذا، أصبح الصراع بين إله الشر أهريمان وإله الخير أهورا مزدا.

لاحقًا، استُثقت عن أهورا مردا ستة كانت روحانية مدمية تدعى "الأمشاسا سبيتا" ليدغموا الروح القدس، وذلك عن طريق "القيص" من بوره، وبالفحص أيضًا أوجدت هذه الكائنات كانت طيبة أخرى هي "الأهوريون"، في حين أخرج أهريمان إلى الوجود كانت روحانية متفوقة اسمها "ديع" لمساعدته. وهكذا تشكلت الملائكة والشياطين.

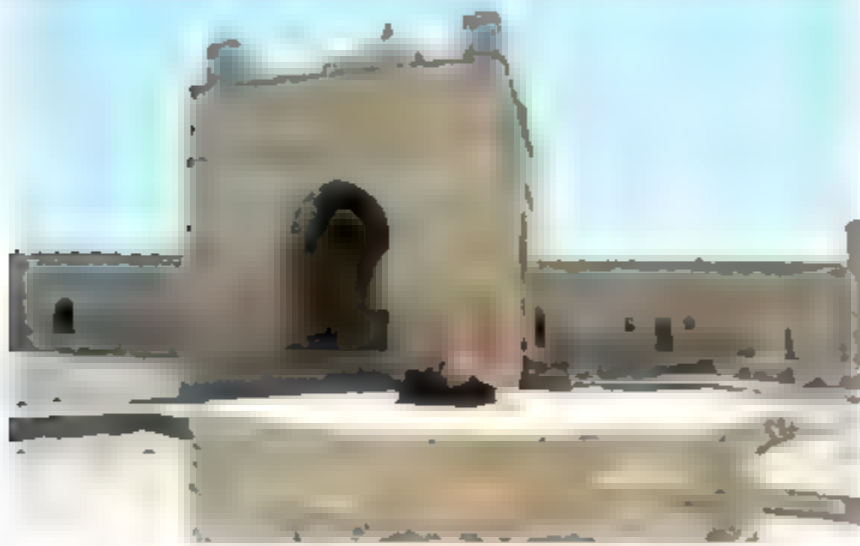
وبحسب الأسطورة، خلق أهورا مردا العالم المادي ليكون مساحة لهد لصراع. وذلك على ست مراحل رسمية، ثم أوجد آدم "ماشيا" وحواء "ماشو"، وبدأ الصراع أيضًا بين بي آدم وعالم الشياطين.

ولا يريد عمر هذا الكون، وفقا للأسطورة، عن 12 ألف سنة، وهو مقسم إلى دورات لصراع بين إلهي الخير والشر، ويظهر فيه مفقودون (مخلصون) ⁽¹⁾.

نصّ الزرادشتية على أن الإنسان يُعاسب بعد ثلاثة أيام من موته، فتور أعماله بالميزان، ويُمتحن بالعبور على صراط المصير، وهو جسر يتسع ويضيق بحسب أعمال الشخص، فإن عبّره دخل الجنة، وإلا سقط في لجحيم، الذي يبدو منطقة باردة تعيش فيها كائنات موحشه للعديد المديين.

(1) "المنطق في الزرادشتية" الموسوعة المهنوية wikimahdaviar

وعلى صعيد العبادات، ننصم الرادشنية أداء الصلاة خمس مرات في اليوم، وتسبقها عمية بنظيف تشبه الوضوء، وبتصم لوقوف في حصرة الإله ونلاوة مقاطع من برانيل العائنا ولم تتطلب الرادشنية القديمة سوى تطهير الجسد والملابس، مع أداء الصلاة في أي مكان، كما كان رادشت يهرب عن صنع الصور والتماثيل للإله والملائكة، ويرفض الرهبانية والكهنوتية^١ ويُشع عن هذه الديانة أنها تعبد النار لداها، لكن تصديس أتباعها النار لا يريد عن اتحادها رمزاً للإله، وفي عصور لاحقة شُيدت لمعابد الملمينة بالصور والتماثيل، وزُودت بمواقد للنار المقدسة.



معبد نر (النسكاه على نهر و مدينة نكر عاصمه نكر) بهار، إيران (تقريباً ١٩٠٠ م)
(بعملة المؤلف)

^١ «سبين بشروني ومردد مسعودي، مراثي الروحاني من بدايات التاريخ إلى الأندلس المعاصرة، دار الساقي،



الدين والسياسة

في ظل الامبراطورية الأخمينية، وهي الامبراطورية الفارسية الأولى، تولت التعيينات والتجريدات على الديانة الزرادشتية، ونشأت طبقة الكهنة لمتفرعين لخدمة معابد النار الذين عرفوا باسم "موعن"، والمفرد يدعى "موغ"، وهذا المصطلح كان يُطلق على الكهنة في اديان الفارسية السابقة لدى الفينانيين، لكن الكهنة الزرادشتيين في العصر الأخميني أصبحوا أكثر سلطه وتنظيمًا

ومن هنا جاء مصطلح "المجوس" الذي تداوله العرب للدلالة على الكهنة "الموعن"، حتى أسست الديانة لهم فسميت بالمجوسية كما اشتق الأوروبيون من هذه الكلمة مصطلح "ماجيك" (magic) باللاتينية، الذي يعني السحر نظرًا للإرث السحري القديم لدى الكهنة الفارسية

وفي عام 330 قبل الميلاد، انهارت الدولة الأخمينية على يد الإسكندر الأكبر، وصاغت بذلك معظم المصوص الدينية الزرادشتية، ووقعت معظم أراضي الامبراطورية السبعة تحت حكم المملكة البطلمية والامبراطورية السوقية، إلى أن استعاد الإيرانيون توحيدهم في القرن الثاني قبل الميلاد لتأسيس الامبراطورية الفرثية، التي لم تصمد سوى عقدين تقريبًا من الزمن

تمكن الملك أردشير الأول من تأسيس الدولة الساسانية على أنقاض الفرثية، ويقال إنه منح شرعية الحكم لأسره بناءً على مفهوم زرادشتي يُدعى "كسواراه"، ويعني "المجد الملكي الإلهي"، وهو بركة باطنية إلهية تدل على الملك الذي يستحقها وهما أصبحت الزرادشتية المصدر الروحي المطلوب لاستمرار أعظم سلالة حكمت بلاد الفرس.

في القرن الثاني بعد الميلاد، كان مذهب الزورائية قد أصبح مهيمنًا في ظل الدولة الساسانية وبنتائج من عوامل يونانية وسالية قديمة كما يرى



نقص المؤرخين "عبد تشكيل العقيدة الزرادشتية ليصبح **الرمس** اللامتناهي "زورفر أكابارك" هو الأصل، ويُعدّل اسم أهورا مرد، إلى أوهرامرد، ويُتكر إلهٌ جديد ليُشر اسمه "أهريمان" بدلا من أنعرا ماييو

وهكذا، رعم الكهنة الجدد (المجوس) ن أهريمان وأوهرامرد توأمان أزليان، وذلك بعدما كان الشيطان أنعرا ماييو إلهًا حادئًا لا أزليًا ومورثًا لإله الخير سبيتا ماييو، وأصبحت هذه العقيدة هي الدين الرسمي للدولة الساسانية الطامعة في التوسع، كما تم ربطها بالقومية الفارسية بعد أن كانت ديانة عالمية تسعى لهداية كل البشر

في أواخر القرن السادس الميلادي، كانت الدولة الساسانية قد بيعت بُوج توسعها، وعندما وصل كسرى الثاني إلى الحكم، كانت المعابد المجوسية تهاشم الكنائس البيزنطية في عظمتها وأيقوناتها، ولما قرر الجرال الفارسي هرام التمرد كان يطلق من لتشكيك في شرعية مؤسس السلالة الساسانية بمبدأ "إكسواراه"، لكن كسرى الثاني تمكن من لقضاء عليه بعد حروب مصيبة، ثم انشغل بحروب أخرى مع البيزنطيين

ومع ظهور الاسلام، أرسل النبي محمد ﷺ إلى كسرى الثاني رسالة يدعو فيه إلى الإسلام، لكن الملك الذي كان في أوج قوته لم يعبأ بالتفكير في النجني عن مظلومة دينية اقيمت على أساسها شرعية الحكم، همرق الملك الرسالة، وطرد السفير الذي حملها وهو الصحابي عبد الله بن حذافة السهمي، فدفع عليه النبي عليه الصلاة والسلام بتمريق ملكه، وقال أيضا "إد هلت كسرى فلا كسرى بعده، وإد هلت قيصر فلا قيصر بعده" [أخرجه البخاري ومسلم]

وسرعان ما تحققت النبوءة، فاعتيل كسرى الثاني على يد ابنه، وكان هو آخر الأكاسرة بالفعل، ثم حاول حميدد يردجرد الثالث توحيد الصفوف لمواجهة جيوش الخلافة الإسلامية، لكنه فشل وانهارت في عهده الدولة بانتصار المسلمين في معركة القادسية سنة 636م بقيادة الصحابي سعد بن أبي وقاص



طريق من حصنة يعود إلى أصول صناعة الخارطة ويعتمد على مصو كبرى حادي وهو يصمم
الخرائط على قرصه

ومع انهيار الدولة الساسانية وتوسع الفتوحات الإسلامية، بدت الدولة
البرادشيه المجوسيه، واعتنقت معظم شعوب تلك المناطق لدين الإسلام،
وحرّ جزء من الكهنه وتباعهم إلى الهند، كما أظهر جزء آخر إسلامه وأصغر
تمسكه بدينته القديمه، وكان لهذا المريق دور في القلاقل الساسانيه والفكرية
التي شغلت الدولة العباسية لاحقاً

ويرى بعض المؤرخين أن كلمة "زنديق" -التي أطلقت على المدفنين
والمبتدعين نعي منبغ كتاب الرند، وهو مجموعة النشروخ لقديمه لأفيسنا،
مع أنها كانت تطلق عامة على معنقني الديانات الفارسية الأخرى، مثل المانوية

والمردكية. «لنئين نشأنا بعد ظهور الرادشنية ولم تحظيا بسم استشارها في إيران وما حولها

وتعريف على ما يقال عن اقتباس المسلمين قصة صعود المحتض الرادشني "ويراد" إلى السماء، واعتبارها أصلاً لقصة معراج النبي محمد ﷺ إلى السماء، فالنحقيق ينبت العكس، حيث وردت القصة الرادشنية في "نصوص أردا ويراد" التي تعود إلى القرنين التاسع والعاشر الميلادي، أي بعد فتح بلاد فارس على يد المسلمين واستئثار المملكة الساسانية. فالظاهر أن من بقي من الكهنة المجوس هم الذين اقتبسوا القصة من المسلمين، لذا نجد تطابقاً في بعض التفاصيل التي قيل إن ويراد رآها في رحلته عند مقارنتها بما تحدث عنه النبي محمد ﷺ (1).

أما ملامح التشابه الأخرى بين الرادشنية والإسلام في العبادات والنبوءات، فلا تحيل كثير عن أوجه التشابه بين الإسلام ونقايا شرائع الأنبياء التي طالبها التحريم، وقد فصلت لدكتورة هدى دروش في دراسة هذا التشابه في عبادة واحدة فقط وهي الصلاة، وذلك في كتابها المهم "الصلاة في الشرع القديمة والرسالات السماوية اليهودية-المسيحية-الإسلام"، وأوضحت أن ما وصلت من أوصاف لشروط وأركان إقامة الصلاة لدى المصريين القدماء يتطابق مع الكثير مما جاءت به الشريعة لمحمدية، وقد ذكر لنا القرآن الكريم أن الأنبياء كانوا يؤدّون الصلاة ويهرون بها الناس، كقوله تعالى: ﴿وَمَا شُعَيْبٌ مِّنْهُمْ كَثِيرٌ قَدْ تَوَلَّى﴾ [هود 87]. وقوله: ﴿وَضَرَبُوا نَحْمًا فَسَقَرُوا بِهِ وَهَرَّ رَاكِعًا وَأَرَابٌ﴾ [ص 24]. وقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ بِأُمِّهِ هَذِهِ

١- آرثر كريستensen، إيران في عهد الساسانيين، ترجمه يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت.



«ضبعة وثم كوة» [مريم 55]، كما قال تعالى عن نبيه زكريا عليه السلام
 «فإذ أنشأنا نوحاً وهو قاضٍ يضي في الأموات» [آل عمران 39]، وقيل عن
 جملة الأنبياء الكرام «أنشأنا نوحاً وهو قاضٍ يضي في الأموات» [مريم 58]
 ومترحمته مع نوح ومن ذريته إبراهيم وإسماعيل ومن هذنا وحنبلاً، شني
 عنتهم «سأرحمهم حروناً» [مريم 58]

٣١ محاولات الإحياء

ذكرت دراسة أجراها "اتحاد الجمعيات الزرادشيه لأمريكا الشمالية" عام
 2012 أن مجموع أعداد الزرادشتيين في العالم يقدر بنحو 112 ألفاً أو 122
 ألفاً فقط، مشيرة إلى أن عدم الدقة يعود إلى تباين التقديرات في إيران وثنائي
 الهند في المقامة بنحو 61 ألفاً ممن يطلق عليهم اسم "البارسيين"، سبها إيران
 بأقل من نصف هذا العدد^(١)

ولم تذكر الدراسة وجود أي زرادشتيين في العراق، لكن مع توسع لمرعات
 الطائفية ولعرقية في السنوات القليلة الماضية، أهدمت مجموعة كردية في
 إقليم كردستان العراق على إعادة إحياء الزرادشتية اعتقاداً بأنها الديانة
 الأنسب لجذورهم القومية

ففي تقرير نشره موقع الجزيرة نت في 2015، قال رئيس المجلس الأعلى
 للديانة الزرادشتية في إقليم كردستان لقمان حاجي حكيم إن إحياء هذه
 الديانة "يريد من ثقة الأكراد في أنفسهم"، معتقداً أن غياب هذه الديانة كان
 سبباً في عدم امتلاك الأكراد دولة مستقلة.

(١) Zoroastrian World Pop Table. "Federation of Zoroastrian Associations of North America" fezana.org



وأضاف أن براد أعدادهم دفعهم إلى فتح أول معبد لهم في أغسطس 2015 بمدينة السيمانية، مؤكداً أن آلاف الأشخاص التحقوا بهم فور الإعلان عن تشكيل المجلس الأعلى للديانة⁽¹⁾.

وتشير تقارير إعلامية إلى أن هجمات تنظيم الدولة الإسلامية على كردستان العراق في أغسطس 2014 تسببت في الترويج للزادشتية هناك، فبعد بضعة أشهر عترف برلمان الإقليم بالزادشتية ديانة رسمية، مع أن الدستور العراقي لا يعترف بها، وتوالى بعد ذلك تأسيس المعبد والمنظمات الزادشتية

وفي تمير آخر أعدده مرسل الجزيرة نت في كردستان في 2021، أقر رجل الدين الزادشتي، سروان قادروك بأن أتباع هذه الديانة كانوا يمارسون شعائرتهم سرًا منذ سقوط الإمبراطورية الساسانية على يد نصحية، مصيها أنهم بدؤوا بممارستها في العلن بعد اعتراف حكومة الإقليم بديانتهم⁽²⁾.

وفي أواخر عام 2020، نشر الأكاديمي الكردي فرست مرعي بحثًا بعنوان "النخبة الكردية العلمية ومحاولتها إحياء الزادشتية"، وأشار فيه إلى أن محاولات ربط القومية الكردية بالديانة الزادشتية بدأت على يد الأحيوس الكرديين جلاد وكامير، بدرجان، من خلال المجلة القومية "هوار" التي أصدرها في دمشق عام 1932، مستشهدة بدرسات امشراقية تؤكد ارتباطهما بالمخابرات الفرنسية

كما أشار البحث إلى رمي العديد من المؤرخين الكرد ولعرب وجود تلك الرابطة القومية المرعومة، لافتاً إلى أن الزادشتية ديانة فارسية نامتبار، وأن

١ عبد الحميد زبيري، "الزادشتية بكردستان العراق: مساهمة متوب بدين"، الجزيرة نت، 8 سبتمبر

2016

٢ "عنه العبي"، "زادشتية: ديانة منيرة تعود من جديد إلى كردستان العراق"، الجزيرة نت، 29 مايو 2021

معظم معتد النار تقع ضمن المجال القومي الفارسي. ولم يوجد لها في أراضي الكرد إلا لقليل في شرق كردستان، حيث أبى الكرد ممانعة لانتشار هذه الديانة الفارسية، لا سيما مع انتشار ديان أخرى بينهم هي الوثنية الكردية والميثريّة والمسيحية، وصولاً إلى الإسلام الذي يعتنقه معظم لكرد اليوم^{١٠}



[١٠] أفرست مرعي، المحبة الكردية العلمانية ومحاولة إحياء التراسميّة، موقع الزهاوي zahawi.org

حركة العصر الجديد..

نصاعد الروحانية الباطنية في عصر العلمانية والعلم

تشهد الروحانيات الباطنية الحديثة إقبالاً مبرزاً في لدول الغربية، فبالقواري مع انحسار المسيحية وتمدد العلمانية تسعى هذه الثقافة لملاء الفراغ الذي قصرت عنه المادية، كما تبدو من كثر العقائد مواءمة ليتوطينها سياسيًا واقتصاديًا

نعدّ "حركة لعصر الجديد" (New Age Movement) لمطلّة الأوسع لمعظم البرعات الروحانية الجديدة، وهي امتداد لمذاهب لباطنية (لعبوسية) التي احتلّطت بالمحرو والشامانية في العصور لغيره، كما نستمد جذورها من وثنيات وفلسفات صارية في القدم مثل الهندوسية ولبودية والطاوية والأفلاطونية الجديدة، وكذلك من الطوائف الباطنية التي ظهرت من دحل الأديار السماوية مثل القبالة اليهودية والعبوسية المسيحية والنبصوف الفلسفي في الإسلام.

١٢ العقائد الباطنية والمعلوم السرية

يجدر بنا في البدء بلخص العلتيات التاريخية للمذهب الباطنية لروحية العبوسية (Gnosticism)، وهي تشمل من حيث المبدأ كل مذهب ديني يعتمد العرفن أو الكشف الروحي الذاتي مصدرًا أساسيًا للمعرفة ومن القرن الميلادي الثاني أصبح مصطلح العبوسية يطلق على مجموعة من الأفكار التي يشرك فيها معتقو المسيحية ولهودية والأديار الوثنية وحتى الإسلام.



تسمى العلوم السرية الغامضة التي يعتنقها العنوصيون أيضاً "برويريك" (Esotericism)، أي العلوم الباطنية، في مقابل العلوم الظاهرية (Exoteric)، فالعلوم الباطنية تستند لتجربة الدوقية الخاصة بالشخص وبتصلاته بكيين غيبي مرعوم، أما العلوم الظاهرية فيستند إلى المعرفة الخرجية والمستقلة عن تجربة الشخص، ويمكن لأي شخص آخر التحقق منها

كانت العنوصية منذ بدايتها مرغاً للسحر والاتصال بالشياطين، ففي كل مذهب عنوصي تقريباً نجد قصصاً متشابهة للمؤسسين "لحكماء" لديهم يقيمون بديهم العفدي على تلمي أسرار الوجود من كانت "روحية" تحصتهم بالمعرفة، وقد ترغم تلك الكائنات أنها آلهة أو ملائكة أو كائنات قصائية، أو كائنات روحية من نوع خاص، وتنوع تسمياتها وصفاها ووظائفها لكنها تفيض دائماً متشبهة، ومنها الديميورغوس والأرشون^(١) وفي الجانب العملي، يخط معظم هذه المذاهب عقائدها بممارسات سحرية تنصص استخدام الطلاسم والعرائم والخبيماء، إضافة إلى تقديم لقرابين ولشعائر لتعبدية أحياناً للكائنات الروحية التي تتقرب لها

جمعت أوروبا كثير من الممارسات الباطنية والسحرية منذ ما قبل لتاريخ، وكذلك في ظل الحركات الوثنية المتعاقبة وعندما سيطرت الكنيسة الكاثوليكية على معظم القارة تم تقييد السحر وكل ما يتبعه من عقائد، لكن هذا لم يمنع الأفكار العنوصية من التسلل تحت غطاء يهودي أو مسيحي، فكانت العنوصية شكلاً من أشكال التوفيق بين المسيحية ومعتقدات بلاد فارس وما بين نهري كالدونية والمردكية والمندائية والزرادشتية (المجوسية)

كانت فلسفة لفتالاه اليهودية (الكابالا) أيضاً من أهم مداخل الأفكار الباطنية إلى العالم المسيحي، فهي مذهب يهودي باطني لتفسير لكتاب المقدس

(١) نحن نؤمن في الإسلام بأن هذه الكائنات ليست سوى شياطين الجن من اتباع إبليس.



يقوم على افتراض أن لكل كلمة ولكل حرف معنى حقيقياً، ويتضمن نظريات مستوردة من فلسفات أخرى لتفسير وفهم الحق وطبيعة البشر وحقيقة الروح والمدر وقد حظيت هذه الفلسفة باهتمام كبير لدى رواد حركة الهصة الإيطالية في فلورنسا خلال القرن الخامس عشر، وانتشر تأثيرها لاحقاً إلى الممالك الأوروبية.

في القرن السابع عشر، أعاد الفيلسوف السويدي إيمانويل سويدبيرغ إحياء العنوصيات المسيحية القديمة لتفسير الكتاب المقدس برؤى باطنية، فرغم أنه تلقى المعرفة بتأملاته الصوفية الخاصة وأبحر في عوالم لعب ليعيد تشكيل المسيحية بمفهوم جديد، وشجعت هذه المحاولات فلاسفة آخرين على شق طريقهم نحو هذه العوالم الغامضة من داخل الدين ومن دون مصادمة الكنيسة⁽¹⁾

ومع انتشار علمانيته وترخي قبضة الكنيسة، خرجت الممارسات لسحرية في القرن التاسع عشر من عالم الظل إلى الأوساط لمكرية الأوروبية، وتبنى بعض المثقفين الفكر الباطني بصفته مصدراً للحكمة السرية، وبرأس ذلك مع توسع حركة الترجمة على يد علماء، مقارنة الأديان والأنثروبولوجيا لمحاولة فهم الثقافات الهندوسية والبودية وغيرها، لا سيما مع الاحتكاك المباشر في ظل الاستعمار، فاستورد البعض فكرة "الكارما"² مثلاً بعد دمجها بمفاهيم مسيحية كي يسهل فهمها، ثم تقبلها.

ومن جانب آخر، أدمجت بعض الأفكار الباطنية في المنظومة العلمانية من باب العلم نفسه، مثل نظرية التطور الداروينية التي قدمت في لبيولوجيا (علم الأحياء) لتفسير نشوء وتطور الحياة بعوامل طبيعية دائية لا تحتاج إلى خلق

1. Emanuel Swedenborg Swedish philosopher - Encyclopædia Britannica.

(2) سبق شرح هذا المصطلح في فصل "الهندوسية"

وبديير إلهي، فمن خلالها أفحمت بعض النظريات الباطنية لنشأة الوجود ويطورد، وأصبحت لدى بعض معتققيها أكثر موافقاً مع "العلم الحديث"

أما علم، لبعض الحديث فكان بوابة واسعة للباطنيات المستوردة إلى أميركا وأوروبا، وخصوصاً على يد سيعموند فرويد وكارل غوستاف يونغ اللذين قدّما مفاهيم جديدة لفهم لبعض من مطلقات باطنية، لكن العالم استقبلها على أنها نظريات علمية معلنة.

وخلال القرن التاسع عشر ظهرت أربع حركات دهبية باطنية كبرى، يمكن اعتبارها الروافد الأساسية لحركة العصر الجديد، التي كنتم بشكلها في أوائل القرن لعشرين الحركة الأولى هي "الفلسفة المتعالية" (Transcendentalism) التي نشأت على يد رالف إمرسون في أميركا لشماليه، معتمدة على الترجمات المبكرة للكتب الهندوسية المقدسة، فاعتمد أفكار وحدة الوجود والبحث عن المعرفة بالحدس والعرفان الصوفي⁽¹⁾

أما الحركة لثانية فهي "المكر الجديد" (New Thought) التي أسسها فيسياس كويمبي، حيث آمن بوجود طاقة حيوية تنسب بالشفاء والسعادة، وحاول مرجعها مع الفلسفة المثالية العمالية

في لوقت نفسه كانت "حركة الأزواجية" (Spiritualism) -وهي الحركة الثالثة- تنتشر على يد فلاسفة يحاولون طرح تمامير باطنية جديدة للكتب المقدس، ويمارسون طقوس استحضار الأرواح و"الخروج من الجسد" عبر التأمل. وما الحركة الرابعة، والأكثر عمقاً وشمولاً وتنظيماً، فهي التي أسستها عام 1875، لروسيه هيليا بلانقانسكي مع زميلها الأميركي هري سيديل أولكوت تحت

[1] حمد دعوش وهور كردي حركة العصر الجديد، موسوعة نصيب a, 26.



مستقى جمعية الحكمة الإلهية "التيوصوفيا" (Theosophy)، حيث أعدت صيغة الأساطير لباطنية المصرية المراكمة عبر قرون معنية كشفها لعامة الناس، كما رعمت أن الملمعة الباطنية هي أصل كل الأديان والبديل الذي ينبغي أنصرف البشرية كلها إليه كي تحقق النور وتبلغ سهايه السارح⁽¹⁾.

وتعدّ الجمعية التيوصوفية أصبح لمؤسسات والحركات التي جمعت أهم المعارف الباطنية والسحرية، وتنبعها بعض المؤسسات ودور النشر والأكاديميات ومنذ مبعيدت القرن العشرين أصبح مصطلح حركة العصر الجديد يطبق على المعتقدات التي نلتها التيوصوفيا باعتبارها المظلة الأوسع لهذا الفكر، لاسيما أنها استوعبت معظم لحركات السابقة

(1) Mark Bevir, The West Turns Eastward: Madame Blavatsky and the Transformation of the Occult Tradition, Journal of the American Academy of Religion, volume 6, issue 3, Feb. 1994, p. 747-767.



هيلينا بلاغاتسكي والثيوسوفيا



ولدت هيلينا بيتروفنا بلاغاتسكي (1) لأسرة نبيلة في جنوب روسيا عام 1831. فكان ولدها ضابطاً في الجيش وأمها روائية مثقفة، كما كانت جدتها من جهة الأم الأميرة هيلينا دولغوروكي، وهي من سلالة أرستقراطية ألمانية انتقلت إلى روسيا بدعوة من الإمبراطورة كاترين العظيمة (2)، أما جدها من جهة الأم

هيلينا بلاغاتسكي

بافيل دولغوروكي فكان عضواً في الماسونية وفي جمعية "الصليب الوردية"، وكانت مكتبته حافلة بالكتب النادرة عن الديانات الباطنية والعامصة، مما سمح لحفيدهن الاطلاع على ما لم يكن متاحاً لعالية أبناء حيلها (3).

وجاء في سيرها الذاتية أنها بدأت بروية "الأرواح" منذ طفولتها، فكانت ترى تحديدًا شخصاً هندوسياً مهيماً ينفذها من المخاطر كلما تعرضت لحدث ما، واعتبرته "حافظاً" لها

1. انقسمت معظم سيرتها الذاتية من مقالات موسوعة الثيوسوفيا (Theosophy Wiki) ومقدمة كتاب "العقيدة المشرقية"

(2) بعض المصادر تشكك في الأصول النبيلة التي زعمها لنفسها

(3) Richard B. Spence "The Link of Theosophy to Occultism and Espionage"



تلقت هيلبا تعليقاً جيداً في صغرها. وأنقشت عدة لغات أوروبية وفي سن الثامنة عشرة، انطلقت في سلسلة من الرحلات حول العالم لأكثر من عقدين، بهدف اكتساب المعارف الصوفية، الباطنية التي نارت فصولها، ومن أهم المناطق التي زارها وأقامت فيها عدة سنوات الهند ولبنان ومصر والمكسيك⁽¹⁾

من أهم الفعّات الجهرية التي كانت تسيطر على فكر هيلبا أثناء طفولها بين الجماعات الباطنية حول العالم هي فكره الإحاء العالمي السري، واعتقادها بوجود "ساده صاعدين" (Masters)، وهم حكماء تداسخت أرواحهم قبل ملايين أو آلاف السنين ويمكن التواصل معهم روحياً لاقتباس المعرفة والتوجيه. وعلى رأس هؤلاء الحكماء المهاتما كوت هومي (Koot Hoomi) والمهاتما موريا (Morya)، حيث جاء في كتاباتها لاحقاً أنها لثقت بهذين لشخصين في التبت، وأنها كان من ملهمها طوال حياتها من خلال تواصلها معهما بالتخاطر والاستبصار ومع أن الباحثين الذين كتبوا عن هيلبا والثيو صوفية لاحقاً شككوا في وجود الشخصيتين وأهموها باحتلاقهما من الخيال إلا أن لا نستبعد أنهما كانا من شياطين الجر الذين يتواصل معهم السحرة من أمثال هيلبا وأتباعها، وسيأتي الحديث لاحقاً عن "لسادة الصاعدين".

في عام 1873 انتقلت هيلبا إلى نيويورك، وكان عمرها اساك 42 سنة، وتعرفت هناك على العقيد في الجيش هنري ستيل أولكوت الذي كان مولعاً بالسحر والفلسفة الباطنية، وتعاونوا على إحراء التجارب السحرية والحيماائية ونشر المقالات عن المعرفة الباطنية والتنجيم والقبالة (الكابالا)

⁽¹⁾ يرى بعض الباحثين المتشككين أنها لم تقم بهذا، بل قصص هذه شياطينها في أوروبا، ومن مخضم



في مايو 1875 قررا تشكيل لجنة تحقيق خاصة تحت عنوان "نادي المعجزة" لدراسة واثبات الطواهر الروحانية، ولكن المشروع تعثر، وبعد شهرين أسس الجمعية الثيوصوفية في نيويورك، وانضم إليهم بعض المهتمين من حسيات أخرى وكتبت هيلينا في مذكراتها إن "الأوامر جاءت من الهند مباشرة بتأسيس جمعية دينية ثيوصوفية، واحبير اسم لها، وكذلك تعيين أولكوت رئيساً" (1).

في الفترة نفسها أصدرت هيلينا كتابها "كشف النقاب عن إيريس" (1855 Unveiled)، وهو كتاب من مجلدين كبيرين ويقول أتباعها بها كتبت كل ما فيه بدون العودة إلى أي مراجع، وإنها كانت تتلقى إلهام كشمي بالاستنبصار أثناء كتابته (2). بينما اتهمها آخرون بالسرقه وقالوا إن لكثير منصوص الكتاب مسووحه من كتب معروفه وشائعه آنذاك بين المهتمين بالسحر والباطنية (3) ولخصت هيلينا في المجلد الأول أهم العلوم لسحرية والعسفات الباطنية، مع محاولة إثبات أنها لا تتعارض مع العلوم الحديثه بل تستوعبها وتتجاوزها، ثم حاولت في المجلد الثاني إثبات أن الأديان الكبرى مثل المسيحية والبودية والهندوسية والبرادشنية نحد من مصدر مشترك، وهو "دين الحكمة" القديم الذي يمنح أصحابه كل مفاتيح العلم والحكمة، وانتصرت أيضاً لفلسفة تناسخ الأرواح مع منحن مفاهيم خاصة

بعد حصولها على الجنسية الأميركية، انتقلت هيلينا مع أولكوت في أواخر 1878 إلى الهند الحاصصه للاحتلال البريطاني، وأسس في يومئذ المقر الذي

(1) "Helena Petrovna Blavatsky", theosophy.wiki

(2) Ibid.

(3) James O Hart and Phillip Leininger The Oxford Companion to American Literature

Oxford University Press, 1995, pp. 71-72



للجمعية التي لقيت ترحيبًا من الحركات اليسارية الإصلاحية، وأطلقا من هناك مجلة شهرية باسم "النصوص" ثم قاما برحلة إلى جزيرة سيلان، وعلنا اعتناقهما لليودية وسط ترحيب شعبي كبير. إذ كان الشائع آنذاك أن العربيين لا يروون تلك البلاد إلا لتحقيق مصالح الاحتلال أو لتبشير بالمسيحية، ولم يُبب أي عربي تقريبًا في تلك العصر اهتمامًا باعناق معتقدات الشعوب الخاصة للاحتلال.



مبيرة التفتت في لندن عام 1888 ليهلما بلاغاتسكي وهري أولكوت

في عام 1984 انطلق الثنائي في رحلة إلى أوروبا، وواجهت هيلما في تلك المرحلة قصاي واثامات في الصحافة والمحاكم بالاحتفال، مثل قضية عائدة كولومب التي نشرت رسائل قيل إن هيلما كتبها بنفسها ونسبتها إلى "سادة الحكمة" الروحانيين تحت مسمى "رسائل المهاتما"، وكذلك تقرير الباحث رينشارد هودجسون الذي أشار إلى ما يُنسب لها من طوهر حرفة واثمها بأنها من أكثر المحتالين براعة في لتاريخ، كما شكك البعض في رواياتها لشخصية

عن الرحلات التي قادتها إلى مصر وأمريكا اللاتينية وجبال الهيمالايا، وإقامتها في التبت سبع سنوات على فترات متقطعة. حيث رعت فيها ريت "أماكن تبعث في التبت وهي أماكن لم يرها أي أوروبي آخر من قبل، ولا يمكن أن يأمل في ريتها على الإطلاق"¹، وقالوا إنها قصت فترة شبابه في أوروبا، إذ كان من المستحيل تقريباً تمكن شابة "أوروبية من التمسك بممردها إلى المناطق البعيدة قبل ظهور الطائرات والسيارات، وخصوصاً في حقبة الاستعمار. نشرت الاتهامات على نطاق واسع وأصبحت بسمعة الجمعية الثيوصوفية، لكن باحثين آخرين شككوا في صحة الاتهامات"²، واستمر فساد المريد من فروع الجمعية ومخافتها وخصوصاً في الهند وسيلان، ثم انتهت حوله الثاني بالاستقرار في لندن، حيث أسسها في عام 1887 محملاً تحت اسم "Blavatsky Lodge of theosophical Society"

وفور تأسيس المحفل على يد نخبة من الباطنيين الإنجليز، تأسست در نشر الكتب الثيوصوفية، كما بدأوا بإصدار مجلة شهرية تحت اسم "لوسيفر" وهو الاسم المعروف لإبليس في الكتاب المقدس.

وفي العدد الأول من المجلة، كتبت هيلينا مقالاً بعنوان "مدا يوحد في الاسم" لمدا سميت المجلة "لوسيفر"³، وأوضحت أن اسم المجلة سيلاء فهمه لدى القراء المسيحيين، وأنها مع ذلك أضرت على اختياره لأن رسالتها هي الرسالة الواردة في الكتاب المقدس وهي جلب الضوء إلى المناطق البعيدة في الظلام، معتبرة أنه لا يوحد عنوان أقصا من "لوسيفر" الذي يعني نجم

(1) Helena Petrovna Blavatsky Collected Writings, Theosophical Publishing House Wheaton, 1988, vol vi, p. 272

(2) Tim Rudbøg, "Helena Petrovna Blavatsky" worldreis.org, 6 July 2019

(3) "Lucifer (periodical)", theosophy.wiki



H. P. Blavatsky — Michel Collin

الصباح⁽¹⁾، فهو نذير التوهج الكامل لشمس الظهيرة، ثم سخرت في مقالها من إطلاق المسيحيين لقب "حامل الصبأ" على الشيطان نفسه⁽²⁾

غلاف عدد من مجلة لوسيفر

1 - لوسيفر (Lucifer) كلمة لاسمية تعني حرفيًا «حامل الصبأ» لذا أطلقها الرومان على كوكب الزهرة لأنه يلمع مضيئًا في النهار فصار يسمى رمزًا «كوكب النهار».

2 - كلمة لوسيفر (Lucifer) اللاتينية ورتب في بعض أذهان القديسة لوسيفر أشتياء من الكتاب المقدس في هذا النص (كعب سقطت من السماء يا نجمة الصباح تلميز، كيف طرحت إلى الأرض يا هاجر الأمم؟) [أشعيا، ص 14 | 12: 11] لكن الترجمات الجديدة كل بتريك تترجم إلى «نجمة الصباح» أو «زهرة»، وبعضها بعض عند المسيحية بأنها إشارة لإيليس الذي سقط من السماء بسبب كبره، فاليهودية والمسيحية يعتقدان أن إيليس كان من الملائكة، لكنه سقط من السماء لأنه مكبر وسقط معه كثير من الملائكة، أما المصوحيه المسيحية فاعتقدت عديدة ثنائيات التي يؤمن بوجود إلهين يتصارعان ويمثلان عالمي الخير والشر، وعبدان إله (له يهود) هو إله الشرير والمريض هو إله الذي حمل روح النمر في الأحشاء المادية التي خلقها وبساطيق وصفه مع صفات الشيطان (مليحان)، أما إله «جيد» فهو «الأب» الذي خلق الأرواح والعالم الروحي لكن بمصوحيه المتحررة من الأديان بقطع سوطًا آخر يعكس هذه الصورة، فالإله الجيد عند هو «لوسيفر» حام الصبأ لأنه يسعى بحسن المعرفة والحكمة إلى التمرد، بينما يمثل إله الآخر عندهم إله الشرير الذي تعيده الأكيان، وهذا المفهوم المقلوب هو الذي تتنازه القيصووصوفيا

١١ العقيدة السرية

في عام 1888 نشرت هيليا الجزء الأول من كتابها "العقيدة السرية" (The Secret Doctrine)، الذي يُعد بمثابة إنجيل الثيوصوفيا، وحاولت أن تقدم فيه تفسيرًا باطنيًا جديدًا لأصل الكون، باعتبار أن النظريات العلمية مخطئة في ذلك.

يبدأ مفهوم هيليا للكون بالإيمان بوجود "كائنات عليا معجدة" (higher and exalted beings)، كانت ترافق طفولة الانسانية، ثم بعلت بعض أسرار لوجود والمعرفة إلى الحكماء من البشر الذين متلكوا الجرّة ولشغف للانصال بهذه الكائنات بحثًا عن المعرفة، فالكتاب يكشف ما وصل إلى هيليا من "حكمة العصور المراكمة" التي تم تمريرها شفهيًا عبر آلاف الأجيال من لعراقيين والمنجمين والسحرة وحكماء الباطنية، وقد حان الوقت حسب رعاها لكشف هذه الأسرار لعامة البشر، بعدما طلبوا حبيسين للأديان والحرفات وحتى العلم المادي التحريبي الحديث، فكل الأجوبة التي تقدمها هذه المنظومات قاصرة أمام الحكمة الحقيقية التي أحصاه السحرة

المبسة الباطنية لا تنظر إلى الكون كوعاء واسع للكواكب والمجرات ولمرغبات، بل هو وعاء روحي تطورت مكوناته بظهور كائنات روحية متسلسلة هرميًا تنبئه وتوجهه عدد ملايين السنين، وهذه الكائنات الروحية الخارقة هي رسر للقوى الكارمية التي تقوم بالمهام الموكلة إليها ويندرج لكون إلى سبع طبقات، ولكل طبقة عوالم وكائنات وكواكب ورموز تحمل بها كتب العبلاء والسحرة والمنجمين¹، وسيتأتي الحديث عن الكائنات السماوية لاحقًا

يكتشف القارئ بعد هذه المقدمات أن الحكمة المقصودة لا تحرج عن العقائد الباطنية المعروفة، فقد كشفت على مر التاريخ الكثير من الكتب

(1) "Orders of Celestial Beings", theosophy.wiki.

والمخطوطات والروايات التي حرص الباطنيون على إحصائها، والنظرية الكونية "الكوسمولوجية" في كتاب هيلينا لبست سوى فلسفة وحدة لوجود لمقتبسة عن الهندوسية والطاوية، إذ نشأ الكون عن "الجوهر الإلهي الواحد المتحانس"، وهو كون وهي مؤقت رث، وكل شيء محكوم بالطاقة الحيوية والوعي، وكل الموجودات تدرج في هرم الوجود بحسب درجة وعيها، وهي منصبة فيما بينها من خلال الطاقة والوعي.

حصصت هيلينا الجزء الثاني من الكتاب لأصل الإنسان، ورعمت أسس انحدرنا من "أعراف جذرية" عاشت قبل ملايين السنين، وأن دورة حياة تتضمن سبعة أعراف جذرية. كان أوليا عرق "أنري" (روحي) عبر مدي وعبر جنسي، فكل أفراد كانوا من جنس واحد، لا يمتنعون بالفهم واللغة والمعرفة، وقد أسجنتهم على الأرض كأنساب إلهية هي البيريس المصرية التي نسعى في الهند "برهيشاد" فأفراد هذا العرق مولودون دنيًا وهم طلال نجمية لأسلافهم البيريس، وقد طهروا على الأرض بعد 300 مليون سنة من تطور العطاء النبائي.

لاحقًا ظهر العرق الثاني، وكان ماديًا حثوثًا وعاش في فترة تسمى "هيريوريا"، وهي قارة أسطورية في القطب الشمالي، ذكرت في الميثولوجيات الإغريقية والإسكندنافية حيث كانت موطنًا لحضارة متقدمة غير بشرية، كما نجد لها ذكرًا في الأساطير الهندية التي تقول إن أصل الهند كان من هناك.

العرق الحثري لثالث هو عرق الإنسان الحقيقي الذي تطور إلى جنسين من ذكر وأنثى، وقد عاشت شعوبه وقيادته في فترة ليموريا المفقودة التي كانت موجودة بين المحيطين الهندي والهادي. وكانت أعمار هذا العرق أطول من أعمارنا وأحسامهم أصحم بكثير (عمالة) ثم تطور العرق الرابع في قارة أتلانتس، وهي الدولة التدريجية الأولى التي لديها بعض المعرفة عن أفلاطون



تحدث عنها، وكان الأتلاسيون هم الذين نصبوا بمائيل جزيرة المصباح لصحيفة لتكون نصباً تذكارية للعمالقة الذين كانوا أحرار العرق الثالث

وفي مرحلة مبكرة من ظهورهم كانت عقولهم قد أوقطت على يد الحكماء، وكانت العين الثالثة ما زالت نشطة في أجسادهم، مما ساعدهم على التواصل الروحي والاستبصار ونقي الحكمة والاتحاد بالروح الكونية العظيمة، ولم يكن لديهم دين ولا شعائر، بل كانوا متحدين مع بعضهم ومع كل الكائنات بالحب والتبجيل والثقة كانت الآلهة في هذا "العصر الذهبي" القديم تسير على الأرض وتحتل بحرية مع البشر، ثم رحلت الآلهة وأصبح غير مرتبة، وصار البشر يعبدونها بشكل رمزي في المعابد⁽¹⁾ وفي نهاية هذه المرحلة عرفت أتلاتنس أيضاً مثل ليموريا، وانطلمست آثارها قبل 11 ألف سنة من الآن⁽²⁾

وباستثناء العرق لربع بدأت مرحلة سيادة العرق لخامس على الأرض، وهو لعرق الآري الذي بدأ ظهوره قبل حوالي مليون عام، حيث تتعاقب الأعراق المختلطة في فترات متقاطعة قبل أن يبدئ الأسبق منها، فهي عصرها الحالي ما زال يعيش بينما أفرد متحدرون من سلالة العرق لربع الذي عاش في أتلاتنس، كما كان لمصريون القدماء والإغريق والرومان من سلالتهم

وينقسم كل عرق حداثي إلى سبعة أعراق فرعية، وكل منها ينقسم إلى سبعة أخرى بسبب التغيرات الجيولوجية والطبيعية الكبيرة، ولكن هذا لا يعني انفصاله عرق إلى آخر، فمع أن بعض الباحثين يهتمون هذه النظرية بأنها شكلت رافداً للعنصرية النازية والفاشية لكن أتباع الثيوصوفية يستشهدون بمصوص

(1) Gertrude W. van Pelt, "Archaic History of the Human Race" Theosophical University Press, 1934, theosophy-nw.org.

(2) Helena Petrovna Blavatsky The Secret Doctrine Theosophical Publishing House. Wheaton, 1993, vol II, p. 433.

من كتاب هيلينا تؤكد أن الاختلافات العرقية تعود إلى ظروف ثقافية وجغرافية فقط وأن الأجساد ليست سوى ملابس مادية للأرواح التي تتسبح في سلاسل طويلة⁽¹⁾.

تنص "العقيدة لسرية" أيضًا على أن فناء الأعراق يحدث بكوارث كبرى، مثل الطوفان، لتعظيم الذي قصي على العرق الجذري الرابع عقبات لهم على شواطئهم وعدم امتثالهم لتعاليم مرشديهم وقبل فناء كل عرق، يتجسد أحد الحكماء العظام (مايو) على هيئة أحد أفرادهم ليختار أفضل هريق منهم ويقدمهم ليكونوا بذرة تشكيل العرق التالي. ثم يقصى على البقية، وهذه الفكرة موجودة أيضًا لدى الهندوس في كتابهم "فيشنو بورنا" وترجم هيلينا أن ما جاء في الكتب السماوية عن قصة النبي نوح عليه السلام ولطوفان هي تشويه أسطوري للقصة الحقيقية التي ذكرتها

نحن نشهد الآن المراحل الأخيرة من وجود العرق الجذري الخامس، والذي انقرضت منه أربعة أعراق فرعية، عاش كل منها أكثر من مئتي ألف سنة وحاليًا تُعبر الحضارة الهندية الأكثر تطورًا روحانيًا، فأبناؤها الآريون يسمون إلى العرق الفرعي الأول من العرق الجذري الخامس، أما الحضارة الأوروبية فهي الأكثر تطورًا على المستوى لمكري وهم العرق الفرعي الأخير من لعرق الجذري الخامس والأعراق الفرعية الحالية تعيش مرحلة لهبوط لدورة وجودها، سيم يستعد العرق الجذري السادس للصعود، والذي تتكوّن بدورته من ثلاثة قرون في القارة الأميركية من الانحلوسكسونيون الذين شكّلوا عرق فريدًا باحتلاطهم وتطورهم، وبعد حوالي 25 ألف سنة ستغرق قارة أوروبا بدءًا من لجرر البريطانية ثم فرنسا وبقية القارة، وسيصعد القارتان العارقتان ليموريا

(1) Helena Petrovna Blavatsky Collected Writings Theosophical Publishing House

Wheaton, 1988, vol. XII, p. 302



وأتلانتس ليردهر فيهما العرق السادس، حيث تعيش القرات مراحل دورية من الصعود والهبوط⁽¹⁾.

وبعد استار العرق السادس، ستحلو الساحة للعرق السابع والآخر، وسيكون له مرشده الخاص (بودا) كما كان هناك مرشد لكل عرق قبله، لكن أفراد هذا العرق أكثر تطورًا وقرَّب من الكائنات الروحية وفي نهاية هذه الدورة سيصبح الإنسان "ديان شوهاى" (Dhyani Chohan) وهم الكائنات السماوية التي شتد الكون، ولن يعود الإنسان مقيَّدًا بحدود جسده وكوكبه الأرضي، بل يصبح حرًا في تسفل بين السلاسل الكوكبية السبعة

تدخل الأرض بعد كل جولة حياه (ماناسارا) في حالة راحة أو انحلال صغرى (برالاي)، كما تدخل الحياة في حالة "بيرفانا"، ثم تتحدد الحياة في جولة ودورة جديدة (ماناسارا)، لكن بعد اكتمال الدورات السبعة تبدأ البرالاي الكوكبية، وبعد سبعة سلاسل كوكبية تأتي البرالاي الشمسية⁽²⁾، وهكذا يحدد لكوب (الذي تمثله المجموعة الشمسية) في مراحل مدوية من الحق والانحلال إلى ما لا نهاية، وهذه الفكرة موجودة أيضًا لدى الهندوسية مع اختلاف في بعض التفاصيل

كشفت بلادنسكي أيضًا في المجلد الثاني من الكتاب عن مفهوم الكائنات لروحية التي تحكم عالمنا والتي مسفصل الحديث عنها لاحقًا، وقالت إن مجموعة مكونة من 30 كائنًا سماويًا يُطلق عليهم اسم "سادة اللهب" (Lords of the Flame)، كانوا يسوطنون كوكب الزهرة (نحمة الصبح)، وإن الكوكب كان يُحكم من قبل مجلس يديره سبعة كائنات تدعى كومارات، وعلى رأسهم "سانات كومارا" (Sanat Kumara) الذي انُدب من قبل المجلس ليذهب

(1) "Fifth Root-Race", theosophy.wiki

(2) "Pralaya", theosophy.wiki.

إلى الأرض قبل ملايين السنين، من أجل مساعدة البشرية في مرحلة نموها الروحي عبر الدورات المذكورة سابقاً (1)

تظهر شخصيته "سامانثا كوسارا" في أدبيات أخرى سابقة، فأصبحت الكلمة في اللغة السنسكريتية بمعنى "الشباب الأبدي"، وهو في الكتاب الهندوسي "تشانديا أوبانيشاد" أحد الحكماء المستنيرين الذين أدركوا الحقيقة عبر التأمل وكتبوا تراثيم الفيدات وتنشأته قصته مع ما ورد في أسفار العهد القديم من لكتاب لمقدس عن إبليس الذي كان من الملائكة، فسقط مع أنياعه (لملائكة المرافقة) إلى الأرض بعدما عصى أوامر الرب، لكن علوم السحر والتنجيم والعصوية القديمة والنيووصوفية أعادت سرد لقصة بوضع إبليس في موضع ملاك المحب للبشرية والساعي إلى تطويرها وخدمتها

وحسب النيووصوفيا، يتمتع كوكب الزهرة بدرجة متقدمة روحياً على الأرض، ولكائنات السماوية نغش هناك في المستوى الأثيري، الروحي المجرد من المادة لذا كانت بلافانسكي وصية كتاب النيووصوفية بشددون على أن لعقيدة اليهودية والمسيحية حرمت دين الحكمة القديم ورغمت أن الزهرة هي موطن لوسيمر وللملائكة الذين سقطوا من الملكوت إلى الأرض، والحقيقة هي رأيها- هي أن هذه الكائنات لروحية سيء فهمها وتمت شيطنتها

وفسرت بلافانسكي سبب بقاء هذه "التعاليم الروحية" في نطاق سري صيق بصروره حفظها من التشويه والتدليس وسوء الاستخدام من قبل أصحاب السلطة على مر العصور، فكان لا بد من إحداثها وتداولها بين حجب الطوائف العصوية والجمعيات السرية إلى حين اكتمال نضج البشرية واستعدادها لتقبل هذه "الحقائق".

(1) The Secret Doctrine, vol. II, p. 106.



وفي كتابها "مفتاح الثيوصوفيا"، الذي نشرته عام 1889، قالت بلافنسكي عن العرض الرئيسي من إنشاء المجتمع على مبادئ الثيوصوفيا هو إعداد البشرية لاستقبال "حامل شعله الحقيقة" (Torch-bearer of Truth)، وهو لرسول المنسب من الأسلاف الحكماء الروحيين (السادة الصاعدين)، كي يوجه تطور البشرية نحو المسار الصحيح^(١).

طلقت بلافنسكي على هذا المخلص المنتظر اسم "مبيريا"، وهو مفتاح من البوذية، لكن الثيوصوفية زعمت أنه شخص واحد يتكرر ظهوره وتحسنه عبر التناسخ في مختلف العصور والأعراق وفي العرق الآري لحالي كان قد تجسد سابقاً في صورة الإله الهندوسي كريشنا بصفته رئيس كهنة الهند، كما تجسد في صوره بودو، ولاحقاً أيضاً في صوره المسيح على أرض فلسطين.

التسلسل الهرمي الروحي

يعتقد مؤسسو حركة العصر الجديد أن هناك عالماً روحياً أصحح بكثير من العالم المادي الذي نعرفه، وسكون "التسلسل الهرمي لروحي" (The Spiritual Hierarchy) من كائنات كونيه (Cosmic Beings)، وسادة صاعدين (Ascended Master) أو "سادة الحكماء القديمة" (Masters of the Ancient Wisdom).

يشمل تصوّر الثيوصوفيا لعالم الكائنات السماوية الكثير من الملائكة (Angels) و"الديفاس"، ويطلق عليها أيضاً مصطلح "ديان شوهان"، وهم الوكلاء القائمون على تنفيذ وحراسة القوابس الكارمية والكونية.

هالكون يشأ من حديد ضمن سلاسل الشدة والاحتلال كما أسلفنا على يد "التسلسل الهرمي" للكائنات التي يشار إليها عمومًا باسم "النّائين" أو

(١) Blavatsky The Key to Theosophy The Theosophical Publishing Company London

"المهندسين المعماريين"، فهم الذين يشكلون المادة ويُشثثون الكوكب. وتطلق عليهم الماسوبيون اسم "مهندس الكون الأعظم" ، ومع أن الشائع أن الماسوبية تؤمن بالإله المشترك بين أتباع الديانات الأبراهيمية إلا أن المقصود بهذه الإله عندهم -كما تؤكد بلاهاتسكي- هو مجموعة الكائنات لروحانية المستشفة عن أصل روحي للوجود، وهذا ما يكشف لأعضاء الماسوبية في درجاتها العليا، فالباطنية الغنوصية لا تؤمن بإله واحد كئي الإرادة والقدره كما هو موضح في القرآن الكريم والكتب السماوية

تقول بلاهاتسكي إن "البثائن" سقعمون إلى اثني عشرة نظامًا، يرتبط كل منها بإحدى إشارات الأبراج السماوية (Zodiac). وقد وصلت أربعة أنظمة منها إلى التحرر، والحادسة على وشك بدوغه لكنها ما تزال بشطة على المستويات المكرية، في حين ما زالت سبعة أنظمة تحت القبول الكارمي المباشر، وهي التي تعمل في نطاق عالمنا وتؤثر فيه⁽²⁾

تشمل الكائنات لسمبوية معظم أسماء الملائكة المسدولة في اليهودية والمسيحية والإسلام، فالتيوصوفيا تعتقد أنهم كانوا يعملون على تدبير شؤون الكون قبل ظهور العرق الجدري الأول.

ومن بين الكائنات السماوية فئة تسمى كومارت، وهي -في الهندوسية- مكوّبة من أربعة أبناء وُلدوا من أطراف الإله الهندوسي براهما، لكن بلاهاتسكي تقول بهم سبعة. وهم موحودون خارج النظام الشمسي، وقد لعبوا دورًا في تطور الإنسان أثناء تشكل العرق الجدري الثالث، ومن بين هؤلاء "سنتات كومارا" لذي ذكرناه سابقًا، حيث تؤكد بلاهاتسكي أنه أحد أعضاء لمجلس المكون من سبعة كائنات سماوية على كوكب الزهرة، وأنه استُبد لرعاية البشر

(1) Helena Petrovna Blavatsky, Collected Writings, vol. x, p. 342

(2) Ibid, vol. II, p. 77



على الأرض أما الـروجن "مارك والبريست الني" وهما من قادة حركة العصر الجديد ومعترف بهما لاحقاً- فقالا في أحد كتبهما إن سادات كومارا، هو أحد أعضاء مجلس الحكماء لسبعة. وإن المعلمة فينوس (Lady Master Venus) هي زوجته أو توأمه الروحي "توأم الشعلة". ولديهما ابنة تدعى المعلمة ميناء، التي سقن هبطت من كوكب الزهرة وتجسدت (أعتار) في ثلاثين على هيئة رئيسة كهنة معبد لشماء، كما تجسدت في فانتار آخر في عهد الامبراطورية السامانية في بلاد فارس وبروجت بشرنا وأجبت منه

كما ذكرت "البريست الني" في كتاب "الخيمياء" أن العالم يشهد صراعاً بين الإلهين، فإله الخير هو "سادات كومارا" في مقابل الشيطان إله الشر وهذا يتطابق مع أهم العقائد العنوصية القديمة التي تعدد مسمياتها وتكرر مبدئها، فهي تؤمن بالنسبة الإلهية وتنصع إبليس في جانب الخير، يعكس العنوصيات الدينية كالمسيحية التي رفعت إبليس إلى درجة الألوهية لكنها أبقته في الجانب المظلم باعتباره عدوً للإله (الأب) وبذلك

في مثال آخر، أصدر الدكتور الهندي المعاصر نارفاني كومار في 2009 كتاباً بعنوان "تعاليم سادات كومارا"، ووصف في مقدمته هذا كائن السموي بأنه معلم لمعلمين وحاكم الحكام وسيد الكوكب، وأنه رب العلم الذي يرأس لمحض الأبيص للساداة من عرشه في عالم شامبالا، وهو عالم أثري بطهو فوق صحراء حوبي (الحدود بين الصين ومغوليا) ويُعد مركز الطاقة الرئيس للكوكب، ولا تراه العيون البشرية ويصعب أن سادات كومارا يمست بيده مقاليد الحكومة الدنية، وقد احتبر لمراقبة تطور البشر ولديماس على هذا الكوكب.

يقول أيضاً "سادات كومارا يديب أنماط الرعبة غير المرعوب فيها، عند استدعائها تصور أنك تدخل إلى شامبالا في مناطق شمال ليمبالايا وأنك عند



بوابة الأشروم (الصومعة الهندوسية)، ستظر نعمة سانات كومارا هذا سيعيد

ترتيب رغبتنا إلى وضع فصل على مسيل اليوغا"⁽¹⁾

ويعزم المؤلف أن سانات كومارا اعطى 24 وصية للإمبراطور بروثو، وأنه نُقِيت عبر لمبعوث "مايتريا" حتى دُوت في أحد كتب العيد المقدسة لدى الهندوس. وهي التي يعيد المؤلف جمعها وإصدارها في كتابه مؤكداً أنها "الوصايا التي أصدرها سيد الكوكب لتشكل الطريق الكامل للتقدمة"⁽²⁾

ويتكرر اسم "سانات كومارا" لدى معظم كتاب الثيوصوفيا، ويعتبرون أنه سيد الأرض أو الوصي عليها من قبل لكائنات السبعة، ويذكر البعض أنه برل إلى عالم شمبلا فوق الأرض قبل 4.5 مليون سنة⁽³⁾، بسما يرى آخرون أنه هناك منذ 185 مليون سنة. وأنه أحضر معه عددًا من سادة ليهب من لزهرة لمساعدته (30 بحسب لينديتر وأني بسانات أو 105 بحسب أليس بيلي)⁽⁴⁾. وهو يجتمع بنظام مع مايتريا، وماها تشوهار، وجوال كل، وسادت جيرمان، ويسوع، وغيرهم من سادة الحكمة القديمة لمناقشة خطه الأرض وتقييم التقدم الذي أحرزته البشرية في جميع مجالاتها. كما يستقبل "سانات كومارا" سفراء من أنظمة شمسية أخرى للمساعدة في تطوير الحياة على هذا الكوكب وبناء على هذا الوصف، فإن "سانات كومارا" هو مؤسس "التسلسل الهرمي الروحي" على الأرض، المكوّن من سادة الحكمة الذين يتصدرهم الرسول مايتريا

1. K. Parvathi Kumar The Teachings of Sanat Kumara. Visakhapatnam and a, 2009 the Introduction

(2) Ibid. the Introduction

(3) "Sanat Kumara", ascension-research.org

(4) "Lord Sanat Kumara", thepranichealers.com.



و"سانات كومارا" هو كائن سماوي عظيم يتجاوز بكثير الصفات التي يصعب حتى على سادة الحكمة "الصاعدون" تحقيقها

وفي بعض المصادر، ارتقى بودا إلى منصب "سيد العالم" في عام 1956، وأصبح بذلك "سانات كومارا"، الوصي على عرش سيد الكوكب، تاركاً مهمته لبودا كي يتفرغ بنفسه للتخطيط طويل المدى وعلى مستوى المجرة، وليعمل على إعداد الأرض لقبولها النهائي في "اتحاد الكواكب المجري"⁽¹⁾

'ما السادة الصاعدون فهم أفراد من البشر عاشوا في فترات سابقة، وربما وُلدوا في إحدى لدورات (الأعراق) السحيقة قبل ملايين السنين، وكانوا من عياقة علماء لسحر والتنجيم الذين طوروا هواهم البصمية والروحانية لكامة لدى بقية البشر، ثم تناسخت أرواحهم إلى أجساد عطاء عدة في لتاريخ البشري، قبل أن ينتقوا إلى المستوى الأنثري الذي لا يراه بأعينا، ويُطلق على أفرادهم أحياناً اسم "المهاتما" أي المعلم

ووفقاً لمؤلفات هينيا بلافاتسكي، فالسادة الصاعدون يخفون عن حقهم في دخول عالم البرهانا، وهي جنة سماوية يرزق إليها المبحّلون مثل بودا، فقد تسارلوا عن هذا النعيم الذي يشناقون إليه من أجل البقاء على اتصال مع البشر ومساعدتهم، ولا يخفى ما في ذلك من تصحية كبيرة وتؤكد بلافاتسكي أنهم ليسوا مجرد أرواح مجردة، بل لهم أجساد ولكن في العالم الأنثري

أوصحت بلافاتسكي لاتباعها أيضاً في بديّة تأسيس جمعيتها أن السادة لا يلتفتون إلى محاولات الأعضاء بطلب خدمات شخصية لهم، فهم لا ننحنون للحظة واحدة من أجل لتمكيز في المشكل المردية وحتى الجماعية المتعققة بحية الناس في عالم "المايا" أي الوهم -وهو العالم الديوي الذي يعيش فيه- بل كان السادة يشجعون أتباعهم على الانسحاب مثلهم من تفصيل لحية

(1) Ibid, thepranichealers.com.



والاهتمام بمصير العالم^(١) وقد تحب هذه الفروع في دفع الاعضاء لمزيد من التفاني في خدمة الجمعية، والاقناب بأهم يقومون بخدمه عظيمه للبشرية كلها

تتكون جماعة "الإخوان البيضاء الكبرى" (Great White Brotherhood)، والمعروفة أيضاً باسم جماعة إخوان النور (Brotherhood of Light) من هؤلاء السادة الصاعدين، بالإضافة إلى تلاميذهم غير الصاعدين (chelas) وأتباعهم المهرة (adepts) في العوالم الارضية المادية

لتلميذ (che a) هو الذي يعرض نفسه على أحد أساتذة الحكمة الصاعدين ليتعلم منه ويدخل سلك "التنشئة" (Initiation)، وهذا يعني أنه سيتلقى المعرفة من كيان روحي يزعم أنه كان من البشر ومات وناسخت روحه، وقد يتجسد في هيئة بشرية مادية أو يبقى في عالمه الأثيري ويبقى لتوصّل معه بالتعاطف وبحسب مؤلفات بلافانسكي نجد أن شروط قبول التلميذ ليست سهلة ولا تتوفر إلا لأصحاب الهمم، فالتنشئة تتطلب الكثير من التصفية والصبر وصبط شهوات النفس والجسد والالتزام بالطقوس^(٢)، ما يؤكد أن سنوك هذا الطريق ليس متاحاً لأي شخص أو معاصر أو باحث عن التسليّة ولتشويق

بتشابه مبهج "لتنشئة" من حيث الصرامة والعموص مع مبهج الجماعات السرية كالمسوية، ومع أن حركة العصر الحديدي التي وصفت بلافانسكي أصولها جعلت من هذه المعرفة أمراً متاحاً ومطروحاً في الكتب بدون شرط الانتماء في عضوية الجماعات السرية. إلا أن الارتقاء فيها يتطلب الاتصال بتلك الكائنات الروحية (السادة الصاعدين) ولا بُدّ بالتثقيف الذاتي

(١) C. Inarajadasa, The Early Teachings of the Masters 1881-1883 The American Theosophical Society, Chicago, 1923, p. iv.

(٢) Helena Petrovna Blavatsky Collected Writings, vol. iv p. 607



ولا يدخل التلميد سلك التنشئة أصلاً ما لم يكن في درجة "الماهر"، أي أنه أستاذ متصّل في علوم العاصبة والسحر والتنجيم. ويقول بلافاتسكي "لو كانت المهارة سهبة المال لحققها الكثيرون، لكنها صعب مهمة في الطبيعة"⁽¹⁾

وبحسب بلافاتسكي، هناك خمس درجات من التنشئة، قد يستغرق التطور فيها عدة سنوات من عمر التلميد، وعندما يسبغ، لتنشئة الرابعة يدحر المستوى البرهاني، ويشتمل بذلك إلى المرحلة الخامسة والأخيرة، ويصبح هذا إنساناً كاملاً (أسحاً في البودية) لأنه لم يعد أمامه المزيد ليتعلمه، كما يصبح متحدّاً مع الكون ومع الذات الواحدة المطلقة، وعندما يعادر جسده المادي بالموت فإنه يرتفع إلى مستوى البرهان وقد يدخّق بالسادة الصاعدين⁽²⁾

يتوزع السادة الصاعدون في التسلسل الهرمي على سبع فئات، وهي تتوافق مع الأشعة لسبعة، وتقول هيلينا إن أعضاء اثنين من هذه الفئات غامضون، وممثلوهم على الأرض بادرون جداً، فلا يظهر إلا واحد أو ثلث مهم كل ألفين أو ثلاثة آلاف سنة

ويشرح ليدبيتر توزيع السادة السبعة كما يلي

لشعاع الأول يقوده موريا الذي يلعب دوراً كبيراً في إرشاد لرجال وتكوين الأمم.

لشعاع الثاني يقوده كون هومي، وهو شعاع الحكمة الذي يعلم حكماء لعالم.

لشعاع الثالث يترأسه بول الميسيني، وهو معلم عدم التنجيم.

لشعاع الرابع يقوده سيرايس الذي كان من عظماء مصر القديمة

(1) Collected Writings, vol. ix, p. 165

(2) "Initiation", theosophy.wiki

لشعاع الخمس على رأسه هيلاريون القبرصي، وهو يتواصل مع معظم العلماء العظماء في العالم، ويعتمدون عليه في تلقي ملاحظات دقيقة تتعلق بأبحاثهم.

الشعاع السادس يقوده يسوع المسيح، وهذا هو شعاع لقدسين المتعبدين والرهبان من كل الأديان.

الشعاع السابع يقوده الكونت دي سان جيرمان، الأرسقراطي الأوروبي من القرن الثامن عشر، والذي كان من كبار السحرة

والتوريع السابق ليس محل إجماع، فبعض المراجع النيوصوفية تذكرهم بالترتيب الآتي موريا، لانتو، بول الميبسي، سيرابيس، هيلاريون، لسيدة بادا،

الكونت دي سان جيرمان ويرتبط كل واحد منهم بمركز إلهي (نوام) للروح¹

وسبقت الإشارة إلى ما ذكرته هيلينا بلافسكي عن المعلمين الذين تلقت منهما أهم التعاليم، وهما موريا وكوت هومي، إذ نسبت إليهما المصل في إرشادها لتأسيس الجمعية النيوصوفية، فصلاً عن توجيها للانتقال إلى الهند والقيام بمهام كثيرة طوال حياتها

وكتبت هيلين في مذكراتها أنها البقت موريا بجسده المادي لنشري لأول مرة في عيد ميلاده العشرين في بلدة رامسغيت قرب لندن، كما ذكرت أنها التقت

كوت هومي بهيئته لنشيرة عدة مرات في البيت²

1) Archange s, Elohim & Chohans ascension-research.org

2) "Helena Petrovna Blavatsky" theosophy.wiki





صورة كوت هومي كما رسمها الفنان الشيوعوي هيرمان شمبليي طلب من بلاهاتسكي عام 1944



صورة موزيا برتشة هيرمان شمبليي

وفي عام 1923، نشر المؤلف تريفور ماركر كتاباً من 650 صفحة بعنوان "رسائل المهاتما إلى أ. ب. سينيت". وكانت قصة هذا الكتاب قد بدأت عام 1880 عندما ردت بلاغاتسكي صديقتها الثيوصوفي الانجليكاني ألفريد بيرسي سينيت في مدينة شيملا الهندية، وحررت عن تلقيها رسائل بخاطرية من معلمها المهاتما كوب هومي ولمهاتما موريا، ومع أنه كان مؤيداً لأفكارها فقد قرر أن يخبر الأمر كي لا يبقى لديه شك، فكتب رسالة موجهة للمعلم الروحي وتركب على طاولة مكتبه، وبعد نحو يومين وجد رداً مكتوباً بخط اليد على طاولة مكتبه، وفقاً لكتاب وهكذا بدأت سلسلة الرسائل بين الطرفين لمدة خمس سنوات تقريباً. ثم نُشرت في الكتاب المذكور⁽¹⁾.

وكانت هذه الرسائل قد تسببت بأزمة كبيرة للثيوصوفية كما أشرنا سابقاً، ففي عام 1884، سافر المحقق الأسترالي الخاص ريتشارد هودجسون إلى الهند خصيصاً لفحص الرسائل التي كشفها عائلة كولومب إثر خلافتها مع بلاغاتسكي، ونشر تقريراً جاء فيه أن الخط يتطابق مع خط بلاغاتسكي، ما يعني أنها كتبتها بنفسها ولم تُكتب بيد المعلمين، فآضمر ذلك بسمعها كثيراً ولكن بعد نحو قرن، فحص الباحث فيربون هاريسون تقرير

هودجسون في عام 1986 وأعلن أن هودجسون كان متحاملًا وبين هذين

صمو د لاجد . رسالتي بي بعد من هذا كتيب
بخط كوب هومي وقد نشرت في مقدمه الكتاب

1 "The Mahatma Letters to A. P. Sinnett (book)" theosophy.wiki



الرأي لا يمكننا البت في الأمر، لكننا لا نستبعد أن يكون المهاتما وكل "لسادة الحكماء" من الحسن، وأنهم قادرين على تدوين الرسائل كما يصعب النشر

٢ أولكوت وببسات واكتشاف الماتريا

في عام 1891، توفيت هيلين بلافاتسكي بسبب إصابتها بالإصلوب^١ قبل أن تبلغ الستين من العمر. وكانت جمعيتها قد بلغت ذاك قمة الشهرة، وأنضم إليها تلاميذ أوفياء لمتابعة المسيرة وهي تعد إلى اليوم رائدة حركة العصر الجديد، وأول من كشف الحجاب عن أسرار الجماعات السرية والديانات العامصة (أيروثيريت) وأتاحها للدراسة والبحث والممارسة

كان المهاتما غاندي من شهر الشخصيات التي أصبحت محل بلافاتسكي في لندن، حيث التقى بها قبل وفاتها بقليل أثناء دراسته للقانون في لمملكة المتحدة، وقرأ الكتب التي ألّفها، وعندما عاد إلى الهند بعد ثلاثه عقود قاد حركة الاستقلال وأصبح زعيم الهند، ونعتقد أيضاً أن حواهر لال نهرو أول رئيس وزراء لهند المستقلة كان عضواً في الثيوصوفية^٢

واصل أولكوت مهمة قياده الجمعية الثيوصوفية في ممرها الرئيس بالهند، وكانت البريطانية أني ببسات دراعه اليمى انشق الفرع الأميركي عنهم بقيادة وييم كون حادج، وطلق الرملاء الأميركيون على الممر لهندي بقيادة أولكوت وببسات اسم "الثيوصوفيا الجديدة" لأنهما هما بالترجع عن بعض مبدئي بلافاتسكي والتركيز على استكشاف الحياة الماصية في لمستوى السحي من خلال الامتبصار، والبحث الحديث عن المديريا

من جانب آخر، كان لأولكوت دور كبير في إعاش البودية في شبه لقارة الهندية، إذ اعتبر نفسه البطل القادم من الخارج لإنقاذ شبه القارة المحبطة

(١) Mehmet Hasan Bulut, "Theosophy and Gandhi: How Mahatma earned from occult

group", daily.sabah.com, 23 Feb 2022

من الموت لروحي في ظل الاحتمال البريطاني¹. لد، ه يزال أولكوت في نظر السريلاينكيين حتى اليوم بطلاً عظيماً وبعد وفاته عام 1907 أطلقوا اسمه على شارعين رئيسيين في مدينة كولومبو وجالي، ونصبوا له تمثالا أمام محطة قطار بالعاصمة.

بعد وفاته، امتلعت بيسانت بقيادة الجمعية في الهند، وهي ناشطة بريطانية ثورية شهدت انقلابات كبرى في حياتها من التدين المسيحي إلى الإلحاد، ثم العوده إلى الروحانيات عبر بوابة الثيوصوفيا.

كانت أني بيسانت قد تزوجت في سن العشرين من رجل دين مسيحي، ثم انفصلت عنه مع تنبها أفكاراً علمانية، واشهرت بعد طلاقها بتأييدها لتحديد النسل والأفكار النسوية والاشتراكية، ثم أصبحت المتحدثة باسم كل من الجمعية العلمية، العلمية والاتحاد الاشتراكي الديمقراطي الماركسي، وكتبت لكثير من المقالات ضد الدين والكنيسة.

في عام 1889، كتبت أني بإجراء مراجعة صحفية لكتاب "لعقيدة السرية"، وكانت حينئذ في سن الثالثة والأربعين وقد أصبحت أكثر اهتماماً بالمسمة وبصوراً من المعارك السياسية والاجتماعية، ويبدو أن الكتاب سلب عقلها، فسارعت لبقاء هيليا بلاهاتسكي شخصياً، وما لبثت أن التحقت بمعلمها في لندن، وولت طهرها للإلحاد والجمعية قابيل الاشتراكية. ووهبت نفسها للثيوصوفية.

انتقلت أني بيسانت إلى الهند في 1893، تزامناً مع أزمة اسلعت بين حلفاء بلاهاتسكي نشأ عنها انفصال لجمعية الأم في نيويورك عن المقر الثاني في مدينة تشيناي (مدارس) الهندية، وأصبحت أني هناك من أهم المصليين لاستقلال الهند.

1) Stephen Prothero. Henry Steel Olcott and "Protestant Buddhism" journal of the American Academy of Religion, vol. 63, p. 295.



نصبت بيسانت إلى "النظام الماسوني العالمي للرجال والنساء" (Le Droit Humain) وهو منظمة ماسونية أنشئت في فرنسا لتجاوز القواعد القديمة التي ترفض عضوية النساء، ثم أسست بيسانت في إنجلترا أول محضر للماسونية المشتركة (Co-Freemasonry). وكان لها دور مهم لاحقاً في تأسيس محافل إصافية للماسونية المشتركة التي تستقبل النساء، في الهند وأستراليا وأمريكا الجنوبية⁽¹⁾.

في عام 1898، أسست بيسانت في الهند الكلية الهندوسية المركزية، وكان للكلية مساهمة تأسيسها دور في تحريض أحيال من الهندوس القوميين المتعصبين. إذ كانت بيسانت (لقادمة من إنجلترا) ترى أن المدرس الحكومية تشوه اللغة الهندية والديانة الهندوسية، فعملت على تأسيس هذه الكلية لحماط على الأصولية الهندوسية "ساتانا دارما"، وحصلت بذلك على دعم كبير من من الهند الأثرياء الذين لم يحدوا على رؤية شخص إنجليزي يبدي اهتماماً بثقافتهم⁽²⁾.

في عام 1907 أصبحت بيسانت رئيسة الجمعية الثيوسوفية، وأبنت مع زملائها اهتماماً أكبر بالبحث عن المبعوث الذي سيخلص البشرية "مايتريا" وفي أبريل 1909، كان تشارلز ونستون ليدبير وهو من القادة الإنجليز لمقر الثيوسوفية في الهند عند شاطئ مقر الجمعية على نهر أديار. ولاحظ صديقاً

(1) The International Bulletin, The International Order of Freemasonry for Men and Women (Le Droit Humain), 20 September 1933

(2) أصبحت الكلية لاحقاً جزءاً من جامعة باناراس الهندوسية (BHU) المستمرة حتى اليوم، ومع ذلك الكلية ستقتصد هدام نهود القوميين في السنوات الأولى من عملها لكن بعضهم عارض لاحقاً على سرسب الهندوسية في طار الثيوسوفية وأبقى الأمر يستراخ السيطرة على الكلية من

الثيوسوفيين بحلول عام 1911



هندي يدعى جيدو كريشنامورتي، فأذهنته الهالة النورية المحيطة به كما يقول الرواية. وبين أنه ابن موظف فقير حصل على وظيفة في مقر لجمعية كان القى في سن الرابعة عشرة. متواضعًا بسيطًا يتيم الأم، ووجدت فيه بيسات المواصفات المناسبة. فأقنعت والده بأن تكون الوصي لقانوني له ولشقيقه الأصغر نينا، وأعلنت بالعمل أنه سيكون "المعلم للعالم"، واحسب المبدأ أتباعًا من الروحانيين والباطنيين من جميع أنحاء العالم

حظي كريشنامورتي برعاية فائقة. وبولى رملاء الجمعية مهمة تربيته وحمايته، ثم أنشأت الجمعية النيوصوفية في عام 1911 "نظام النجمة في الشرق" (OSE)، وهي منظمة دولية تتحد من نشيبي الهندية مقرًا لها وتتولى مهمة إعداد العالم للسير وراء المعلم العالمي. عني كريشنامورتي رنسا لها، وبسات وليديتر حماة لنظام الجديد، وفتح باب القسوة لأي شخص يقبل عقيدة الماينري. اندلع جدل كبير داخل الجمعية النيوصوفية وخارجها بشأن صحة اختيار المعلم، وكذلك في الأوساط الهندوسية والصحافة الهندية، ونشق بعض الأعضاء عن الجمعية ومؤسساتها لعدم اقتناعهم، لكن الجمعية واصلت عقد المؤتمرات والمحاضرات لتقديم الماينري القى للجمهور

في لعدم النالي لجنأ والد القى للقضاء مطالبًا بالفاء وصاية بنسبت على ولديه، وقال إنه لم يكن يعرف أنها ستؤله ابنه وتسمح لأتباعها بالسجود له وفي النهاية هارت بيسات بالقضية عند الامتئاف

انتقل كريشنامورتي إلى إنجلترا وتعلم الإنجليزية، وقام مع شقيقه بيتا بجولة أوروبية، ووقرت له الأميركية النيوصوفية الزية ماري ميليسا هودلي دودج حياة مترفة وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى شرع في تقديم سلسلة من المحاضرات والاجتماعات والمناقشات حول العالم، ثم استقر في عام 1922 في كاليفورنيا، وبدأ بتعرض في العسة بنسها لنوبات ألم نغفها حالة روحية من

الانتشاء، وسقى أتباعه هذه الحالات التي شهدتها نفعهم باسم "العملية" (process)، ومع أن قادة الجمعية عجزوا عن تفسيرها إلا أنهم عثروها من الحوارق التي ينبغي أن يتمتع بها المايتريا



آسي بنسند، صحفية جدير بل مصاحبه ربي وسلفه كونه بعد في ريد لاجند عام 1911

في عام 1925، توفي بيتيا في عمر السابعة والعشرين بعد مرض عضال، واهتز إيمان كرنشامورتي بالنيو صوفيا بعدما تلقى تأكيدات قادة الجمعية بأن صحته ستتحسن وأن بقاء شقيقه بجانبه ضروري لإكمال مهمته. حينئذ المقاش داخل الجمعية، وفي 3 أغسطس 1929 ألقى كرنشامورتي خطبة أمام نحو ثلاثة آلاف من أتباعه في مؤتمرهم السنوي في هولندا، وأعلن فيه عن "نظام النجمة في الشرق"، مؤكداً أنه اتخذ قراره بعد دراسة متأنية طوال العامين الماضيين⁽¹⁾

كان كرنشامورتي قد بلغ آنذاك سن الثانية والثلاثين، وتلقى تعبيراً واسعاً وأصبح قادراً على التفكير والمهم باستقلالية قطع علاقته بالجمعية، وأبقى

(1) "Truth is a pathless land", krishnamurti.org.

على علاقة الوثني بيسانت التي ظل يعتبرها بمثابة الأُم حتى وفاتها، كما كان دكيًا في التنصل من مهمة المايتريا بدو، إعلان الحرب على الجمعية وأعضائها، وأعاد الأموال والعقارات والأراضي المتبرع بها للنظام المنحصر، ثم بخرط فيما بقي من حياته في مهمة شخصية لإلقاء المحاضرات وتأليف الكتب باعتباره روحانيًا يسعى للسلام فقط (1).

تسبب انسحاب كريشنامورتي بأزمة هائلة داخل الجمعية لثيوصوفية، حيث أصرت كثيرًا بمؤسساتها وبالمكانة العامة لفكر الثيوصوف و كان عدد أعضاء الجمعية لثيوصوفية يُقدَّر آنذاك بحوالي 45 ألف عضو، لكن ثلثهم تمزيق عادها بعد تلك الحادثة قللت الجمعية من أسشطتها لخارجية والتحدث إلى وسائل الإعلام واهتمت بالإصلاحات لداخية، كما أجرى بعض قادتها مرجعات لأخرى من عقيدتها لامتصاص الصدمة وتقديم تفسيرات مبنولة لما حدث، وكانت الرواية المعتمدة هي مقولة لبديتر "لقد سر معي المايتريا بشكل خاطئ" (2).

نجحت آني بيسانت جرتيًا في احتواء الأزمة بسبب تعلمها الشخصي بكرشنامورتي لذي بينته في سن المراهقة، فاشترت قطعة واسعة من الأرض بالعرب من مقر لجمعية الثيوصوفية ومنحتها له كي تضمن سلامه وعدم تعرضه لأي عتداء من الأعضاء العاصيين، وأصبحت هذه الأرض لاحقًا لمقر الرئيسي لمؤسسة كريشنامورتي في الهند وفي عام 1933، توفيت بيسانت عن عمر يناهز 85 عامًا، ولقيت تكريمًا واسعًا بصفتها من المدافعين عن استقلال الهند.

(1) Mary Lutyens, The Open Door Krishnamurti Foundation Trust Ltd. 2003 p. 277-283.

(2) Mary Lutyens, p. 279.



ما كريشامورتني فصار من مشاهير العالم، وربما تصاعفت شهرته بعد قرار اسجابه بأصعاف كثيرة عما كانت قبل ذلك، واستقبلته المنظمات الدولية بصفته أحد المعتمين والحكماء الهدوس الساعين لسلام، وطن يقدم المحاضرات ويلتقي بكبار الشخصيات وبحوض النفاشات الفكرية مع كبار المفكرين والعلماء إلى أن توفي عام 1986 عن عمر يناهز 90 عامًا

٥. أليس بيلي وفوسير تروست

سعود في سردب لقصه الثيوصوفيا إلى الورا، قليلًا للتعرف على سيدة بريصانية أخرى تدعى أليس بيلي، التي يُنسب إليها الفصل في ابتكار مصطلح "العصر لحديد"، والذي صار لاحقًا اسمًا لثيوصوفيا وكل الحركات المشابهة نشأت أليس مثل أني بيمانت على الدين المسيحي، وتروحت مثلها أيضًا رجل دين وبمصلت عنه عام 1915 كانت قد استقبلت قبل طلاقها إلى أميركا، واستقرت فيها، وفي عام 1917 تعرفت على الجمعية لثيوصوفية وانضمت إليها، وسرعان ما أصبحت من أهم أعضاء المقر الأميركي، ثم تزوجت فوسير بيلي الذي كان أمينًا وطنيًا للجمعية الثيوصوفية

قبل بيمامه لثيوصوفيه، انضم فوسير بيلي في عام 1913 إلى محض تشارلز ديليو مور الماسوني، وترقى إلى الدرجة الثالثة والثلاثين، وهي الدرجة العليا التي تُكشف لمصاحبها كل الأسرار، كما ألف كتابًا أسماه "روح لماسونية" (The Spirit of Masonry) (1).

حنف لروجان "أليس وفوسير مع بيمانت التي اعتبرت مؤسسة لتيار جديد، بينما كان الروجان يحاول العودة بالجمعية إلى مبادئ مؤسستها بلافتسكي، وبنى لحلاف بمصلهما، حيث لم تستمر عصوية أليس أكثر من أربع سنوات تقريبًا

(1) "Foster Bailey", theosophy.wiki.



وصفت أليس بيلى عملها بالنايف خارج الجمعية، وكانت ترعم أن معظم أعمالها قد تم إملاؤها بالتخاطر من قبل أحد أساسة الحكمة لقديمه، وهو من رعمت بلافاتسكي أنها سقت عنه نصًا محتوي كتاب "العقيدة الصرية" وكانت ترمر له بحرفين "Master DK" وبدءًا من عام 1922 كانت بيلى تصدر كتبها بمقدمة تحت عنوان "مقنطف تمهيدي من بيان لسيبتي"، ويتضمن هذا المقنطف نصًا يُعرّف فيه عن نفسه ويقول فيه إنه معلم تيبتي يعيش في جسد مادي مثل الرجال الآخرين على حدود النيت، وفي بعض الأحيان يتراهن مجموعة كبيرة من المعلمين البوديين التيبتيين للقيام ببعض وجباته، وهو يسعى لمساعدة المعلمين الكيريين كوت هومي وموريا، مشيرًا إليهما بالأحرف الأولى فقط ¹، ويتكرر نشر هذا البيان في مقدمة 21 كتابًا على اعتبار أنها ليست سوى إملاءات منه، أما المؤلفات التي نسبها بيلى لنفسه بدون مساعدة من "المعلم التيبتي" فهي سبعة فقط.

لم تذكر أليس الاسم الكامل لهذا السيد الصاعد² لكن أتباعها يؤكدون أنه "حوال كل" (Djwal Khul)، وكان ليدبير قد ذكر أنه رأى "حوال كل" يظهر لحظيًا في غرفة كان يجلس فيها مع مدام بلافاتسكي ³، وهذه الادعاءات إن صحت فهي تؤكد أن عادة هذه الحركة كانوا يتلقون التعاليم عن شيطيين الجرج طوال حياتهم، وهم يحسبون أنهم من النجبة التي حظيت بالاتصال بكاندت إلهية وأرواح أسلاف عظماء، يسيرون الكون

بعد فصل الروحانيين أليس وفومسر بيبي من لجمعية الثيوصوفية، أسسوا منظمة جديدة باسم "لوميفر ترمست" (Lucifer Trust)، كما أطلقا على

¹ Alice Bailey, Discipleship in The New Age, Lucis Trust, 1944 vol. 1 p. vii

² C.W. Leadbeater, The Masters and the Path, Adyar Theosophical Publishing House, Madras, 1925, p. 8.



دار البشر الماشئة اسم "شركة لوسيفر للبشر" وتعرض أعضاؤها للاستقادات من المسيحيين باعتبارهم يتسببون للشيطان، فتم تغيير الاسم بحلول عام 1925 إلى 'Lucis Trust'، وما زالت المنظمة تعمل بهذا الاسم حتى اليوم ويرر أحد أتباع الثيوصوفيا اختيار اسم "لوسيفر" بأن "الروح كانا مثل المعلمة العظيمة بلاهاتسكي يكتون احترامًا كبيرًا له، وقد سعوا إلى الحصول على فهم أعمق لتصحبة التي قدمها لوسيفر كانت أليس وفوستر بيالي تلميذين جادين ومدرسين لثيوصوفيا. وهو تلميذ روحي يرى أن لوسيفر كان من الملائكة النجميين، وهي تلك الكائنات المتقدمة التي تربت من كوكب الزهرة إلى كوكبنا منذ دهور لجذب جوهر العقل إلى الإنسان الذي كان آنذاك حيوانًا ومن المنظور الثيوصوفي، لم يكن برول هؤلاء الملائكة النجميين سقوطًا في لحظة أو العار، بل كان عمل تصحبة عظيمة. وهذا هو مضمون اسم "لوسيفر" الذي يعني لغويًا حامل الضياء"⁽¹⁾.



(1) Sarah McKechnie "Descent and Sacrifice" The Beacon magazine September/October

في عام 1923 أسست ألين بيلي "the Arcane School" والتي تعي "المدرسة الغامضة"، ولها الآن ثلاث مقرات في نيويورك ولندن وجنيف، وتقدم دوروسها بكل اللغات الأوروبية الرئيسية، ويقول بياها التعريفي إنها تدرب لئاس على التأمل والخدمة لتطوير إمكاناتهم الروحية. وإن العرص من هذ التدريب هو "مساعدة الطلاب على فهم وقبول مسؤولية التعمدة والتعرف على لدور الذي يمكنهم لعبه في تطور الوعي من خلال خدمة الإنسانية" ⁽¹⁾

ومن بين البرامج التي تديرها منظمة "لوميس ترست" برنامج يسمى "المثلثات" (Triangles)، وهو مشروع آشي عبر الإنترنت لتشجيع الاندفع من الرجال والنساء الادكباء ذوي النوايا الحسنة في أي مكان في لعالم على تشكيل جماعات من ثلاثة أشخاص فقط، بحيث يندفعون على الاجتماع الافتراضي وفق جدول رمي من أجل أداء التعملات الروحية اليومية وبث الطاقة الحوية الإيجابية في العالم ⁽²⁾، ويصب البرنامج بالطبع في مصبحة المشروع لكلي وهو تهيئة لكوار التي سنخدم لما يتربا عندهما يظهر

أما أكثر مشاريع "لوميس ترست" إثارة للجدل فهي التي تجمعها بمظمة الأمم المتحدة. ففي عام 1932 أسست "لوميس ترست" برنامجاً دولياً باسم "النوايا الحسنة العالمية" (World Goodwill)، لتكون مصبة للنشاط الدولي لذي لا يحصرها في نطاق الجمعيات الدينية وعندما تأسست مظمة الأمم المتحدة أصبحت "النوايا الحسنة العالمية" مظمة غير حكومية معتمدة لدى إدارة شؤون الإعلام في الأمم المتحدة، ولها مقرات في نيويورك وجنيف ولندن، وتقيم علاقات غير رسمية مع مجموعة واسعة من المنظمات غير الحكومية الوطنية والدولية.

(1) "About the Arcane School", lucistrust.org

(2) "About Triangles", lucistrust.org.



تماحر المنظمة الأم أيضًا من صندوق "Lucis Trust" مدرج في قائمة المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة، وتعلن أن "منظمة البويا الحسنة العالمية تؤمن بقوة بضرورة دعم الأمم المتحدة باعتبارها الأمل الرئيسي لمستقبل البشرية"⁽¹⁾

ووفقًا لصفحة التعريفية بمنظمة البويا الحسنة في الموقع الرسمي لمنظمة الأم "لوميس ترست"، فالعالم لا يعيش الآن فقط مرحلة الإعداد لحصاره وثقافة حديده بل أيضًا "لمحيء نظام روحي حديد"، كما يقول الموقع "لبوم"، يتوقع الملايين ظهور المعلم العالي، المسيح، ليس فقط من قبل أتباع الإيمان المسيحي ولكن من قبل أولئك من كل دين الذين يتوقعون ظهور الأفتاتار تحت أسماء أخرى اللورد مايتريا، كرشنا، المسيح، الإمام المهدي والبوديسنتا

ثم يوضح الموقع أن هناك سوء فهم يحيط بهذه "لحقيقة"، وأنه لا بد من إعداد أشخاص من ذوي البويا الحسنة لإدخال قيم جديدة للتعبش ولتعاون والسلام وعندها يظهر المعلم العالي من يلتفت إلى أخطاء الماضي من سيعمل على توفير متطلبات الحصار الجديدة وإعادة تنظيم البنية الاجتماعية

ويحمل موقع المنظمة بالكثير من المقالات التي كتبها أليس بيلي ومطروم "حرون"، وهي تؤكد في العموم على ضرورة الاتحاد الروحي في العصر الجديد، وتتفاءل كثيرًا بدور الأمم المتحدة في تحقيق أهدافها

توفيت أليس بيلي بأوجح عام 1949 في نيويورك، وكان عمرها 69 عامًا، في أنها شهدت نشوء الأمم المتحدة في بداياتها، لكن أتباعها في المنظمة هم الذين واصلوا المهمة وقد تركت مؤلفاتها أثرًا أكبر من غيرها في الجمعية لثبوصوقية التي طردتها، إذ كانت أليس حريصة على الانفتاح خارج حدود لجماعة وتقديم أفكارها بشكل يتقبله الآخرون، ونجحت بالفعل في دمجها بالمسيحية نفسها،

(1) "World Goodwill", lucistrust.org



معتبرة أن المسيحية والاديان الأخرى كلها تسطر المسيح المحلّص، وأن المطلوب هو تحيى البشرية كلها بالمحبة والدعوى والامسحود لحروج هذا المحلّص أي كان اسمه، فمع أنها كانت تؤمن بأن المحلّص سيكون نفس الكائن الروحي (ماينريا) الذي وصفه بلافانسكي وسيساب إلا أنها لم تقيد نشاطها بمطالبة كل بشرية بالتعرف على صفاته من خلال طائفة محددة (التيوصوفيه)، بل كانت تكتفي بدعوة تنسج كل الطوائف للعاشق في سلام، معتقدة أن البشرية مشتركة في النهاية أنها كانت تنتظر الماسريا ولكنها تفرقت إلى طوائف محسمة بتراكم الأخطاء على مرّ القرون.

استعرت شركة "لوسيس برست" بإصدار مؤلفات جديدة لأليس بيبى بعد وفاتها، وكان معظمها كما أسلفنا ينسب إلى "المعلم لتيبي"، ومن بينها كتب بعنوان "إخراج التسلسل الهرمي" (The Externalisation of the Hierarchy) المنشور عام 1957، والذي يبدو أن أليس كتبه في أيامها الأخيرة، فهي تسعير في العوالم الروحية المؤثرة على المشهد العالمي ما بين عامي 1919 و1949، وهو العام الذي توفي فيه، حيث شهدت السنوات الأخيرة بدلاع الحرب العالمية الثانية بكل ما فيها من مأساة، والتي نعروها أليس إلى نقص المسؤولية في الإرادة البشرية الحرة بالرغم من كل الفرص التي قدمت من قبل "التسلسل الهرمي" لتفادي الصراع، فهي تؤكد على أن لكائنات اللعب كانت حريصة على منع البشر من القتال لكنها لا تنهك حريتهم إذا أرادوا ذلك بأنفسهم.

المهم في الكتاب أن أليس وصفت خطة رسمية واصحة للمستقبل، وذكرت فيها أن "عام 2025 سيكون على الأرجح التاريخ الذي تم تعيينه للمرحلة الأولى من إخراج التسلسل الهرمي"⁽¹⁾ ومع أن هذا الطرح جد، بعد حوالي ثلاثة عقود

1 Alice Bailey, The Externalisation of the Hierarchy, Lucis Publishing Company, p. 531

من انسحب كريسشامورتي من حطة إعداده ليكون المابتريا المنتظر. إلا أنها أعادت بعض الاعتبار لأبغ الثيوصوفيا وسحبهم المريد من الوقت

٥٠ جماعات أخرى

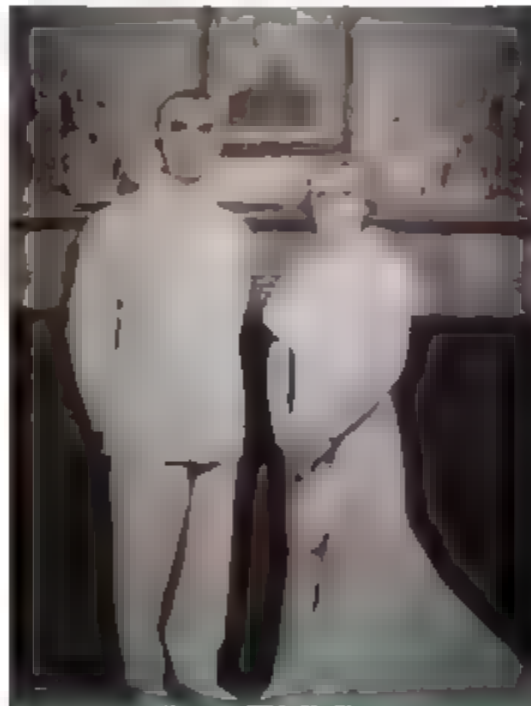
ذكرنا سابقًا أن كريسشامورتي انسحب من مشروع المديتريا في أواخر العشرينات، مما أصبح كثيرًا بسمعة الثيوصوفيا ودفع شريحة واسعة من أتباعها لتخلي عنها. ومع ذلك، كانت فترة الثلاثينات من القرن العشرين حافلة بأفكار وبسوءات حركة لعصر الجديد، ففي بداية هذا العقد ظهرت حركة جديدة في شيكاغو باسم "النشاط أنا" (IAM" Activity Movement)، على يد جاي بالارد وزوجته إديثا بالارد، وخلال أقل من عقد وصل عدد أتباعها إلى مليون شخص.

ستعداد الروحان من رث بلافانسكي، ورغمًا أيضًا التواصل مع منتبين من "السادة الصاعدين"، وإملاء آلاف النصوص عليهم، كما قدمت الروجة إديثا عملها الإملاء أمام الجمهور في عام 1942 ولعل أهم ما يميزها هو نقل أفكار الثيوصوفيا من الوسط الفكري إلى النشاط الاجتماعي، ولعليها على الأوتار الوطنية والقومية والطائفية لاكتساب شعبية، فمن بين مني سيد صاعد رغمًا التواصل معهم رُجر لروحان على الكونت دي سان جيرمان، وأسسوا دور نشر باسمه لنشر الكتب، فقد كان من منهي إعلان استقلال الولايات المتحدة ودستورها، مما أكسب الحركة صفة وطنية، واعتبرا أيضًا أن المسيح من سادة الحكمة، وقدما الكثير من مبادئ الحركة في قالب مسيحي، مما ساعدهما على اكتساب شعبية لم تحظ بها الثيوصوفية

كان الخطب السائد بذلك أن "جماعة الإحسان لبيضاء" قد نخذت جراءة عالمي بدعوة الناس علنًا إلى الاستعداد لظهور المديتريا، وأن لتعاليم التي ظلت حبيسة جدران الجمعيات السرية -كالماسونية وغيرها- منذ آلاف السنين



قد نأوس كشفها للجميع وأصدر جاي بالارد بحث الاسم المستعار أسالك
 عودفري ري كيغ- في أواخر 1930 كتبه "الأسرار المكشوفة" (Unveiled
 Mysteries)، الذي رعم فيه إجراء حوار مع الكونت دي سان جيرمن ليحدث
 القراء عن حياته الماضية في أتلانتس، ويحاطبهم بقوله "أحيائي أبناء الأرض،
 أسم تصفون على عبدة العصور بأنها مضوح من قبل عظماء الحب الذين
 يدعويكم دائماً ليمشي بوعي إلى جانبهم في نور"¹.



جاي والبالا - وحلفا صو - نسخة مصححة من جيرمن (Vaivasvata Wikimedia)

توفي جاي بالارد في أواخر الثلاثينات، ولحققت به زوجته بعد بضع سنوات،
 لكن الحركة ما زالت نشطة حتى اليوم، كما ألهمت أحرار لسير على نفس
 الطريق، ومهم الأميركية جيرالدين بوسنت، التي أسست في عام 1951 جماعة

¹ "Great White Brotherhood - Brotherhood of Light" ascensionresearch.org

باسم "الجسر إلى الحرية" (The Bridge to Freedom) وكررت فيه نفس خطاب التوصل مع السادة الصاعدين، وقالت إن موريا كان يتوصل معها منذ 1944، ثم خصعت لسنوات من التدريب والتبشيرة حتى أصبحت مؤهلة للإملاء، وصارت تتواصل حسب رغبها مع ماها شوها وسان جيرمان

من المتأثرين أيضًا بحركة "النشاطات" الأميركية ماركوس لاين الذي ادعى أنه نبي مُرسَل من "السادة الصاعدين"، وسمي في العاصمة واشنطن منظمة "منارة القمة" عام 1958

سعى ماركوس بنفسه "مارك النبي"، وروج إليزابيث كلير التي أصبح اسمها إليزابيث النبي ونسبى نظريات المؤامرة التي تشكك في الحكومة الأميركية باعتبارها تعمل ضد مشروع التنوير الذي يسعى إليه "السادة" وحث في استقطاب آلاف الاتباع، وانتقل إلى قصر قديم في فيرجينيا ليصبح مقرًا للمنظمة، وأسس دروسًا وأكاديمية لتدريب الأتباع ومدرسة لأطفالهم

رغم "مارك النبي" كأسلافه الاتصال والإملاء من المبداء، ومن موريا وسان جيرمان بحديثاً، وفي عام 1973 تركاً القيادة لزوجته التي كانت في سن الثالثة والثلاثين. هرغمت أن مارك صار بنفسه واحدٌ من "السادة"، وألفت المزيد من الكتب التي قالت إنها كانت بيملاء "كوت هومي" وغيره من لسادة، كما رعمت تلمي الوحي من المسيح الذي وحه بتغيير اسم المنظمة إلى "الكنيسة العالمية المنتصرة" (Church Universal and Triumphant)، وصار تباعها يطبقون عليها اسم الام باعتبار أنها في مرتبة مريم لعدراء

تحولت "الكنيسة العالمية المنتصرة" إلى طائفة معلقة (cult)، وصارت مهووسة بالاستعداد للحرب النووية مع الاتحاد السوفييتي، وفي أواخر الثمانينات بدأت بتحريض الأسلحة النارية والمواد العدوانية ومعدات السجدة عتفادًا بأن المجتمع الأميركي سيهزم ونعم الموصي وطول عقد لثمانينات



كانت الجماعة تواجه مشاكل مصائبه وتهجمات بالاحتيل والاستر وعسيل عقول الاتباع، وبحجت إليرايث بتوظيف هذه المصاعب في إقناع أتباعها بأنهم المنة لمختارة لإنقاذ البشرية. وتقول بعض المصادر بها تلبت بأن يوم 15 مارس 1990 سيكون يوم الصرية السووية السوفيتية. فقصى آلاف الأعضاء ليه داك اليوم في المنح الذي حصصوه لذلك، وفي صباح اليوم التالي انفصل نحو ثلث الأعضاء عن الجماعة إثر فشل النبوءة. وذلك بعدما استقالوا من وظائفهم وألقوا مدحراتهم على شراء ممنوعات لئلا يتم تمويل مشروع الجماعة ونشير بعض المصادر إلى أن إليرايث لم تنسأ بوقوع لحرب على وجه اليقين. وأنها أمرتهم فقط بإجراء التدريبات في المنج. وأكدت لأتباعها أن الهجوم السووي لم يتحقق لأن صلواتهم رجعت في منع وقوع الكارثة. ثم حدثت نبوءتها وصدت فترة الاستعداد 12 عامًا¹، وقالت لصحيفة التيمر، الصحف شوهت تصريحاتها وبسبب إلها، لتنبؤ نهاية العالم، مصيفة "حتى لو كانت هناك حرب نووية، أعقد أنا قادرون على النجاة منها لا اعتقد أنها نهاية الكوكب"².

واللافت أن عالية الأعضاء تمكنوا، من اجتناب لتحديات وظنوا مؤمنين بقدراتهم³، وفي عام 1996 انسحبت إليرايث من القيادة بعد معاناتها مع

1. Enn Prophet & Susan Palmer "Church Universal & Triumphant Summit Lighthouse" wldrels.org

2. Elizabeth Clare Prophet dies at 70, former leader of religious sect. laumes.com 19 October 2009

3. في مطلع عام 1956 صدر في أنولاب المنجده كتاب بعنوان "عندما تقتل النبوءة" (When Prophecy Fails) للمؤلفين الثلاثة بيون هيسنجر وهري ركن ويسلي شانشير. وهو خلاصة لدراسة جروف في الخفاء عندما تمكنوا مع فريقهم من اختراق مجموعة نبوية معقدة (C/CE)



بوبات الصرع، وتولى العصو عيليرب كليرباوت القيادة اشقى بعض الأعضاء وأسسو جماعات أخرى مشابهة بدعائهم أهم الرسل الحقيقيون للسادة الصاعدين، بينما واصل كليرباوت مسيرة الادعاء بتنفي الوحي من السيدة لعذراء مريم ويسوع المسيح وسان جيرمان

أصبحت إليربيث لاحقاً بمرص ألرهaimer، وتوفيت في عام 2009 عن سبعين عامًا وحُصت خمسة أساء رفضوا جميعًا محاولات أهم باقصدعهم بتولي ماصب في الطائفة فصلًا عن قيادتها، بل أعلن أحد أسائها الإلحاد، كما كتبت انتها لكبرى يريس كتابًا عن قصة الطائفة التي أسستها أهم معتبرة أنها مجرد حرافة ومع ذلك، ما يرل هناك من يؤمن بتلك الطائفة حتى اليوم، ويعتقدون أن إليربيث أصبحت من السادة الصاعدين، وأنها مرت بسلسلة من التماسخ في مراحل سابقة وكانت هي نفسها بمرتبي في مصر القديمة، ثم هيباتيا فيلسوفة الافلاطونية الحديثة في الإسكسرية في القرن الرابع الميلادي، وكذلك إميرطورة السمس إليربيث في القرن الثامن عشر، إصافه بل تحسيدات حري⁽¹⁾

بالسوري مع كل الجمعيات والحركات السابقة المؤثرة بالثيوصوفيا، كانت هناك جماعات باطنية أخرى تعتمد السحر مهبًا علميًا وصوريًا، وتركز على ممارسة لطقوس الشيطانية أكثر من اهتمامها بالجانب الفكري وبالاستعداد

ظهرت في شيكاغو، وكانت صاحبتها دوزوي مارن برعم بلعها الوحي من "السادة الصاعدين" في كوكب يدعى كلاريون، وأقبع تباعها برب وطائهم وأملاكهم في استغار المركبة المصفيه التي ستأني لانسبهم قس دما. العالم اهتمت الدراسة بمحاولة فهم ربود افعال التبوع عندما يشن البيوة، ويبس مظاهره "السافر المعرفي" دفع الكثر مهم إلى تبادل العلم البصري فيما بينهم مقاومة بصفط الداخلي بالبحي عن معتقداتهم وتعليل أنهم الإنكار كما يندفعون بحماس لمشيير ومحاولة نشر معتقداتهم "ملا في إردباد معتقها كي يشعروا بها صحيحة، وفي الوقت نفسه قلن البعض يحدون في مرحلة حبية "من مؤلة، يعقها المعلي عن الجماعة ومعتقداتها

(1) "E zabeth Clare Prophet" encyclopedia.summidighthouse.org

لعصر جديد، تفوده كائنات بورسية وفي السنة الذي أسست فيها ملافنسكي جمعيتها، وُلد في لندن أليستر كراولي، الذي يُعد أشهر السحرة في العصر الحديث.

نشأ كراولي في عائلة مسيحية متدينة، وتوفي والده وهو في سن الحادية عشرة، فوُث منه ثروة صغيرة وسُطلق في بداية شبابه لممارسة هوياته ومغامراته المتمردة، على الدس والمجتمع كان يجاهر بالشذوذ الجنسي، الذي كان جريمة في بلاده آنذاك. وبممارسة كل الموبقات في دور للدعارة، ثم قاده المصنول لتعرف على الحميماء والسحر والتنجيم فوجد فيها مَرده

انضم إلى جمعية "لمجر الذهبي" (Golden Dawn) السحرية وأصبح من قادتها، وتصمم أيضا إلى منظمة سرية ماسونية تدعى "Ordo Templi Orientis" وتمكن من السيطرة عليها مع بعض زملائه ومع ترقيه في عالم السحر ادعى في عام 1904 الاتصال بكيان حرق يُدعى أبوس، وقال إنه أُملي عليه كتاب يدعى "الفايوس"، وهو الكتاب المقدس لدين جديد سماه "ثيسما" (Thelema)، الذي يمجّد الإله "حورس" أحد آلهة المصريين القدماء، وكان كراولي يرى نفسه بي هذه الديانة ورسول حورس في هذا العصر

أعلن كتاب الفايوس أن على الأتباع إطلاق العنان لشهواتهم كي تتواءم نفوسهم مع إرادتهم الحقيقية، وهذا يتطلب أحيانا ممارسة "السحر الاحتفالي" الذي يتضمن أشنع أشكال العريضة، بدءا بالرب واللواط ووصولاً إلى تقديم القرابين البشرية

كان كراولي شيطانياً للعبة، فتجول في أنحاء أوروبا وأمريكا ومناطق واسعة من أفريقيا وشرق آسيا، وحيثما حل كان يمارس طقوس "السحر الاحتفالي" وينتسب من كتابة الشعر والمقالات والرسم، كما استعانت به المخابرات البريطانية لتتحمس في الحرب العالمية الأولى، لكنها رفضت عرض خدماته في

الحرب لثانية، وتوفي عام 1947 في لندن بعدما أهك جسده من إدمان المخدرات والجبن

يُعد كراولي مثالاً لجماعات كثيرة «ستمدت من بعض أفكار بلافانسكي واطلقت للعوص في السحر والعريضة إلى الحدود القصوى، لكن بلافانسكي كانت تصر على الذي سقمها وجمعيتها عن الممارسات السحرية، بل كان من أهم مبدئيّ لتشيته في مدرستها التفشيف والسيطرة على الشهوات، كما ردت في مجلتها "لوميسمر" على بعض رسائل القراء المتسائين عن الممارسات السحرية والحواريق باعتبار أنها ليست ضرورية، وأن "المسدة الصاعدين" قد يُظهرون بعض العجائب إذا دعت الحاجة، وللمريد من المقاربات بين لتيارين يحيل إلى مقال نشره أحد أتباع بلافانسكي في مجلة "التيوصوفي الأمريكي" عام 1978¹

* انتعاش الروحانيات بعد الحرب

بعد الحرب العالمية لثانية، اكتسبت الأفكار الباطنية لمريد من الشهرة في الدول الغربية، ولم تعد مفتنصره على المهتمين بالأديان ولغموص، حيث شاعت بين الشباب الأفكار الهدامة والشكوكية وروح الاهرامية، وبعالت أصوات ببد الحصار لمادية والعودة إلى الطبيعة بحثاً عن السلام، وتوفقت هذه البرعات جرنها مع بعض معتقدات "العصر الجديد"

وفي ستينات القرن العشرين، بلغت "الثقافة المضادة" (Counterculture) وحركات "الهيبيز" (H pp es) ذروتها مع خروج حشود من الشباب الأمريكيين إلى الأرياف وتجربة نمط الحياء البدائي، والذي كان يعتمد على الإباحية، وحتى المشاعية الجنسية، ونعاطي عقاقير الهلوسة أثناء ممارسة التأمل، فوحدت أفكار حركة العصر الجديد في هذه الفترة بيئة حصية للانتشار

() David Rege. "Theosophy and the Golden Dawn" The American Theosophist vol 66.

June 1978, p. 155.



وانتشرت في تلك الأجواء فكرة النهييد لعصر الدلو، وهو العصر الجديد المتظر، الذي ستشهد فيه البشرية الوفرة والنعيم والتوير الروحي. وستعيش وفقًا لموايى كوية تتخلص من كل الأديان والمعتقدات السابقة، وتسد كل اسباب العرقه والصراع والحروب⁽¹⁾ وكانت مؤلفات أليس بيبي من أهم المصادر الشعبيه لترويج هذه الفكرة. ومها كتاب "عصير الأمم" (The Destiny of the Nations) الصادر في سنة وفاتها 1949

في أواخر الأربعينيات أيضًا بدأ انتشار شهادات يؤكد أصحابها أنهم شاهدوا أجسامًا طائرة مجهولة (UFOs)، أو تواصلوا مباشرة مع كائنات غير بشرية. وقد يحدث ذلك بعد الدخول في حالات "ما بعد الوعي" -عبر التأمل أو تعاطي عقاقير الهوسه أو من خلال تعرضهم للحطوف، أو بالمشاهدة والملاحظة فقط

فسرت هذه الظواهر لدى البعض بأن الكائنات لمصنعية الأكثر ذكاء قد بدأت بالتواصل مع البشر لتسرّع مرحلة انتقالهم إلى "عصر الدلو"، ولإنقاذهم من الإبادة بعدد حدث تفجير قبيلتين نوويين في هروشيما ودياغراكي، وشأن بذلك طوائف دينية متعددة اصطّح على تسميتها "بأديان الاجسام الطائرة المجهولة" (LFO religion)

من أهم الجمعيات التي تمثل هذه الطوائف "جمعية أثيروس" (Aether us Society) التي تأسست في منتصف الخمسينات، وكان الباطني لبريطاني بيامين كريم (Benjamin Creme) من قادتها. إذ يعتقد أعضاؤها أن كواكب النظام الشمسي مأهولة بالحياة لكن في البعد الأثيري الذي لا يمكن أن نبصره، وأن من بين سكانها كائنات روحية متقدمة يُطلق عليهم اسم "لسادة

(1) Gordon I. Meiton, New Age Transformed Director Institute for the Study of American Religion, 14 June 2006.



الكويين" و"الآلهة" و"لمادة الصاعدين" و"مادة الحكمة"، وقد اختار بعضهم في الماضي أن يولدوا بينا في أجساد بشرية من أجل التعليم والمساعدة، ومهم يسوع المسيح وبود، وسري باناجالي (مؤسس اليوغا في القرن الثاني قبل الميلاد) وكوموشبوس، ولانومي (مؤسس لطوبه) ⁽¹⁾، وغيرهم كما سيأتي لاحقاً

وبحسب بعض هذه الطوائف، يتطلب دخول الارض في دورة بطورية جديدة المراد من الكوارث، كالزلازل والفيضانات والأوبئة و لحروب، في لوقت الذي تحرص فيه النخبة (أتباع حركة العصر الجديد) على التأهيل النفسي والروحي لتحقيق شروط الاصطماء، فهي التي ستعطى بالحمية خلال مراحل التدمير لتتجو وتغير إلى عصر النعيم ⁽²⁾، ويظهر أثر الأفكار لثيوصوفية في هذه الطوائف، ولا سيما كتب أليس بيلي.

وكان بيامين كريم قد أعلن منذ أواخر الخمسينات اتصاله الروحي مع "السيادة الصاعدين"، وفي التسعينيات أسس شبكات اجتماعية لممارسة التأمل بشكل جماعي، ثم أعلن في عام 1977 أن مايتريا قد بدأ عمله الخرجي المتجسد، ثم عقد مؤتمراً صحفياً في لوس أنجلوس عام 1982 أكد فيه أن مايتريا يعيش متخفياً بين الجالية الهندية في لندن، وأنه سيكشف عن نفسه لو أثبتت وسائل الإعلام حذيتها بالبحث عنه، وأسس في السنة نفسها مجلة باسم "Share International" لترويج أفكاره، وظل طوال الثمانينات والتسعينات يسعى لجذب اهتمام كبرى الصحف والمصوت وقاعهم بأنه يتواصل مع مايتريا وأن الأخير قد أوثق على الظهور

(1) "What we believe", aetherius.org

(2) "عصر اللو وبروغ فجر عصر جديد" موقع www.arjunnerself.com



لم يؤخذ كُريم على محمل الجد بالرغم من نشاطه الخبيث، وكان من أكثر ادعاءاته قصة ظهور المايترما في هيئة رجل يرتدي ملابس بيضاء بين أتباع كنيسة مسيحية في بروبي عاصمة كينيا، حيث أعطاهم مباركتة واختص، وما زالت صور هذا الحدث معروضة على موقع لمجلة الني أمسيه^{١٠}، إلى جانب صور أخرى عن ظهور الاجسم الطائرة المجهولة وأصو، برافة في أماكن مختلفة من العالم، وهي حوادث ظل كُريم يفسرها على أنها من علامات وجود مايترما بينا وفي عام 2016 توفي بنيمين كُريم في سن الثالثة وتسعين وهو متمسك بأرانه

وإلى جانب المنظمات والطوائف السابقة، ظهرت في القرن العشرين أيضاً جماعات أخرى لا تؤمن بضرورة حدوث كوارث عظيمة لتدمير الحضارة والدخول إلى عصر الجديد، بل اعتبرت أن العصر الجديد موجود بالفعل، وأن اكتشافه قد يحدث بتجربة فردية، مع سعيها في الوقت نفسه لتأسيس مجتمعات مثالية طوباوية، كما هو حال مؤسسة فيندهورن (Findhorn) التي تأسست في أسكتلندا عام 1962، وما زالت حتى الآن تستقطب الأتباع من أنحاء العالم لتجربة نمط العيش الموافق مع هذه الأفكار

من جهة أخرى، انتشر الكثير من الممارسات والأفكار الروحية لعبودية خارج الجماعات السابقة، وخصوصاً لدى المهتمين بممارسة اليوغا والتأمل وتقنيات العلاج بالطاقة بتجارب فردية أو جماعية، فقد لا يؤمن أحدهم بفكرة "عصر الدلو" وانتظار الخلاص، لكنه يصيف بعض المعتقدات والممارسات السابقة إلى عقيدته الأصلية ونمط حياته، سواء لاعتماده بأنها

١٠ ظهر الرجل الغامض حدث على أنه للمسيح لكن كُريم دعى أنه المايترما، وأشيع ذلك عصب

المسيحيين الإنجيليين في أمريكا الذين كانوا في أوج قوتهم هناك وعبرو كُريم عميلاً سدجال

(عند المسيح)



مفيدة صحياً وبمسياً. أو ملء الفراغ الروحي في حياته، أو فقط لموكبة العادات الشائعة

٤. روحانية بلا دين

في أواخر عام 2018، نشر مركز بيو للأبحاث دراسة بعنوان "معتقدات العصر الجديد شائعة بين الأميركيين المنديين وغير المنديين"، وقال فيها إنه بالرغم من أن معظم البالغين الأميركيين يعرفون أنفسهم على أنهم مسيحيون، فإن الكثير منهم يهتمون أيضاً بمعتقدات "العصر الجديد". بل يشاركونهم في ذلك غير المنتمين للأديان أصلاً (1)

وبحسب لدراسة، يؤمن 61% من المسيحيين الأميركيين بواحدة على الأقل من لمعتقدات لرئيسية لحركة العصر الجديد، وهي تناسخ الأرواح، ولتنجيم، والوسطاء لروحىون، ووجود الطاقة الحيوية في الأشياء المادية مثل الجبال والأشجار، والمعتقد الأخير هو الأكثر شيوعاً

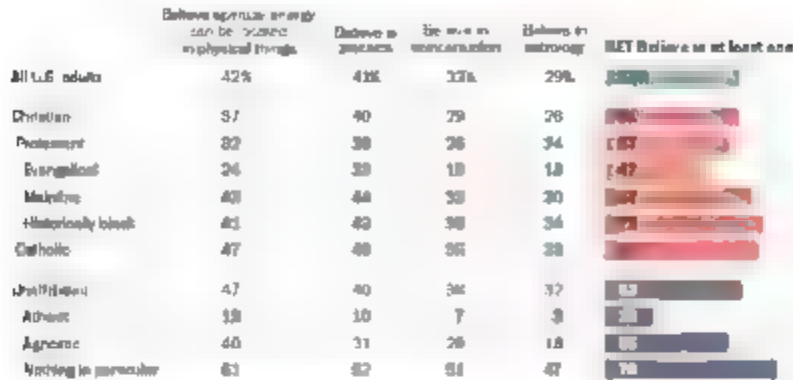
وبلافت في الدراسة أن 22% من الملحدين الأميركيين يؤمنون أيضاً بواحدة على الأقل من تلك المعتقدات، أما النتيجة الأكثر عربة لهذه الدراسة فهي اعتراف 56% من اللاديين (وهي تشمل اللاديين) بإيمانهم بوحدة على الأقل من المعتقدات الباطنية، كما تبلغ نسبة اعتناقهم لفكرة وجود الطاقة الحيوية في الأشياء المادية 40%، مقابل 37% لدى المسيحيين

وبالمجمل، يؤمن 62% من البالغين الأميركيين بواحدة أو أكثر من معتقدات حركة العصر الجديد، ويأتي على رأس هذه المعتقدات الإيمان بوجود الطاقة الحيوية الذي يعتنقه 42% منهم

(1) "New Age beliefs common among both religious and nonreligious Americans."

www.pewresearch.org, 1 October 2018.

Six-in-ten Christians, 'wones' hold at least one New Age belief



PEW RESEARCH CENTER

ولستنتج من هذه الإحصاءات أن الباطنيّات الجديدة نجحت في احتراق عقائد غالبية المسيحيين الأميركيين بالرغم من التعرض لشديد هيم بيها، فالكثير من الناس لا يتعمّقون في معتقدهم الدينيّة الموروثة ولا يكتفون لاحتمال نشوء هذا التعارض، وفي حال شعورهم بالتعارض وهذا يسمى في علم النفس بالتناقض المعرفي- فمن يجدوا صعوبة كبيرة في الجاهل، إذ تعب مصاهيم اللاادنية واللاكترنية لدى الكثير من الشباب في الغرب اليوم عندما يتعلق الأمر بالدين والمعتقد.

ستنتج من الدراسة السابقة أيضاً أن حركة العصر الجديد نجحت في تقديم لبديل الروحي للمسيحية لدى أكثر من نصف الحارّجين عن نطاق الأديان، بر تمكّنت من قناع أكثر من خمس المنحذين بأنّ المادية لا تفسر كل شيء.

في صيف 2021، نشر موقع "ذا كونفيريشن" (the conversation) مقالاً لأستاذتي علم الاجتماع ميري إدغيل ووبي كادج، جاء فيه أن 35% من جيل الألفية برون أنفسهم غير متمين لأيّ دس، و أن الأميركيين أصبحوا أكثر قبولاً

لأشكال بديلة من الروحانية، وأقل ثقيلًا في الوقت نفسه للإلحاد المطبق . وهذا يعني أن الروحانيات البديلة التي تقدمها حركة العصر الجديد توفر بديلاً مقبولاً للشباب الذين يتحلّون عن المسيحية، قبل سقوطهم في هوة العلمانية المادية

في مقابلة أجريت مع الكاتب البريطاني آلان مور، وهو من معتقي العقائد الباطنية والسحرية ويُعد من أشهر مؤلفي القصص والافلام الخيالية المليئة بالسحر، قال إنه يشعر بالملق عندما يرى مئات الآلاف من لبالعين يصطفون أمام دور السينما لمشاهدة أفلام الأبطال الخارقين. يد كات هذه القصص تُكتب قبل 50 عامًا لترويه عن الاطفال في سن الثانية عشر، أما في عام 2016 فكانت سنة من أفضل 12 فيلمًا من حيث الإيرادات هي أفلام الأبطال الخارقين، لأن الكبر يهاجمون على مشاهدتها، ودلت في الوقت نفسه لذي صوت فيه غالبية البريطانيين للانحباب من الاتحاد الأوروبي بسبب السعاية والشائعات، واعتبر مور أن الناس أصبحوا يتهربون من مشاكلهم بمحاولة إيجاد حلول مبسطة ومثيرة (2).

أعتقد أن هذا التصريح يكشف عن جوانب حمية من الجيل، فقائله يقر بأن اهتمام الكبر بالأساطير لن يكون شيئًا مفيدًا للمجتمع، حتى لو كانوا يسركون أنها قصص لتسلية، وهذا مع أن مور نفسه ممن يعملون على نشر المعتقدات السحرية ولباطنية في إطار ترفيهي، وهو الذي قال أيضًا في لقاء

(1) Penny Edger Wendy Cadge What Harvard's humanist chaplain shows about atheism in America www.theconversation.com, 24 September 2021

(2) Tom Grater Alan Moore Gives Rare Interview 'Watchmen' Creator Talks New Project 'The Show' How Superhero Movies Have 'Blighted Culture' deadline.com, 9 October 2020.

لمحة "لخماسي" (Pentacle) الخاصة بتأديع الطوائف السحرية إن الإله الأفعى "جنيكوس" هو "خمسعة" كبيرة إلى درجة أنها كافية لإقصاعه بتكرس نفسه لها، كما أقر بأنه يحتفظ في منزله بمذبح لعبادته¹



منصوب بيند و-ماتر يسبح من الطائفة السحرية وأنه نفيه تلك كتب لـ آل مور

¹ Ethan Doyle White. Occult World of Alan Moore. Pentacle. Summer 2009

٥٥ إعادة الإحياء

ساد الاعتقاد في نهاية القرن العشرين بأن الروحانيات الحديثة لم تكن سوى "موضة" عابرة تشكلت على يد الجيل الشاب الذي عانى من صدمة الحرب وتبعاتها، وأن شباب "الهيبيز" الذين خرجوا إلى الأزياف والعبات أو تجمعوا في حفلات الموسيقى والمحدرات لم يفتحوا في اسقطب الاحيال الفالية. فسرعد ما عاد معظمهم إلى المكاتب والمصانع وحرطوا في المنظومة الرأسمالية لتأمين أسباب لرزق ومواصلة الحياة

ومع أن ظاهرة الهيبيز، بحسب الفعل، لكن حركة العصر الجديد أعدت تشكيل قواعدها وعادت إلى المجتمع بصورة أقوى من السابق، فلم يعد الأمر يتطلب الانسحاب من الواقع إلى عالم طوباوي، بل يمكن أن نجد في الجامعات ومكاتب لشركات الكبرى طلائع ومواطين بحمهور بين النجاح المهني وبين اعساق فكرة اسطار "عصر الدلو"، او مدرسة بعض الشعتر الباطنية والوثنية والشيطانية، وربما على الأقل الترتن ببعض الرموز الباطنية واصافة لمسة منها لنمط حياتهم اليومي.

ومن الأمثلة التي أشرت الكثير من الجدل، قصة وفاة مؤسس شركة "بيل" ستيف جوبر الذي تأثر بالبودية في شبابه، وظل وقت لبعض أفكارها طول مسيرته المهنية والعسمية الناجحة، فعندما أصيب بالسرطان -وهو على رأس أعلى شركة في لعالم- امتنع عن العلاج الكيميائي ولجأ إلى فلسفة الماكروبيوت الشرقية، حتى توفي وهو في السادسة والخمسين من عمره مع أن إصابته كانت قابلة للعلاج^(١) والماكروبيوتك هو نظام عدائي يعتمد على تجب ساول معظم المتاحات الحيوية، ويستمد فلسفته من الطاوية وغيرها من روافد حركة العصر الجديد.

(١) سيف جوبر خُر العلاج الجرمي للعسرطان لم أشأ أن يفتح جسعي، موقع العربية نت، 21 أكتوبر 2011

وتعد تقنيات العلاج بالطاقة من أهم مبادئ انتشار حركة **العصر الجديد** حاليًا، ففي العقود الأخيرة ظهر المريد من هذه المدارس العلاجية بالرغم من كل ما تتعرض له من تنقادات علمية، ومنها مثلاً نصية "أكسس بارز" لمؤسسها لأميري غاري دوغلاس، ومدرسة "برانا هيلينج" التي أسسها القلبيني تشوا كوك سوي في التسعينات.

من جهة أخرى، تنتشر أفكار المثقف ومقاومة الرعة الاستهلاكية فيما بين أتباع حركة **العصر الجديد**، لذا نشأت بعض مجموعاتهم في لعرب مدارس خاصة لتعليم الأطفال خارج المنظومة السادسة، كما يسعى بعض ناشطهم لإدخال مبادئهم الروحية تحت مسميات الحفاظ على الطبيعة والتنمية المستدامة في المقررات الدراسية أو في البرامج التعليمية المساندة، لكن هذه الحركة أصبحت هي نفسها هدفاً للسوق الرأسمالي، كما أعيد دمج بعض أفكارها ومبادئها في منظومة السوق

وهو يدركها بكتاب عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية"، الذي يشرح فيه كيف ساعدت الأخلاق البروتستانتية في ظهور الرأسمالية الجديدة، انطلاقاً من ربط السعي إلى العلاج الأخروي بالنجاح الدنيوي.

وبلطريقة نفسها، نجد المنظومة الرأسمالية اليوم في الأفكار الباطنية سوقاً استهلاكية هائلة، فتقدم من خلاله ثقافة جديدة للسعي وراء النجاح، كما في برامج التنمية البشرية والحمير، وتحقق منه أيضاً أرباحاً ضخمة تنوع بين برامج التدريب والأفلام والموسيقى والمنتجات الخاصة بسطة الحياة الموفق لهذه الثقافة

وكما نجحت الرأسمالية في دمج المسيحية وأديان أخرى في منظومة السوق، حتى أصبحت لكنائس ودور العبادة الأخرى تباع منتجاتها وخدماتها،

فقد نجحت أيضًا في تسويق حركة العصر الجديد وبحول الكثير من أباعها إلى مستهلكين في الأسواق الروحية الجديدة، حتى صار من الشائع تخصيص



شوارع وأرقة في وسط المدن لغربة الكبرى لعشاق هذه الثقافة، يظهر فيها الطابع السائد للبييز وأمثالها في المقاهي والمطاعم والأمواق، كما يظهر هذا الطابع في خدمات ومنتجات شركات كبرى تستهدف هذه الشريحة التي تشكل جزءًا مهمًا من السوق

لذا نقول الباحثة الأميركية ليزا ألدريد إن عددًا قليلًا فقط من أتباع حركة العصر الجديد

يشاركون في الأنشطة الاجتماعية، أما غالبهم فتتصدر مشاركتهم على شراء الكتب والمنتجات التي تستهدفهم، مما يجعل "العصر الجديد" حركة استهلاكية وتجارية بدلًا من العكس (1)

والأسوأ من تعبير ليرة الاستهلاكية أن تُستعمل هذه لروحيات لتحقيق مكاسب غير مشروعة بطرق احتيالية، حتى نشأ في أميركا الشمالية مصطلح "الشماس البلاستيكي" (Plastic Shamans) الذي عبوت به ليزا بحثها، في إشارة

(1) Lisa A. dred, "Plastic Shamans and Astroturf Sun Dances: New Age Commerce and the of Native American Spirituality" in The American Indian Quarterly University of Nebraska Press, 2000, p. 350.

إلى الأشخاص الذين يتبعون أنهم وسطاء روحيتون وحكماء وشامات لتحقيق السبلة أو كسب المال، والأسوأ من ذلك ادعاء امتلاكهم قدرات علاجية خاصة قد تضر بصحة وحياة الآخرين بدل علاجهم، وينشط السكاك الأصليون في الولايات المتحدة وكندا لمقاومة هذه الظاهرة باعتبار أنها تسيء لثقافتهم ومعتقداتهم.

ولو دققنا النظر، نجد أن أفكار حركة العصر الجديد تتغلغل بشكل متزايد في الكثير من الأفلام السينمائية من أبواب الخيال والأسطورة، كما تتسلل إلى البرامج التلفزيونية والكتب وبرامج التدريب المعنية بالسمية البشرية وتطوير الذات والنجمين وحل المشكلات النفسية والاجتماعية ولتقنيات العلاجية، وصولاً إلى أوساط السياسة والمنظمات الدولية الكبرى من خلال دعاية الحفاظ على البيئة ونشر ثقافة السلام والتسامح والأخوة العالمية

ومما ساعد على نجاح نهضة حركة العصر الجديد أيضاً تجنب الخوض في لصراعات السياسة، فمع أن أيديولوجيتهم تستبطن رؤية استشرافية تمس قيادات الدول الكبرى إلا أنهم لا يترددون في تأسيس "حزب سياسية أو المشاركة في برلمانات أو حكومات مثلاً، بل يكتفون بنشر أفكارهم على كافة المستويات بدءاً بأصحاب القرار وصولاً إلى عمدة الدس، ويؤمنون كما أسلمنا بأن مشروع الخلاص الذي سيكتمل في "عصر الدلو" سيحدث على مستوى عالمي ولا تحده قيود لدول وحدوده الجغرافية، لذا فهم يعتقدون أملهم على المنظمات الدولية العابرة لحدود أكثر من أي حكومة حتى لو كانت من القوى الكبرى، وهذا ما يتجلى في استعراض الخطاب المعلن لمنظمة "لوسيس ترست" التي احتارت وضع مقرها بالقرب من مقر الأمم المتحدة في نيويورك.

وأثناء إعداد هذا البحث، بحثت في الدليل الخاص بالمنظمات لدينية الأميركية، ووجدت عساوين عشرات المحافل التسعة لجمعية الثيوسوفيا



والمبطلات المشابهة في أنحاء البلاد. بدأ ما رلت تعمل نشاطاً، ومهد جميعات تنتسب إلى أليس بيلي مثل مؤسسة أكواريس. ومعبد الناس (Temp e of the People)، والمجمل المتحد للنيو صوفييين في لوس أنجلوس، ومؤسسة الكلمة (The Word Foundation)، وغيرها الكثير^(١)

والى جانب السمع، الذي تلقاه حركة العصر الجديد، حياث من قوى متمردة، فصلاً عن الترويج الإعلامي الصحيح، يبدو أن جزءاً كبيراً من نجاحها يعود إلى قدرتها أيضاً على التناغم، وعادة، التشكيل لتجمع بين الأصدا د فم بين الجانب الطعوسي، لسحري العارق في الوثنية والتعظيم وعبادة الشيطان، وبين الحاسب العلمي الذي يفسس من المبرياء وما بين الأيديولوجيات النسوية والاشتراكية وثنونه وبين الأخرى التي تدعو لعالم مثالي يسعم بالسلام مع كل الكائنات. تجد حركة العصر الجديد نفسها دائماً من يعتنق أفكاره بحماسة، ويدفعها نحو المزيد من الانتشار



الشامانية.. تراث وثني سحري

ينتشر في العرب من جديد

سولي صدور لدراسات والإحصاءات التي تؤكد انحسار طاهرة الدين والإيمان في العرب، وهبوط نسبة معنفي المسيحية إلى أقل من النصف وفي حين تتجه أنظار معظم الباحثين إلى مؤشرات تزايد أعداد الملحدين واللاذبيين، بلغت بعضهم إلى طاهرة أكثر عراة، وهي انتشار الطوائف الوثنية والسحرية القديمة، ومنها الشامانية (Shamanism)

فوفقاً لأخر تعداد سكاني في بريطانيا، الذي نشره مكتب الإحصاءات الوطنية الحكومي (ONS) في أواخر 2022، انخفضت نسبة معنفي المسيحية في إنجلترا وويلز خلال العقد المنصرم (2011-2021) من 59.3% إلى 46.2%، مقابل زياده نسبة الذين لا يعتنقون أي دين من 22.2% إلى 37.2%¹

ومن الألف أن نسبة معنفي الأديان الأخرى للمواطنين من أصول مهاجرة ارتفعت، في مقابل تحلي الإنجليز عن دينهم المسيحي، فبينما زادت نسبة الهندوس والسيخ بأرقام طفيفه (نحو 0.01%)، ازدادت نسبة المسلمين من 4.9% إلى 6.5%.

أما للملاحظة الأكثر عراة، فهي ازدياد شعبية الأديان المقرصة والطوائف التي تتعارض مع كل من المسيحية والعلمانية، حيث عرّف 74 ألف شخص أنفسهم على أنهم من أتباع الديانات الوثنية (Paganism)، و13 ألف صنفوا أنفسهم بأنهم من أتباع الويكا، وهي ديانة سحرية ظهرت في القرن العشرين

¹ Region, England and Wales. Census 2021 www.ons.gov.uk, 29 November 2022



للاستعادة تراث ما قبل المسيحية. سيما قال ثمانية آلاف شخص إهم من أتباع الشامانية

وقد معدّو الدراسة الاحصائية إن الشمسية تصبح بذلك أسرع "الأديان" انتشاراً في بريطانيا، فمع أن عدد أتباعها قليل، إلا أنهم تصاعفوا أكثر من عشر مرات خلال العقد المنصرم



المكشبات المرمية تحت دهرج كل عام بحرين حبيد عن الصدر و النعم و الوباء
للقيمة ويصنها يصنع من الأكثر ميثاقا

ما قبل التاريخ

لا يتمم الباحثون على أصل الشامانية الاصطلاحي والتاريخي، فبعضهم يرجح اشتقاق الاسم من جذور لغوية مفعوليه ويُقصد بها الإشارة إلى "الشمارة" أي صاحب المعرفة، وهناك من ينسبها إلى أصل هندي سنسكريتي كان يُطلق على الناسك لصوي، كما أعادها آخرون إلى أصول لغوية أخرى آسيوية وأفريقية (1)

1. ميشال ميرز، الشامانية فلسفة سحابة، ترجمة إدريس كثير مشهور كلمة للترجمة ددرة نقاشة

ويحسب المؤرخين وعلماء الآثار. تسبب المؤثرات على وجود الشمسية في عصور سابقة لدى قبائل أستراليا وسبيريا وكوريا واليابان ولهند الصينية، وفي جميع أنحاء الأمريكتين وأفريقيا. وفي مناطق متفرقة من أوروبا والشمال الإسكندنافي، وما زال وجودهم قائماً حتى اليوم بنسبة أقل في المجتمعات القسبة والريمية وقد أجمع خبراء عالميون أن سهول هولون بوير (شمال شرقي الصين) هي لمبع الرئيسي للثقافة الشامانية القديمة في العالم (1)



شمال في بير - بي طوم من عبادة ملائكة الآلهة

(1) أحمد الأصفر: للشامانية، الموسوعة العربية arab-ency.com.sy

والشامان هو تساحر الذي يكاد وجوده أن يكون عاملاً مشتركاً بين القبائل في لعصور القديمة، ولا سيما في مراحل ما قبل التاريخ المدون، التي سبقت نشوء الدول والحضارات.

ففي غياب الرسائل النبوية والوحي، قبل ظهور المعابد الكبرى والمباني الدينية المظلمة، كان لشامان يقدم بصفته للناس نصيحة ومسيحاً بينهم وبين عالم الأرواح. سواء كان رجلاً أو امرأة، وغالباً ما كانت توكل إليه مهام العلاج والعرافة والتنجيم، ويكون على صلة حقيقية بالشياطين التي تسعى الأرواح عن طريق السحر.

ولم يأت جانب المهام الروحانية، كان الشامانات يوظفون الرقص والموسيقى في أعمالهم، كما سيعلمون المعارف الطبية التي كانت متداولة في ثقافتهم باستخدام الأعشاب، وغالباً ما أصبحوا علماء أبعاداً ميثاقية (غيبية)

تقسم الشامانية الوجود إلى ثلاثة أقسام متساوية، وهي عالم الأرض بما يشتمل عليه من مكونات مادية، والعالم البشري، والعلم الكوني الذي يشمل النجوم والكواكب ولكل من هذه العوالم روحه الخاصة، ويتكامل الشمان بالتوصل مع هذه الأرواح طلباً للعلاج وبرول المطر، أو لدفع الكوارث، وغير ذلك من الأهداف.

ويؤمن الشامانية المعولية بوجود إله أعلى يدعى "أبي الخالق"، وهو يتجسد في هيئة نسر ذي رأسين. ويرتفع على قمة شجرة لعلم، وتقول الأسطورة إنه هو والد الشامان الأول، الذي نتج عن تزاوج بين الإله و امرأة بشرية⁽¹⁾

هناك ثلاث طرق لاكتساب الشامانية، الأولى هي الوراثة، فقد يرثها الشخص عن أبيه أو حده، فيستمر العلاقة بين الشياطين والشمان لجديد

(1) نلرجع السابق.



كما كانت مع الشامان الراحل، والثانية هي السعي الشخصي، وغالبًا ما تربط بما يسمى "طقوس العبور" التي يمارسها المراهق عند سن البلوغ لاختيار "الروح الحارسة" التي تلازمه كل حياته، والثالثة هي "اصطفاء" الشياطين لشامان بدون سعي منه، وغالبًا ما يكون هذا في سن المراهقة أحيانًا، فيتعرض للكثير من الأحلام والأمراض وحالات الأغماء المتكررة وأزمات الهستيريا الحادة والصور من بعض المذكولات. وفي النهاية ينتجه إلى شامان محصور ليتدرب على يديه، وقد يستمر تدريبه شهرًا أو سنوات (1)

وأهم عنصر في التجربة الشامانية هو حالة الوحد والجذب التي يتعرض لها لشامان في جلسات استحضار "الأرواح"، فبعد أداء طقوس العناء والنظر على الطبل وتعاطي العقاقير المهلوسة، وأحيانًا تعرض جسده للتعبيد كالطعن بالسيف والمشي على الجمر، يدخل الشامان في حالة العيبوبة وتسيطر عليه "الأرواح"، وهنا يتعرض لإحدى حالتين، فإما يدخل في حالة حمل ينخل فيها مفارقة الروح للجسد وصعودها إلى لعالم لكوي ملاقة أرواح الأسلاف والألوهة، أو يكتفي بدخول المجال للروح بالسيطرة على جسده ولتحكم فيه، فينطق بصوت شخص آخر، أو يتصرف ويصدر أصواتًا كما يفعل حيوان ما (2) وحقيقة هذا الاستحواذ هي من شيطاني تسيطر فيه الشياطين على الشامانات، وبوهمهم بأنها أرواح مقدسة أو أرواح أسلافهم العظماء.

(1) ميشال بيران، ص 37 38

(2) ماحولين مو صره "عشيه الاستحواذ والتوجد الشاماني في ضوء العقيدة الإسلامية"، مجلة جامعة

عرة للدراسات الإسلامية، المجلد 30، العدد 1، فبراير 2021، ص 941





صوره تعود إلى عام 1908 لطلوع من شامية لدى إحدى قبائل ميسيريا

إعادة الإحياء

تتسم الشامانية باليساطة والافتقار إلى التنظيم، فهي تعتمد أساساً على التجربة الفردية، وعلى اللجوء إلى استشاره أو مساعدة الشمن الذي لا يتطلب الاستناد إلى هيكل منظم أو مؤسسة دينية، لذا تقلص دور الشمن في الحضارات التي تحدث لنفسها معابد وأنظمة ميثولوجية كاملة، وبقي السحرة يعملون فيها على هامش هذه المنظومة

ومع انتشار الأديان الكبرى، تقلص دور الشامانات في معظم الحضارات، وحوزت أفكارهم المسافهة مع العقائد الجديدة كالإسلام والمسيحية، أو أُعيد دمجها في طوائف أخرى ظهرت داخل الأديان الرسمية، كما حدث في الهندوسية والبوذية

وفي لعصر الحديث، أحدثت العنماية واللاينية في الانتشار على حساب الأديان في مناطق واسعة من العالم، واعتُبرت الروحانيات قديمة صرّت من الدجر في المنظومة العلمية والثقافة السائدة، لكن الانحسار المسارع للمسيحية في الدول العربية خلال العقدين الأخيرين أصبح هماً لافتاً لإعادة إحياء هذه الممارسات التي كانت تُعد قبل سنوات قليلة فقط من الخرافات البائدة

وتهتم الشامانية بمسألة الوارث بين قوى الإيمان الدينية الدوالية والقوى الجراحية الروحية المحيطة به وتكسب بقودها اليوم من ارتباطها المباشر بالتجربة الشخصية، فهي تعبر الرغبة الفردانية التي تعد من أهم سمات الحضارة الحديثة، إذ لا تتطلب الممارسة انشغالاً لكنيسة ولا اعترافاً لكاهن، كما تبدو متسجمة مع برعة التمرد اللاينية لرهضة لوجود إله متحكم في حياة الفرد، حيث لا يُنرم الممارس بأي شعائر للعبادة أو تشريعات

مقيّدة



علاوة على ذلك، تشبع الشامانية الحاجة الفطرية للانتماء، فمع أنها لا تتعارض مع لمردية إلا أنها سظم أنباعها في جماعات صغيرة. وهي تقدم بذلك بديلاً للجماعات لدية الأخوة. لكنها غير ملزمة، فلا يشكل الانتماء إليها عبئاً على العصور لراغب في التجربة، ولو كان ذلك بدافع الفصول في البداية

تقدم الشامانية نصاً فرصة لمرء المراع الروحي السئ عن نمط الحياة الاستهلاكي. وتقدم ممارساتها في إطار ترفيهي جافل بالرقص والموسيقى، وغالباً ما تفتقر بتعاطي العقاقير المسوسة. مثل الايوواسكا (Ayahuasca) الذي كان شائعاً في منطقة الأمازون، وهو يصنع من خلط ببتين محليتين. يد يعتقد متعاطوها أنها تمنحهم دحولاً مؤقتاً إلى حالة بديلة من الوعي. يسعى بالشوة الشامانية (1)

جدل ثقافي وطبي

مع أن انتشار الرعاب الوثنية يرداد مساراً في العرب، لكنها ما زالت مقتصرة على أقليات صغيرة للعبه، لذا فهي لا تثير اهتمام المتابعين حتى اليوم، لا سيما أنها تبدو أقرب إلى التجارب الروحية المرديه من لحركات المنظمة

وعلى صعيد السياسة والدين، قد يبدي رجال الكنيسة والمحافظون امتعاصهم من تهاقت بعض الشباب عنها، لكن العلمانيين والليبراليين يبدون تسامحاً كبر تحاها، مع أنها تتعارض جذرياً مع الموقف لمادي من لعالم، وقد يعود ذلك حريئاً إلى موقف براغماتي مصلحي يرى في هذه الرعاب تشجيعاً على نشر ثقافه العفاط على البيئة ومعالجه أزمة المناخ، أو يأتي في سياق التصالح

(1) Bill Brunton "The Reawakening of Shamanism in the West" www.shamanism.org

مع ثقافات الوثنية. المستثرة، سواء لإرضاء هوى القوميين الأوروبيين العاشقين للتراث، أو لكونه أحد مطالب اليسار الليبرالي في إعادة الاعتبار لسكان أمريكا الأصليين.

ففي روسيا على سبيل المثال، أثار عده سياسيين الجدل في تسابع من يناير، كانون الثاني 2023 عندما شاركوا في احتفالات الشامانيين التي تُسمى طقوس "سامي" (Saami)، والتي وافقت عيد الميلاد الأرثوذكسي. وهو ما أثار غضب المسيحيين الأرثوذكس الذين رأوا في هذه المشاركات تعارضاً مع "الأجندة الأرثوذكسية" للحكومة الفدرالية.

في المقابل، برز آخرون هذه الاحتمالات بأنها استعدة لثقافات الوطنية التقييدية. وأنها سلوك مقبول في زمن الحرب العنيفة في أوكرانيا، وفقاً لما نقلته صحيفة "يورسيب ريفيو" (Eurasia Review) عن أستاذ أدبي في جامعة البلقان الفدرالية رومان شيرينسكي (1)

وفي البروج، اضطرت الأميرة مارنا (51 عاماً) للتخلي عن ألقابها الملكية في نوفمبر تشرين الثاني 2022، بعد اضطرارها على التمسك بخطبتها من الأميركي دوزيت فيريث، الذي يطبق على نفسه لقب "شامان"، ولذي حار شهره واسعة في أوساط هوليوود بتقديم علاجه "الروحانية" للمشاهير (2)

وكان كبار السياسيين في البروج قد أصدروا تصريحات معادية لشامان الأميركي، واهتموه بالترويج لسطريات المؤامرة والحركات، بن تساءل البعض على

1. Paul Goble "Are Russian Governors Who Reach Out To Shamans Panderng To Consuency Or Cultivating Magical Patriotism?" www.eurasiareview.com, 21 January 2023

2. بعد حظوتها من معالج روحاني معروف، الأميرة البروجية مارنا توبر تخلى عن مهابها الرسمية .



موقع النواصل عما يدّ كان الشامان قد "سحر" الأميرة بالفن وفي المقابل،
بقى فيريت كل الاتهامات وادعى أنه صحية لاصطهاد عيصري بسبب أصله
الأفريقي (1).

وبعيداً عن الجدل السياسي والشائعات، سبق أن ظهر فيريت في فيلم
الوثائقي "The New Gurus of the USA" الصادر عام 2020، فبعدما ستعرض
الفيلم جنباً من حياة الترف التي يتمتع بها هذا الشامان في كاليفورنيا، نصم
لفيلم لقطات لإحدى جلسات "العلاج" التي يقدمها للأثرياء، والتي يتقاضى فيها
900 يورو عن كل ساعة. فظهر أمام الكاميرا وهو يطلب من "الأروح" مساعدته
على تطهير الطاقة السلبية من سيده أعمال ثرية وشابة، فأخذ حسدها
يصطرب وينفص بعضه، ثم طلب الشامان من تلك "الأروح" بث الطاقة
الإيجابية في حسده، حتى عادت إلى وضعها وتمصتها الطبيعي.

[1] جس في البروج بسبب علاقة الأميرة ماري لويز بعماليج روحاني . www.dw.com ، 17 أكتوبر





الشمس مؤيد بنصره - له مؤلفاته في صحته على موقع إستغرام

ود كانت هذه الاضطرابات تبدو مجرد وهم لأي طبيب يقتصر عمله على الجسد المادي، فمن يرى أنها دليل واضح على التعامل مع الشياطين، وقد صوّ القراء الكريم على هذا التأثير المباشر على لجسم بشري في قوله "لَنْ تَكُونَ بِأَكْمَلِ الْوَجْهِ لَا تَقْرَأُونَ إِلَّا كَمَا يَقْرَأُ الَّذِي سَحَبْتُهُ نَسْتَنْ مِنْ الْفَنَنِ" [البقرة: 275]

وبصرف النظر عن الموقف من العيون ينير إحياء الشامانية في العرب المرید من الجدل الذي لا يفتك عن الخلاف بشأن جدوى ما يسعى بالعلاج البدن، والذي يعود جزء كبير من تفاعله إلى ممارسات طبية تقليدية تورثها السكان الأصليون لأمريكا الشمالية (Native Americans)، وهم الذين كان يطلق عليهم مسمى "الهنود الحمر".

وبطراً لشبوع ثقافة التصالح مع تلك المنة المصطبدة، والتي تعرضت

سابقاً للإبادة الجماعية ولم يبق منها إلا القليل. تحظى تقاليد الفلة الناحية من لسكان الأصليين اليوم باحترام متزايد في كندا والولايات المتحدة، لا سيما أن الكثير من تطبيقات أسلافهم العلاجية أثبتت نجاعتها، وخصوصاً في مجال الطب النفسي. وهذا ما تؤكد دراسات عدة صدرت عن مراكز بحثية في السنوات الأخيرة. كما أصبحت عنواناً لقصص مثيرة تنافسها الصحافة⁽¹⁾

وعلى سبيل المثال، صدرت دراسة أكاديمية عن جامعة "ماساتشوستس أمهرست" (UMass Amherst) عام 2009، رصد فيها الدكتور لوري تاير العديد من الأمثلة لممارسة تقنيات الشفاء الشامانية في المستشفيات الأمريكية⁽²⁾

وفي المقابل، يحذر أطباء آخرون من خطر الترويج لهذه الثقافة من دون صواب، لا سيما محاولات إقناع المرضى بالتخلي عن علاج السرطان والأمراض النفسية والعقلية

ولا يحصى في هذا السياق أن الكثير من أتباع الشامانية يزرعون دعايتهم للمخدرات وممارسة الطقوس الوثنية بمعالجة حالات الدهان أو لمصام، الأمر الذي يزيد حالاتهم سوءاً عندما لا يخضع لبرنامج علاجي على يد طبيب مختص

ويمكن القول إن نرايد عدد الأطباء الأمريكيين الذين يمتنعون بجدوى "العلاج لروحاني" قد يفهم في سياق التصالح مع البعد الروحي للإنسان، ولدي تم إقصاؤه تمامًا في منظومه العلمية المادية وتكمين الممارقه في أن هذا التصالح يأتي من بوابة الاعتداح على ثقافات وثنية وشيطانية كانت مبنودة

(1) Dick Russell. "How a West African shaman helped my schizophrenic son in a way Western medicine couldn't" www.washingtonpost.com 24 March 2015

(2) Lori L. Thayer "The Adoption of Shamanic Healing into the Biomedical Health Care System in the United States" University of Massachusetts Amherst, 2009



ومعرضة للإبادة حتى وقت قريب، بينما تُبذل المسيحية وكل ما تمت إليها بصفة
بعدها كانت بمثابة لمسوخ الثقافي للمحتنين الأوائل القدميين من أوروبا إلى
"العالم الجديد"!



اليهودية.. طائفة رهبت مصيرها بحركة عصرية عاصنة

تعدّ اليهودية من الطوائف الصغيرة على مستوى العالم، إذ يبيع عدد أتباعها حوالي 15.3 مليوناً فقط⁽¹⁾، وهي مع ذلك من أكثر الطوائف ثراءً وبموثوقاً، إذ تحتلّ جماعات "الصهيون" اليهودية بقوة لا مثيل لها في عواصم لدول الكبرى، وتسيطر بعض العائلات اليهودية مثل روتشيلد على ثروات هائلة، كما يمسك الكثير من اليهود بأدواب لتحكم في كبرى شركات هوليوود وودي السليكون وإمبراطوريات الإعلام.

وبعيداً عن نظريات المؤامرة ومبالعاتها، سندلّخص في هذا الفصل قصة نشوء وتطور هذه الديانة، وتحولها إلى حاصبة ثقافية لمومية مرعومة، ثم صعودها لتصبح قوة سياسية صارية بعد معاناتها الطويلة مع الاصطهاد، حتى أصبح اليوم مُمثلها بحركة سياسية عصرية لتبرير إقامة دولة على أرض محتلة، ولتندحر بذلك في دوامة من الصراع العسكري والسياسي مع العالم العربي-الإسلامي، إلى جانب بورط أتباعها المرفاء في شقاق لا ينتهي بشأن الأسئلة الوجودية عن طبيعة الدولة المصطنعة ومبررات وجودها وستمراها.

سلالة الأنبياء

تبدأ قصة اليهود مع النبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، فهو إسرائيل الذي يتمسبون إليه، وقد زُرقي اثني عشر ولداً، منهم النبي يوسف، وهوذا النبي داود من نسله لاحقاً، وكل واحد من هؤلاء

⁽¹⁾ عدد يهود في العالم يبيع حوالي 15.3 مليون عشيه رأس السنة العبرية الجديدة، موقع قناة 24

الإحوة أعقب سبطاً من أسباط بني إسرائيل اثني عشر، وتنسب إليه عشيرة من عشائر اليهود

تذكر المصادر أن يعقوب عاش مع عائلته في أرض فلسطين ما بين القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد ويذكر القرآن الكريم والكتب المقدس ما تعرض له ابنه يوسف من مكائد إخوته بسبب غيبتهم منه، ثم انتهى به المطاف بالبيع عبداً في مصر، وتعرض هناك لبعض المحن قبل أن تُكتب على يده عملية إنقاذ مصر وما حولها من القحط، فتولى منصباً رفيعاً في عهد الهكسوس، ثم لحق به أنواء وإخوته للاستقرار في مصر، وخرجت من سلالة هذه العائلة لمهجرة أجنبية تدعى بنو إسرائيل

في القرن السادس عشر قبل الميلاد، بدأت الثورة ضد الهكسوس، وتولى الفرعنة المصريون الحكم، وبدأت بذلك مذبحة الاصطهاد لبني إسرائيل انتقاماً من ارتباطهم السابق بالهكسوس ثعرباء، وبلغ الظلم دروته عندما أمر أحد الفرعنة بقتل آبائهم الذكور واستعباد إناثهم^١، وذلك بعد نبوءة من العزافين بأن ملكه سيُفقد على يد أحد أبناء بني إسرائيل

وفي تلك الفترة الصعبة من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وُلد لبني موسى من سبط لاوي بن يعقوب، ولم ينج من القتل بمهجرة فقط، بل أوحى الله إلى أمه أن تصعه في تابوت وتركه على سطح مياه النيل، ليصل إلى قصر فرعون وتنشأه زوجته، ثم يكبر في قصر الطاغية الذي كان يقتل كل مواليد بني

١ - لم يُحسم بعد سؤال من هو الفرعون المذكور في القرآن والكتاب المقدس، ففي القرن نجد ذكرًا لفرعون واحد في قصته مع النبي موسى، ويحدد كثير من الباحثين أنه رمسيس الثاني، بينما تشرق مصادر الأخرى بين فرعون التسخير وهو رمسيس الثاني وبين ابنه وخليفته مرنپتاح الذي يدعى فرعون الخروج، وهو الذي مات غرقاً

للعرب ينظر مقنن عبد السلام هيكل، من "فرعون موسى" ولغاد لا ييخوت المصريون عن هوسه ٢، موقع

الجزيرة نت، 22 يونيو 2023.



إسرائيل، وتحقق النبوة بسقوط ملك فرعون على يد موسى، وغرق فرعون مع جنوده في البحر أثناء لحاقهم ببني إسرائيل. كما جاء في القرآن الكريم والكتاب المقدس.

وبحروب بني إسرائيل من مصر مع بنيهم موسى تبدأ مرحلة جديدة، يذكر القرآن الكريم أنهم عصوا أوامر ربهم بمقاتلة الكنعانيين وفتح فلسطين والامتنال لشريعة، فعوقبوا بالتيه في صحراء سيناء أربعين عامًا، وحُرموا من دخول الأرض المقدسة وتوفي موسى خلال تلك الفترة فعلمه سميد يوشع بن نون، نبي قاد الجيل التالي من الإسرائيليين وفتح بعض المدن الكنعانية

وبعد وفده يوشع، نصرقت عشائر بني إسرائيل الاثني عشر، وصار لكل منها قصي أو كاهن يفودها، وبدأ بدلت "عصر القضاة" الذي انصف بالضعف والعودة إلى الوثنية، فعبدت الآلهة المحلية مثل بعل وعشتاروت، وانحسر العمل بالشريعة الموسوية، فتسلط عليهم الكنعانيون مجددًا وشنتوا مكبهم

وفي آخر عصر القضاة، ظهر في بني إسرائيل نبي يرحح لمصادر أنه صموئيل، وهو الذي ذكرت قصته في القرآن الكريم "ثم برز نبي من بني إسرائيل من بعد موسى يدعى سمي لهم نبع ما ملك نفسه في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم تقوا الا تحسبوا قالوا وما لنا لا نحسب في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وديارنا فكتب عليهم انقل بوتة لا قبلا منهم وانه عيسى بن نبيهم [البقرة 246]، فقد طلب بنو إسرائيل من ربهم ان ينصب عليهم ملكا يوحد شقاتهم، فأوحى الله إليه أنه سيولي عليهم طالوت (أو شاول كما ورد في أسفارهم)، ومع أن الكثير منهم رفض ولاية طالوت، إلا أنه نجح في جمع ما يكفي من المعاتلين وانتصر على الوثنيين، وبرز في تلك المعركة دود الذي قتل ملك الوثنيين جالوت (1).

(1) ربي العسبي، اليهودية موسوعة المسيل 28، 2011

حلف داودُ الملك طالوت بعد موته، وفيه اجتمعت القبوة والملث، ثم حلف من بعده ابنه نبي سليمان الذي يعدّ عهده العصر الذهبي لنبي إسرائيل. فهي عصره -أي في القرن العاشر قبل الميلاد حسب التصديرات- نبي الهيكل (بيت همعقدش) الذي يُعد أعظم معابد اليهود وأقدسها، وكان موقعه داخل الحرم القدسي (المسجد الأقصى) عند الصحرة أو بحايبها ويعتقد ليهود أن قدس الأقداس في الهيكل كان يحصم تابوت العهد (تابوت الشَّهادة)، وهو صندوق مطلي بالذهب ومرس بطار من الذهب، وكانت تحفظ فيه ألواح العهد التي برلت على موسى عليه السلام وعليها كُتبت وصايا الشريعة¹

بوفة سليمان عليه السلام انقسمت مملكته بين ابنه رحبعام وعلامه يربعام، وانقسم معهما الأسباط إلى مملكتين، الأولى ممثلة بإسرائيل بقيادة يربعام في الشمال، وكانت عاصمتها الشومرون أو السامرة (بابس)، ومعبدها على جبل جرزيم وكانت تضم عشرة من أسباط بني إسرائيل، وستمرت إلى أن قضى عنها الآشوريون سنة 722 ق.م. والثانية مملكة يهودا بقيادة رحبعام بن سليمان في الجنوب، وكانت عاصمتها أورشليم (القدس)، وصمت فقط سبطي يهودا وبنيامين، وأندثر على يد نبوخذ نصر ملك بابس سنة 586 ق.م²

شهدت المملكتان قبل انهيارهما عودةً لتوئبة والاحتلال، وذلك بالرغم من ظهور الكثير من الأنبياء فيهما، لكنهم كانوا يواحبون الرقص دثماً، فوقع العقاب الإلهي بدمار لمملكتين ومقتل الكثير من السكان ومجي نحو ثلث شعب

1. يؤمن المسمعون بن النبي سليمان عليه السلام كان على دين التوحيد مثل كل الأنبياء وأنه بعد بناء معبد لذي يده إبراهيم عليه السلام وهو المعبد الأقصى، فهو مسجد بصلوة التي كان يبيع الأنبياء في كل العصور يتهربون بها إلى الله وحس هيكل أو معبد الأوثان. ولأي عبادة محرقة ويؤمن المسمعون بحدس يبرون ألواح على موسى عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم (وكتب له في ألواح من كل شيء موعظةً وتَفصيلاً لكل شيء) [الأعراف 145]

2. "يهود سورية"، موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية www.gov 16 يوليو 2021

مملكة إسرائيل حسب بعض التقديرات واقفيادهم عبيداً إلى ناب على بـ
ملك نبوخذ نصر

نسب تدمير أورشليم وهدم معابدها بصياغ التوراة والكثير من الكتب،
واستمر ظهور الانبياء في بني إسرائيل خلال مرحلة السبي، وتذكر كتبهم أن
لبي عزير (عزرا) أعاد كتابة التوراة المفقودة بعد العوده من لسي، لكن
التحريف والتبدل والطمس طال الكثير من أسفارها حتى قبل السبي

أما انتهاء محنة السبي فيعود فصلها إلى المرس الذين تعلبوا على البببيين،
إذ نجحت المرأة اليهودية "امتير" في استماله قلب الملك الفارسي أحشورش،
واقبته برعدة قومها إلى فلسطين وساء أورشليم و"هيكل الرب" مع بقائهم
تحت سيطرته، وتم ذلك بالفعل سنة 538 ق.م

وبعد نحو قرين، دلت دولة المرس ونسلط ملك اليوس الإسكندر
المقدوني على المنطقة، فسن له بنو إسرائيل، لكن إمبراطوريته لصحة ما
لبنت أن انقسمت سموت، لتفج أرض فلسطين تحت سلطة لبطالمة، ومع أن
اليهود تمردوا في لهدية إلا أنهم رصعوا لاحقاً، ثم تعرضوا لاصطهاد آخر على
يد السوفيين في القرن الثاني قبل الميلاد، فأطلقوا ثورة جديدة سميت ثورة
المكابيين، وانتهى بهم الأمر إلى الخصوع لسلطة الرومان الذين سيطروا على
القدس سنة 63 ق.م، إذ لم تنجح محاولاتهم المتكررة للمرد، بل دمر الإمبر طور
تيتوس عاصمتهم أورشليم سنة 70 بعد ميلاد المسيح عليه السلام

٢. توحيد أم وثنية؟

تعد اليهودية دينة متشعبة وغامضة دمختيار، إذ يختلف الباحثون
والمتخصصون في فهم أهم عقائدها التي يُمنرض أن تكون محل إجماع، فإلاله
في اليهودية أسماء عدة، وأشهرها "يهوه". الذي لا يُعرف اشتقاقه بشكل مؤكد،
وبما أنه كُثر الأسماء قداسة فلا ينطق به إلا الكاهن الأعظم د خل قدمن

الأقسام في الهيكل، أما العامة فيستخدمون في صلواتهم اسم "أدوبي"، أي سهدي وهولاي.

وورد في العهد القديم أيضًا اسم "إلوهيم"، وهو من أصل كنعاني ويعني الآلهة بصيغة الجمع، لذا رأى بعض الباحثين في هذا دليلًا على جنوح اليهود في مراحل سابقة إلى الشرك وعبادة آلهة متعددة، لا سيما أن أوصاف إلوهيم تختلف عن صفات يهوه، فالوهميم إله رحيم خلق السماوات والأرض ولا يشبه البشر في مقابل يهوه الذي يجسد ويشارك البشر في صفات كثيرة، بينما رجع البعض أن لاحقة لجمع (يم) تدل على التعظيم فقط وليس لشرك

يضاف إلى ما سبق أيضًا اسم "إين"، وهو نفس اسم الإله الأكبر في عانة الآلهة الكنعانية، وكثير ما نصاب إليه أسماء أخرى لتصبح لقبًا، وأشهرها: إسراييل لقب النبي يعقوب، ويقال إنها تعني يعاهد مع الله، أو سه يصارع، فالألقاب عبرية تأتي بصيغة المصارع، ويعود الاسم إلى لقبه المذكورة في سفر التكوين، عندما ظهر الرب على صورة ملاك ونصارع مع يعقوب حتى طلوع المجر، فقال له "أطلقني" فقال يعقوب "لا أطلقك إن لم يباركني"، فبركه الرب وقال "لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع إله ولباس وقدزت" [التكوين - إصحاح 32 28]

وينص من هذه القصة إمكان تجسد الإله لدى اليهود على هيئة بشر، وهو أيضًا إله حاص بني إسرائيل دون غيرهم، ما يعي الإقرار بوجود آلهة أخرى لبقية الأقوام

جاء في سفر التثنية "حين قسم العلي للأمم، حين فرق بني آدم، نصب تحوفاً لشعوب حسب عدد بني إسرائيل، إن قسم الرب هو شعبه يعقوب حين نصيبه" [التثنية إصحاح 32 9-8]، ويقرر الباحث جوشوا جي مارك هذا النص أن دنس الآلهة الكنعانية يدل منح كل إله سلطة على شعب من



شعوب الأرض، بينما كانت حصبة يهوه هي قوم إسرائيل (يعقوب) ^(١)، ومع مرور الوقت، اتخذ اليهود من يهوه إلههم الأعلى والوحيد بعدما كان معروفًا مسبقًا كإله كنعاني في مرتبة أدنى من إيل ^(٢)

ووفقًا للبروفيسور الإسرائيلي بنسليم أمراغ ^(٣)، فإن يهوه هو إله المعادن الكنعاني، وهو مشابه للإله بناح المصري وبكي في بلاد ما بين النهرين وبقية آلهة المعادن في المنطقة، ولقي كانت تُعبد من قبل عقال المسجم، لذا أصبح هو الإله الأعلى لدى بني إسرائيل في العصر الحديدي (حوالي 1200 ق م) عندما حوّل الحديد محل البرونز والنحاس. إذ كان يُنظر إلى هذه الصنعة على أنها نوع من الخيمياء ولمسحر، ولذا أُرِدَ الإسرائيليون أن يتميروا عن جيرانهم وتغريز هوسهم رفعوا يهوه فوق مرتبة إيل وانخدعوا إلهًا خاصًا بهم كما كانت تفعل كل الأقوام الوثنية، لكن المصرفة هنا هي أن بني إسرائيل كان لديهم كتاب سموي يوصي على عبادة إله واحد لا يتجسد، فحرقوا الكتب الذي بين أيديهم ليتطابق مع التعددية الوثنية، ولتُصمّموا على الإله الواحد المتعالي صفات لا تليق إلا بإله حراقي باهض

ومع أن لشائع بين الباحثين أنه خلال فترة الهيكل الثاني، أي ما بين عودتهم من السبي وتدمير الهيكل مرى أخرى على يد بابل عام ٥٨٦ م، رجع الأخبار ما ورثوه من عمائد لتحلّصها من شوائب الوثنية واستعادته احترام لتوراة ولتأكيد على التوحيد، لكن الشوائب ما زالت حاضرة في النصوص المتاحة حتى اليوم

١- جدير بالذكر أن هذا التفسير لا يوافق عليه بعض المصادر اليهودية والمسيحية فهي تعتبر القصة «صوبوس فكري لمصر» نسبة يرى من النص يتحدث عن الرب فقط وليس عن إله السبي قسم لأرض بين آلهة متعددة ومنها يهوه انظر شرح الكتاب المقدس العهد القديم في موقع أدب تكلا هيمانوت st-taida.org

(٢) Joshua, Mark, 'Yahweh' World History Encyclopedia, worldhistory.org, 72 October 2018

(٣) Ib d.

وبالعودة إلى مفهوم النبوة لدى اليهود، نجد في أسفارهم أنها تُكتسب اكتساباً وليس صطفاءً من الله، فزعموا بذلك أن بعض الأنبياء سلكوا طرقاً ملتوية للحصول عليها، كما فعل يعقوب حين خدع أباه إسحاق واسترق حق خلافته في النبوة من أخيه البكر عيسو بمكيده دبرها مع أمه، وعندما علم إسحاق بذلك أفسط في يده ولم يستطع الراجع، وحتى الرب نفسه رضي بهذه الخديعة التي نتج عنها اصطفاء أساء يعقوب ليكونوا شعبه المختار

ولا يقتصر الأمر عندهم على إمكانية ممارسة النبي للخداع، بل سبوا تسليمه عليه السلام -مع أنه أعظم ملوكهم- السحر والشرك وعبدة الأوثان، كما اتهموا هرون عليه السلام بأنه هو الذي صنع العجل لدهي وأمر القوم بعبادته في غياب موسى. ويسبوا الرئي أيضاً إلى لوط ودود، وقالوا إن يعقوب علم برى ابنه رؤبين بروحه أبيه وسكت عن فعله

؟ التوراة والتلمود

يعتقد المسيحيون واليهود أن "العهد القديم" من لكتاب مقدس هو التوراة، وأنه "عهد الرب" الذي تكرر لسلالة الأنبياء الممتدة من إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ثم إلى موسى والأنبياء من بعده

ويصم "العهد القديم" الأسفار التي يعتقدون أنها نزلت على موسى وأنبياء بني إسرائيل من بعده، وبعد الأسفار الخمسة الأولى هي الأقدس ومحل إجماع جميع الطوائف، وهي سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين (الأخبار) وسفر العدد وسفر التثنية ويضاف إلى هذه الأسفار كتاب "الأنبياء" الذي يسرد سير أهم الأنبياء الإسرائيليين، ثم تأتي "أسفار الحكمة" التي يعيب عليها الطابع الأدبي وتتضمن قصصاً وملاحم، وعددها اثنا عشر سفرًا، وأهمهم مزامير داود (الزبور)، وأمثال سليمان، وشييد الأسناد، وأسفار أيوب ودانيال وأستير وعزرا



وكان المسيحيون واليهود يعتقدون طوال قرون أن موسى هو الذي كتب الأسفار الخمسة، وأن يقية الأنبياء كتبوا الأسفار المنسوبة إليهم، وأنها تُرجمت من العبرية في عهد البطالمة إلى اليونانية، وذلك على يد 72 حبرًا من أحبار الإسكسرية، ثم انتشرت في أوروبا وبقية العالم. لكن هذه المراجع لم تثبت أمام النقد لعمي في عصر النهضة الأوروبية. إذ كتب الفيلسوف الهولندي اليهودي باروخ سبينوزا في كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة" الصادر عام 1670 إنه "واضح كالشمس في الظهيرة أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة الأولى في التوراة، وإنما كتبها شخص عاش بعده بمسوات كثيرة"، ثم تولت الأبحاث النقدية التي رجحت بدرجة كبيرة أن جميع الأسفار كتبت على يد أشخاص عدة في لقربين الخامس والزابع قبل الميلاد. أي بعد وفاة موسى بقرابة ألف عام، وأنها جُمعت بشكلها الحالي بعد ذلك بكثير⁽¹⁾

ولافت أن علماء معاربة الأديان لمسلمين سيفوا الأوروبيين إلى هذا النقد، وأنتوا العديد من التناقضات التاريخية بين الأسفار نفسها، وكان الأرجح لديهم أن التوراة التي أنزلت على موسى نذلت كلها أو أكثرها، وأن ما بقي من كلمات الوحي الإلهي في التوراة الموحودة اليوم نادر جدًا، ومن أهم الصائين هذا الرأي بن حرم الأندلسي، وأبو حامد العربي، وإمام الحرمين الجويني، وبن تيمية، وابن القيم، والقرطبي.

ووفقًا للفران الكريم، تعد الاحبار تحريف أحرار من لتوراة. فجاءت لعقوبة الإلهية بفقد جزء آخر منها "فمن بعضهم فسحقهم بعقوبتهم وجعل قلوبهم فسيحة بحرفون نكلمه عن موضوعه ونسوا حقًا مما ذكرناه" (المائدة 13)

(1) ربي الحسني، موسوعة الفسيل، مرجع سابق.

والى جانب النوراة، يقدم اليهود كتاب "التلمود"، وهو الشريعة الشفوية، ويتألف من قسمين، أولهما المشاة، وهي مجموعة من الشرائع التي كانت متداولة شفويًا طوال قرون ونُسب إلى النبي موسى، ولم يبدأ تدوينها إلا بعد السبي لبابل في القرن الخامس قبل الميلاد واستمرت كتابتها على الوضع لعالى في نهاية القرن الثاني بعد الميلاد

وبعد الانتهاء من تدوينها انكب الاحبار على شرح المشاة، فسميت الشروح "جمار"، وهو القسم الثاني من التلمود⁽¹⁾



مسجد النوراة يعرض على جداره

هم العمائد

يؤمن اليهود إيمانًا جازمًا بأن الرب اختارهم شعبًا له ووعدهم بإحصاء شعوب الأرض لهم، وبأن ينتقم لهم، حيث ذكر "يوم الرب" في سفر عاموس لتحذير الأمم الأخرى من اليوم الذي ينتصر فيه العدالة الإلهية [عاموس: 18-20]

(1) المرجع نفسه

و لنتحقق يكشف أن "يوم الرب" هو اليوم الآخر الذي تقوم فيه القيامة وفقاً لمعتقد المسيحيين والمسلمين، لكن النسخة المحرفة من البوراة أعادت تفسير الآخرة وبعيمها وعدائها بالمصير الديني، فالوعود فيها تقتصر على المنفعة الدنيوية من انتصار على الأعداء وكثرة الأولاد وسماء الرزق، أما لوعيد للعصاة فيقتصر على انتصار الأعداء وسي لدراري وموت الرزق والمماشية

أما لتلمود فيقر بعث الأموات، وبصبح بوجود الجنة، ويعبرها موى الأرواح لركبة التي لا بدحلبها إلا اليهود، كما يذكر الجحيم لدى يُعاقب فيه الكفار^(١)، ومع ذلك نجد أن فرقة الصدوقيين من اليهود ينكر قيام الأموات، وتعتقد أن عماد العصاة وإثابة المتقين يحصلان في حياتهم فقط، بينما يؤمن فرقة (المريسيين)^(٢) بأن الصالحين سيبعثون في هذه الأرض عندما يظهر المسيح المنتظر في آخر الزمان وتدين له كل الأمم، فهم ينكرون هذا البعث يوم القيامة^(٣)

واللافت منصوص المرأ الكرم والسنة النبوية تشير بوضوح إلى اعتناق أحبار اليهود الدين باقتضوا لبي محمد^(٤)، عديدة البعث والجزاء، وأموا بوجود الجنة والنار، فقد نقل عنهم لقرون^(٥)، وقالوا نحن نؤمن بالآيات المقدودة قل نحن عبد الله عهد من تحت الله عهد^(٦) ثم تقولون على الله ما لا نعمون^(٧) [البقرة 80]، كما صدق عبد الله بن سلام الذي كان من أحبار اليهود الذي^(٨) عن ثلاث مسائل ومنها سؤاله عن أول أشرار الساعة وعن أول ما يأكله أهل الجنة، فلما أجابه النبي بما يتوافق مع ما جاء في التوراة أسسم

(١) "يوم الآخر لدى يهود"، موسوعة الأديان في موقع الدرر السنية dorar.net

(٢) "مجمع بنو امريين في القرن الميلادي الأول إلى طائفتين كبيرتين هما الصدوقيون والمريسيون، إضافة إلى طوائف أخرى صغيرة"

(٣) "عبدس البريدي، عقائد اليهود من خلال الحوار مع أمي صلى الله عليه وسلم، رسالة ماجستير في

الجامعة الإسلامية عره 2010، ص 164



عبد الله على «نفور»⁽¹⁾، وفي حديث آخر جاء أناس من اليهود إلى النبي وسألاه: "يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كتب نبأ". فزلت الآية "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ" **يَسْأَلُونَكَ** [الأعراف 187]⁽²⁾ ومع ذلك، لا نجد فيصوص النورة المتبقية اليوم ما يشير إلى عقائدهم تلك. ما يؤكد أنهم بدلوه وحرفوه ليصبح الوعيد مقصرا على الدين، وحتى اعتقاد بعض أحبار المبرسيين بالبعث لقي معارضة شديدة⁽³⁾.

ويقول الحبر اليهودي الكبير موسى بن ميمون، المتوفى في مطلع القرن الثالث عشر، إنه يؤمن "يماناً كاملاً بقيمة موسى، في الوقت الذي تدبث فيه بذلك إرادة الخالق- تبارك اسمه ونعالي ذكره- الآن وإلى أبد الأبد". لكن هذا التصريح قد يُحتمل على البعث في الدنيا وليس في مرحله لاحقه تسمى الآخرة. وقد يُحتمل على تعبير في العقيدة لتأثر بن ميمون بالمسلمين، إذ كان طبيباً للأيوبيين في مصر، ومن المقرر لدى الباحثين أن كتبه «دلالة الحائرين» كان يصدر عن فكر وثقافة إسلامية⁽⁴⁾.

ويقسم بعض الباحثين تطور الفكر الآخرى عند اليهود منذ خروجهم من مصر إلى ثلاث مراحل، ففي المرحلة الأولى أغصوا الحديث عن اليوم الآخر، وفي المرحلة الثانية بُنِى وجودهم في فلسطين اقتبسوا من المعتقدات لسومرية وثبابية فكرة العالم لسلي (الجحيم)، وفي المرحلة الثالثة التي تتلخص في الباطني تأثروا بديانة المرس التي تؤمن بالبعث في اليوم الآخر⁽⁵⁾.

(1) راجع: صحيح البخاري، الحديث رقم 6455

(2) تفسير الصبري، ج 9، ص 137

(3) حمد شلي، معارضة الأديان اليهودية، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، 1988، ص 94

(4) نصر مقدمه كتاب دلالة الحائرين للدكتور حسين أناني مشهور الجحيم، 2017

(5) محمد الخطيب، مقبرة الأديان، دار المسيرة، عمان، ط 1، 2008، ص 171- 174



ويقول الدكتور إسماعيل الصارو في إن اليهود كانوا يرون أن الموت هو خاتمة كل شيء، فلما شاهدوا تحطيم مملكتهم وتقنيل رجالهم على يد البابليين واليونانيين والرومانيين والأنتاكيين أجدوا يتقبلون فكرة الآخرة، إذ لم يعد يُعفى عنهم أن الرب لن يصير شعبه المختار بعد مسموطة⁽¹⁾.

وتعد قصة المسيح المنتظر (المسيح أو المسينا) من أهم معتقدات اليهود، وشي بدلت لأنه ممسوح بالربت دلالة على تكرمه كاهن أو ملكاً، وهو رجل سيظهر في آخر زمان من نسل داود ليعهد مملكتهم في فلسطين وبني الهيكل، ومنه سيحكم العالم وتدين له كل الشعوب.

كانت آمال اليهود بحروجه تنجد في كل محبة، بدءاً بالسي البابلي، وكان بعضهم يظن في كل قائد يهودي برر أنه هو المسيح، ومن أبرزهم مثلاً شستاي ليفي الذي عاش في كنف الدولة العثمانية في القرن السابع عشر، وادعى اعتناق الإسلام للنجاة من الإعدام، ولحق به أتباعه الذين يُطلق عنهم اسم يهود الدونمة.

تذكر بعض النبوءات أن ظهور المسيح يجب أن يسبق بتجمع اليهود من الشتات إلى الأرض المقدسة، وسيطرتهم الاقتصادية على العالم، وهدم لمسجد الأقصى وبدء الهيكل على أنقاضه، وقيام حرب هائلة يهلك فيها ثلث البشر، وهي التي يطلق عليها المسيحيون المتصهيون معركة "هرمجدون"، ويهدف سيظهر المسيح ليدين له من بقي على قيد الحياة، ويعم العدل والرحمة والصحة الأرض تحت قيادة بني إسرائيل، وثمة خلاف بشأن مدة بقائه، ما بين عشرات وآلاف السنين⁽²⁾.

(1) إسماعيل الصارو، أمل المعاصرة في الدين اليهودي، مكتبة وهبه، القاهرة، عدد 2، 1988، ص 16.

(2) موسوعة السنين، مرجع سابق.

ويجدر بالذكر أن عبار "اليهودية المحافظة" في إسرائيل اليوم لا تجرم
 ضرورة التفسير الحرفي لبوءات ظهور المسيح، أما عبار "اليهودية الإصلاحية"
 الأقرب إلى العلمانية فيرفض هذه الفكرة ويعتبر أن تأسيس دولة إسرائيل هو
 ضرورة سياسية لإيواء اليهود من الاضطهاد بعد محرقة "الهولوكوست"، ومن
 دون أكثرث لأي نبوءات دينية

وقبل ظهور الصهيونية بصفتها حركة سياسية كان لشائع بين العداومات
 تحريم العودة إلى أرض الميعاد (فلسطين)، فالأصل عندهم هو انتظار المسيح
 الذي سيظهر بعشينة لرب، أما من يحاول استعجال الهية فكان يُعد عاصياً،
 لكن الصهيونية نبّئت فكره "بداية الخلاص" (هتخلا حنולה) وتمكنت من
 إقناع قطاع كبير من اليهودية الأرثوذكسية على إباحة لهجرة والاستيطان
 للإعداد لخروج المسيح (١).

أسطورة الحرق اليهودي

قد يحتم أي شعب بالحفاظ على "صمائه" لعرقي في اتصافه لشخصية
 عظيمة ما، لكن هذه الحلم الرومسي بعيد المثال، بل يكاد يكون مستحيلًا مع
 تطاول الزمن وتباعد الأحفاد عن الأجداد

والعجيب أن إصرار يهود اليوم على المعسك بمبدأ انغلاق دينهم على
 القومية الإسرائيلية يسقط عند أول امتحان، فحتى المصادر الدينية تثبت
 استحالة

ففي سفر أستير من العهد القديم، نجد سردًا قصصيًا لانهاء محبة السبي
 الديني عندما تزوج ملك فارس أحشوروش المرأة اليهودية "أستير"، مما مكّنها هي
 وعانتها من التعلل إلى مراكز صنع القرار والانتقام ممن كانوا يصطهدون
 اليهود، فسدع الناس لاعتناق هذا الدين. كما يقول السمر "وفي كل قيم

فإقليم، وكل مدينة قديمة، حيث ورد أمر الملك وحكمه، كان لليهود فرج وسرور ومأذبه ويوم هباء، وصار كثير من شعوب تلك الأرض يهودًا، لأن خوف اليهود وقع عليهم". [أستير - [صحاح 8: 17]

ووفقًا للمؤرخ الامرائيلي شلومو ساند، ففي كتابات أشعيا الثاني، وسمر روث، وسمر يونان، وسمر يهودت الخارجي، يصادف مرارًا دعوات مباشرة وغير مباشرة تسعى إلى اجتذاب الاغيار إلى اليهودية، بل وإقناع لعالم قاطبة بقبول شريعة موسى (1)

ومن اللافت أن بداية بعثة النبي موسى عليه الصلاة والسلام وفقًا للمصادر الإسلامية - كانت بابيعاته إلى فرعون ودعوته إلى الإيمان بالله، ثم إقناعه برفع الاستعباد عن بني إسرائيل وإطلاق سراحهم للخروج مع موسى، لكن المصادر اليهودية رعمت اقتصار هذه المهمة على إخراج بني إسرائيل وتخصيص هذه الديانة بقومها فقط

أما لمصادر التاريخية فتثبت سعي اليهود في العصور القديمة لدعوة لشعوب الأخرى إلى ديارهم ²، وقد نجحوا بالفعل في إقناع شعوب متبينة عنهم عرقياً، مثل الأحباش السود (يهود الفلاشا)، والصينيين (يهود الكايمنج)، والجزر (الأمشكر)، وحتى بعض العرب والأمارع واليهود

د اشومو ساند، اخبرع الشعب اليهودي، ترجمة سعيد عباس، مكتبة لاهيه، عمان، 2011، ص 202

(2) آرثر كيمسبر، القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم، ترجمة احمد مجيب هاشم، انبيته، انصريه، نعامه





يهود إثيوبيون أمام حائط البراق في القدس (Joonaal, wikimedia)

ويقول المؤرخ شلومو ساند بن دراسنه لوثائق السومرية كشفت أن الكثير من تسلاات تنتمي أسماء عبرية لأشخاص ينتمون إلى أحد د باسماء بابلية أو مصرية قديمة، ما يدل على يهود الكثير مهم⁽¹⁾

كما استشهد ساند في كتابه ببرنامج مؤرخين آخرين أثبت أن انتشار اليهودية في العالم القديم لا يمكن تفسيره بالنمو السكاني الطبيعي وتوسع الهجرة فقط، وأن اليهودية لم تكن مغلقة بتاتا، بل كان أتباعها متحمسون لليهود بدرجة لا تقل عن أتباع المسيحية والإسلام من بعدهم⁽²⁾

أما الأنثروبولوجي الإسباني خوان كوماس، الذي شارك في وضع المسودة الأولى لوثيقة اليوبيلمكو بشأن العنصرية، فقد حصص في كتابه "حرفات عن

(1) اختراع الشعب اليهودي، ص 203

(2) المرجع السابق، ص 205

الأجاس" لصاندر في أواخر الخمسينات فصلاً عن "حرقة الجنس اليهودي"، وتحدث فيه مطولاً عن إحصاءات نشأت سبع الصفات الجسدية لليهود في أنحاء لعالم، فحتى اليهود الأوروبيون تنوع صفتهم لعرقية في كل بلد حدة، مما يؤكد "بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك اختلافات كثيرة في الصفات الجسدية مما يصعب القول بوحدة الجماعات اليهودية"¹

ويستشهد كوماس أيضاً بمقولة للمؤرخ ريدكليف سالمان، وهي أن "نفوة السلالة اليهودية ما هي إلا أوهام- فأكثر التعيزات والاختلافات بين السلالات توجد بين اليهود"⁽²⁾

وإذا كان الزواج المختلط فيما بين الأعراق المختلطة أمراً يستحيل منعه على مرّ القرون، فكيف يتصور منعه في العصر الحديث، إذ يقول كوماس إن الإحصاءات في ألمانيا بين سنتي ١٩٢١ و١٩٢٥ تدل على أن من بين كل مئة زوجة يهودية كان ٥٨ منها يتم بين طرفين من اليهود، و٤٦ زوجة بين طرف يهودي وآخر مسيحي³، أي أن الكثير ممن وقع عليهم الاصطهاد الماري بصفتهم يهوداً لم يكونوا من بني إسرائيل الخالص، بل كاسب الدماء الألمانية تجري في عروقهم

وفي الجانب العربي، كان عالم الجغرافيا المصري جمال حمدان من أهم المنظرين لتحدث معظم اليهود الحاليين من اصول غير إسرائيلية، ففي كتابه "اليهود أنثروبولوجياً" الصادر عام 196٦ تحدث مطولاً عن تباين الصفات الجسمية لدى اليهود، وخصص إلى أن اليهود يقسمون من حيث شكل الرأس إلى مجموعتين كبيرتين، هما عراض الرؤوس وطوال الرؤوس، وأن الأولى تمثل ما

(١) جون كوماس، خرافة عن الأجاس مرجعة محمد رياض مراجعة محمد عوض محمد مؤسسة هندوي.

2016، ص 38

(2) انرجع السابق، ص 38.

(3) انرجع نفسه ص 39- 40



بين 80% و 90% من يهود العالم، وهم يتحدرون غالباً من سلالة الخزر. أما البقية فهم من أصول متوسطية (1).

في المقابل، يشكك باحثون في هذه الاستنتاجات، لا سيما مع ظهور دراسات وراثية (جينية) في تسوات الأخيرة تثبت وجود جينات مشتركة بين الأعراق اليهودية المختلفة، حيث يوظف الانثروبولوجيون هذه النتائج لدعم الفكرة الصهيونية باشتراك معظم اليهود بأصولهم الاسرائيلية الشرق أوسطية، لكن الدراسات لجينية لا تدعم هذا الافتراض على وجه الخصوص، هو وجود الكروموسومات المشتركة بين اليهود الاشكناز واليهود في لشرق الأوسط يمكن تفسيره بالتزوج بين هذه الأعراق بعد اعتناق الكثير من الخزر للديانة اليهودية، وليس تحدر الخزر من أصول إسرائيلية

وعلى سبيل المثال، يقول الباحث الإسرائيلي أفيشالوم زوسمان ديسكين في بحث أكاديمي منشور عام 2010 إن الارتباطات الجينية لليهود ذرمت منذ الايام الأولى لعصر البرونز، إلا أن أصل اليهود ما يزال غامضاً، ومع أن بعض الدراسات المستندة إلى العلامات الجسدية زعمت أن اليهود لهم أصل مشترك، لكن دراسات أخرى حصصت إلى أن اليهود ينتمون لأعراق متنوعة للعبية

ثم يقول، أن أصل يهود أوروبا الشرقية، وهم أكبر وأهم فئة من اليهود الاشكناز، لم يتم التحقق منه بعد، وإن الدراسات الوراثية وتحليل العلامات الجسدية تثبت أنهم أقرب إلى الأوروبيين من اليهود الآخرين (2)

وكانت شعوب الخزر قد استوطنت في القرن السابع الميلادي ما بين بحر قزوين و لبحر الأسود (أرمينيا وأذربيجان حالياً)، قبل أن تتوسع إمبراطوريتهم

١، جمان حسان، اليهود انثروبولوجيًا دار الهلال بقمرة، العدد 542، فبراير 1996، ص 141-146

٢، Avshalom Zoosmann-Diskin "The origin of Eastern European Jews revealed by autosomal,

sex chromosomal and mtDNA polymorphisms" Biology Direct, Article number 57 (2010).



لاحقاً لتشمل مناطق واسعة من روسيا وأوكرانيا وشرق أوروبا وخاص
لمسلمون معارك كثر وهزم مع هذه الاقوام الوثنية في عهد الخليفة عمر بن
الخطاب والدولة الاموية، ثم نوقمت عازيتهم في عهد الخليفة العباسي هارون
الرشيد، وهي الفترة نفسها التي قرر فيها حاكمهم التخلص من الوثنية، فاختار
اعتناق اليهودية كي لا يُحصى ممكنة لمسلمين لعباسيين ولا المسيحيين
البيزنطيين، ولحق به عليه القوم والكثير من أبناء شعبه إحقاق لمقولة "لنأس
على دين ملوكهم" (1)

٢٠ الصهيونية وحلم الدولة

شهدت اليهودية كما مر بنا الكثير من لتعديل والتبديل والتخريف منذ
نشأتها، كما شهدت اشتاق فرق وطوائف متعددة وبتدثار بعضها لعوام
سياسية واجتماعية، ويمكن اعتبار ظهور الحركة الصهيونية في العصر
الحديث من نتائج عقيدة المسيح المنتظر بعد صهرها في بوتقة طائفة
الفرسيين، ومعها روح طائفة لقنانيين (2)

ترجح بعض المصادر أن بدور هذه الحركة وُلدت في القرن السابع عشر
على يد البروتستانتية المسيحية المتصهبة التي امتت بفكرة إعادة ليهود إلى
فلسطين لتحقيق الخلاص وعودة المسيح (يسوع)، ثم لاقبت الفكرة تأييداً لدى
اليهود الأوروبيين بينما يرحح باحثون آخرون أن الفكرة لم تولد في عقول

(١) "Khazar" Encyclopedia Britannica. www.britannica.com

(2) لفرسيون هم الاخبار الذين كانت بهم الكلمة العليا في توحية مجتمع اليهودي على عهد المسيح
عيسى عليه السلام، وكانت لهم منزلة خاصة لدى انحكام الرومان، كما كانوا يميزون أنفسهم عن
بقية لشعب يهودي، أما فرقة لقنانيين فكانت بهم الفرسيين بالحدية لأنهم رصو بحكم الرومان
الوثنيين، وكانو يسمون عقيبات اغتيال سروس ومواليهم من اليهود غير تشكيل جماعات سرية،
كما كانوا متشدين في التمسك بالشرعة اليهودية

البروتستانت من لعدم، بل تسلت إليهم من اليهود المنتحسين¹، حتى أصبحت عقيدة مقدسة لدى الدول البروتستانتية في أوروبا الغربية، ثم أميركا ويقول الدكتور عبد الوهاب المسيري إنه تطوّر مفهوم الصهيونية لا يعود إلى العهد القديم أو ما يُسمى "التاريخ اليهودي"، وحتى لعقود الأخيرة من القرن التاسع عشر لم يرتبط ليهود بالصهيونية كمفكرة أو مشروع سياسي² ومن أشهر اليهود الأوروبيين الذين تدنّوا هذا المشروع الصهيوني والاديب النمساوي ثيودور هرتزل الذي عاش عدة أحداث لأصطهاد ليهود، فشرى في عام 1896 كتاباً بعنوان «الدولة اليهودية»، وناقش فيه فكره إقامة دولة لليهود، إما في الأرجنتين، أو على نحو مفصل في فلسطين، معتبراً أن هذا هو الحل الوحيد لتخليص لشعب اليهودي من العنصرية الأوروبية التي صارت تسمى "معاداة السامية"



هززل على متن سفينة في طريقها إلى فلسطين عام 1898 م

مصطلح "اليهود المنتحسين" ليس من ساح نظريات المؤامرة بل هو حقيفة تاريخية لا خلاف عليها، إذ اعتاد الكثير من اليهود على إظهار اعتناقهم للمسيحية في أوروبا أو لإسلام في الدولة العثمانية عندما كانوا يسفرون بانتحار أو يفرصون للأصطهاد، ويمكن التعرف على هذه نظاهرة بالبحث في أيوسوعات يهودية عن طوائف المازييم والسويحة والتكونترسوس والحموسين

¹ عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار انشوي، القاهرة، 2010، ط6، ص 198

سرغن ما حظي الكتاب بترحيب وإشادة على نطاق واسع، فالأوروبيون العلمانيون وجدوا في فكرة السولة اليهودية وسيلة للتخلص من عبء الأفيات اليهودية ولزرع دولة وطنية في قلب العالم الإسلامي (السولة العثمانية آنذاك)، والمسيحية المنتهية وجدت فيها تعجلاً لتحقيق عوده المسيح، أما اليهود فانقسموا آنذاك بين مؤيد لها، وبين معارض لكونها تهديدًا للمشاريع الإصلاحية التي كانت تسار جهودًا كبيرة لدمج اليهود في المجتمعات الأوروبية، كما عثرت بعض الطوائف اليهودية أن إقامة الدولة تمرّد على المشيئة الإلهية¹

بعد سنة فقط من ظهور كتاب هرتزل، ترأس بنفسه المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بزل السويسرية، والطريف أن الصهيونية عجزت عن عضده آنذاك في ميونيخ بسبب معارضة حاخامات المدينة، كما عجزت لجانة اليهودية القوية في مونتريل الكندية مؤتمراً مؤازراً في الوقت نفسه للاعتراض على أي مبادره تهدف إلى إنشاء دولة يهودية⁽²⁾

وبالرغم من الاعتراضات، سُلطت كل الأصواء على مؤتمر بزل، وقال هرتزل في خطاب الافتتاح إن هدف المؤتمر هو وضع حجر الأساس لوطن قومي لليهود، مؤكداً أن "المشكلة اليهودية"⁽³⁾ لا يمكن حلها من خلال سياسات

1 من الطوائف اليهودية معادية للصهيونية حركة ساموري كاربا فهي تقول إن التمسود بعض على ن أي محاولة لاسترداد أرض إسرائيل بالقوة هي مخالفة للأمر الإلهي، وإن إعادة دولة إسرائيل ينبغي أن تحدث بعد ظهور المسيح وليس تمهيداً له

2 رجاء جاروني، "تأسيس المؤسسة الصهيونية الإسرائيلية، دار العدد العربي، القاهرة، ط 1996، ص 18

3 كان هذا مصطلح أو "مسألة يهودية" شاملاً في أوروبا آنذاك إذ كان اليهود يشكلون معصلة حقيقية للمجتمع والسياسيين في أنحاء العالم، وكان الرأي السائد على كل الأصعدة هو ضرورة دمج اليهود في المجتمعات الأوروبية وهذا يعني علميتهم ومحو تعصباتهم أو طردهم إلى قراب أخرى، بينما لم يردد الحركات الأكثر صراحة في التفكير بإبائتهم، وهذا ما فسده حركتي السطحة النارية في ألمانيا وكان فيسوف الألماني اليهودي المعروف كارل ماركس قد ألف كتاباً بعنوان "المسألة اليهودية" في

الإدماج في أوروبا، ولا للمواطنين البشري إلى مناطق أخرى، بل يجب إطلاق حملة لمشروع استيطاني في فلسطين ترعاه الدول الكبرى وتحظى باعتراف قنوبي، وبشكل مشابه لسياسات الاستعمار التي كانت تتبعها الدول الأوروبية، وذلك في أنحاء العالم.

رحبت الحكومات الأوروبية بهذا المشروع، وعرضت الحركة الصهيونية على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني شراء بعض الأراضي الفلسطينية فرفض رفضاً تاماً، كما سعى الإمبراطور الألماني (عليوم الثاني) لتسهيل عمليات الهجرة لدى الدولة العثمانية لكن سرور جدوى، وكانت حملات الهجرة الاستيطانية إلى فلسطين قد بدأت بالفعل قبل المؤتمر الصهيوني الأول نحو عشر سنوات، لكن السلطان أصدر قراراً بمنع اليهود من السكن في فلسطين ومنع اليهود الأجانب من دخول مدينة القدس، وذلك بعدما صارت إقامة الدولة اليهودية هدفاً معلناً (1).

واصلت الحركة الصهيونية دعمها لهجير اليهود بأعداد صغيرة، وأسست «الصندوق القومي اليهودي» في عام 1901 لتمويل الهجرة لكن تباطؤ التسديد دفع للصهاينة للشك في إمكانية إقامة الدولة على أرض فلسطين، حتى اقترح هرتزل اختيار أوغندا الأفريقية مكاناً للدولة المنشودة، لكن الروس رفضوا المقترح بشدة.

في الوقت نفسه كان يهود الدولة يشطون بدعم خارجي في الجمعيات السرية المدسوبة للتدخل إلى السلطة في الدولة العثمانية، وعلى رأس هذه التشكيلات جمعية الاتحاد والترقي وترامت هذه الجهود مع لقلندر التي

عام 1843 ووجد فيه معده لرسالة معدة من نظام الشيوعي الذي يدمج كل الطوائف في

مظومة علمانية هو الحل

(1) محمد سعيد طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار المناسك، بيروت

استلعت في الولايات العربية التابعة للسيطرة على يد حركات وجمعيات القوميين العرب، كما جاءت بعد فترة قصيرة من الهزيمة المؤلمة للعثمانيين في حروبهم مع روسيا وحسارتهم أراضي واسعة في أوروبا

في منتصف عام 1908، بحسب حركة "تركيا الفتاة" العثمانية في لصعظ على السلطان لانسرجاع دستور عام 1876 الذي يقصص صلاحياته وفي لعدم التالي، تضررت بريطانيا مع عملاتها "الاتحاديين" لسيير ماسمي ثورة "31 مارس" وإحداث تمرد في الجيش العثماني، وخلال أقل من شهر انتهى الأمر بعزل السلطان عبد الحميد الثاني، وكان اليهودي هره صبو عمانوئيل واحد من الأعضاء الأربعة للوفد الذي ملحه بقرار عزله، وبدأت بدأت استعددت الأوروبيين للإجهاار على الدولة العثمانية واقتسام إرثها، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى في عام 1914 لتسريع هذه العاية، فكان من سوء حظ العثمانيين بحيارهم إلى لطرف لحاسر تحالفهم مع الألمان، بسما كانت بريطانيا تتحالف مع لشريف الحسين وأولاده وتدفهم لإطلاق "ثورة العربية الكبرى" عام 1916 ضد العثمانيين، وفي الوقت نفسه كان الأمير فيصل بن الشريف الحسين قد تلقى مع الصهيوني حاييم وبرمان عبي إقامة دولة يهودية في فلسطين، ثم أرسل وزير لخارجيه البريطاني آرثر بلصور في أواخر 1917 رسالة إلى اللورد اليهودي ليوبيل روتشيلد يؤكد فيها دعم بلاده لتأسيس "وطن قومي" في فلسطين للشعب اليهودي"، وهي الرسالة المشهورة تاريخيا باسم "وعد بلصور" ولم يصع الحرب أوزارها في عام 1918 إلا بالفصاء على الدولة لعثمانية وبها مضطومة الحكم الإسلامية (لخلافة)، ثم أقر مؤتمر باريس لسلام في لعدم التالي اتفاقية فيصل-وايزمان.

وقعت الدول العربية بعد الحرب تحت يبر الاحتلال الأوروبي المباشر، وكانت فلسطين من نصيب "الانتداب البريطاني"، فتسارعت وتيرة الهجرة اليهودية المكثفة، وتأسست عصابات يهودية متطرفة لترجيع الفلسطينيين



وتهجيرهم، وحتى إبادتهم في بعض القرى، بينما كانت الحركات العنصرية "المعادية للسامية" تردد عبقاً ضد اليهود في أوروبا ونشجعهم على الهجرة، ثم جاءت المحرقة ليلية في ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية لتهدى الحركة الصهيونية أهم مبرراتها بضرورة إقامة دولة خاصة لليهود لحل "لمشكلة اليهودية"، وهذا ما اقترته منظمة الأمم المتحدة نبي حطة التقسيم عام 1947 لتعلن الحركة الصهيونية في لعدم السان رسمياً قيام دولة إسرائيل ومشاركة دولية، فحتى الاتحاد السوفييتي الذي كان بجاهر بمعارضته للصهيونية صوّت في الأمم المتحدة لصالح التقسيم. بل كان من أوائل الدول الكبرى التي اعترفت بالدولة المحتلة في يوم تسببها، مع بن الرئيس جورج ستالين كان قد سمح في عام 1934 بتأسيس منظمة ذات حكم ذاتي لليهود د حل الاتحاد السوفييتي وعاصمتها مدينة يبرويجان الواقعة في أقصى شرق البلاد، لكن إقامة دولة يهودية على أرض شعب آخر كان يخدم مصالح كل الدول أساك ويمثل حلاً لما يسمى "المشكلة اليهودية"، مع أنه احتلق مشكلة أخرى ما زالت تشغل المجتمع الدولي حتى اليوم.



لمعهد صورة في 14 مايو 1948 داخل قاعة سينما مل أليس في مديّة ويسمى اسم إعلان دافيد بن غوريون قيام دولة إسرائيل تحت صورة هرتزل

الدولة المأزق

مع إعلان قيام "دولة إسرائيل"، انطلقت الاحتفالات بين المجتمعات اليهودية والمسيحية في أنحاء العالم، فلم يكن مجرد حنم يداعب حيال فئة مصططه تبحث عن الاستمالة، بل جاء في صوره تحقق وعد إلهي بعد تأجيل اسمر ثلاثة آلاف سنة، وأيضاً عقب مديحة ارتكبتها الحكومة الألمانية، ليلتي في الهبة مشحوناً بمشاعر جياشة تحقق مصالح جميع الأطراف باستثناء العرب والمسلمين، وكأنه انتصار تاريخي لكل من اليهود الذين أصبح يروا لهم من كبار أثرياء العالم، وكذلك البروتستانت المنتهينون الذين صارت لهم الغلبة في العالم المسيحي بعد انحسار قوة الكنيسة الكاثوليكية، وأيضاً انتصار للعلمانيين العربيين الذين يرون في تأسيس هذه لدولة حلاً للمشكلة اليهودية وكياناً وطنياً يمكن استثماره لأهداف إسرائيلية في المنطقة

لكن تأسيس هذا الكيان كان يتطلب في حده الأدنى جمع شتات اليهود من أعرق وحلفيات شديدة البياض، وتحويلهم إلى شعب واحد يحوص معركة مصيرية، لذا قل ديميد من غوريون أول رئيس حكومة إسرائيلي مع انتهاء المعارك عينا أن يصهر هذا الشعب الكبير ذو الألوان المختلفة في بوتقة جديدة، لتصبح منه أمة جديدة، لكن هذه الأحلام لم تتحقق حتى بعد مرور سبعين سنة، فاللدولة اليهودية ما زالت تواجه أمثلة وحودية بشأن طبيعتها ومبررات وجودها لتورتية، فضلاً عن تزايد الانقسام بين مكونات شعبها

ومنذ التأسيس، ينو صل الجدل بشأن شكل الدولة اليهودية ودمشورها وتشريعاتها وتوزيع السلطات فيها، فالمندسون يريدون دولة تطبق الشريعة اليهودية ولا تكثر لشروط الديمقراطية والحداثة، والعلمانيون يتحدثون عن دولة مدنية، ويستذكرون موقف المؤسسين الأوائل الذين ردو إنشاء دولة يهودية ليبرالية، غير علمانية بالمطلق، مع أنهم لم يترددوا في استخدام الأساطير



السببية كوسيلة لتبرير قيام الدولة حتى لو كان بعضهم لا يؤمن بها جرتيًّا أو كليًّا⁽¹⁾

وربما يتمي قادة هذا الكيان الاستعماري العودة بالمرس إلى الوراء لوضع قواعده صارمة عند تأسيس الدولة، فالحقنة المشددة "الحريديم" تنحدر من البداية موقفًا مدهصًا للدولة الحديثة، وهي ترفض حتى الآن الانخراط في الجيش، وأبناؤها يحصلون بالفعل على اعفاء من الخدمة الإلزامية⁽²⁾، كما يقاطعون مدارس الدولة ومعظم مؤسساتها وإعلامها، ويحاصر المستوطنون المتطرفون منهم يحطاب إبادة العرب وضرورة التمتع بساء لتبنيكل وصرب قرارات الأمم المتحدة بعرض الخائط



مظاهرة حرسية بحريديم في 2014 ضد مذبحة يهودية وحيد في سلاطينهم

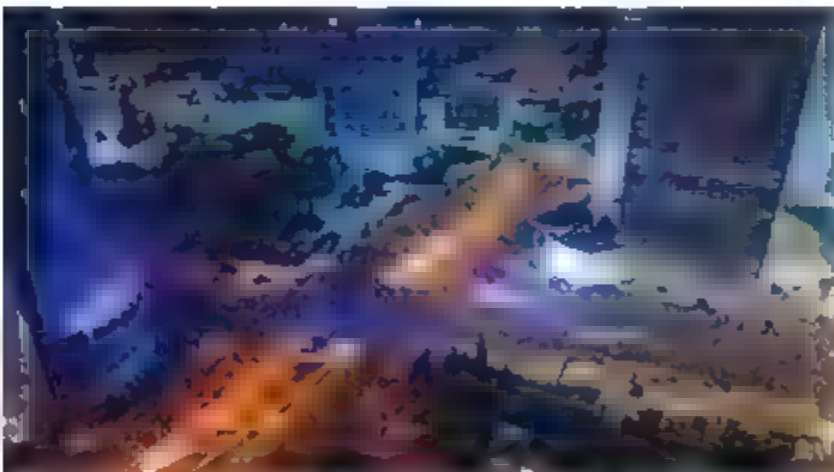
وبعد كل دورة انتخابات لتشكيل الحكومة، تظهر على السطح صمغيات التسويات وتتجدد الجدل. إذ تعالت أصوات النصارى بعدما اصطر رئيس

(1) في الخمسينيات أرسل أول رئيس وزراء إسرائيل دايفيد بن غوريون رسالة إلى موسى شاريت مدير حيمه على منصب لحق وقيل شيا بعد أن ينصن لانس من ندوة فينالك وحيد مصير بين دولة سريل و شعب اليهودي استدر عرقي يشاره من يهودية الدولة حتى شارون دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة: 2005، ص 29

(2) يحصل كل شاب يهودي يلتحق بالمعاهد الدينية على راتب شهري يبلغ حوالي 1140 دولار طلبة منه دراسته التي قد تصل إلى ثلاثة أعوام، وبمضا تسقط عنه الخدمة الإجبارية، لذا يتمكن ثلاثة أرباع الحريديم من التهرب من الجيش. انظر: فيل حندي، مرجع سابق.

الحكومة بنيامين نتنياهو في أواخر 2022 لإعلان حكومته الجديدة مع شركاء من الأحزاب الدينية واليهودية المتطرفة، لتصبح بذلك الحكومة الأكثر يمينية وتطرفاً في تاريخ الدولة

وشهد لربع الأول من عام 2023 مظاهرات حاشدة وعير مسبوقه بقيادة المعارضة ولتغيرات اليسارية واليهودية، للتنديد بسياسة الحكومة اليمينية، مما أضر وحدة الانقسام في مجتمع الاحليلال. حتى قبل الرئيس الاسبق لجهار الاستخبارات الخارجية (الموساد) نامير باردو إن إسرائيل "فُتت آلية تدمير الدات، وهي تقترب من نهايتها"¹



صورة التقطت ليلة 4 مارس 2023 في تل أبيب بمظاهرات تطيح بـ"بنية بنون ضد حصة نتنياهو لإصلاحات قضائية قبلها نصوص تدفع طلبة جنود" ¹Amir erke Wikimedia

وكان الرئيس الامرائيني السابق رؤوفين ريملين قد حذر منذ عام 2015 من خطورة الانقسام المتصاعد، مشيرًا إلى أن المجتمع منقسم بين ما سماه أربع

¹ "يديعوت أحرونيوت ريسن حبار الموساد السابق إسرائيل تقترب من نهايتها"، صحيفة رُي نيوم، 7

"عشائر"، وهي علمانية، وقومية دسية، ومتشعبة، وعربية، وقال إنها "لا تعيش، وأولادها لا يرتادون المدرس بمسها، وأفرادها حتى لا يعرفون الصحف ذاتها"، كما حذر من خطورة برايد التوتر والخوف والعداء فيما بينها وترحرر الصحافة الإسرائيلية في السنوات الأخيرة مقالات نُشرت باستمرار وحوادث هذه الدولة المضطربة، ومنها مثلاً مقال للصحفي اري شافيط في صحيفة هآرتس بعنوان "إسرائيل تنمط نفسها الأخيرة"، قال فيه إنه لم يعد بالإمكان إعادة إصلاح الصهيونية وإيقاد الديمقراطية وتقسيم البلاد، وما دام الأمر كذلك فإنه لا طعام للعيش في هذه البلاد، ويضم مقال للصحفي يارون ليس عترف فيه بأنه يعد نفسه لمحادثة مع حميده سيمول له فيها إن نسبة بقائهم في هذه الدولة لن تتعدى 50% أم الصحفي جلعون ليفي فكتب في صحيفة هآرتس في 13 مايو 2022 إن "وجهنا يجب أن نكون أوروبا، وعندهم أن يستعبدوا كالأجناس اعتمد أن هذا الفصل من أن يؤكل أحباء من العرب"¹⁰.

وكان موقع "ميدل إيست آي" البريطاني قد أجرى في مطلع عام 2020 مقابلة لاهبة مع الباحث الإسرائيلي ياكوف شاريت، وهو ابن موشيه شاريت لذي كان من الأباء المؤسسين لإسرائيل وأول وزير خارجيه لها وثاني رئيس لوزراء، حيث قال ياكوف بعدما تجاوز عمره التسعين عامًا إنه نادم على المشروع الصهيوني بأكميه، مصيف "إسرائيل دولة إجرامية" وأن هذا البلد لذي ساهم بتأميمه عندما كان جديًا في شبابه لا يمكن أن يستمر بتحويله إلى قلعة صد الغزاة، وأن يعيش سكانه بالمصيف إلى الأبد¹².

¹⁰ دافيد أبراموف، لكن ينطق رواله، صحيفة زئ اليوم، 14 أكتوبر 2022

¹² "استراقات ساحرة" من مؤسس إسرائيل الندم على المشروع الصهيوني، الجزيرة نت، 16 يناير



٢١ انحسار التدين

تتحدث وسائل الإعلام كثيرًا عن ظاهرة ازدياد التطرف اليميني في الكيان المحتل، لكن هذا لا يعي بالضرورة ازدياد نسبة التدين بين اليهود. سوء في دوح الكيان أو خارجه، فظاهرة انحسار التدين بين المسيحيين في لغرب تنتشر بين اليهود أيضًا، وتشير الاحصاءات إلى أن نصف يهود العالم على الأقل يميلون إلى العلمانية وعدم الاكتراث بأصول دينهم، مما يصنع أحد أهم مبررات وجود "وطنهم القومي" على المحك.

ففي الولايات المتحدة التي تصم أكبر جالية يهودية بعد إسرائيل^١، كشفت دراسة لمركز "نيو" في عام 2018 أن 45% من اليهود الأميركيين مدرجون في الشريحتين الأقل تدينًا وهما "مقاومو الدين" الذين يؤمنون بوجود إله ولكن لديهم وجهة نظر سلبية عن الدين، أو "علمانيون بقوة" الذين يؤمنون بالإله ولا يعترفون أنفسهم كمتمدين، أما الذين يمارسون الطقوس الدينية فلا تزيد نسبتهم عن 21% (2).

وفي الدولة اليهودية نفسها، والتي يُصرص أنها استقطبت المتديين من اليهود قبل لعلمانيين، كان 54% من اليهود يصصون أنفسهم بأهم علمانيين في

١ طوال عقود، كانت الاحصاءات تشير إلى أن عدد اليهود في الولايات المتحدة أكبر من عددهم في إسرائيل، وبدءًا من عام 2006 تؤكد الاحصاءات الإسرائيلية أن عدد يهود داخل إسرائيل أصبح أكبر ومن اللافت أن بعض الباحثين يتجاوزون أدلة ذلك بأن يصبح عدد اليهود في إسرائيل أغلبية مطلقة خلال 25 عامًا ولكن الاحصاءات في 2022 لا تبين بذلك، فعدد يهود في إسرائيل يريد عن عددهم في الولايات المتحدة بنصف مليون فقط انظر Report: More Jews in Israel than in any other country, www.jpost.com, 2 May 2006

٢ مقال حولي نصف اليهود الأميركيين لا يسمون إلى نيابة منظمة، صحيفة هايمر (أوف إسرائيل) 30 أغسطس 2018 ar.timesofisrael.com

متصّف الثماييات، وذلك وفقًا لمجلة بيورويك. بينما كانت مصادر أخرى ترفع هذه النسبة إلى ما بين 60% و65%⁽¹⁾.

وفي استطلاع لدائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية عام 2018، عبّر 43.2% من اليهود في إسرائيل أنفسهم من فئة العلمانيين (حلوني بالعبرية)⁽²⁾، وتُعدّ هذه الفئة معادية للدولة الدينية (الحامية)

أما فئة الحريديم المتدينين فبلغت نسبتها في 2018 بحسب الإحصاءات الرسمية 13.6% فقط، وهذه الأقلية هي التي تطالب دولة دينية يحكمها رجال الدين لتحقيق حلم خروج المسيح ويدور الجدل بشأنهم من حيث ارتفاع نسبة الموليد فهم أكثر من أي فئة أخرى، والتوقعات تشير إلى احتمال ارتفاع نسبتهم عام 2028 إلى أكثر من 20%، ثم إلى حوالي 34.6% في عام 2059⁽³⁾ وحتى لو صحت هذه التوقعات فسيبقى الحريديم في حدود ثلث اليهود بعد حوالي أربعين عامًا، وستبقى "الدولة اليهودية" بذلك ذات أعينيه لا تؤمّن بالدولة الدينية

هناك دراسات أخرى تصيف إلى الحريديم بعض ثلثات المتدينية الأهل تشدّدًا لترفع نسبتهم إلى ما بين 20% و30%، ومع ذلك تبقى الأغلبية ممن يعرفون أنفسهم بأنهم إما علمانيين (حلوني) أو تقليديين (مسيحيين)، وهذه الفئة الأخيرة لا سكر إيمانها بالدين ومقدمته إلا أنها تتحفظ من الالتزام بقيود الشريعة، وببدي مواقف متباينة بشأن بصورتها عن الإله والوحي فهي استطاع إجرتة مؤسسة غالوب الدولية في عام 2015 في 65 دولة، جاءت

⁽¹⁾ غريس هاسن، المبعوء والسياسة الانجيليون العمسكرون في الطريق إلى الحرب النووية، ترجمة محمد مصطفى، جمعية الدعوة الإسلامية عالميه طرابلس الليبية، ط 1: 1989، ص 131

(2) CBS 2018 Survey, p. 82

(3) أميسر جيني، اليهود الحريديم، كراهيه تاريخيه بنونه إسرائيل والعلمانيين عرب كورون " موقع



إسرائيل في المرتبة الثامنة عالميًا في قائمة أكثر الشعوب علمانية. مقدمة على دول مثل ألمانيا وسويسرا، إذ قال 5% ممن شملهم الاستطلاع من يهود إسرائيل، هم يعتبرون أنفسهم "غير متديين". كما قال 8% إنهم "ملحدون"، واعتبر 30% أنفسهم "متديين" ⁽¹⁾.

ومما يؤكد انخفاض نسبة اهتمام الكثير من يهود العالم بالدين، جاء في دراسة نشرها معهد بحوث السياسة اليهودية JPR في أغسطس 2023 أن نسبة الروح المختلط بين اليهود وغيرهم حول العالم تبلغ 26%. كما تبلغ هذه النسبة لدى يهود الولايات المتحدة 45%. بينما ترتفع هذه النسبة كثيرًا في بعض الدول الأوروبية لتصل إلى 76% مثلًا في بولندا ⁽²⁾.

وبالعودة إلى الكيان المحلي، تزايدت ظاهرة مجاهرة العلمانيين من اليهود بمظاهر الانحلال كل عام، حتى أصبحت العاصمة تل أبيب "عاصمة المثيين في الشرق الأوسط"، بل حارت سمعها عالميًا في هذا المجال فهي استطلاع عالمي أجراه موقع للمثليين في عام 2011، قال 43% من المشاركين إن تل أبيب هي مدينتهم المفضلة لقضاء عطلة ⁽³⁾.

وإذا انحسرت الشدود الجسدي (المثلية) معيارًا لقياس تدبير الحكومة والمجتمع، فمن المهم الإشارة إلى استطلاع لرأي أجري في عام 2017، وجاء فيه أن 79% من عموم الإسرائيليين يدعمون الزواج بين المثيين، كما كشف الاستطلاع أن 84% من ناحي حرب الليكود اليميني يدعمون هذا النوع ⁽⁴⁾، ما يعني أن الكثير من أنصار هذا الحزب ليسوا متديين أصلًا، حتى لو اضطروا

(1) "يسريين من بين الدول عشر لأكثر علمانية" www.globes.co.il، 21 أبريل 2015

(2) Dan el Staelsky "Intermarriage of Jews and non-jews: The global situation and its meaning", jpr.org.ukm, August 2023.

(3) "Tel Aviv Declared World's Best Gay Travel Destination" haaretz.com 11 Jan 2012

(4) "Tor Staff" "79% of israelis back gay marriage or civil unions" timesofisrael.com 9 June 2017

قائد الحرب سيب هو للتحالف مع أكثر الأحزاب تصرفاً والتي تقر بأن المثنية مجرّمة دينياً وعلى الصعيد السياسي، يُسمح للمثنيين بالالتحاق بالحيش منذ عام 1993، كما صم البرلمان (الكيسب) في عام 2020 ستة نواب مثليين من أحزاب عدة، بما فيها حزب الليكود، وشارك رئيس الكيسب ميكي ليفي في إحدى مسيرات المثليين وألقى خطاباً أكد فيه دعم الحكومة لحق المثليين في الزواج وتبني الأطفال.

ومع أن وسائل الإعلام المحلية والعالمية، ومعظم دات ميول ليبرالية، تسبّط أصواتها على المتشددین اليهود (الحريديم)، محدّرة من خطابهم العنصري المقيت وستمعراهم للشرطة الاسرائيلية، إلا أن متهمر العلميين ليهود للمثنيين لا يحظى بمثل هذا الاهتمام، إذ أصبحت مسيرات "شهر المخمر" التي تنطلق في شهر يونيو من كل عام ويشارك فيها مئات الآلاف فرصةً لنصدام مع المتدينين. ومن الأمثلة مسيرة حاشدة جيت شوارع مدينة "منسي رمون" في جنوب دولة الاحتلال عام 2022 وتعقد فيها الشوادر استممرار المتدينين أمام إحدى مدارسهم ونحت حماية الشرطة^١

"شبح التروال"

في 7 أكتوبر 2023، شبت فصائل المقاومة الفلسطينية في غزة عملية غير مسبوقة تحت مسمى "طوفان الأقصى"، تصبّنت إطلاق خمسة آلاف صاروخ نحو عشرات المستوطنات والمدن في كل أرجاء المناطق المحتلة، بالتزامن مع اقبحام بري للبلدات والمسيوطنات في غلاف غزة، ما أسفر عن اشتباكات عنيفة مع بعض القطع العسكرية وأسبى الهجوم المباعث بمقتل أكثر من 1500 إسرائيلي، وأسر نحو 245 شخصاً وبفلمهم مباشره إلى داخل غزة كرهش

١ ميرفت عوف، الليبرالية تنصر على المبرمة "يهودية" حاداً أصبحت إسرائيل قبلة لمثليين؟،

أطلق الاحتلال عقب ذلك عدوانًا واسعًا لاستئصال المقاومة وتدمير غزة وتهجير أهلها، وما يهدف في هذا السياق هو الأثر الذي ولّدت به هذه الأحداث المشروع الصهيوني برمته، إذ سرعان ما نالت التصريحات الرسمية والإعلامية من داخل الاحتلال وفي الدول العربية للتخدير من زوال هذا الكيان، ومنه مثلًا الكاتب الإسرائيلي حذعون ليفي في صحيفة هآرتس أهم مؤشرات القش الإسرائيلي أمام الفلسطينيين بقوله "نما نواجه أصعب شعب في لتاريخ، وعمليّة لتدمير التي والمرص السرطاني الإسرائيلي بلغا مراحلها النهائية، ولا سبيل للعلاج بالقيط الحديدية ولا بالأسوار، ولا بالقنابل النووية"

ويكفي الاستشهاد برؤية المؤرخ الإسرائيلي الروفيسور ييلان بيبه¹ الذي قدّم في يناير 2024 محاضرة جريئة بمدينة حيفا تحت عنوان "بداية نهاية المشروع الصهيوني"، إذ قدل أن بدايه نهاية هذا المشروع هي مرحلة طويلة وحظيرة، ويجب الاستعداد لها، مشيرًا إلى خمسة مؤشرات لبدايه لنهاية، وهي

1- تآكل الرابط الذي كان يجمع بين طريقي المجتمع الإسرائيلي، العلماني والديني، هلالول يريد دولة علمانية دنيوية وقد يحثي عن بعض الأراضي للفلسطينيين أما الثاني فلا يقبل سوى بالتمدد ونشاء الدولة الدينية لتوراتية من الذين لتصرت، ويبدو أن الطرفين على وشك الدحول في حرب أهلية

2 حصول القضية لعلمستينية على دعم غير مسبوق في العالم، وتهيأ صورة دولة الاحتلال حتى أصبحت نموذجًا مماثلًا لدولة لفصل العنصري البائدة في جنوب أفريقيا.

1) هو سدد في كليه العلوم الاجتماعية وعريسات الدولية بجامعة اكسر البريطانية University of Exeter ومدير المركز الأوروبي للدراسات الفلسطينية تابع لجامعة، وأيضاََ لمدير المنشآت لمركز اكسر لدراسات الشرقية والميناسية، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "عشر أساطير عن إسرائيل"



3- مراد الهوية بين الفقراء والأغنياء وهشاشة الوضع الاقتصادي، لا سيما مع الإنفاق الهائل على القطاع العسكري.

4- عدم قدرة الجيش على حماية المجتمع اليهودي، والعمية الأخيرة أجبرت 120 ألف يهودي على لروح إلى الشمال⁽¹⁾، والحكومة فشلت في مساعدة عائلات القتلى والجرحى.

5- تغير مواقف لخبير لتحديد من اليهود. وخصوصاً خارج دولة الاحتلال، فهناك أعداد متزايدة من الشباب اليهود الذين انضموا بالفعل إلى حركة التصاميم مع الفلسطينيين، إلى جانب تحلي لجيل الجديد من المسيحيين في أميركا عن الأفكار الأصولية التي كانت أهم داعم لإسرائيل⁽²⁾.

وكان استطلاع للرأي أجراه باحثون من جامعة هارفارد وشركة هيريس بول في منتصف ديسمبر 2023 قد أثار دغص صراع القرار في لعرب، حيث قبل 51% من الشباب الأميركيين، الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و24 عامًا، أنهم يعتقدون أن حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي يتلخص في تمكين دولة إسرائيل وبسبب الارض كلها إلى الفلسطينيين. بينما لم يؤيد "حل الدولتين" سوى 3% من الشباب والعجيب أن استطلاعاً سابقاً حري مباشرة بعد أحداث السابع من أكتوبر كشف أن 26% فقط من الشباب الأميركيين يؤيدون إنهاء دولة الاحتلال، ما يعني أن هذه النسبة تصاعمت خلال شهرين فقط⁽³⁾.

1- هبات مصادر تحدثت عن خروج نحو نصف مليون يهودي بعد عملية طوفان الأقصى.

2- ماهد درياس، "المؤرخ الإسرائيلي إيلاز بنايه د مشاورا على بدية نهية المشروع الصهيوني"، العربي

الجديد، 14 يناير 2024

3- "الدعم ياكل مستطاع أكثر من مصف الشباب الأمريكي يرى حل الصراع بنهاية إسرائيل"، قناة

الغد، 17 ديسمبر 2023



في المقابل، وسيف يصرح الكثير من المحللين والسياسيين بمخاوفهم من وصول الكيان المحتل إلى مهيته. يعاقب المتطرفون الرمن لتحقيق الهدف لهاني يهدم المسجد الأقصى وساء الهيكل، وكان التأجيل لم يعد في صالحهم فمن أبرر الموقف التي تسحق التوثيق أثناء الحرب الوحشية على عرة، مقال كنية رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق يهود أولرب في صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية بتاريخ 23 فبراير 2024 قال فيه إن حكومه سيباهو في "عصابة منطرفة" تتحد من تدمير غرة خطوة فقط نحو المعركة الكبرى، وهي إشغال الصمة العربية وليان، وذلك لتفريغ كل الأرضي الفلسطينية من الفلسطينيين ونزوح المسجد الأقصى من المسلمين

ولم يذكر أولمرت بصراحة أن الهدف لهاني هو هدم مسجد الأقصى وساء الهيكل مع أن السياق يوضح ذلك، لكنه حذر من أن مشروع هذه لعصابة لحاكمة سيؤدي إلى "الكارثة، وهي حرب شاملة" تتجاوز حدود الكيان المحتل^(١) ومن المواقف المباحنة أيضًا أثناء الحرب بصرح صدام للرئيس الأسبق لجهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشباك) عامي أيلول، ففي 14 مارس 2024 قال في لقاء ببرنامج "في العمق" (In depth) لصاه ABC الأمريكية إنه لو كان فلسطينيًا يعيش تحت الاحتلال الإسرائيلي فسيفعل "سراويل من أجل تحقيق حريته، وعندما سنل عن الوزراء المتطرفين في الحكومه قال إنه يعتبرهم إرهابيين ومسئايين ولا يمثلون سوى أقلية من المجتمع اليهودي

وكان أيلول قد صدم المجتمع الإسرائيلي أيضًا في أول مقابلة أجريت معه خلال الحرب، ففي 7 يناير من نفس العام قال لمرسل صحيفة هآرتس الإسرائيلية "إن من يعتقد أن الفلسطينيين سيمتسلمون، لا يعرف الفلسطينيين ولا حماس والحركات الإسلامية المنطرفة في هذا لقرن"، معتبرًا

(١) "أولمرت حكومه سيباهو عصابة وهدفها قيادة للمنطقة نحو الكارثة"، الجزيرة نت 23 فبراير 2024



أن إسرائيل لن تخرج منتصرة من تلك الحرب حتى لو قُنتت قائد حركة حماس، فالانتصار في ربه يتمثل في الحصول على اعتراف الدول العربية بهذا الكيان المحتل وإقامة سلام دائم معه، لكن المساواة -حسب تعبيره- هي أن الصهاينة يرفضون الاعتراف بانتصارهم، الذي حققوه عندما قدمت الجامعة العربية في 2002 مبادرة التطبيع مقابل الاعتراف بدولة فلسطينية، وما رُلوا يواصلون لقتال، بل حوّلوا الحرب إلى "غاية في حد ذاتها"^(١)



^(١) رنمن سابق لفشايال، أن تخرج بصورة للمصر وهذه مستلزمات انتهاء الحرب، الخبره ص 8



المسيحية المنصهية.. إحياء الصليبية

وحمانه إسرائيل بمهدا ليونثوسا "المسح"

كثيراً ما نسمع أسئلة تدور في أذهاننا، لشعبه بين المسلمين عن سبب التوافق الدائم بين اليهود والكثير من المسيحيين العربيين في تحقيق مساعي الصهيونية لاحتلال أرض فلسطين. ومع أن أي مشروع سياسي قد تقف وراءه أسباب إستراتيجية علمانية ومصلحية بحتة إلا أن الاندفاع العاطفي لدى كثير من مسيحيين هو الذي يبدو عامصاً وغير مفهوم، لا سيما أن الشائع لدى عامة الناس هو أن المسيحيين حاقدون على اليهود لأنهم سعوا إلى تسليط الرومان على المسيح عليه السلام حتى "صلب"، لكن الكثير منهم لم يسمع بنهار "المسيحية المنصهية" الذي يصمم عشرات الملايين من المسيحيين في أميركا وأوروبا. وهو نهار أقوى سياسياً بكثير من الطوائف المسيحية الأخرى، ويؤمن أتباعها بتحقيق نبوءات الكتاب المقدس من خلال إعادة اليهود إلى "أرض الميعاد" وتأسيس مملكة إسرائيل.

تعود جذور المسيحية المنصهية إلى بدايات تشكل الدين المسيحي نفسه على يد شاول (القديس بولس)، إذ كان من الشائع في المراحل الأولى من المسيحية أن يسوع (عيسى عليه السلام) سيعود قريباً ليحكم العالم بالعدل ويقضي على غير المؤمنين، وذلك استناداً إلى القول المنسوب إليه في إنجيل متى "الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله، السماء والأرض ترولان ولكن كل شيء لا يرولان" (متى 24 34)

نقصي الجيل الأول لتلاميذ ولم يغد يسوع، فبدأ أتباعه لمصطفيهم من قبل الرومان، لوثيين بالتطلع إلى حروب المعزّي "المارقليط" الذي بشر به يسوع



في إنجيل يوحنا "ومضى جاء المعري الذي سارسله أحد إليكم من آباء روح الحق الذي من عند الآب يستق فهو يشهد لي"⁽¹⁾ (يوحنا 16: 7)، فظهر في القرن الثاني الميلادي لراهب مونتانيوس الذي زعم أنه يستق الوحي من الروح القدس، مؤسسًا بذلك فرقه المونتانية (Montanism)، وأحد يدعو المسيحيين إلى التقشف والصيام والامتناع عن الروح ستعدادًا لمرور يسوع لوشيت، لكن ببوءته فشلت في التحقق أيضًا مما دفع المساوسة للرد والحكم عليه بالهرطقة. وقالوا إن المقصود بالمعري هو روح لقدس (الأقنوم الثالث من الثلوث الإلهي) الذي مرل على التلاميذ يوم العصرة ليعزتهم في قصدهم ليسوع. فليس هناك نبي بعده، ولكن يسوع سيعود في يوم الديونة لمحاسبة الناس

يصم سمر روبا يوحنا وهو آخر أسفار العهد الجديد وأكثرها نسبًا بالمستقبل⁽²⁾. بصوصنا تحدث عن فترة سلام ورحاء تمتد ألف عام، ويكون الشيطان وجنوده مقيدون فيها. ولا خلاف بين المسيحيين على الإيمان بهذه البصوص في إنجيلهم لكنهم يختلفون في تفسيرها، ففي القرن الثاني الميلادي كان القديس "حارس الشهيد" من أوائل المساوسة في فلسطين الذين فسروا هذه البصوص بأنها تعني معي المسيح الثاني ليملك على الأرض ألف عام، وقال إن هناك قيامتان، هي الأولى يبعث المؤمنون ليسوع من الموت ويعيشون في ظل حكمه ألف سنة، ثم يصرح عن الشياطين وينتشر الفساد، ويبعث بقية الناس في القيامة الثانية للمحاسبة.

(1) يوس، ممنمون بان المعري هنا هو النبي محمد - ، وأنها كلمة خربت في الإنجيل عن اسم النبي "حمد" بظن نظيره غلاب "بشارة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في النبوة والتجليل وشكالاته بتخريف"، مجلة امتحان العدد 58 20 ديسمبر 2015، ص 117 وما بعدها

(2) هناك خلاف بين المسيحيين بشأن شخصية يوحنا - فهو من النبي يعصبي إليه "إنجيل يوحنا"، ويرجح معظمهم أنه من أسيد المسيحية وأنه عاش في القرن الميلادي الأول.





وجه تعود إلى ٥٢٤ م. تصور فيه الرسام اليهودي هـ. ويموس جس عذيم يوحنا وهو ستم برز،

وفي أواخر القرن الثاني أيضًا ظهر الأسقف إبيسبوس في بلاد الغال (فرنسا، اليوم). وأيد تفسيرات "جسس الشهيد" مسندًا إلى نصوص تتحدث عن وعد إلهي لإبراهيم بميراث الأرض. وقال بما أن الوعد لم يتحقق لإبراهيم في حياته فسيتحقق لسببه من يعقوب. وتحديدًا للمؤمنين بيسوع بعد قيامتهم من الموت

في المقابل، يرفض معظم الفسلفة هذه التفسيرات، فالكنيسس الأرثوذكسية والكاثوليكية تقولان إن تلك النصوص تتعلق بالرمز لحاضر، وإن يسوع يحكم حاليًا في الملكوت مع القديسين الذين ماتوا وصعدوا إليه^{١٠١}. أما ما ورد في سفر لوقيا عن الصراع فهو بحسب ما استقر لديهم حتى اليوم.

١٠١ قال باب الإسكسرية الأرثوذكسي خبوة الثالث: "قال المسيح ملكي ليس من هذا العالم. وكان يدعو إلى ملكوت ربي وليس إلى ملكوت ربي. كل الأقوال المتعلقة بالملكه الأرضية لا علاقه بها

بالكتب المقدسة" انظر فؤاد شعيبان، من أجل صهيوني، دار الفكر، دمشق، 2003، ص 32١

صراع روحي بين الجنة والجحيم وليس صراعاً مادياً على الأرض، فدمسكة يسوع موحودة بالفعل في النظام الكنسي القائم اليوم تحت حكم البيوت والبطاركة، وكل البشرية تعيش الآن في هذه الصورة التي لا تنقيد بألف سنة تحديداً، وأما الآيات التي نقول "فقبض على السنين، ألحيّة القدسة الذي هو إنليس والشيطان، وقبضة ألف سنة، وطرحه في الهاوية وأُغلق عليه، وحتم عليه، لكن لا يُصبر الأمم في ما تغد، حتى تتم الألف السنة وبعد ذلك، لأننا أن يُحل زماناً يسيراً" [الإصحاح 3: 20-22] فتمسخر على أن إبليس مقيد باللعن منذ ظهور يسوع الأول، ولكن صلاله لناس أقن مما كان عليه هبل يسوع، وعندها يحين موعد القيامة يُبعث الأموات جميعاً وبأني يسوع وتبدأ الديونة لعامة التي يُحاسب فيها يسوع كل الناس فمن آمن به يدخل إلى ملكوت الأبسي ويحدد في الجنة، وليست هناك قيامة أخرى قبلها، فما ورد في الكتاب لمقدس عن القيامة الأولى هو القيامة الروحية (المرمية) التي تكون بالثوبة والمعمودية من موت لخطيئة، وهي خاصة بالمسيحيين^١

وتؤمن لكدنس الأرثوذكسية والكاثوليكية أيضاً بأن يوم الدينونة سيُسبق ببعض العلامات، مثل ازدياد الحروب والمجاعات والزلازل والفساد، وظهور دجالين يدعون أنهم المسيح، وارتداد الكثير من أتباعه عن دين الكنيسة بسبب كثرة خطاياهم

ظلّ هذا التفسير الرمزي دائماً فروناً طويّة، ولم يُكتب لتفسيرات موت بوس وإيرينيؤس أن تنتشر إلا على نطاق ضيق، إلى أن أعيد بعثها في بدايات العصر الحديث مع ظهور الطائفة البروتستنتية لمتردة على الكاثوليكية، وقبل أن نتحدث عن مجدد هذه الفكرة سأستعرض بـيجار نظرية تنسب ذلك إلى مشروع دبرنه عائلات أوروبية من سلالة بي إمبرنيل

^١ شرح الكتاب المقدس الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة،

٥. نظرية الحق الإلهي

يعتقد اليهود أن الإله (يهوه) حصن سلالة النبي داود عليه السلام، المنحدر من سبط يهوذا بن يعقوب بالملك، كما حصن حق الكهانة بسلالة هرون من سبط لاوي بن يعقوب.

ووفقاً لنظرية، تعزقت السلالتان مع بقية بني اسرائيل في أرجاء الأرض بعد تدمير الهيكل الثاني على يد الرومان في عام 70م. لكن بعض العائلات من هاتين السلالتين حافظت على بقاء سلالتها لمقدسة حتى اليوم بشكل سرّي، وما زال بعض المنحدرين من داود يؤمنون بأن لهم حق إلهي بالملك، وقد كانوا يترقبون على مدى قرون في أوروبا بانتظار فرصة استعادته الملك^(١)

وبحسب هذه النظرية، أظهر بعض أبناء هذه السلالات اعتناق المسيحية وبدأت عائلاتهم بالاندماج في المجتمع، كما تغلغلت في أوساط الأسر السنية إلى درجة وصول بعض آبائهم إلى أعلى هرم العائلات الحاكمة، بينما نجح بعضهم الآخر في السيطرة على فريق من بطاركة القسطنطينية، وصولاً إلى البابا نفسه، حتى تمكنوا من تحريض الجماهير وإشغال فتيل الحملات الصليبية في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، فمع أن الهدف المعلن كان استعادة موطن للمسيح وتأمين طرق الحج من الممالك الأوروبية. لكن هذه النظرية ترجّح أن المنسولين من السلالات الإسرائيلية استخدموا الكيمياء الكاثوليكية وجيوشها لتقوم بالمهمة عنهم بمهمة احتلال فلسطين والسيطرة على بيت المقدس، وتحديداً المسجد الأقصى الذي يريدون هدمه لبناء الهيكل محلّه

في عام ٢٠٠٢، صدر في بريطانيا كتاب "ريكس ديومس" (Rex Deus) للباحثين الثلاثة تيم وآلان ميرثي ومارلين هوبكنز وعراهم سيمار، وجاء فيه أن الفرنسي هيوغ داباييس Hugues de Payens الذي أسس تنظيم فرسان

(١) يهوه الأمير يهود وعربكان أسريه في تجرود الصليبية من 10 وما بعدها



الهيكل وكان أول أسباط أعظم له كان من سلاله "الملك الإلهي"، وأن عائلته نجت في إحقاق أصلها اليهودي وأظهرت اعتناقها للكاثوليكية، حتى تمكن هيوغ من السُّلر مع قريته إلى القانيكا وإقحام الباب في عام 1119م بتأسيس جماعتهم المسلحة تحت اسم "الأخوة الفقراء جنود المسيح وهيكل سليمان"¹، وذلك بهدف حماية الحجاج المسيحيين، مع منحهم امتيازات استثنائية كان من نتائجها فقدان ثروت طائفة، ووضع مقرهم عند المسجد الأقصى، وبمكهم من حفر الانساق بحتة والي ما رلت موحودة حتى اليوم- بحثاً عن آثار الهيكل وبمايا ملك سليمان، وتحديدًا تابوت العهد والكأس المقدسة².



هيوغ دابليسي

الاسم الرسمي للمعلل لجماعة يثير الشبه بوجود أصول يهودية، فلم يكن الكاثوليكي مسمى بهيكل سليمان، بل كانوا يضيون أن حرايه على يد الرومان الوثنيين دليل على صدق نبوءة المسيح كما جاء في مقرر متى

¹ هناك نظريات ومناصب عديدة بشأن احتمال عثورهم على هذه الكنوز حتى تحول بمصها إلى أفلام سينمائية ناجحة، لكن هذا الجانب من القصة ليس مهمًا لبحثنا

قد تتعرض بطرية نسل سلالات بني إسرائيل إلى وسط لعائلات الأوروبية الحاكمة للكثير من النقد، وربما يُصنف ضمن بطريات المؤامرة، لكن العموص الذي يكتنف أصول بعض العائلات الملكية أمر معروف ولا ينكره الكثير من المؤرخين، ووجود ظاهره "اليهود المتخفين" هو أمر متفق عليه أيضاً، وما يهفنا في هذا السياق أن منظمة "فرسان الهيكل" كانت تحقق أهدافاً يهودية منذ بداية تشكيلها، وهذا قبل أن تُحاكم وتُلاحق بسبب اتهامات الانحراط في عبادة الشيطان وممارسة لسحر والاحلال، كما يمكن القول إن الحروب لصليبية قدّمت بالفعل إرهابات تشكّل الأفكار الصهيونية داخل جسد المسيحية الكاثوليكية، إذ ساهمت بعمق في صياغة الإدراك العربي لتاريخ بني إسرائيل في فلسطين قبل ظهور المسيح (1).

لم تتحلّ لكيسه الكاثوليكية في تلك المرحلة عن عدائها المعن لليهود. واستمرت جهود تحوير جالياتهم إلى مسيحية إذ كانوا يعيشون آنذاك في تجمعات سكنية معزولة "عينو"، وكان من شأنه في الثقافة الشعبية أن هذه الطائفة المستعصمة تعيش عقاباً جماعياً بسبب بواطق أسلافها على "صلب" يسوع

وبعد سقوط الأساطس التي كانت تؤوي الكثير من اليهود ولجوء فريق مهم إلى دول أوروبية عدة، أردد الصعط عليهم من قبل العالبية المسيحية، وكانت المجتمعات الأوروبية آنذاك متجانسة ومعلقة على دينها ولا تتقبل وجود أقليات دينية داخل مدنها. لذا ازدادت ظاهرة اعتناق اليهود الظاهري للمسيحية، وخصوصاً في إسبانيا والبرتغال مع انتهاء الحكم الإسلامي في العقد الأخير من القرن الخامس عشر، وسميت هذه الطائفة بالمسيحيين الجدد

وعى يد هذه الطائفة -التي أظهرت اعتناقها للمسيحية للتو- بدأ إحياء التفسيرات الحرفية القديمة لسفر الرؤيا، وانتشرت فكرة المعجى الثاني

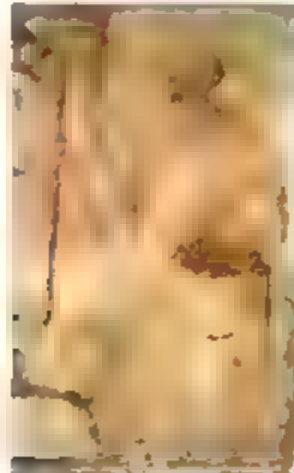
(1) ربي لعمري، "المسيحية صهيونية"، موسوعة السنين al-sabeel.net، 25 يناير 2017



للمسيح على رأس الألف عام المعيدة (الألفية)، بل **شرب هذه** لطائفة اليهودية لتحقيقه أيضًا أساطير مفادها أن التحول الجماعي لليهود إلى المسيحية هو من علامات قرب عودة المسيح، وأنه لا يد من إعادة ما تبقى من اليهود إلى الأرض المقدسة التي تصم حين صهيون كي يعيدوا بناء هيكل سليمان. ثم تأتي المسيح لهم أو بقصي عليهم، وهكذا انتشرت بين المسيحيين قناعة بأنه يجب التعاون مع اليهود ومساعدتهم على لهجرة إلى فلسطين، بعدما كانوا أعداء ملعوتين (1).

نظرية العصور الثلاثة

في وسط حقبة الحروب الصليبية التي امتدت حوالي مئتي عام، ظهر في إيطاليا عالم اللاهوت والمفسر يواكيم هيوري (1135-1202)، الذي ما رل بعض المؤرخين باعترويه من أكثر المفكرين الأوروبيين تأثيرًا في العصور الوسطى. بد طرح نظريته الجديدة "العصور الثلاثة" التي أعادت تشكيل رؤية الكثير من المسيحيين للتاريخ



يواكيم هيوري

رأى يواكيم أن الرابع بنفسه مثل الثالث إلى ثلاثة عصور أممية أولها عصر الأب، الموافق للعهد القديم (التوراة)، وهو يتميز بطاعة البشرية لقوعد الله ثم بدأ عصر الابن بمجيء المسيح. ومثله العهد الجديد (الإنجيل)، وفيه أصبح الإنسان ابنًا للإله. وتبدأ يواكيم من نسبي هذا، العصر في فترة قريبة لبدا عصر الروح القدس، وهو عالم طوبوي مثالي (نوتونيا) يطلق من الإنجيل ولكن يتجاوز حرفيته، ويستبدل فيه التنظيم الكسبي لكهنوتي بانهاء الحاجة إليه.

يرى باحثون أن هذا التقسيم التاريخي للعالم، قُتس من أصل يهودي جاء في تلمود البابلي، فهناك عصر سبق برول التوراة، ثم عصر الخصوع لشرعية بعد برول التوراة، وأخيرًا عصر حروح لمسيح المنتظر (المسيح)، وربما أعاد يواكيم تكييف هذا المخطط ليتوافق مع المسيحية ^(١).

ولعجب أن طرح يواكيم كان جريئًا إلى درجة تصريحه في أحد المقاشات باعقده أن "عدو المسيح" (الدجال) كان معاصرًا له وأنه سيظهر قريبًا ويجلس على كرسي لقسيس بطرس محلًا بابا الفانيكان، وعندما سئل ولكن النبوءة تقول إن الدجال سيولد في بابل، قال إن روما تمثل بابل ^(٢)، وكان العصر الجديد الذي كان يشر به كان معاديًا للكثيمنة بسبب بدرية أنه سيكون عصرًا روحانيًا باطنيًا يتغلى فيه الناس عن التمسك لحرفي بالإنجيل لئلا عثرت نظرياته هرطقة، وأدبت أفكاره بينما ظل هو يُعامر باحترام بقية حياته، لا سيما أنه كان رئيسًا لدير كبير، وكان الملوك يطيبون بصالحه ومهم ملت راجدًا ريتشارد قلب الأسد الذي التمس به قبل معادرتة لجملة لصبيعية الثالثة. وبما أن يواكيم نبأ لريتشارد بأنه هو الذي سيهرم صلاح الدين

(١) Lloyd Kramer Sarah Maze, A Companion to Western Historical Thought, Wiley, 2006, p. 83

(٢) Brett Edward Whalen, Dominion of God: Christendom and Apocalypse in the Middle Ages, Harvard University Press, 2009, p. 123.



الايوني الذي قد يكون نفسه "عدو المسيح" ويسعد منه القدس. لكن ريتشارد عدل إلى أوروبا ومات فيها من دون تحقيق هذه النبوءة⁽¹⁾ توفي يواكيم في بداية القرن الثالث عشر. وحاولت الكنيسة لكنوليكية التصدي لأفكاره وإدانتها. لكنها تركت أثراً كبيراً لدى بعض الطوائف والكُنس الأوروبية، مثل طائفة الامالريكيين المعتمدين لفكرة وحدة الوجود، وكنيسة أخوة الروح الحرة التي عدّتها القاتنيكان جماعة مهرطقة، وكذلك الرهبنة الفرنسية سكابية - التي نعرف بها القاتنيكان - حيث بالغ بعض أعضائها باعتمادهم أن يواكيم بن يوحى إليه، كما يُعتمد أن الأديب دانتي أليغييري تأثر بأفكار يواكيم في ملحمة المعروفة "الكوميديا الإلهية"، وكان معجب به إلى درجة ذكره في الجنة ضمن قصته

* طريق القدس يبدأ من أميركا

بعدما حقق الكاثوليك مكاسب جيدة وأسموا بعض الممالك الصليبية في المشرق، وعلى رأسها مملكة القدس، استعاد المسلمون الأرض المقدسة (فلسطين) وسحرت جميع الجيوش الصليبية في أواخر القرن الثالث عشر، كما عاد فرسان الهيكل إلى أوروبا وقضى عليهم ملك فرنسا فيليب الرابع بالتعاون مع ليبيا، ولكن الحلم بالعودة إلى الأرض المقدسة لم يهدأ، وظل هناك من يحرض على إطلاق حملات صليبية جديدة

في عام 1453 نجحت القوة الصاعدة للعثمانيين في احتراق حصون القسطنطينية، كبر وأعلى مدينة في أوروبا ومقر المسيحية الأرثوذكسية، وكان هذا الحدث بدير شؤون لكنوليكية في روما (الكنيكا)، إذ كان مقدمة لحقبة من المعارك التي تنحدر فيها الممالك الأوروبية موقع الدفاع بدل الهجوم ومع ذلك، كانت وضع المسلمين في الطرف العربي من القارة أمراً، فسمطت

(1) من أجل صهيون، مرجع سابق، ص 421

الأسس بيد الملكين الكاثوليكين هربساند وإبرائيل في مطبع عام 1492،
 ونُعت لدى البعض حلم العودة إلى بيت المقدس من جديد
 في هذه الفترة كان البحار الإيطالي كريستوفر كولومبس قد عتق كل ما
 ذكرناه من أساطير لمجيء لثاني للمسيح، وأصبح مستعداً ليدل حياته من أجل
 تمهيد الطريق لوصول مملكة يسوع المسيح من السماء إلى الأرض



نوحه عبره بعدد شهداء في مدح قصته سيئة بني كاريلا لاندسيين يسوع ونصير غير
 وهي نحتي بحره سانياومهم كبريسوم في قصص نوحه بعدد ذهبيه

كان كولومبوس مؤمناً بأنه مكلف بمهمة مقدسة. وأن محاولة اكتشاف الأراضي الجديدة غرب المحيط وهي القارة الأميركية- ستفتح الباب "لهداية" الأمم الأخرى إلى المسيحية⁽¹⁾. وستجمع الذهب والثروات من سك البلاد لتمويل حرب صليبية أحيره يفودها العرش الإسباني (فرديناند وإيزابيلا) الذي استعاد الأندلس للتو واكتسب شعبية هائلة بين المسيحيين- واستعادة أرض صهيون من المسلمين⁽²⁾.

ويقول مؤرخون إن كولومبوس لم يكن مؤمناً تقياً فحسب بل متطرفاً في حماسه الديني وهوسه بالتنصير الخرفي لبصوص لبوء، حتى كتب عنه ابنه فرديناند "كان متشدد متطرفاً في حماسه الديني، لدرجة تجعلك تظنه منتمياً لحركة أو مذهب ديني متطرف"⁽³⁾.

وبحماسه الشديد، نجح كولومبوس في دفع ملك إسبانيا وملكته بتمويل مشروعه، وتمكّن بالفعل من الإبحار و"اكتشاف" العالم الجديد في عام 1492، وأقام مع شقيقه في حرر الكاريبي مستعمرة سميت "هيسبانيولا". حيث استعيدوا فيها السكان وارتكبو، مجازر هائلة. إصافة إلى قطاعع الاعتصاب والتعذيب، أملاً في تسخير السكان الأصليين لمهمة اكتشاف الذهب وتمويل الحملة الصليبية الجديدة، لكن التاريخ يذكر أن الملكة إيزابيلا استاءت من تصرفاته وأمرت باعتقاله، ومع أنه تمكن من تبرة نفسه والعودة

(1) المرجع السابق، ص 26

(2) دوق كولومبوس أفكاره هذه في كتاب اسمه "النبوءات" (Prophecies)، وكان آخر ما كتبه بعد رحيله الثالثة إلى "العالم الجديد"، وظل يصيب عليه وينقحه إلى ما قبل وفاته بسنة. ينظر

v. J. Flin, "Christopher Columbus" Encyclopaedia Britannica, 5 Sep 2010

(3) من أجل صهيون، مرجع سابق، ص 31

إلى سواحل أميركا الجنوبية في رحلة رابعة إلا أنه عاد حالي الوفاص من غير أن يحقق حلمه (1).

٤ الإصلاح الديني والبرونستانتية

في حصص تلك الأحداث والتطورات، كانت الكنيسة الكاثوليكية قد نحتت في جتيار لكثير من التحديات بمصبتها الحديدية، لاسيما مع رؤيتها لتسقيقتها الأرثوذكسية وهي تحسر معقلها وبصبح تحت رحمة العثمانيين المسلمين²، لكن الخطر كان يدهم عشر البنا من الداخل، فمحاولات التجديد وطرح الأسئلة العقيدة الصعبة كانت عملية مستمرة منذ نشوء المسيحية، وكان البابوات معنادون على إصدار أحكام الهرطقة على كل من يخالف تفسيرات كنيستهم الخاصة للكتاب المقدس، باعتبار أن الربا هو الوحيد الملمهم من الروح القدس، وهو في الوقت نفسه الحاكم الروحي للإمبراطورية الرومانية المقدسة، لكن الاحتفاظ بالسلطة بهذه الطريقة كان لا بد أن يهتز

في عام 1457، أسس اللاهوتي التشيكي يان هوس كنيسة المورافية، وبدأ بطرح الأسئلة الصعبة، فأعدمته الكنيسة حرقاً، مما شجع أتباعه على التمرد وشن معارك عدة ضد الإمبراطورية الرومانية المقدسة، لكنهم كانوا أضعف عسكرياً وخسروا الحرب في النهاية.

١ سحبة بصر، "الحزب المتطام لكريستوفر كولومبوس وعائلته الجديد"، بي بي سي عربي، 17 أكتوبر 2022.

٢ عندما فتح العثمانيون القسطنطينية لم يصدوا ولم يتهودوا بل شترى السلطان محمد الفاتح مقر الكنيسة الأرثوذكسية كاتدرائية أبصوقيا بدمالاً وحوثها إلى مسجد، أصبح رمزاً لتحويل المدينة إلى عاصمة لخلافة إسلامية، وفي الوقت نفسه منح البطاركة إماماً وسمح لهم بقدر مقهورهم في كنيسة لتقديس جرجس (جورجيوس) في شمال غرب المدينة، وما زال حق الآن مقرًا لتبشيريكية القسطنطينية، مع أن الكثير من البطاركة فضّلوا الاعمال إلى اليوم أن.

ألهمت هذه الحركة النفس الألماني مارتن لوتر وشجعته على التمرد، فبشر في عام 1517 رسالة نصم حتمًا وتسعين قصيدة إشكالية، مبدئيًا فيها عتراضه على فكرة «السلطة التعليمية» التي تمنح البابا لوحده حق تفسير الكتاب المقدس، إضافة إلى فصايأ أخرى، فقال بدوره حكمًا بالإدانة والهرطقة، لكنه نجح من الإعدام، وتأسست على يديه حركة الإصلاح الديني التي استغنت منها الكنيسة البروتستنتية



مارتن لوتر

ومن أهم الأفكار التي نشأها لوتر هي التفسير الحرفي لسفر الرؤيا وبمناه بالمجيء الثاني للمسيح، أما موقفه من اليهود فكان مثيّرًا للجدل. إذ أبدى في بداية مسيرته تعاطفًا غير مسبوق داخل الكاثوليكية معهم. وعبر نظرة المسيحيين لليهود معتبرًا أن "المسيح ولد يهوديًا" وأن المسيحيين واليهود ينحدرون من أصل واحد، لكنه آلف في آخر حياته كتابًا بعنوان "عن اليهود وأكاذيبهم" ودعا فيه إلى إخراج اليهود من ألمانيا. ومع أن هذا الموقف عثر

"معدّيّ للسامية"؛ لا أن بعض الباحثين يرون أنه كان بطالب فقط بإحراج اليهود إلى فلسطين لتحقيق شرط مجيء المسيح، وأن إعلانه العداء لليهود في آخر حياته كان نقيّة لامتنعاص عصب المسيحيين من آرائه الصادمة، لا سيما أنه كان قد تساءل في كتابه "من الذي يحول دور اليهود وعودتهم إلى أرضهم في فلسطين؟ لا أحد، بنا سروردهم بكل ما يحناحور إليه في رحلتهم، لا شيء، لا نتخلص منهم" (1).

قدّم لوثر أيضًا ترجمة للكتاب المقدس باللغة الألمانية بدلًا من اللاتينية التي كانت اللغة الوحيدة المسموح بها، فسمح للناس للمرة الأولى بفهم كتابهم المقدس وطرح الأسئلة بشأن تفسيراته، كما فتح الباب أمام نسرب المزيد من الأفكار اليهودية إلى الثقافة المسيحية، وأعطت حركة الإصلاح الديني للغة العبرية أهمية كبرى، حتى أُدرجت في الميّهج لدراسي اللاهوتي باعتبارها وسيلة لفهم "كلمة الله" بشكل صحيح.

ساهم الإصلاح الديني أيضًا في إعادة الاعتبار للعهد القديم من الكتاب المقدس، حتى أصبح المرجع الأعلى للاعتماد البروتستنتي ومصدر المسيحية البقية، وجعله حرّ، من عبادات الكنائس ومرجعًا يُعتمد به لتدريج الأراضي المقدسة والأنبياء، ومصدرًا لبوءات أحر الرمان.

كان لوثر حافدًا على الكاثوليكية والإسلام بالدرجة نفسها تقريبًا، فعندما حاصر السلطان العثماني سليمان القانوني فيينا بحيش صمّم، طالب لوثر في كتابه "شرح الأطروحات الخمس والتسعين" الصادر عام 1518 بعدم مقاومة المسلمين، مما تسبب بتهامه بالاسهرامية. لكنه كان يرى أن جيوش المسلمين العرّة كانوا يمثلون عقوبه أرسلها الرب صد الكبيسة، لكاثوليكية التي تمثل

(1) ربي العسفي، موسوعة التصيل، مرجع سابق.



"عدو المسيح" (الدجال) ¹، وعندما قرأ لوثر ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم في عام 1542 بدأ بكتابة عدة مقالات في نقد الإسلام لدي اسمه "لمحمدية"، إذ كان لا يراه سوى دين "شيطاني" ينبعهُ التزل العثمانيون، وظن يدعو لتركهم يحاربون ضد الكاثوليكية



لوحة رسمها ديكام كرايخ كـ: صديق لوثر يمثل عدو المسيح في صورة د. نيكولاوس بيشه
صكوك الفقران

وبالتوازي مع حركة لوثر في ألمانيا، كان هناك إصلاحيون آخرون يطرحون أفكارًا مماثلة في أنحاء أوروبا. ومهم القمص المرنسي جون كالفن الذي «نطقت أفكاره من جيب وفي إنجلترا تمرد الملك هنري الثامن على كنيسته روم لأن الباب رفض إبطال زواجه، فقرر فصل كنيسة إنجلترا عن الكنيسة الكاثوليكية

[1] Andrew Cunningham Ole Peter Grell The Four Horsemen of the Apocalypse: Religion, War

Famine and Death in Reformation Europe. Cambridge University Press, 2000. p. 239

والسطة الباباوية، ومع أنه ظل معنقًا للكاتوليكية إلا أن الانفصال عن روما مهد لاحقًا لانتشار الإصلاحيين.

نشر في هذه الأجواء مذهب البيوريتانية (التطهيرية) في إنجلترا، وهو مذهب متشدد تأثر بمبادئ كالفن البروتستنتية، وكان مؤسسوه يبالعون في إجلال العهد القديم من الكتاب المقدس، حتى طالبوا الحكومة باتعاده دستورًا للقبول الإنجليزي. كما ساهموا في نشر فكرة "الشعب المختار" المقتبسة من "التوراة" في الثقافة الإنجليزية

ونتيجة للحروب الدامية التي شهدتها إنجلترا، قررت الملكة إليزابيث الأولى حرّ الأرمه ينبي المذهب الأنجليكاني. وسميت كنيسة إنجلترا الرسمية بالكنيسة الأنجليكانية التي تسجد من كاتبري مقرًا لها. وهي بروتستنتية في مبادئها وأقرب إلى كاثوليكية في مظاهرها، فأثار هذا الإجراء غضب لتطهريين، وعرضهم للمزيد من الاضطهاد، وفي عام 1630 فررو أحيانًا الهجرة إلى مستعمرة "نيوانجلند" (إنجلترا الجديدة) الواقعة اليوم في ولاية ماساتشوستس الأمريكية

حمل المهاجرون أموالهم إلى "العالم الجديد"، وتحول بعضهم إلى توراتيين وعدّوا أنفسهم شعب الله المختار الذي اضطّر للهجرة كي يتمم مهمة بني إسرائيل، ونظروا إلى دولهم في "نيوانجلند" على أنها أرض الميعاد، وفيها تقوم أورشليم الجديدة⁽¹⁾.

وفي الوقت نفسه أيضًا كانت جماعة بروتستنتية أخرى تدعى "الصاحبيون" أو الكويكرز Quakers قد نشأت في إنجلترا، وكان مؤسسها جورج فوكس يطالب أتباعه بسعي البوحيات الإلهية من تحارب الكشف البطاني لداتية، بدون وسطاء أو شعائر، ووضع إطارًا لتجربته أيضًا من خلال معي

(1) من أجل صهيون، مرجع سابق، ص 75 وما بعدها

المسيح الثاني الداخلي. وعندما تعرضت الجماعة للاضطهاد هجرت بسورها إلى أميركا

كانت هذه الطوائف المهاجرة هي أساس تشكيل نيار "الأصولية لمسيحية" لاحقًا في أميركا، وهي نصيف إلى تمسكها بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس أفكارًا تدمج المسيحية باليهودية في قالب صهيوني، وكان مؤسسوها الأوائل مقنعين بأن العناية الإلهية اختارتهم لمهاجروا من فساد العالم القديم ويؤسسوا مملكة الله على الأرض في العالم الجديد. وكأنهم في علاقة تعهدية مع الرب كما كان يؤمن بو إسمرائيل. وعندهم بعد ذلك أن يقوموا بمهمة تنوير بقية الأمم وإخراجها من عالم الجهل والظلام من خلال لتبشير

ولهم الصورة بشكل أشمل. كان التطهريون والكويكرز من بين لجماعات المهاجرة الأولى ولكهم لبسوا ألوحيديين، فقد هاجرت أيضًا جماعات أخرى بروتستانتية وكاثوليكية، وكانت كل جماعة تؤسس كنسها في المستعمرات التي تسمها، والتي كانت بسورها نواة لتشكل المدن الكبرى لاحقًا

أما أوروبا فظلت تغلي بالحركات المتمردة على روما، حيث انتشرت البروتستنتية من ألمانيا وسويسرا إلى معظم دول أوروبا الوسطى والغربية بعد جولات من الصراع مع الكاثوليكية، وتبناها الملوك لذين أرادوا التخلص من سيطر البابا، حتى صارت هي المذهب الرسمي لمعظم لدول

وخلال نحو قرن فقط من الإصلاح الديني في أوروبا وأميركا، كانت بعض الأفكار المسيحية قد نقلت لدى طوائف واسعة من التفسير المجاري للكتاب المقدس إلى لتفسير الحرفي، ومن الاعتقاد بلغة اليهود ومعانيهم بالطرد من فلسطين إلى السعي لإعادتهم إليها ومع أن المسيحية المتصهية تتمسك بأصول العقيدة المسيحية المتعلمة بالوهية المسيح والتثيث والصلب والماء، لكنها تميزت بتقديم العهد القديم على العهد الجديد، وبالإيمان بعقيدة الألعية التي



تنص على حكم المسيح للعالم مدة ألف عام لذا قال بطريرك أبطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس إيسطوبوس الرابع هريم في عام 1985 "إن المسيحية الشرقية لا تزال مكيوثة إلى حد ما أما المسيحية الأميركية والغربية فتعرضت لجهود التهود، إذ أنها تعود إلى العهد القديم دون الإنجيل ودون المسيح"⁽¹⁾.

ويجدر بالذكر أن البروتستانتية نشطت إلى مثلث الكنائس والطوائف الصغيرة التي يصعب إحصاؤها، فمن داخل كل طائفة تنشق أو تنفزع عنها كانت تخرج طوائف أخرى منفصل وتستقل بداها وببدأ بإخراج تفسيرها الخاص لكتاب المقدس، بل كانت بعض الطوائف تقدم بصورات جديدة تماماً وتعتبر أنها تقدم النموذج الصحيح، لوحيد للمسيحية، مثل شهود يهوه الذين عادوا إلى تفسير الأصلي لحكم المسيح في الملكوت بدون المجيء الذي ولكهم اعتبروا أن الشرية تعين الآن في "الأيام الأخيرة" وأنها على وشك مواجهة الدمار الكبير، وكذلك مؤسس طائفة المورمون حوريف سميت الذي دعى لبوة وكان مهووساً بفكرة المجيء الذي وعودة اليهود إلى فلسطين، وكلا طائفتين ظهرت في القرن التاسع عشر.

ويمكن القول إن الطائفة البروتستانتية استغرت لاحقاً وخصوصاً في أميركا- على الانقسام إلى تيارين كبيرين، هما التيار الأصولي المحافظ (Fundamentalism) والتيار الليبرالي الحدائي "البروتستانتية الرئيسية" (Mainline Protestant). ويميز الأول مهما بصفة جوهرية وهي التأكيد على حرفية الكتاب المقدس، ونشأ عن هذا المبدأ بالضرورة الأفكار لصهيونية التي تركز عليها في هذا الفصل.

(1) نلرجع السابق، ص 319



١٠ خطة الرب للدهر

بعدم كان سمر الرؤيا وبصوص أخرى من أسفار متفرقة في العهدين القديم ولعصير تُعد مجرد بصوص رمزية مفعلة بالمعاني الروحية، أصبحت هذه النبوءات هي مصدر إلهام المسيحية المنصهية، التي أقامت على رؤيا المستقبية دولة وسياسات ما زالت مبنية حتى اليوم. وسوَجَر هَما نَلي تصور هذه الطائفة لخطة الرب للدهر، عمّا من أتبع هذه الطائفة يختصمون فيما بينهم في بعض التفاصيل (١)

تؤمن المسيحية المنصهية عمومًا بأن الرب وضع خطته لدهر على أساس علاقته الخاصة بشعبه المختار "بني إسرائيل"، فأباده البشر ليسوا متساوين، بل هناك يهود في طرف، وبقية البشر في طرف آخر

ويسمّم بعض مصّري الكتاب المقدس خطة الدهر إلى سبعة عصور، لكل منها عنوان وهدف وواجبات، ويرتب على الإحفاق في تحقيق لهدف عقاب إلهي. وبما أن بني إسرائيل هم أهم شعب في الدهر كله فكل ما سبق وجودهم كان مقدمات، ثم بدأ عصر إسرائيل في العصر الرابع الذي أعطى فيه الرب عهده لإبراهيم، وبما أن بني إسرائيل لم يصدقوا وحياتهم باستيطان بلاد كنعان (فلسطين وبقية بلاد الشام) فقد كانت العقوبة بنصرهم ليهودية في عصر

في العصر الخامس أنزل الرب مُرَبِّعته (الأموس) على مومى عليه السلام، وفي نهايته وُلد المسيح عيسى عليه السلام وهو الذي لا يؤمن لليهود بنبوته بينما تؤمن المسيحية المنصهية بألوهيته. وبما أن شعب إسرائيل رفض ناموس مومى ورقص الإيمان بيسوع المسيح فقد عوقب بالشتات في أنحاء العالم.

بدأ بعد ذلك العصر السادس بصلب المسيح، وهو عصر الكنيسة، وكان على شعب إسرائيل أن يؤمن بالمسيح لكنه سعى لصلبه ورقص الارتقاء إلى

(١) معظم هذه التفاصيل مقتبسة من المرجع السابق، ص 321 وما بعدها



الروح القدس، ولم تأت لعقوبة بعد لأننا ما لبنا بعش اليوم حسب رأيهم في العصر لسادس، لكن هذا العصر شهد عودة شعب إسرائيل للتجمع وإعادة تأسيس دولة إسرائيل الحالية. ومع اقتراب العصر من نهايته وظهور علامات آخر الزمان بتكاثر الحروب والزلزال والفساد سيحل يسوع المسيح إلى العيوم ويبعث من ميوايه من قبورهم فيصعدون إليه في السماء لديناء، كما سيرتقي إليه من الأحياء كل من يؤمن به أيضًا. ويحدث هذا "الارتقاء" بشكل لحظي بحيث يختفي الاطمال ثم الكبار فجأة من هذه الأرض ويصعدون إلى العيوم

وهكذا سيقى على الأرض "الكمار" فقط، ثم يبدأ "لمحة" بتسبط لمصائب والأمراض والكوارث على الأرض، وهذه هي عقوبة العصر لسادس، وسيخرج فيها "عدو المسيح" (Antichrist)، الذي يمثل المسيح الدجال لدى المسلمين، وهو بحسب المسيحية المتصهبة طاعيه بقود جيوش الشر ويتحالف مع الشيطان. وهو المصود بالوحش الذي ورد ذكره في العهد الجديد "ثم وقفت على رمس لبحر هرايت وحشًا طالغا من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى قرويه عشرة تيجان وعلى رؤوسه اسم تجديف والوحش الذي رأيه كان شبه نمر وقوائمه كفوائم دب وقمه كعم أسد، وأعطاه التين قدرته وعرشه وسلطانًا عظيمًا" [الرؤيا- إصحاح 13 1-2]، ويقول المفسرون إن لتين هو الشيطان (المس) الذي سمعطي "عدو المسيح" هذه القوة والسلطة العالمية، وأنه سيظهر في منطقة العرب، وسيدنس الهيكل ببناء تمثال له فيه، هينشر الظلم واليؤم في العالم، كما سيعبد بناء مدينة يابل المرتبطة في تريح اليهود بمأساة تدمير الهيكل

وكانت المذاهب المسيحية التقليدية قبل ظهور البروتستنتية تفسر النص السابق من مفسر لرؤيا بتفسيرات رمزية عدة، وكانت تعتمد أيضًا بحروح "عدو المسيح" أو الدجال في آخر الزمان، ولكن بدون الاعتقاد بالمجيء الثاني للمسيح



كما رأى بعض المسيحيين أن تمص السابق يتحدث عن "الثالوث لبحس"، وهو مكون من تسين ووحش البحر ووحش الأرض، ويرمز إلى الشيطان لمتحالف مع ملك طغية ورعيم ديني كافر^(١)، واحتلموا في تفسير رمزية الوحش، فقال البعض إنه الإمبراطورية الرومانية التي اضطهدت المسيحية في بدء نشأتها، وبعضهم قالوا إنه البارية أو أي سلطة نجديمية ضد المسيحية، حتى أن بعض الأرثوذكس اعتبروا أنه يمثل بابا المانيكان لأنه كافر عندهم^(٢)

وقيل أن تدبع السرد التاريخي، سنشير إلى بعض التفاصيل التي حددها في أواخر ستينات القرن العشرين الواقع الأمريكي ليون بيتس لمتعة وما قبلها، وما زالت حتى اليوم متداولة بين ناشطي المسيحية المتصهبة، إذ كان يرى أن انتصار دولة إسرائيل على العرب في حرب عام 1967 كان مقدمة مهمة، وأنه سيظهر في وقت قريب رعيم سياسي عالمي يبدو أنه المختص من كل لحروب، وسينمكن من عقد اتفاقية سلام في الشرق الأوسط ويصبح رئيساً في القدس، فيحكم خلال مدة السلام المؤقت التي تستمر ثلاث سنوات ونصف، ويعاد فيه بناء الهيكل، وبهية هذه المدة القصيرة سيظهر للناس أنه هو نفسه "عدو المسيح"، ويتسع منحه ليصبح رعيم العالم المتربع على عرش الهيكل لمدة ثلاث سنوات ونصف "حرى"^(٣) وفي تفسير آخر للنبوءات، يظهر رعيم سياسي للمسلمين ويعقد الصبح مع إسرائيل لمدة سبع سنوات، وسيسيطر على القدس بحكم الاتفاق، ثم يظهر أنه هو "عدو المسيح" الذي يتمكن من حكم العالم كله لأن القدس والهيكل تحت سلطته، وفي هذه المحبة تدلج الحرب العالمية الثالثة بين روسيا وإسرائيل، ونشيع الفساد والموصى ونمقد حكم لقديون^(٤)

(١) تفسير نكاد بنفس لبعض أنطونيوس فكري موقع الأقباط اليوم copts today com

(٢) تفسير رابو بوحا اللاهوتي لألبا مومى أسقف الشباب، موقع مركز الكلمة المسيحي a.kalema.net

(٣) من أجل صهيون، مرجع سابق، ص 329

(٤) المرجع السابق، ص 341

وسهابة تلك المدة تكون قد اقترنا أكثر من نهاية العصر السادس، فسيرل المسيح مع المؤمنين به إلى الأرض، وهذا هو "لحيء الثاني للمسيح" الذي يُجمع عليه كل كنائس المسيحية المنتهية مع أن هذه الفكرة لم تكن موجودة قبل حركة الإصلاح الديني إلا في نطاق ضيق كما أسلفنا، لكنها اقتنست من عقيدة انطون اليهود للمسيح أو الماشيخ المسطر، إذ كالت البوراه قد وعدتهم بحروح المسيح، وعندما خرج عيسى بن مريم عليه السلام وأمرهم بالعودة إلى التوحيد وبند الأفكار الوثنية والتحريمات التي أذنبوها في دينهم رفضوه وقالوا إنه دجال، وإن المسيح (الماشيخ) لم يخرج بعد، وصافوا إلى قصته أنه عندما سيخرج فسيحكمون لعالم تحت إمرته وعندما تشبعت حركة الإصلاح لديني المسيحية بالأفكار الصهيونية فسروا البصوص بعودة المسيح نفسه، وأصبحوا يستطرون المسيح كما ينتظر ليهود الماشيخ

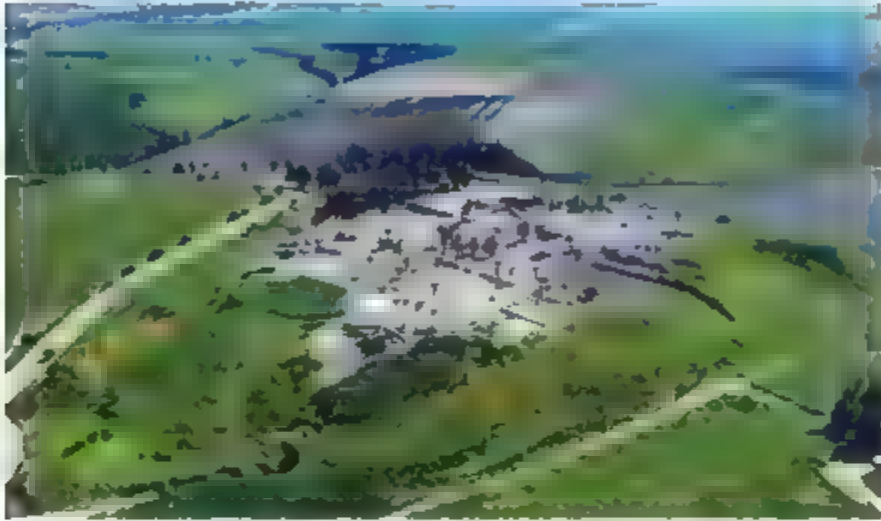
وبحسب المسيحية المنتهية، فإن المحيء الثاني للمسيح يجب أن يُسبق بتجّيع اليهود في فلسطين وأنشيس دولة خاصة بهم، وانتراخ لهدس من المسلمين، و"بعدة" بء هكل سليمان على أنقص المسجد الأقصى، ثم سيطرة "عدو المسيح" على القدس ونقل عاصمته إلى هناك

وبترول المسيح يكون شعب إسرائيل قد امن به وعاد إلى رشده وحقق الهدف المطلوب منه، وهذا نبدأ المعركة لكرى "هرمخدون" ^(١)، وهي معركة هائلة يعتقدون أنها ستحدث في منطقة محيدو (جنوب شرق حيفا اليوم) التي ستحتشد فيها مم الأرض ومهم المسلمون 400 مليون حسي و ٢٠٠ مليون حسب بعض لتفسيرات حلف قيادة "عدو لمسيح" والمشيطان "لوسيفر"، في مقبل اليهود والمسيحيين حلف قيادة المسيح وهو الرب بمعه حسب رعمهم، وستنتهي المعركة بمقتل "عدو المسيح"، أما المشيطان فسيرمى إلى "الهاوية"

(١) الاسم مكون من كلمتين بالعبرية وتعني جبل مجدو إشارة إلى سهل صغير في شمال فلسطين.



وثقبت هناك، ويقول بعض المفكرين المعاصرين إن الصبوص التي حدثت عن إغراق الملايين من جنود "عدو المسيح" في بحيرة الكريت والبار ودوبان أجسادهم تشير إلى استخدام السلاح النووي^١



سهل مجسود في الأرض المحتلة يحتوي على بعض الآثار الرومانية

وبنهاية المعركة، سيبص على الأرض المؤمنون بالمسيح، وهنا يبدأ العصر السابع الذي سيمتد ألف سنة، كلها مسعدة ورحاء وهناء، يقيم فيها المسيح ممسكة الألفية وتحكم الأرض كلها بالعدل، ونهاية المدة يرتفع المسيح مع ممسكته إلى السماء

ومع انتهاء المدة أيضاً يُطلق سراح الشيطان من الهاوية، فيخرج مع جنوده لتعود دورة لصلال وإفساد، ويستدعي جيوش يأجوج ومأجوج من روبا الأرض لمحاصرة مدينة القدس، وفي النهاية يرسل الرب عليهم ناراً لتحرقهم

^١ نجد في بعض التفسيرات أن تلقي اليهود مقتلون أيضاً في المعركة وينجو الثلث مع المسيح بعد

يصلتهم به أنضر غريس هامل، النبوة والعمياء: الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب

النووية، ترجمة محمد الممناك، جمعية السعود الإسلامية العالمية، ط 1، 1989، ص 4

ويعيشهم في بحيرة النار الأبدية. ويعبد الرب خلق السماوات والأرض بعد دعائها، ويعيش المؤمنون في جنة المسيح إلى الأبد.

ومن الملاحظ أثناء دراسة ومقارنة التنبؤات -والتي مستعرض أمثلة معاصرة لها لاحقًا- أنها لا تخلو من بعض التناقض، فمحاولة ترتيب أو فهم تفاصيل الأحداث نفسها وليس ترتيبها على الواقع تبدو مهمة شاقة، فالبعض يتحدث فقط عن معركة هرمجدون التي سَئُحدث فيها الجيوش الجرارة، بينما يتحدث آخرون عن معركة عملية تحدث فيها تلك الجيوش قبل معركة هرمجدون، والبعض يتحدث أيضًا عن انتصار دولة إمبرنيل المعاصرة ضد جيوش لعرب والمسلمين مع أن سيطرة "عدو المسيح" على الهيكل تقتضي حسارة إسرائيل للمعركة، أما لقب "عدو المسيح" فأُطلق عدة مرات على بابوات الماتيكان، وفي مرات أخرى يعتقدون أنه سيكون مسلمًا، سواء كان شخصية معروفة بعينها مثل صلاح الدين الأيوبي أو شخصية مستقبلية لم تظهر بعد!

❦ التأثير في السياسة البريطانية

كان لتيار المسيحية المتصهية في أوروبا دور كبير في صياغة لمشروع الصهيوني، حتى قبل أن يطرحه اليهود، وخصوصًا في بريطانيا التي كانت أقوى دولة في العالم

في ثلاثينات القرن التاسع عشر انتشرت أفكار الفس جون بيلسون دربي في إنجلترا وإيرلند، وكان هو الأب الروحي "للمسيح التدبيري" الذي يركز اهتمامه في تقسيم الدهر إلى عصور تنهي بالملحى الثاني للمسيح، وبحج من خلال جولاته في الدول الأوروبية في تأسيس العديد من المجالس والمجامع الأخوية التي لعبت دورًا مهمًا لاحقًا في بث الأفكار الصهيونية

وفي عام 1841، كان القنصل البريطاني لدى ولاية سوريا العثمانية تشارلز هيري تشرشل -وهو من عائلة تشرشل المقيمة التي طُهر منها لاحقًا رئيس الوزراء

ويستون تشرشل هو أول من اقترح خطة سياسية لإنشاء دولة يهودية في فلسطين، حيث كتب رسالة إلى رئيس مجلس نواب اليهود البريطانيين موسى مونتييور، وهذا مطلعها "لا أستطيع أن أحصي عنك رغبتي الشديدة في رؤية قومك يسعى مرة أخرى إلى استئناف وجوده كشعب أنا نعتمد أن لهدف قبل لتحقيق بدقة، ولكن هناك أمران ضروريان لا غنى عنهما أولاً ينبغي على اليهود أنفسهم أن يتحملوا عب ترؤيع هذا الأمر على الصعيد العالمي وبالإجماع، وثالثاً أن تساعدكم القوى الأوروبية" (١).

ويمكن الاطلاع على بقية الرسالة وما تلاها من مراسلات في الأرشيف المتوفر على شبكة الإنترنت، فهي مصحح بالحلمية الدينية المسيحية لدى لصابط البريطاني الذي كان يُعرف باللقب التركي "تشرشل باي"، إذ ختم رسالته السابقة بالتركيد على أن دفعه لعرض مقترحه على اليهود هو "مجرد رغبة متحمسة في رده ورجاء شعب ندين له جميعاً باعتلال تلك الحقائق المباركة التي توجه عقولنا، بإيمان لا يخطئ للتمتع بعالم آخر وأفضل"



بشارب. شتون تشرشل

Lucien Wolf Notes on the Diplomatic History of the Jewish Question with texts of protocols, treaty stipulations and other public acts and official documents, Jewish Historical Society of England, 1919, p. 119

في عام 1845، اقترح المسؤول في وزارة المستعمرات في لندن إدوارد ستفورد إقامة دولة يهودية في فلسطين تحت حماية بلاده، على أن تُرفع الوصاية عنها بمجرد أن يصبح اليهود قادرين على الاعتناء بأنفسهم، موضحاً أن دولة كهذه ستصبح بريطانيا في مركز الميدة بالشرق الأوسط، بحيث تراقب عملية لتوسع والسيطرة على أعدائها والتصدي لهم عند الحاجة⁽¹⁾.

لاحقاً، تمكن رعيم حرب المحافظين بنيامين دسراييلي Benjamin Disraeli من الوصول إلى رئاسة الحكومة في المملكة المتحدة مرتين، كانت الأخيرة مهمما ما بين 1874 و 1880. وهو كما يظهر من اسم عائلته ذو أصل يهودي، حيث تعلّى ولده المارچ إيرك دررثيني عن اليهودية بسبب التحالف مع جماعته السفاردية بشأن الصرب فاعتنق المسيحية، أو ربما تظاهر باعترافه، فحسب بنيامين على المسيحية المنصهية وظلت أصوله اليهودية ظاهرة بوضوح، إذ نشر قبل وصوله لتحكم رواية باسم "سكرد أو الصليبية الجديدة" وأبرر فيها إمكانية الدمج بين مشروع اليهود في الهجرة إلى فلسطين وبين مصالح الإمبراطورية البريطانية في سيطرتها على تلك المنطقة، ولطالما تصبغت كتاباته وتصريحاته الإشارة إلى أهمية إنشاء مملكة إسرائيل وشوقه الدائم لأورشليم.

وبعد رسالة تشارلز هنري بشرشل بأكثر من خمسين عامًا، ظهر كتاب "الدولة اليهودية" للنصحي اليهودي المساوي ثيودور هرتزل في عام 1895، وعندها كانت الأجواء الأوروبية مهتأة تمامًا لتلقف هذه الفكرة بحماس شديد، وبلافت جهود المسيحيين مع اليهود لتحقيق الهدف الصهيوني بتشجيع بقى اليهود من أنحاء العالم طواعية إلى فلسطين.

وعندما وصل رعيم حرب الأحرار البريطاني ديفيد لويد جورج إلى رئاسة الحكومة في نهاية 1916، وذلك في حضم الحرب العالمية الأولى، كشف بوضوح

(1) التنبؤ والميليس، مرجع سابق، ص 139



عن ميوله الصهيونية التي اكتسبها من مربيته المعمدانية، فأطلق في عام 1917 -عبر وزير خارجيته آرثر بلفور- الوعد المشهور بدعم بريطانيا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

وفي صيف عام 1936، تشكلت في طر الانتداب البريطاني "لجنة بير" للتحقيق في أسباب الثورة الفلسطينية الكبرى والاضرب الكبير الذي أصبح بالاقصصاد وتسبب بسقوط قتلى. فكشف جورج لذي كان حارج رئاسة الحكومة آنذاك- في شهادته عن ميوله الصهيونية الدينية ^(١).

أما رئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب العالمية لثانية ونسبون تشرشل فبدأ على الأفكار المسيحية للصهيونية مند صغره في كنف والده لورد رندولف تشرشل، فهو من عائلته سياسية ورئس قراطية مرموقة، وعندما استلم منصب وزير الدولة لشؤون المستعمرات في عام 1921 أنشأ دائرة الشرق الأوسط، إذ كان وزير لخرارية اساك جورج كورزون متحفظاً على وعد سلمه بلفور برشاء وطن قومي لليهود، بينما كان تشرشل متحمساً للمشروع بشدة، فتولى بمسسه التمهيد للانتداب البريطاني على فلسطين.

لا نعمل الاهداف السياسية والاسرائيلية للدعم البريطاني للصهيونية، إذ كان لورد جورج مثلاً يسقطب اليهود ليدعموا بلاده أثناء الحرب العالمية الأولى، وعلى رأسهم حايم وايمان الذي كان مواطناً بريطانياً قبل أن يصبح أول رئيس لدولة إسرائيل، كما كانت بريطانيا وبقية الدول الأوروبية تسعى جاهدة لإيجاد حل لما كان يسمى "المشكلة اليهودية" التي سبق التعرض لها في فصل "اليهودية" من هذا الكتاب- لكن هذا لا يعني ستبعاد البعد الديني الذي كان جلياً في تحمس هؤلاء السياسيين للمشروع الصهيوني

(١) أحمد مصطفى جابر، "صهيوني مسيحي معاد للسامية وصديق لهنر شهادة لورد جورج نمريه

امام لجنة بيل"، بوابة بهدف لاخباره hadfnews.ps، 09 يوليو 2020



تشير الصحفية الأميركية الراحلة عريس هالسل في كتاب "لبوءة والسياسة" إلى الدور البريطاني الذي ذكرناه أعلاه في التمهيد لإنشاء إسرائيل، ثم تقول إن يهود أوروبا لم يُطهروا سوى العليل جداً من الرعية لترك أوطانهم والهجرة إلى فلسطين ولده 150 عامًا كان المسيحيون اليروستنت -وخصوصاً في بريطانيا ثم في أمريكا هم المدافعين الوحيديين عن لصهيونية، رد عموا صفردين وبصرر عى حت ليهود للهجرة والعيش هناك مصصلين عن بقية الأمم من غير اليهود (الأغيار). ولم يكن اليهود يدعمون هذا المشروع طوال قرن ونصف (1).

لـ وقف سمير إسرائيل لدى الأمم المتحدة في حزيران 1985 ببيان تنبأ هو -الذي صار لاحقاً أطول رئيس وزراء حكفا في تاريخ إسرائيل- أمام جمع من المسيحيين المتصهيبيين وقال "لقد كان هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحلم الذي يراودنا منذ ألي سنة نفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين" (2).

"صهيون هي العالم الجديد"

كان لتطهريين وغيرهم من الطوائف المنشدة دور في تأسيس المستعمرات الأولى في الولايات المتحدة كما أسلصا، إذ ما رالب المن والبيدات القديمة في الولايات المتحدة يحمل حتى اليوم أسماء تورانية أطلقها لمهاجرون الأوش، من كنعان وسيداء والقدس والناصره والحليل وبيت لحم. بل نجد بعض هذه الأسماء مكررة في مدن أميركية عدة اليوم.

توالت الكثير من الأحداث على القارة الجديدة قبل أن يبدأ تشكيل حكومة الولايات المتحدة التي نعرفها حالياً، إذ كانت القارة الواسعة تشمل طوائف

(1) لبوءة والسياسة، ص 139

(2) المرجع السابق، ص 140

وعرقيات وحلفيات سياسيه لمهاجرين من شتى أنحاء أوروبا، لذا شدد "الآباء المؤسسون" عند وضع الدستور في عام 1787 على علمية الدولة، بمعنى أن الحكومة الفدرالية (الاتحادية) يجب أن تكون حكومة رسمية أرضية يحكمها رجال مديون لا رجال دين، مع التأكيد على عدم التمييز بين المواطنين على أساس عقائدهم، وأنه ليس من الوارد إجراء احبار ديني لأي شخص برغب في شغل أي وظيفة حكومية كما نص أول تعديل أدخل على الدستور على أن الكونغرس لن يقوم بأي حال من الأحوال بتسريع قانون فتنم على ساس ديني

ومع كل ما سبق، لم يكن "آباء المؤسسون" متجردون من حلفياتهم لدينية والايديولوجية، فعلى سبيل المثال، كانت اللجنة الأولى المكلفة باختيار شعار الدولة تصمم كلاً من بنجامين فرانكلين وتوماس جيفرسون وجورج آدمز، وهم أيضاً كانوا ثلاثة من المؤلّفين الخمسة الأساسيين لإعلان الاستقلال، الذي كُتب عام 1776 قبل وضع الدستور، وقد كُتب هذه اللجنة بعض الرسامين لتقديم الاقتراحات، فكان أول مقترح حثاره فرايبكس الذي صار رئيساً لدولة

لاحقاً- هو ختم تظهر على وجه الأمامي صورة رمزية لفرعون وهو يطارد بني إسرائيل أثناء اجتيازهم للبحر بينما يضيء الرب طريقهم متجسداً في صورة عمود من النور في السحاب (1)، واعتبر بعض المؤرخين أن الشعار كان يحمل في دلالته الفكرة الراسخة لدى المؤسسين بأن أميركا هي أرض إسرائيل الثانية، حتى لو كان ذلك مجرد دلالة رمزيته لدى العلمانيين الذين قد لا يؤمنون بالآديان ولغيبيات



1 John D. MacArthur "First Great Seal Committee" grealseal.com

لكنهم سيجلّون التراث "الأسطوري" الملحي لما يحمله من معاني بصلابة
وسياسية (1)

في أواخر القرن التاسع عشر، ظهرت ملامح نيار "المسيحية الأصولية"
(Fundamentalism)) بوصوح بين الكنائس البروتستانتية. وهو الذي يصرّ على
الحقيقة الحرفية للكتاب المقدس ورفض أي تزيينات مجارية حتى لو كان ذلك
صبراً لتوفيق بين النصوص والعلم الحديث، ويفصلُ تباع هذا التيار عن
الكنائس الأصلية مع حفاظهم على
استماعتهم المذهبية



سايروس سكوهيلد

وفي عام 1909، انتشر على نطاق
واسع «الكتاب المقدس المرجعي»
للقس الأميركي سايروس سكوهيلد،
الذي كتب الحواشي والهوامش على
الكتاب المقدس مقتبسة أفكار
الإنجليزي جون نيلسون داربي، مما
ساهم بنشر عقيدة الألفية والمسيح
لتدبير وفكرة العصور السبعة في
الثقافة العامة، وأصبحت هذه الأفكار
من أهم ما يميز الأصوليين المسيحيين (2)

(1) فرملين كان ماسونيًا وكذلك كان 11 عضوًا على الأقل من بين 56 مؤلفًا على إعلان الاستقلال

وهذا من يقول إن عدد الماسون من بينهم كان 21 انظر

Richard B Spence "Emergence of Freemasonry in America and the Secret Masonic Agenda"

27 June 2020, wordnumdaily.com.

(2) Sarah Richardson "C. Scofield True Believer A reformed sinner's arotated Bible
kicked off Protestant fundamentalism historynet.com 21 March 2019

الانفصال والتوسع

شهدت فترة لعشرينات من القرن العشرين اكتمال حالة التمييز بين الأصوليين والجدائيين في الولايات المتحدة، وظهر في هذه المرحلة مصطلح "البروتستانتية الرئيسية" (Mainline Protestant) لذي صار يطبق على الجدائيين، باعتبار أن الأصوليين هم الذين انشقوا عن كنسهم وتركوا قيدهم، وسسوا بأنفسهم كناس ومؤسسات ثقافية وإعلامية مستقلة صخمة كان لها دور كبير في تشكيل الثقافة العامة وحتى الموقف السياسي (1)، وهو ما سيأتي بيانه لاحقاً.

بعد الحرب العالمية لثانية، رفض جيل جديد من المحافظين الموقف الانفصالي للأصولية وبدأوا يطلقون على أنفسهم اسم الإيفانجيليين "Evangelicals"، ويمكن القول إن الإيفانجيلية "Evangelicalism" (2) تتميز بأربع صفات مهمة (3)، نوجزها فيما يلي:

1- "لعصمة الكتابية" وهي الاعتقاد بأن الكتاب المقدس حبل من الخطأ في كل نعاليمه، بينما تؤمن الطوائف الأخرى بالعصمة بطريقة أخرى وهي الاعتقاد بأن ما يقوله الكتاب المقدس فيما يتعلق بأمور الإيمان والممارسه المسيحية مفيد وصحيح تماماً، وهذا يسمح بالتأويل أو حتى رفض بعض القصص التاريخية المتناقضة مع التاريخ والعلم الحديث، لذا يعدّ رفض نظرية لتطور

(1) George M. Marsden "Understanding Fundamentalism and Evangelicalism" (Ferdmans, 1990, p 3-4)

(2) نترجم هذه الكلمة عالياً إلى العربية باسم "الإيفانجيلية" وهذا خطأ شائع يوحي بأن نطاعة تتبع الإنجيل وكأنه حكر عنها لكن الذين أطلقوا هذا المسمى كانوا يقصدون نسبة إلى رواة الإنجيل وليس الكتاب نفسه، والأصح أن تدعى بالعربية "إيفانجيلية"

(3) ohn Green. Evangelicals v Mainline Protestants pbs.org 29 April 2004

الدارويني والدراسات النقدية للكتاب المقدس الصفة الأكثر شيوعاً وبميزاً للإيفانجيليين في أميركا (1).

2- الاعتماد بأن الطريق الوحيد للخلاص هو من خلال الإيمان بيسوع المسيح وبمكرة لعداء والكفارة والصلب، بينما يؤمن الحداثيون البروتستنت وحتى من بعض الطوائف المسيحية الأخرى باحتمال الوصول للخلاص بطرق أخرى

3- اهتمامها بتجارب "التحول" أو ما يسمى بالولادة الثانية، وهي اللحظة التي يعيد فيها الشخص المسيحي اكتشاف دينه والالتزم به ولتوبة من الخطيئة

4- الاهتمام بالنشاط التبشيري، واعتباره أمراً ضرورياً

ومع أن هذه المبررات توحيد أيضاً لدى التيار الأصولي العدم، لكن الإيمانييين يعرضون على الطبيعة الانفصالية لأصوليين، وشددون على ضرورة الانخراط في النشاط الاجتماعي والمصايا العامة، لذا كان لهم دور مسد بديلة تشكل تيارهم في الحشد لصالح التصويت لقضايا اجتماعية مثل قوانين منع الإجهاض، ثم صار لهم لدور السياسي الأبرز مقارنة ببقية الأصوليين

وسمى القول إن الإيفانجيليين ينتمون إلى كل الكنائس البروتستانتية تقريباً، مثل الكويكرز، والمعمدانية، والميثودية، والكاريتمية، والجمسية، وكنيسة مورافيا، والمشيخية (Presbyterianism)، والحركة لمقوية (Pietism) البوثرية، وحركة الصحوة الكبرى (Great Awakening)، وغيرها ومع ذلك فإن التيار الإيفانجيلي لا يشمل كل الكنائس المسماة للطوائف السابقة بل يمكن أن توجد مثلاً كنيسة مشيحية إيفانجيلية، وكنيسة مشيحية "حرى أصولية فقط، وكنيسة ثالثة مشيحية أيضاً ولكنها محسوبة على التيار الحداثي، وهذا

السوع والشبث يعود إلى طبيعة البروتستانتية نفسها التي ترفض القوالب الجاهزة والكهوتية الهرمية، مما يمنح رعماء الكنائس حرية الاختيار بين طيف واسع من الانتماءات والأيدولوجيات، فحتى الإيمانيات التي خرجت من رحم الأصولية استقت عنها لاحقاً مذهب أخرى تسميات متعددة. مثل الإيمانيات المنصعة والنقدية واليسارية والمحافظة، وأيضاً "ما بعد الإيمانيات" (1)

وعندما يتعلق الأمر بالأفكار الصهيونية، فمن الطبيعي أن نجدنا منشرة لدى كل الإيمانيات والأصوليين بقريناً، لأنها نتيجة للتفسير الحرفي لكتاب المقدس وما يشأ عنه من العقيدة "النديرية" التي يؤمن بتفسيهم السحر إلى عصور تنهي بالمجيء الثاني للمسيح وبقية النبوءات لذا فإن حديثنا عن المسيحية المتصهبة يُقصد به الإيمانيات والأصوليون، مهما توعت تسمياتهم وتفرعاتهم.

وبعد بالذكر أيضاً أن مصطلح "الأصولية" اكتسب دلالة تحقيرية بحلول نهايه القرن العشرين، فصار يعني النعصب الديني أو التطرف، مع أن بشاة المصطلح في بداية القرن كانت مجردة وموضوعية، لذا أصبح الكثير من أتباع هذا التيار يرفضون تعريف أنفسهم على أنهم أصوليون حتى لو بقيت أفكارهم مطابقة لأفكار أسلافهم الذين بنوا هذا المصطلح

٥- الإمبراطورية الحديدية

نعرّض تاريخ المشهد السيامي الأميركي للكثير من التدبب، فحتى تصنيف الحريين الكبيرين الجمهوري والديمقراطي تبدل في مرحلة ما بين المحافظة والليبرالية، لكن تدخل التيار الأصولي في السياسة الحارجه برر بوصف أكثر بعد لحرب لعالمية لثانية التي أعلن عن انتهائها في سبتمبر 1945

(1) George M. Marsden, p. 75



كانت الحرب سبباً مباشراً لانتقال الولايات المتحدة من دولة معزولة إلى
 مبرطورية عالمية، إذ وجدت نفسها سقائياً قائدة المحور العربي وورثة
 الامبراطوريات الأوروبية المدمرة، والقوة الصاعدة الأولى بموردة القطب
 السوفييتي.

وفي هذه المرحلة لصعبة التي تشهد ولادة عالم جديد، انتهى الاندباب
 لبريطاني على فلسطين في مايو 1948 وأعلن عن قيام دولة "إسرائيل" رسمياً،
 لتتولى الولايات المتحدة مهمة حماية "الدولة اليهودية" لوليدة، وتدير الاعتراف
 الشرعي بها من منظمة الأمم المتحدة التي اتخذت من نيويورك مقراً لها، وبما أن
 الطائفة المسيحية لمتصهبة أكثر قوة وبموذا في أمريكا من أي دولة أوروبية
 فقد كان التعاطف الشعبي مع "إسرائيل" طاعياً

نسب إعلان قيام دولة اليهود بإطلاق موجة هائلة من الكتب والمحاضرات
 والخطب في أمريكا للسبب بالمرحل المنيقيه لانسكمال حظه الدهر، وعندما
 استولى الجيش الإسرائيلي على القدس تحديداً في حرب عام 1967 كان
 الوعاط الإيفاجيديون قد سفعوا درجة اليقين بأنهم يشهدون بأعينهم تحقق
 النبوءات، حتى كان بعضهم يحدد تواريخ معينة لاحتمال حدوثها، ومنهم مثلاً
 الواعظ الأميركي هال ليندمي Hal Lindsey (من مواليد 1929) الذي نشر في
 عام 1970 كتبه الذي كان الأكثر مبيعاً في الولايات المتحدة "آخر أعظم كرة
 أرضية" (The Late Great Planet Earth)، وتنبأ فيه بظهور اتحاد عالمي شرير
 من عشر دول (الاتحاد الأوروبي)، ثم سيخمس الاتحاد السوفييتي الذي يوش
 بأجوج ومأجوج حرباً على إسرائيل، ليدخل العالم كله في حرب نووية عالمية
 ثالثة، وفي عام 1988 تحديداً سيرل يسوع

شهدت الولايات المتحدة في الخمسينات والستينات انتشاراً سريعاً لأفكار
 الحداثة وما بعد الحداثة والعدمية، وخصوصاً في ما سمي "الثقافة المصدة"



(Counter culture)، وصار الصراع بين الأصوليين والمحافظين من جهة والحدائيين والعلمانيين في الجهة المقابلة أكثر حدة، وخصوصًا في القضايا الاجتماعية مثل المثلية الجنسية وحقوق المرأة والإجهاض وتشريع تناول المخدرات كانت شركات الإعلام وهوليوود والمصنف الكبري حاصلة بالكامل تقريبًا لحدائيين والعلمانيين، فاردادت بذلك عرله الأصوليين، وتمركز منهم الإيمانيون كما سلحوا الدين فصلوا الصل على الصمت، وأسسوا الكنائس الهمسية الكبرى التي صارت تحشد أنصارها في لشوارع وتشكل جماعات لمصطف السيامي (لوبيات)، كما نجحت في تأسيس شبكات إعلامية ضخمة كي تدفع حثاكار العلمانيين والحدائيين للقطاعين الإعلامي والترفيهي، وأثمرت هذه الجهود بالفعل عندما بدأت قوة هذا التيار المحافظ بالظهور في عقد السبعينات

قبل تلك الفترة، لم يكن من الشائع بين المرشحين للرئاسة الأمريكية إظهار تديهم المبالغ فيه، لكن جيبي كارتر كان استثناءً، فعبر اختياره في عام 1976 ليكون مرشح الحزب الديمقراطي للرئاسة كان يبرز الدين في الكنائس ويقدم المواعظ، وحتى بعد استخائه وفوزه بالمنصب ظل يحرص على عدته اليومية بتخصيص وقت للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس⁽¹⁾ وبعد فوزه في الانتخابات - مع أنه كان معمرًا قبل الترشح - دليلًا على القوة الانتخابية المساعدة للمحافظين.

وعندما ترشح رونالد ريجان عن الحزب الجمهوري في عام 1980 ضد كارتر، كان ريجان حريصًا على إبراز تديته وإيمانه بحظه الرب وبدور الإيمان في معركة التصدي للشيوعية، إذ قال في إحدى اللقاءات التلفزيونية وبكل صراحة "قد يكون الجيل الذي سيشهد معركة هرمجدون"⁽²⁾، قبل بذلك رص الجماعات

1. "سيرة ذاتية جيبي كارتر"، مجموعة مقالات من الصحراء n:qare1.com

(2) النبوة والسياسة، مرجع سابق، ص 66

الإيمانيّة، لا سيما بعدما انصبت هذه الجماعات عن كارتر لأنه لم يسمح قادتها بمصعب سياسيّه مهمّة أثناء ولايته الأولى. كما أنه حَيَّب أممها في تعامله مع قصصها الإجهاص، وتعديل الحقوق المتساوية والإعفاءات، الصربية للمدّ رمس، الدينيّة⁽¹⁾، فهالت عليه القوى الإيمانيّة بالبعد متفرد موقعه تجاه إسرائيل⁽²⁾، وتمكنت بالفعل من إثارة الرأي العامّ صدّد حتى رجعت كمة ريعن وفار بالترناسة، وكان هذا مؤشراً واضحاً على قوة المنظمات الإيمانيّة⁽³⁾.

أعلن ريعن مند بداية حكمه أن "الأزهاب مشكلة علميّة"، وقال "الإرهابيون يقودون حرباً ليس على أممكا وحدها، وإنما على الحضارة لشريّة ائهم لا يحترمون قيم الحياة ولا قيم الديمصراطيّة"⁽⁴⁾ وكان يشير بذلك إلى المقاومة الفلسطينية وإلى العمليات التي نصمت خطف طائرات واحتجاز رهائن من أجل لفت أنظار العالم إلى القضية

تبعشت في حكم ريعان حتى النبوءات الصهيونية، ففي لتاسع من يونيو 1982، أي بعد ثلاثة أيام من بدء اجتياح الإسرائيلىين لجنوب لبنان، ظهر

(1) Steven M. Gillon Reagan tied Republicans to White Christians and now the party is trapped, washingtonpost.com, 22 March 2021

(2) كان كارتر مهتمّاً لأول معاهدة سلام بين العرب وإسرائيل حينما نجح في دعوة رئيس المصري أنور السادات ورئيس لوراء (ميرتني) ماحيم يبعن إلى متحف كامب ديبيد، وأصرفت تلك المفاصاات في 1979 على مفاقيه الملام والتطبيع بين مصر ودولة الاحتلال لكن المسيحيه بمصريّة توافق الجماعات بسببه اليهودية متصرفه في رفض أي اتفاق سلام مع العرب بمخلم الحق في قصعة من أرض "محب إسرائيل"

(3) محمد عبد المحسن مصطفى عبد الرحمن، المعنف الديني وتشكيل السياسة الخارجية الأميركية جيني كارتر يعوداً رسالة بومست resalapost.com، 7 فبراير 2022

(4) بيرجيت ادومف، "سياسة مكافحه الإرهاب الأميركي غياث في الرؤيه وحقن بطبيعته دسلام،



الواعظ الإيجيلي الأمريكي الشهير بات روبرتسون على النصارى ليدكر بنبوءة التي كان قد طرحها قبل أشهر. وقال: "أؤكد لكم أنه مع هدية هذا العام ستقوم القيمة على الأرض، وستكون في الاتحاد السوفييتي أساسًا هم الدين سيخوضون المعارك العسكرية وسوف نصربون" (١)، في إشارة إلى معركة هرمجدون واستخدام السلاح النووي، كما اقتبس من الكتاب المقدس أسماء الأمم التي ستقف مع الروس الذين يمثلون ياحوج وماجوج وقال إنها كل من أرمينيا وليبيا وإثيوبيا واليمن وإيران.

وفي نفس السياق، نشر الواعظ دانيال الصيت جيري فالوير في عام 1983 كتابًا بعنوان "الحرب النووية والمجيء الثاني للمسيح". وأكد فيه أن السوفييت سيشتبون حربًا على إسرائيل، وستنتهي في المعركة خمسة أسداس الحدود السوفييت وحيفاؤهم، وهذا قبل معركة هرمجدون (٢).

أما هال ليندسي فالف في هذه المرحلة عدة كتب تدعم طرحه السابق في كتاب "أحر أعظم كره أرضية"، ومنها كتب بعنوان "مكافحة الإيمان" الصادر عام 1986. لدي كتب على غلافه "الآن، وبينما نرحب نحو أحر لرمس، يتطلب العنور على السلام الداخلي والاستقرار بُعدًا جديدًا للإيمان يتجاوز التفكير الإيجيبي والاعتراف الإيجيبي"، حيث قدّم ليندسي لأتباعه النصبائح الأخيرة للاستعداد للمجيء الوشيك للمسيح.

ظل ريفان رئيسًا لولايتين متتاليتين ما بين مطلع عام 1981 وهدية عام 1988، وكانت رؤيته السياسية مشحونة بعقيدة الألفية، حيث نشرت الصحف الكبرى في عام 1984 نعتية لمؤتمر صحفي عقده معهد الأبحاث المسيحي عن إيمان رئيسهم بمعركة هرمجدون، وكان الجدال في المعهد قائمًا بشأن ما إذا كان

(١) النبوة والسماسة، مرجع سابق، ص 35.

(٢) المرجع السابق، ص 57.



الرئيس الأميركي سيعطى على الرز النووي في أي أزمة مقبلة لأنه يشعر بأنه يساعد الرب في محطته المقرر مسبقاً لنهاية العالم⁽¹⁾

وفي عام 1985، كشف الرئيس السابق لمجلس الشيوخ في كاليفورنيا جيمس مير أنه عندما كان ربحان حاكماً للولاية في بدنه المسيحية أحبه عن إيمانه بسوء قيام الحرب مع الاتحاد السوفييتي الذي يمثل بأجوح ومأجور، كما قال ربحان له إن الصمام ليبيا إلى المعسكر الاشتراكي أبدأك يعني أنها عضو في هذا التحالف. وعندما صار ربحان رئيساً صارت ليبيا هي عدوه الأول. لأنها -بحسب شهادة جيمس- من أعداء إسرائيل والرب⁽²⁾

أهم الشخصيات والمؤسسات

بعد عقدا السبعينات والثمانينات العصر الذهبي للمسيحية المتصهبة، ففيه وصل هذا التيار إلى أهم المناصب في حكم كارتر ورنغان. وفيه نشطت أيضاً المنظمات التبشيرية التي أشعلت هستيريا الآلية في أميركا، حتى أصبحت الكنائس والمؤسسات الإعلامية والتعليمية النافذة لها إمبراطوريات ضخمة تصعب مدافعتها، كما شكّلت جماعات صغط (لوبيات) ذات نفوذ سياسي كبير

من أهم رعماء المسيحية المتصهبة في تلك الفترة المس جيري فالويل، الذي كان راعياً لكنيسة بوماس رود المعمدانية في مدينة لينشبرغ بولاية فرجينيا، ففي بداية السبعينات، شارك فالويل في تأسيس جامعة ليبرتي (الحرية) لتخرج الكوادر الدينية، وسرعان ما أثبتت جداتها لتصبح من أكبر الجامعات المسيحية الإنجيلية في العالم، ومن أكبر لجامعات الحصة غير الربحية في الولايات المتحدة.

(1) للبطوة والمهاسة. مرجع سابق، ص 59

(2) لمرجع السابق، ص 22-23.

ومع احتدام الجدل بشأن الفصايا الاجتماعية والأخلاقية في أميركا، أسس قالويل عام 1979 منظمة "الأغلبية الأخلاقية" (Moral Majority) بهدف تعبئة جمهور المحافظين كي يشطّوا سياسيًا في الفصايا التي تهمهم⁽¹⁾، ولجحت المنظمة بالفعل في بث القيم العائلية والأخلاق في المجتمع الأمريكي من خلال مديرها الإعلامية، ولاحقاً من ذلك أنها أصبحت فور تأسيسها قوة سياسية لا يستهان بها، إذ نجحت في لعب دور رئيسي في نجاح رونالد ريغان بانتخابات الرئاسة عام 1980، حتى إن المحافظين أنفسهم شعروا بالصدمة آنذاك عندما رأوا حجم نفوذهم⁽²⁾.

في مطلع عام 1986، اشترى قالويل شبكة تلفزيونية دينية كانت على وشك الإفلاس وحولها إلى قناة لميرتي (الحرية) وكانت إمبراطوريته الإعلامية تثبت قبل ذلك بسنوات برنامجاً إذعياً يومياً لمدة ساعة باسم "ساعة الإنجيل" على ستمئة محطة في أنحاء العالم، كما كانت تُصدر أيضاً مجلة "صوت المسيحية" بعد شراء القناة بأسبوع. أقام قالويل حفل عشاء في واشنطن على شرف جورج بوش الأب، الذي كان آنذاك نائب الرئيس ريجان، وقيل قالويل لمدعوس إن بوش سيكون أفضل رئيس في الانتخابات المقبلة وبالفعل حصل بوش الانتخابات مرشحاً عن الحزب الجمهوري ونجح فيها، وكان دعم اليمين الديني المحافظ له واضحاً⁽³⁾.

من أقوال قالويل التي تستحق التوثيق: "شعر أن مصير دولة إسرائيل هو بلا شك لمسألة لدولية الأكثر أهمية التي تواجه العالم اليوم أعني أن شعب

1. Robert Wuthnow. The Restructuring of American Religion. Princeton University Press, Princeton, 1988, p. 205

2) Peter Applebome. "Jerry Falwell: Moral Majority Founder Dies at 73" nytimes.com. 16 May 2007

(3) النبوة والسياسة، ص 32.

إسرائيل ليس لديه حق لاهوتي فحسب، بل أيضاً حق تاريخي وقانوني في الأرض
 أو شخصيت صهيوني، وقد اكتسبت هذا المنظور من خلال إيماني بأسماء العهد
 القديم المقدسة لقد رزت أيضاً إسرائيل عدة مرات، وبوصفت إلى نتيجة
 مفادها أنه ما لم تحافظ الولايات المتحدة على إخلاصها الثابت لدولة
 إسرائيل، فإن بقاء تلك الأمة سيكون على المحك" ¹⁾

كما أعرب هالويل في لقاء صحفي في عام 1983 عن أمنيته بأن يحتل
 الأسرى يهود أجراء من العراق وسورية وتركيا والسعودية ومصر والسودان، وكل
 لبنان والأردن والكويت. فهذه كلها تمثل أرض إسرائيل في عاصمته الدينية، وقبل
 "لقد بارك الله أميركا لأنها تعاونت مع الرب في حماية إسرائيل العريضة عليه" ²⁾
 توفي جيرى هالويل في 2007 عن 73 سنة، وحل محله ابنه الذي يحمل نفس
 اسمه، وما زال يعمل بنشاط ولكنه لا يتمتع بقدرات والده الكاريزمية



صورة لـ جيرى هالويل في مكتبه (Jerry Falwell, Jr.)

(1) Merrill Simon, Jerry Falwell and the Jews, Jonathan David Publishers, New York, 1984, p. 62

(2) لقيادة والسياسة، ص 144

من جانب آخر، كان القس والمبشر بيلي غراهام من أبرز القادة الإيمانييين تأثيراً في العالم. إذ تجاوزت شهرته حدود الولايات المتحدة لنجاحه في تقديم خطاب أكثر اعتدالاً من زملائه

اعتد غراهام منذ عام 1947 على تنظيم حملات تبشيرية عالمية تحت مسمى "العمليات الصليبية" (Billy Graham's Crusades)، وبطراً لنشاطه الكبير فقد وصل عدد حملاته حتى تقاعده في 2005 إلى 417 حملة في 185 دولة. وكان يستأجر دُناً مساحات ضخمة مثل الملاعب الرياضية والصالات والحدائق وحتى الشوارع ليقيم مواعظه ومحاضراته التبشيرية، ففي عام 1973 احتشد حوالي مئة ألف شخص في مدينة ديترويت بجيوب أفريقيا لحضور "حملته الصليبية" (1) وبعد هجمات 11 سبتمبر 2001 غير غراهام اسم حملاته إلى "مهمات" (missions) كي لا تُحدد دلالة هجومية ضد المسلمين

كان غراهام يحرص على تجنب لقضايا المثيرة للجدل وعلى اعتقال السياسة، مما أكسبه شعبية امتدادية لدى جميع البروتستانت. وربما كان هو القيادي الإيمانيي الوحيد المقبول لدى "البروتستانتية الرئيسية"، بل حظي أيضاً باحترام الكنائس الكاثوليكية الأميركية وبى علاقات ودية مع بعض قادتها (2).

وبطراً لشعبته الكبيرة، استطاع غراهام أن يتغرب من معظم لرؤساء الأميركيين الذين عاصروهم، فعندما كان أحدهم يحتاج إلى الصلاة فس يجد أحد أفضل من غراهام ليتصل به، لذا فصى الكثير من الوقت بصحبة الرئيس دوايت أيزنهاور في البيت الأبيض، كما كان يعبر صديقاً شخصياً

(1) "Billy Graham crusades", billygraham.org

(2) Jon M. Sweeney "How Billy Graham shaped American Catholicism" americanmagazine.org, 21



لـلـرئيس لـيسون جودسون، وعشية انطلاق القوات الأميركية في حرب الخليج
قصي غراهام تلك الليلة مع عائلة الرئيس بوش الأب.

وفي أو ثـن سـبعينـات القرن العـشرين، كان غراهام مسعواً إلى طاولة جمعته
بالرئيس ريتشارد نيكسون ورئيسه ويرا، إسرائيل غولد، مانير، حيث عرس
نيكسون عليه منصب السفير لدى إسرائيل، فاعتذر غراهام قائلاً "الشرق
الأوسط سوف يتفجر إذا ذهبت إلى هناك" (1)

اعتذر غراهام أيضاً عن الانضمام لمنظمة "الأغلبية الأخلاقية"، وكان يصرح
باحتلافه مع فلول بـدون اصطدام، كف اخذ موقفاً معادياً لعنصرية في
الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا وبشكل غير مألوف لدى التيار المحافظ،
ولم يشعر بمضايقات البؤساء كما يفعل زملاؤه بل كان يرگر معظم جهوده على
التشهير فقط، حتى قيل إنه بشر بالإحـيل شخصياً للمليارات الدس وأكثر مما
فعده أي شخص آخر في تاريخ المسيحية، وظل يحظى باحترام أنصاره حتى
وفاته عام 2018 عن 99 عامًا



بيلي غراهام ينادي بحملته الصليبية في دوسلدورف، ألمانيا في عام 1954

(Deutsches Bundesarchiv)

(1) Nancy Gibbs and Richard N. Ostling, "God's Billy Pulpit" time.com, 15 November 1993

من أهم لشخصيات الإيفانجيليه أيضًا دوت روبرتسون الذي أسس في عام 1960 وكالة البث المسيحية (CBN) بمكانات محدودة، لكن تحولت في الثمانينات إلى إمبراطورية عالمية تُشاهد برامجها في 180 دولة و بأكثر من 70 لغة، وكان برنامج "نادي السبعين" ¹ (The 700 Club) هو المبر الأهم الذي يطل منه على متابعيه، وهو برنامج بُث في كل أيام الأسبوع، ويعلق على أهم الأحداث السياسية والاجتماعية من وجهة نظر مسيحية وصهيونية

كان روبرتسون يقول إنه ينتظر اللحظة التي ستولى فيها شبكته نقل وقائع مرور المسيح في القدس، كما صرح بأن ولاده لإسرائيلين يأتي قبل ولائه لأميركا نفسه، ولم تمنعه هذه التصريحات الصادمة من محاولة لترشح لانتخابات الرئاسة الأمريكية خلف لريغان عام 1988، لكن الحرب الجمهوري لم يقبل به

قال الكاتب يوم فيكر في مقال بصحيفة نيويورك تايمز في أكتوبر 1985، تعيقت على إعلان روبرتسون بيته الترشح للرئاسة، إن هناك 24 مليون شخص يتابعون برامجه في أميركا، وهذا العدد يفوق عدد قراء صحف ومجلات لتايم ونيويورك ونيويورك تايمز ولوس أنجلوس تايمز وواشنطن بوست مجتمعة ²

بعد فشل روبرتسون بالترشح للرئاسة، شكّل أنصاره "لتحالف المسيحي" (Christian Coalition of America) ليكون إطارًا منظمًا للتعينه السياسية، وسرعان ما أصبح من أهم جماعات الضغط (لوبي) اليمينية لمهمة في واشنطن.

¹ سمي بهذا الاسم لأن لحظة عابت من صفحات مائه في عام 1962 خلال روبرتسون لمشاهدي البرنامج إنه يحتاج إلى تشكيل ناد من 700 عضو يساهم كل منهم بمبلغ 10 دولارات شهريًا، مما يعدل 97 دولارًا في عام 2023)، ولم دلت بالفعل واعتاد روبرتسون إقامة حفل سنوي لتكريم هذا النادي، لاسيما بعدما أصبحت إمبراطوريته تدير أصولًا هائلة وتنفق دعاما من كبار الأثرياء

(2) المرجع السابق، ص 30

توفي روبرتسون في 8 يونيو 2023 بعمر 93 سنة، وكان قد بقاعد قبر
سنتين من "نادي السبعمنة" في الذكرى الستين لأول بث تلفزيوني له



روبرتسون، رئيس جيمس سواغات، في كنيسة سواغات عام 1991 David Vance

أما نفس جيمي سواغات فيدير من بتون روح بولاية لويزيانا إمبراطورية
تدعى "وزارات جيمي سواغات" (Jimmy Swaggart Ministries) بمرفق تمتد
على مساحة مئة فدان، ومن أهم مؤسساتها قناة "مس لايف" التلفزيونية
(SBN) ومجلة "الإيمانجيلي" (The Evangelist)، ومؤسسة "مركز عبادة
الأسرة" (Family Worship Center)، وكلية جيمي سواغات للكتاب المقدس"
(1)، وأيضًا مدرسة وروضة للأطفال

سبق أن عرف الجمهور المسلم سواغات من خلال المناظرة المشهورة التي
جمعته في نوفمبر 1986 مع الشيخ أحمد ديدات بعنوان "هل الكتاب المقدس
كلام الله؟"، إذ كان سواغات آنذاك في قمة شهرته

في السنة نفسها، اتهم سواغات رمينه مارفن غورمن بإقامة علاقات
جنسية محرّمة، فاستتب في عرله من منظمة "جمعيات الرب" (Assemblies of
Cod) ودافع الانتقام، تمكن غورمان في عام 1988 من التجسس على

(1) www.jsm.org/jimmy-swaggart.

سوغارت وتصويره متورطاً في علاقات محزنة أيضاً في أحد المصادق، وكاتب قصيدة مسوية طُرد فيها سواغات أيضاً من "جمعيات الرب"، ومع أنه اعتذر لجمهوره ودرج الدموع وهو يعرف في إحدى صلواته على التسميون قائلاً "لقد أدبت" لكن شعبته انخفضت كثيراً، لا سيما بعد أن أوقف شرطي سيارة سواغات هو حده برفقة بائعه هوى في أكتوبر 1991، لكن سواغات نعى التهمة عن نفسه مع الاكتفاء باعتزال لقيادة في "مركز عبادة الأميرة" (1).

أما منظمة "جمعيات الرب" المذكورة قبل قليل فبعد جود تأسيسها إلى عام 1911، لكنها لم تظهر بهذا الاسم إلا في 1988. وهي نظام رمالية دولية، ومن قادتها الإيفاجيلي بول كرونش الذي أسس في عام 1973 "شبكة الثلاث لبيت" (Trinity Broadcasting Network) المعروفة اختصاراً باسم TBN، وهي تنصم عنده قنوات تلفزيونية تناسب كل الأعمار، وتنفرد عنها شركات إنتاج وأستديوهات ومدينة نرفجية محافظة في فلوريدا، وكان هال ليندسي من أبرز الوجوه الإعلامية على شاشات الشبكة (2).

وكي نفهم أثر هذه الشبكات الإعلامية على المجتمع الأمريكي آنذاك، فقد جاء في دراسة أجرتها مؤسسة "نيس" في عام 1985 أن 40% من مشاهدي التسميون في أميركا يستمعون بانتظام إلى الوعظ الإيفاجيليين، الذين يقولون إنه لا يمكن فعل شيء لمنع الحرب النووية.

كما أجرت مؤسسة "بانكيلو فيتش" في 1984 استطلاعاً للرأي جاء فيه أن 39% من الأميركيين يؤمنون بأنه عندما يتحدث الكتاب المقدس عن تدمير

(1) Peter H. King, "Swaggart Rejects Terms of Penance is Defrocked" latimes.com, 9 April 1988.

(2) "Trinity Broadcasting Network", en.wikipedia.org



الأرض بالمار فهذا يعني أن الشر هم الذين سيضطرون الأرض كلها بالسلاح النووي في معركة هرمجدون⁽¹⁾.

٤. سر التحالف

حصصت غريس هالسل فصلاً في كتابها للتساؤل عن سبب تحالف اليهود مع اليمين المسيحي، مع أن غالبية اليهود الأميركيين ليبراليون، ومعظم الأصوليين في أميركا كانوا تاريخياً عنصريين ضد الجميع، فهم مفتنعون بأنهم بصفتهم بروتستانت أنحلوماسكسون بيص الشره فإنهم يتفوقون على السود واليهود والكاثوليك والصينيين واليابانيين والمسلمين واليهود، كما كان من الشائع في فترات سابقة من تاريخ أميركا إعلان عدائهم لليهود ورجعتهم في طردهم من أميركا لمسيحية^(٢) ومع ذلك، تساءلت هالسل "طالما أن جيرري هولوس وجيبي سواعارت وبات روبرتسون ومعظم الإيمانيجيليين البروتستانت يعتقدون أن كل يهودي سوف يُقتل أو يتحول إلى المسيحية أي في آخر الزمان فماذا ينتطع اليهود إلى المناوئ معهم؟ ولماذا يتحى اليهود عن معتقدات فكرية وإسبانية يترمون بها بعمق لإقامة تحالف مع الأصوليين اليمينيين"^(٣)

وصفت هالسل بحثها المؤوب لتلخص الآخوة، وعلقت عن أحد قيادات المجلس الوطني لكنائس السي يمثل البروتستانتية الرئيسية قوله إن الأميركيين كانوا ينظرون إلى إسرائيل قبل عام 1967 على أنها دولة صغيرة تتعرض باستمرار لهجمات من العرب المتفوقين عليها، ولكن عندما اندلعت حرب 1967، وهي التي كان العرب يعتقدون قبلها أنهم سيضطرون لليهود من فلسطين هائياً، وصل الحماس لدى الإيمانيجيليين إلى أقصاه وهم يرون الجيش

(1) النبوة والسياسة، ص 29

(2) (2) النبوة والسياسة، ص 147-148

(3) المرجع السابق، ص 150



الإسرائيلي يجتاح سيناء والصفحة العربية والقدس وقطاع غزة والجولان. هنا أصبح اليهود أبطالاً أسطوريين يحققون الوعد الإلهي بالقدس، وبحرکت مشاعر الكثير من البروتستانت لتأييد هؤلاء اليهود عندما رأوا فيهم لتحسيد الفعلي للنبوءات وفي المقابل، كانت البروتستانتية الرئيسية تتخذ مواقف متعاطفة مع قصايا العلم الثالث مما أعطى اليهود انطباعاً بأن هؤلاء أقرب إلى لمسيحيين مهم. وهكذا حدث فراق في دعم الرأي العام لإسرائيل وبدأ الإيفانجيليون بملته وسط ترحيب اليهود⁽¹⁾

أصفت المؤلفة أن لصهاية اليهود في أميركا اكتشفوا أن دعم علاقاتهم مع المسيحيين ليميزيين بدل المسيحيين الليبراليين سيمنحهم دعم أكثر بكثير، فمع أن أتباع الكنائس الليبرالية (البروتستانتية الرئيسية) أصحح من عدد أتباع الإيفانجيليين، ولكن الحماس لشعبي لدى الطرف الثاني في دعم أي قضية هو أكثر وأكثر صفاء، فوجود إسرائيل يعد من أهم أولويات أفراد الأصولي المحافظ، وهو مستعد لقتال من أجلها، لكنها ليست قضية وجودية لدى أفراد الطرف الآخر⁽²⁾ لذا فإن قادة الإيفانجيليين مسعدون للصعق على حكومتهم وسد كل اليهود من أجل دعم إسرائيل عسكرياً ودبلوماسياً وبقلت هالسل عن اليهودي الأمريكي والعصو في منظمة "بهاي بريث" اليهودية ثائن بيرلتر فوله "نحن نحتاج إلى كل الأصدقاء لدعم إسرائيل، فإد جاء المسيح فموف بفكر في حياراسا في ذلك اليوم أما في الوقت الحاضر، دعونا نصلي للرب ونرسل الذخيرة"⁽³⁾

(1) المرجع نفسه، ص 150-152

(2) المرجع نفسه، ص 157

(3) المرجع نفسه، ص 159



﴿ هدوء ما قبل العاصفة ﴾

بحلول نهاية حكم روبالد ريفان كانت منطعات الإيماجيين قد دحت مرحلة الانحدار، فمع أن بوش الاب نجح في تولي الرئاسة خلقاً لرفان، إلا أن الأجواء السبسية والاجتماعية في العالم عموماً كانت تتجه للتغيير

بدأ عقد التسعينات يحدث مزلزل غير متوقع وهو الاهيار السريع للاتحاد السوفييتي، ومع أن سقوط صمم الشيوعية الاتحادية كان من المفترض أن يمثل انتصاراً دينياً إلا أنه في الوقت نفسه كان حدثاً مخرجاً للمسيحية المنتهية التي طلت تنشر عنه عضود ببوءه هجوم السوفييت الملاحده مع حلفائهم المسلمين على "دولة إسرائيل".

لم ينوقف التيار المنتهين عن صدر المرید من التنبؤات طول عقد التسعينات، بل كان يطوّر تصميراته باستمرار لنواكب الأحداث، فقد جاء حرب الخليج بعد سقوط الشيوعية لتنفذ التنبؤ من الإحراج وتقديم لهم فرصة ذهبية للمرید من المنشآت بقرب ظهور المسيح

وبما أن الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين كان قد أصبح -بعد غزوه للكويت وحسارته في معركة "عاصفة الصحراء" -عدو بارزاً لأمريكا وإسرائيل، فقد صبّ عليه التنبؤون الصهاينة جام غضبهم، ولم يوفروا فرصة لشيطنته باعتباره الملك الذي سيعيد بناء بابل مهبثاً الخروج "عدو المسيح"

وعلى سبيل المثال، أخرج المؤلف الأصولي حوريف شامير في عام 1996 كتاباً بعنوان "قصر من أجل عدو المسيح حملة صدام حسين لإعادة بدء باب ومكانها في نبوءات الكتاب المقدس"، وحاول أن يربط فيه بين الأحداث السماوية آنذاك ونبوءات الكتاب المقدس (1)

(1) من أجل صهيون، ص 349



ولا نسي في هذا السياق أن هال ليسمي كان قد تنبأ في كتبه "آخر أعظم كرة أرضية" بأن المسيح سيظهر في عام 1988، وظل كتابه - لصادر في مطبع السبعينات - من الأكثر مبيعاً في الولايات المتحدة عدة سنوات، لكن المهلة انقضت ولم تتحقق النبوءة، ومع ذلك واصل ليندسي إصدار الكتب والظهور على الشاشات، فنشر في عقد التسعينات وحده ثلاثة كتب⁽¹⁾، وكان يعيد في كل كتاب جديد صياغة تفسيراته الخاصة لنبوءات التي يرغم أنها وشيكة الحدوث

حسر بوش الال الانحياز ولم يمكن من الحكم لولاية أخرى، وتولى الديمقراطي دو المبول الليبرالية بيل كليسون السلطة في مطبع عام 1993 كانت الأجواء تنحى للممثل من بقود اليمين المحافظ، فحتى الحرب الجمهوري أصبح منقسماً بشأن محاول البعص من سيطرة المؤسسات الدينية والمشرس الايصجيليس على مواقع صبح القرار من خلال الحرب

على سبيل المثال، صرح المبيانور باري غولدووتر كثر من مرة عن عصبه من بقود المتديس في حكم ريعان، علماً بأن بداية ظهور ريعان في لوسط السياسي كانت في حطبة ألماها لدعم غولدووتر أثناء ترشح الأخير لرئاسة في منتصف الستينات، ولكنه لم ينجح في مو حبة الديمقراطي ليندون جونسون وفي مقابلة أجرتها صحيفة واشنطن بومنت عام 1994 قال غولدووتر "عندما تقول اليمين الراديكالي اليوم، أفكر في مشاريع كسب المذل هذه التي يقوم بها رملاء مثل بات روبرتسون وآخرون الذين يحاولون الامتلاء على الحرب الجمهوري وجعله منظمة دينية بد، حدث ذلك، فعل وداعاً لسياسة"⁽²⁾ وفي مقابلة أخرى قال "تذكرو كلامي، عندما يسيطر هؤلاء لمشرون على الحرب،

(1) المرجع السابق، ص 351

(2) Joyd Grove "Barry Goldwater's Left Turn" The Washington Post 28 July 1994



وهم بالتأكيد يحولون القيام بذلك، منكون مشكلة رهيبه بصراحة، هؤلاء الذين يخيموني فالسياسة والحكم ينطبقان التسوية لكن هؤلاء لمسيحيين يعتقدون أنهم ينصرفون باسم الله، لذلك لا يمكنهم ولن يقللوا التسوية"^(١)

كان عهد لتسعينات حافلاً بالجدل والانقسامات الأكثر حدة في الشارع الأميركي، فالأحزاب لشاية تعيش ثوره المعلومات والاتصالات ووعود التكنولوجيا الحديثة بمسقبل "ما بعد الإنسانيه"^(٢) حيث لا حاجة للإنسان بالآدين، كما تتردد على منامعها أنباء "نهاية التاريخ"^(٣) مع سقوط المعسكر الشيوعي ونشوء "نظام عالمي جديد"^(٤) في صورة عالم معلوم بعوده أميركا فبدأت ملامح الانحلال الاخلاقي لدى الشباب بالظهور، واستعبدت "الثقافة المضادة" من المستويات في صورة أكثر حداثة

وفي المقابل، حشد اليمين المحافظين لمصين كل أسلحته الجديدة ليثبت أن عصر الألفية على وشك البدء، مؤكداً أن العواصف السياسية آنذاك لم تكن سوى مؤشرات على قرب الهبة، وأن بداية الألفية لثالثة ستكون نقطة الصفر

ظهرت عشرات الكتب تنبؤية في المكتبات الأميركية خلال التسعينات، ويذكر منها مثلاً "البراء في التاريخ والبيوءات" للمؤلف نوح هانشبير في عام

(١) "Quote for the Day", headland.com, 24 Nov 2006

(٢) "ما بعد الإنسانيه" حركة فكرية يؤمن بإمكانية تطوير تقنيات بدمج لتدمج بشري بالحاء الاصطناعي والاستفادة من تكنولوجياات أخرى ستعكر الإنسان من مقاومة الضيقوخة، ومن لم [مقالة عمر البشر إلى آلاف السنين وربما الوصول إلى الخلود بتعلق هذه المسألة من حتمية مادية لا نقيم اعتباراً لوجود الروح والمخاليق]

(٣) هذا سم نظرية فرانسيس فوكوياما الذي اعتبر سقوط الشيوعية مؤشراً على وصول ونشوء تاريخ البشري إلى نهايته

(٤) أعين يوش الأب بعد سقوط الشيوعية لن "نظام" عالمي الجديد (New World Order) قد بد

1991، "آخر العمالقة رفع الستار عن الإسلام وهدية الرمان" للمؤلف جورج أوبيس في العام نفسه، "الرب يتدخل في الشرق الأوسط" للمؤلف هاريون كريمير في 1992، "إندار الرب الأخير للأميركا" للمؤلف جون ماكتيرنان عام 1996، "لعر بابل صدام" للكاتب آرنو فروسي في 1998، "كوكب الارض، العصر الأخير" للنفس هل ليندسي الذي ذكرناه سابقاً في 1998. وكتاب "هيكل الايم الأخيرة القدم" للكاتب راسل برايس في 1999. ⁽¹⁾ وعرفه الكثير

انتهى عهد التسعينات، وفي ليلة واحدة بدأ عام جديد وقرن جديد وألفية جديدة، ولم يحدث شيء يُذكر. لم نعم أي حرب ولم يظهر المسيح، وتكررت نفس مظاهر الإحراج التي تورط فيها المستنورون في مطلع عام 1000 الميلادي، ولم يجد بعض المستنيرين الجدد محرراً أفضل من إعلان أن توقعاتهم احتمالية، وأن موافقة بداية الألفية السعيدة مع رقم ألفي هي إما نظرية غير مؤكدة، أو أن الأمر لا يتطلب سوى انتظار بداية ألفية أخرى.

٢ هجمات 11 سبتمبر وعودة الحلم

في مطلع عام 2001، استلم جورج بوش الابن السلطة وعاد الجمهوريون إلى البيت الأبيض مجددًا، وأعيدت دورة حكم اليمين المنصهين التي مثلها ريعان من جديد وبعد بضعة أشهر فقط من بدء ولاية بوش الابن وقعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، عندما شن تنظيم القاعدة هجومه على برجَي التجارة العالمي ومبنى البنتاغون، وسقط نحو ثلاثة آلاف قتيل من المدنيين في أهم المدن الأمريكية، في أكبر هجوم تعرض له "قائدة العالم الحر" على أرضها منذ الحرب العالمية الثانية ⁽²⁾

(1) من أجل صهيون، مرجع سابق، ص 348 وما بعدها

(2) منذ وقوع الهجمات ظهرت شكوك هوية طفل في الرواية الرسمية للهجمات، ومع أن بعضه يبدو سخيفاً مثل الكثير من نظريات المؤامرة إلا أن هناك أسئلة كثيرة لا يمكن سرورية



تحوّلت أنظار المسيحية المنصهية بعد هذه الهجمات تلقائياً إلى العدو الجديد الذي أخذ مكان الشيوعية السوفييتية المجددة وهو "الإرهاب الإسلامي". وتصور لبعض بالفعل أن المسلمين أعيدوا الحرب وحشدوا جيوشهم لمعركة هرمجدون الكبرى، حتى قال الواعظ ديفيد وينكرسون في خطبة بين رعاياه في نيويورك بعد أربعة أيام من الهجمات: "أكاد أسمع أصوات فرسان معركة مجيدو الأربعة"⁽¹⁾.

وفي 20 سبتمبر 2001، ألحق بوش الابن حطاباً في الكونغرس، وسط حماس هائل من كافة أطراف الشعب الذي شعر بالخوف والإهانة، ودعا إلى شن "حرب عالمية على الإرهاب"، وقال "حرباً على الإرهاب تبدأ بالقاعدة، لكنها لا تتوقف هناك، ولن تنتهي حتى يتم إبعاد كل الجماعات الإرهابية ذات لوصول لعالمي ووقفها وهزيمتها".

وبعد أسابيع قلبية، أشعل بوش الابن موجة من الجدل عندما قال لنصحفمين "هذه الحملة الصليبية هذه الحرب على الإرهاب سنسغرق فترة من الوقت، ثم أصدر البيت الأبيض بياناً في وقت لاحق جاء فيه أن الرئيس يشعر بالأسف لاستخدامه هذا التعبير لكن رئيس حملة بوش الابن الاستحبابي مارك راسيكوت أعاد استخدام المصطلح بعد ثلاث سنوات أثناء الاستعداد لاستجابات تجديد الولاية - فأشاد في مارس 2004 بالرئيس بوش "لقبده حملة صليبية عالمية ضد الإرهاب"، ثم تكرّر الاعتذار مرة أخرى عندما أعلنت الحملة أنها كانت "كلمة غير مناسبة"⁽²⁾.

الرسمية من يجب عليها، مما يرجع عني أن هناك جهات كانت تدعم بالهجوم قبل وقوعه على الأقل.

(1) من أجل صهيون، مرجع سابق، ص 343

(2) "تجربة بوش الانتخابية نصف حملته على الإرهاب بالصليبية" - الجزيرة نت، 19 مارس 2004



«بطلق سبيل من التسميرات لمحاولة ربط هجمات سبتمبر بأحداث آخر لربما». ونشطت تجارة النبوءات في العقد الأول من الألفية بأكثر مما كانت عليه في ثمانينات، لا سيما بعدما أُنحت شبكة الإنترنت لأي شخص أن يؤسس موقعاً ويطرح فيه كتباً وتسجيلات صوتية ومرئية بأقل التكاليف، كما نشرت «سداك» ظاهرة اغراق البريد الإلكتروني بالرسائل الدعائية التي كانت من أهم وسائل نشر لشبكات وبطريات المؤامرة، وذلك قبل ظهور مواقع التواصل الاجتماعي.

وقد جمع مؤلف كتاب "من أجل صهيون" ⁽¹⁾ أمثلة كثيرة من المواقع الإلكترونية التي انتشرت كالنار في الهشيم أسداك بين المحافظين الأميركيين، والتي نعت متابعيها على الاسفعداد للأحداث الكبرى التي بنت قربة للعبية، ومنها مثلاً اسداع حرب عالميه وشيكه تصبح فيها دمشق ركناً ⁽²⁾، ثم بناء الهيكل قبل انتهاء عام 2007 ⁽³⁾، أو تقدم لصين لغزو الشرق الأوسط بجيش قومه 200 مليون جندي بالتوري مع ربع "عدو المسيح" على عرش الاتحاد الأوروبي قبل أن يذهب إلى القدس ويحكم العالم، بينما رأى البعض أن "عدو المسيح" سيصل إلى الحكم من خلال ترععه لمنظمة الأمم المتحدة.

مثالاً أيضاً رهوف المكتبات في أميركا بالكتب والمجلات التي تحلل الأحداث وتربطها بحطة الدهر، وكان الحديث دئماً يصب على تمرير صفوف لصراع، حيث أصبحت أميركا وامرئيل في صف واحد، مفابن "عدو المسيح" الذي يصطف وراءه كل من المسلمين وروسيا والاتحاد الأوروبي وبقية الأمم.

(1) من أجل صهيون، ص 364 وما بعدها.

(2) هذه النبوءة فنست من مقولة حاتم في سفر اشعيا، وهي: "انظروا من دمشق بن يبعي مدينة

بعد الآن، بل متصبح كومة من ركام" [إشعيا- 17: 1]

(3) جاء هذا في موقع يسمى "Apocalypse Soon" (أي الخيامه قريبا) اسمه شاب يدعى بول روبرنسون.

انظر من أجل صهيون، ص 369



ومن أهم الكتب التي صدرت في تلك الفترة لصياغة البهوات الجديدة وتحسين الأحداث المستجدة، يذكر مثلاً كتابين أصدرهما هال ليندسي في عامي 2002 و 2003، هم "الكراهية الابدية جذور الجهاد" و "الايقان بالساعة الأخيرة للأرض" (1).

كما ألف راندال برايس في 2001 كتاباً جديداً بعنوان "الحرب عبر المقدسة أميركا وإسرائيل والاسلام المتطرف"، وحاول أن يشرح فيه لقائه مسبب شمال الحرب إلى أميركا ضمن خطة الرب للدهر، وناقش في الكتاب أسئلة من قبيل أهم اقوى المطالبات اليهودية أم العربية بالمدينة؟ لماذا يرغب المصليان في خوص حرب على جبر ليهكل؟ هل سيحل السلام في القدس يوماً ما؟ وكانت جميع أجوبته تصاع بناء على تربيته للبهوات على الواقع

وفي كتاب "الحرب الأخيرة إحقاق عملية السلام والمعركة القادمة من أجل القدس"، الصادر في 2001 اعترف لكاتبان ديميد آل لويس وجيم هينشتر أن عملية "الأرض مقابل السلام" بُنيت على أساس باطل، فلا يمكن أن يكون هناك سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين طالما ظل العرب يذكرون حق إسرائيل في الوجود، ولا بد من حرب ملحمية تفصلي على كل أعداء المسيح وعندها سيحل السلام تحت حكم المسيح (لرب) في اورشليم. أما كتاب "الحرب ضد الإرهاب كشف الستار عن البهوات المقدسة" الذي نشره غرايت جيمري في 2002 فقد بيعت منه ملايين النسخ، وهو يحاول إقناع قرائه بأن كراهية "المسلمين الإرهابيين" -الذين شنوا هجمات مستمرة- لأميركا نابعة أصلاً من كراهية المسلمين كلهم لإسرائيل، وأن الحرب التي شنها الرئيس المسيحي لندين بوش الابن هي تحقيق لنبوذة وردت في سفر إرميا من العهد القديم، وهي مقدمة للملحمة هرمجدون.

في المستقبل، ظهرت كتب كثيرة على يد صحفيين وباحثين أمريكيين وأوروبيين، وُصِفَ في العالم العربي، بكشف حطوة المشروع الصهيوني الذي تتبناه إدارة بوش الابن، ولا سيما في عرو العراق الذي بُرر بسعي نظام صدام حسين لامتلاك أسلحة دمار شامل ثم تبين أنها مجرد ادعاءات كاذبة.^(١)

أما الشبكات التلصيقية الانساجيبية فكانت تملأ ساعات لبث على مدار اليوم بحطب ومحاضرات وبرامج حوارية لكبار المنشرين، ومهم بات روبرتسون الذي في برامجه الشهير "نادي السبعمة" أن يشيطن صدام حسين ويصنم خطره، باعتبارها ممثلًا لقوى الشر المعادية للمسيح التي تحاول تصويص "دولة الله في الأرض" التي ستقام لمدة ألف عام بعد عوده المسيح، وقد سبّحت حُطبت روبرتسون مهمه عرو العراق مع حرصه الدائم على إظهار حرائط العراق باسمه الإنجيلي "بلاد ترفدين" وأرض "بابل"^(٢)

شارك جيري فالويس في مياكة الحرب الأميركية من خلال برامجه، وقال "إن عندما نشن الحرب في العراق منقوم بذلك لإعاده المسيح إلى الأرض، لكي تقوم الحرب الأخيرة التي ستخلص العالم من جميع لكافرين"

وعندما بتقدت بعض لطوائف المسيحية إقحام لدين في هذه الحرب، كتب فالويس مقالاً بعنوان "الرب مؤيد للحرب"، وقال فيه إن الكتاب المقدس لم يندرم الصمت، وإنه في الوقت الذي يعتز فيه رافضو الحرب أن المسيح مثل لسلام غير المتناهي، يتجاهلون الرواية بكامنها التي وردت في الآية التاسعة عشرة من سفر رؤيا يوحنا، ويحتم فيها المسيح سيفاً حاداً يصعق الأمم ويحكمهم"^(٣)

(١) نظر غوردون كوربد، عرو العراق، كيف بداعت مرغم سالك صدام حسين استجة دمار شامل،

بي بي سي عربي، 14 مارس 2023

(٢) عادل السقاقي، نبوغات السبب لمسيامه الأميركية إزاء السوري الأوسط، الجزيرة نت، 26 ديسمبر 2006

(٣) المرجع السابق.



أما القس ريتشارد لاند فكان، آنذاك صيفًا دائمًا على قنوات أخرى غير مسيحية مثل MSNBC و CNN، إلى جانب ظهوره السوري على المجمع والإذاعات الدينية، وكان له دور كبير في تبرير غزو العراق قبل بدئه، حيث أصدر في 3 أكتوبر 2002 بيانًا وقع عليه خمسة قادة إيمانييليين وحاء فيه أن هذه الحرب مشروعة لأنها تنوهر على لشروط المصنوع عليها في نظرية الحرب العادلة، التي وُضعت من قبل اللاهوتيين المسيحيين في أواخر القرن الرابع الميلادي⁽¹⁾

وبعد كل هذا الحشد الإعلامي، لم يجد رعيم الأغلبية الجمهورية في مجلس النواب الأمريكي نوم ذهبي أي مشكلة في تبريره للحرب ضد العراق بأنها "لتشهير الذي يسبق عودة المسيح إلى الأرض وبمسح المخال لحدوثها"⁽²⁾

كانت ميول بوش الابن الصهيونية أكثر وضوحًا من ريعان، إذ صرح بوش الابن أكثر من مرة بامتثاله لبسوع المسيح الذي أنقذه، فقال أثناء لحملة الانتخابات للمؤيد بترشيح الحرب الجمهوري لخصوص انتخابات الرئاسة في عام 2000 إن المسيح هو أفضل فيلسوف سياسي لديه لأنه "نقده" من طريق الصلال ودلّه على الصراط المستقيم"، في إشارة إلى مفهوم "الولادة من جديد" الذي يُعد من حصائص الطائفة الإيمانييلية، فقد كان في شبابه غير متزيم ذهنيًا، وعندما التقى بالقس الشهير بيلي غراهام في سر الأربعين بدأ بالاهتمام بالكتاب المقدس، وبعد جولة من المراءة والبحث اقتنع بكل أدبيات لمسيحية المتصهينة وببوءاتها، حتى قال بصراحة إنه تولى منصب الرئاسة لأقوى دولة في العالم "لأن الله احتاره لتولي ذلك المنصب" وعندما أطلق بالعلن حربيه في أفغانستان قال في خطبة ألقاها بإحدى الكنائس عام 2002، وهو يرتدي الري

(1) Stephen R. Rock, "Faith and Foreign Policy: The Views and Influence of U.S. Christians and Christian Organizations", Continuum, 2011, p. 110.

(2) عادل الدقاق، مرجع سابق.

العسكري "إسا جيش الله، في ست الله، وقد أقيمت مملكة لله لمن هذه الأوقات التي نعيشها" (1)

"التعبير" ومريد من الانقسام

كانت الحرب على أفغانستان والعراق من أسوأ الكوارث الإنسانية التي شهدتها العالم في القرن الجديد، ومع أن المجتمع الدولي كان داعيًا لواشنطن في استهداف تنظيم القاعدة في أفغانستان لكنه لم يؤيد غزو العراق، وعندما نالت الخسائر البشرية والاقتصادية على الولايات المتحدة نفسها من هذه الحرب طويته الأمد خسر الإيمانيون الكثير من شعبيتهم، لا سيما مع تحدد فشل نبوءاتهم، التي لم يظهر صدق أيٍّ منها (2)



مواشٍ الأيمن يحدد بقدره عسكريه على من حاملة طائرات أمريكية في 1 أيار 2003 قبل إنهاء الحشد
مسير "محررة" مهمة في اساءة الإستراتيجية النظام بعد في "White House"

(1) المرجع السابق.

(2) سبقت الإشارة في فصل حركة "العصر الجديد" إلى طائفة السافر الشرقي والألبيات النصية التي يلجأ لها البعض بعد فشل النبوءات التي يؤمنون بها

في 2008، انقصت الولاية الشابة للرئيس بوش الام مع تراجع كبير لشعبيته. وقال في خطاب الوداع في 15 يناير 2009 إنه لا ينكر وجود "قدر ضئيل من لجل" بشأن القرارات "الصعبة" التي اتخذها، والتي ظل يصبر على أنها أبقت الولايات المتحدة في أمان، معبراً أن الإرهاب ما زال "التهديد الأكثر خطورة" لشعبه (1).

فر براك أوباما بالانتخابات بعد رفعه شعار "التغيير" (Change)، وعُثر فوراً رسالة من الليبراليين والأجيال الشابة سمورهم من هوس ليمس المحافظ بالحروب ذات الدوافع الدينية الصهيونية

شارت الاستطلاعات، إلى بدء انحدار مستويات الدين والإيمان في المجتمع الأمريكي في تلك الفترة²، حتى أعلن أوباما في 2012 تأسيسه لروح الشهود جيسا (المثليين)³، وذلك بعدما كثفت الاستطلاعات أن نصف الأمريكيين يقبلون تشريعه قانونياً، ثم صدر القانون بتشريعه بالفعل في صيف 2015، الأمر الذي اعتبره أوباما "انتصاراً لأمريكا، وانتصاراً للحب"⁴. بينما يعتبره اليمين المحافظ نقطة تحول تاريخية في مسار نوع الهوية الدينية الخاصة عن أمريكا.

1 "في خطاب الوداع، بوش يدع عن قراراته الصعبة ويعترف ببعض 'الخفاقات' موقع دويتشه فيله

dw.com 16 يناير 2009

2 كان جيري فانويل قد أعلن في 1989 حل منظمة "الأغلبية الأخلاقية" أي بعد انتهاء حكم ريغن، حيث برحبت سرعات لمتعضمة بشكل كبير انداك ونداب مرحبه الأخذ، لكن هالوس أعاد في 2004 إحياء منظمة تحت اسم "تحالف الأغلبية الأخلاقية"، بهدف مواصلة "الثورة الإيمانية" بمساعدة الليبراليين المحافظين على الفوز بالانتخابات، وتم تحقيق محاولة أهدافه كما كان في الانتخابات، ثم انتهت فعلياً بموت فانويل في 2007

3 "الرئيس الأمريكي أوباما يعلن تأسيسه لروح المثليين"، في بي بي سي عربي، 10 مايو 2012

4 "حكمه الذي يبرر رواج مثليين بجميع ولايات أمريكا وأوباما يهتف بانتصار الحب"، بي بي سي

بالعربية، 26 يونيو 2015



وهي التي تشكلت على يد المهاجرين الأوائل عندما مطروا إلى بلادهم لاشئنة على أنها صهيون الجديدة

ومد ترشح أوباما لمجلس الشيوخ في 2004 مشرته السمراء ومم ولده الكيني "حسين". أي قبل أربع سنوات من حوص انتخابات الرئاسة، أشعل اليمين المتطرف جدلاً واسعاً بشأن حصول أوباما، ونشرت نظريات المؤامرة التي تتهمه بأنه "عبو لمسيح" الذي يحفي إسلامه. وعندما صار رئيساً بالمعنى انتشرت هذه لثائعات كالنار في الهشيم، حتى ذكرت استطلاعات الرأي أن نسبة المقتنعين بأنه مسلم متحمّ تتفاوت بين 10% و 20% من مجمل الأمريكيين، بينما ترتفع بين نصير الحرب الجمهوري إلى 30%⁽¹⁾

بهاية لولاية الثانية لأوباما. كانت كل استطلاعات الرأي تقريباً تتبأ بمور مرشحة لحرب الديمقراطية هيلاري كلينتون، لكن لعالم كله فوجئ بمور لجمهوري دونالد ترامب، والذي كان أكثر الرؤساء إثارة للجدل والانقسام في تاريخ البلاد

كان فشل استطلاعات الرأي أول صدمة للمحللين، وفتره البعض بطريقة "دومة الصمت"، وتوقعوا أن أنباع اليمين المحافظ وحدوا صعوبة في إظهار تأييدهم لترامب شخصياً مع انتشار الصورة الذهنية العنصرية عنه بمعاداة الأقليات والأديين والنساء وغيرهم، وحقاً من محالفة الأغلبية أو لتبرار لعدم دي الصوت العالي، كما أشار بعض المحللين إلى ما يعرف بتأثير "برادلي"، حيث يميل لأحبابون الأميركيون إلى الكذب في استطلاعات الرأي خوفاً من اتهامهم بالعنصرية والأصولية، كما حدث سابقاً عندما خسر المرشح الأمريكي الأسود توم برادلي أمام منافسه الأبيض الجمهوري جورج دوكمجيب بعد تقدمه في استطلاعات الرأي⁽²⁾

1. 'Barack Obama religion conspiracy theories' en wikipedia.org

2. "سندرم رضوان أبو مازن، لماذا أخصاب استطلاعات الرأي بانتخابات أميركا؟" الجزيرة نت 15 أكتوبر 2016

أُنتِ هور ترامب حيوية اليمين المحافظ وقدرته على التحدي من جديد، وأثناء ولايته كان اليمين اليهودي المتطرف في إسرائيل يتعش أيضاً تحت حكم بنيامين نتنياهو.

وبعد سنتين من تولي السلطة، أعلن ترامب "أنه إن الأوس للاعتراف رسمياً بالقدس عاصمة لإسرائيل"⁽¹⁾، وأمر بدء الحفريات لنقل سفارة الولايات المتحدة في إسرائيل من تل أبيب إليها. وفي اليوم الموالي، قال نتنياهو "هناك لحظات كبيرة في تاريخ الصهيونية وعد بلمور، وإقامة الدولة، وتحرير القدس، وخطاب ترامب يوم أمس"⁽²⁾.

وفي 15 مايو 2018، حرصت أيفانكا ابنة الرئيس ترامب على نصير حص افتتاح السفارة، برفقة زوجها اليهودي جاريد كوشنر. بصفتها مستشارة لبنت الأبيض وعنبر التبار المسيحي المتصهين هذا الحدث من المشررت باتحاد لقدس عاصمة للدولة اليهودية والسجيل ببناء الهيكل

وبالعودة إلى كتاب عرس هالسل الذي نشرته في أواخر الثمانينات، تقول عندما صم مدحيم بيعن القدس العربية إلى إسرائيل بطريقة غير شرعية في عام 1980 استهجن كل قدة العالم هذا التصرف، فلم تعترف أي دولة بحق إسرائيل المطلق في لسيطره على مدينة الديانات الثلاثة، وإذا بادرت الولايات المتحدة بنقل سفارتها إلى القدس فسسكون الدولة لكبرى الوحيدة التي يعطي الشرعية لهذا الفعل⁽³⁾ وبعد أقل من ثلاثة عقود، لم يزدد ترامب في القيم هذه الخطوة غير عان بأي قانون أو عرف، وقد وجد هيه نتنياهو لقلد الأميركي لمثالي الذي ينبغي الاستفادة منه إلى أقصى درجة

(1) "ترامب يعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل ويامر بيعن السفارة الأميركية من تل أبيب إليها".

france24.com، 6 ديسمبر 2017

(2) علي بوموا، "لملدا وعد ترامب أخطر من وعد بلفور"، منوعات الجزيرة، 10 ديسمبر 2017

(3) الفيوة والسياسة، ص 198

حاول ترامب طرح خطة للسلام باسم "صفقة القرن"، أملاً بوصف حل نهائي للصراع الإسرائيلي- الفلسطيني، وتأجل طرحها مرات عدة ثم انقضت ولاية ترامب قبل أن يتمكن من طرحها. لكن بعض بيودها تسربت للإعلام، ومن أهمها حل القضية الفلسطينية بإقامة دولة فلسطينية بدون جيش في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتنازل مصر عن بعض الأراضي في سيناء لإنشاء مطار ومطقة صناعية وتجارية وزراعية بدون أن يقيم فيها الفلسطينيون.^١

نحج ترامب في عقد المريد من صفقات التطبيع في عهده مع دول عربية، وسط ترحيب من ليهود والمسيحيين المنتصبيين بالاتفاقيات التي تضمن المكاسب الاقتصادية "للدولة اليهودية"، لكن صفقة القرن لم تحقق أي نجاح لرفض الإسرائيليون أنفسهم حل الدولتين ومنح الفلسطينيين أي حق بأي جزء من أراضهم، أما المسيحيون المنتصبيون فهم أكثر تعنتاً من اليهود في هذا الأمر، ويرفضون رفضاً تاماً تنازل اليهود عن أي شبر من الأرض، لأن ذلك يعني تأخير موعد قدوم المسيح، كما أنهم يحلمون باليوم الذي يحاحم فيه المسلمون وروسيا دولة إسرائيل كي تسالغ معركة هزمجدون ويظهر المسيح، أما اتفاقيات السلام -إن تمت- فهي في رأيهم سوى أفعال حاطنة تؤخر خطة الرب

قدّم ترامب نموذجاً مختلفاً للرئيس اليميني المحافظ مقربةً بريهان وبوش الابن، فمع أنه كان ممثلاً لليمين المتطرف أكثر من أي رئيس أميركي سابق إلا أنه لم يكن متدياً في سلوكه الشخصي، ولم يبد الكثير من الاهتمام بمشروع الإيمانيبيين وبيوءاتهم، بل بدا لبعض المحللين أنه يستخدمهم كورقة انتخابية كما كانوا هم أيضاً يسهلون شعبيته وكأبرميتة لتحقيق كبر قدر من المكاسب السياسية والاجتماعية في ظل حكمه

^١ "صحيفة إسرائيلية تنشر بيوداً مصرية من صفقة القرن"، موقع روسيا اليوم arabic.rt.com.

ومع أن ترامب حاول أن يقدم لإسرائيل أكثر من أي رئيس أمريكي آخر إلا أنه لم ينجح في الانتخابات لولاية ثانية، إذ حشد خصومه لديمقراطيون أنصبرهم بكل قوة مع تصاعد خطاب اليمين المتطرف في ولايته الأولى، كما انقلب صدد بعض لجهنوريين. لكن المسيحية المتصهبة وجدت فيه لقنة الكاريزمي الصلب الذي يمكن الاعتماد عليه في المعارك الداخلية ضد اليسار الذي يمين أخصب نحو المتطرف، وفي المعارك الخارجية أخصب، سوء لأسباب وطنية عرقية برفعه شعار "لجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى"، أو لأسباب دينية تدفع باتجاه تعجيل عودة المسيح

تولى جو بايدن الرئاسة في مطلع عام 2021، مدعوما بقوة من اليسار الليبرالي الذي يزداد شرسا في فرض أجنداته الاجتماعية، مثل "حقوق المثليين" و"حق الإحساس" وغيرها وبما أنه الرئيس لكانتوليكي الثاني في تاريخ أمريكا كله -بعد جون كينيدي- لكن بايدن كان حريصا على طهر ولائه للصهيونية، مع أن هذا الولاء اربط تاريخيا وعقديا بالبروتستانتية كما أسلفنا، ففي مسهل رايته لدولة الاحتلال في صيف 2022، قال بايدن في خطاب ألقاه لدى وصوله إلى مطار اللد "أنا صهيوني ولا يتعين على المرء أن يكون يهوديا لكي يكون صهيونيا".

وأضاف "يجب أن تظل إسرائيل دولة يهودية ديمقراطية مستقلة"، كما أشار إلى حرص إدارته على الدفع باتجاه تحقيق حل لدولتين⁽¹⁾، وهو وعد بطلقه كل رئيس أمريكي في سياق الدبلوماسية، فمع أن ترامب تحدث عن سعيه أيضا لتحقيق هذا الهدف لكن مسؤولا كبيرا في إدارته كان قد صرح في 2017 بأن حل الدولتين إذا كان لا يحلب لسلام فليس هدفا

(1) "بايدن، د صهيوني، وإسرائيل دولة يهودية مستقلة"، موقع عربي 21، 14 يونيو 2022



يراد تحقيقه، وأن السلام هو الهدف سواء أتى عن طريق حل الدولتين أو أي حل آخر (1).

مستقبل صعب

قد يكون لبسٌ بالمستقبل صعبًا، فكل المرشحين والفائزين بالرئاسة الأميركية يتنافسون على إثبات ولائهم للصهيونية، بالرغم من احتلالهم الشديد في قضايا أخرى. خصوصًا بعد ظهور اليمين الشديد في عهد ترامب، لكن بعض التحليلات تشير إلى أن اللوبي الصهيوني الأقوى في أميركا وهو "لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية" المعروفة باسم "أيباك" (AIPAC) أبدى ميلًا لدعم التيار اليميني المحافظ في الحرب الجمهوري قبيح الانسحابات التشريعية (النصفية) في أواخر 2022، حيث ذكرت صحيفة "واشنطن بوست" أن "أيباك" مولت 109 مليونًا من أصل 147 نائب جمهوري في لكونغرس، رفضوا جميعهم المصادقة على انتخاب جو بايدن عندما نجح في انتخابات لرئاسة، وهؤلاء يتبنون الأجندات المحافظة مثل التصدي لأي خطر على مبيعات الأسلحة الفردية، وخطر الاجهاص، ويتخذون مواقف عنصرية من لسود والأقليات (2).

وتعليقًا على هذا الموقف، كتب الصحفي اليهودي الفرنسي سيمون سيميل مقالًا يحذر منظمة "أيباك" من أن اليهود الأمريكيين سيديرون طهورهم لإدراج عاجلاً وليس آجلاً، مستشهدًا بدراسة جراها مركز بيو للدراسات في مايو 2022 أظهرت تصاعدًا متزايدًا لعداء الشباب الأميركي تجاه السياسة الإسرائيلية.

(1)، "مسؤول أمريكي واشنطن يحث على حل الدولتين كأساس للسلام في الشرق الأوسط" موقع فرانك 24، 15 فبراير 2017.

(2)، سيمون سيميل، "اللوبي الصهيوني يساند انصار ترامب في الانتخابات النصفية الأميركية"، مجلة

وخصوصاً في صفوف الشباب الديمقراطييّن. ومثيرةً أيضاً إلى تزايد شعبية حملات مقاطعة إسرائيل بين الشباب (1).

وسدو آر سينير محقّق في محاوفا، فمعظم اليهود في أميركا لا يكرثون للدين ولا لسبوات السوراثية، إذ كشفت دراسته لمركز "نيو" في عام 2018 أن 45% من اليهود الأميركيين مرجحون في الشريعتين الأقل تدبّراً وهما "مقوموا لدين" الذين يؤمنون بوجود إله ولكن لديهم وجهات نظر سلبية عن الدين، أو علمانيون بقوة" الذين يؤمنون بالإله ولا يعترفون أنفسهم كمثدييّن، أما الذين يمارسون لطقوس الدينية فلا تريد نسبتهم عن 21% (2).

وعنى سبيل المثال، كان بوش الابن تنبى مشروع المسيحية المتصهية كما أسبقنا، ومع ذلك لم يكن هو المقصود لدى الناحيين اليهود الأميركيين، فهي الانتخابات الرئاسية عام 2000 كانت نسبة مؤيديه من الإيفانجيليين 68% مقبض 19% فقط من اليهود، وفي الانتخابات التالية عام 2004 التي فاز بها أيضاً أيده 78% من الإيفانجيليين مقبض 25% من اليهود (3)، أي أن أكثر من ثلاثة أرباع اليهود في المترين كانوا يؤيدون مرشح الحزب الديمقراطي ومشروعه الليبرالي وفي دولة إسرائيل نفسها، تبلغ نسبة اليهود الحريديم المتديبين إلى جمالي السكان 13.6% فقط، بحسب الإحصاءات الرسمية في 2018 (4)، وهذه الأقنية هي التي تطالب بدولة دينية يحكمها رجال لدين لتحقيق حلم خروج المسيح (الماشيح)

(1) المرجع السابق

(2) "حوي نصف يهود الأميركيين لا يسمون إلى ديانة منظمة" صحيفة تايمز أوف إسرائيل، 30 أغسطس 2018، ar.timesofisrael.com

(3) "Religion and the Presidential Vote" pewresearch.org 6 Decembre 2004

(4) ICBS 2018 Survey, p. 82

وإذا كان اليهود عمومًا وشبابهم خصوصًا أكثر ميلًا إلى الأفكار اليسارية الليبرالية، فمن غير المستغرب أن اليمين الإيفانجيلي الموهوس بسوءات آخر الزمان لم يعد يحظى بالشعبية التي ساهم في عصره الذهبي خلال السبعينات والثمانينات بـإن جمهوره المسيحي.

تشير الإحصاءات إلى أن أنباع "البروتستانتية الرئيسة" (Mainline Protestant) كانوا يشكلون أكثر من نصف سكان لولايات المتحدة حتى أوائل الستينات، وكانوا يمثلون مع الروم الكاثوليك والمعمدانيين لجنوبيين ما يزيد عن 80% من الأميركيين⁽¹⁾، ما يعني أن الأصوليين كانوا قلة آنذاك، لكن هذه النسبة تعيّرت بسبب انخفاض معدلات الولادة لدى البروتستانت الرئيسيين (العدائين)، ولأن هذه العائلات لم تعد تربي أطفالها تربية كنسية كما في السابق، أما الأصوليون -بما فيهم الإيفانجيليون- فكانوا أكثر رغبةً للأطفال وأكثر حرصًا على نقل عقائدهم وثقافتهم للأجيال الشابة، حتى ظهرت قوتهم بوصوح في الثمانينات مع وصول ورثهم الديمغرافي إلى حوالي ربع السكان في الولايات المتحدة، لكن هذا الصعود لم يستمر طويلًا.

وفي يوليو 2021، صدرت دراسته مهمة للمعهد العام لأبحاث الأديان (PRRI) في الولايات المتحدة، وجاء فيه أن نسبة الدين يُعرفون أنفسهم كمسيحيين إيفانجيليين انخفضت من 23% من إجمالي السكان في عام 2006 إلى 14% فقط في عام 2020، وهو انخفاض كبير للغاية خلال فترة قصيرة، أما نسبة البروتستانت الرئيسيين فارتفعت قليلًا من 13% إلى 16.4% من السكان خلال

(1) Tara Isabella Burton "Why this shrinking religious group might be among America's fast

swing voters", vox.com, 5 Nov 2018.



الفترة نفسها ^{١٠} وعندما يقارن هذه الإحصاءات بها كان عليه وضع المسيحية في أميركا فلو وضع بيدو كارتث على كل الأصعدة، إذ أصبح لمحمسون واللاديسيون يمثلون نصف المجتمع، بينما يدورع بضية أنباغ الكنائس لمصارعه على النصف الآخر، مع أن نسبة الملحدين لم تكن تذكر في الستينات

من ناحية أخرى، ارتبطت البروتستانتية الأيمانيجية بارتفاع بالأغلبية البيضاء للولايات المتحدة، لكن البلاد أصبحت أكثر تنوعاً الآن، فوفقاً لبيانات مكتب الإحصاء الأمريكي في عام 1980، كان البيض يشكلون ما يقرب من 80% من السكان أما اليوم فيقرب هذا الرقم من 60% فقط، ومن المحتمل أن ينخفض أكثر في المستقبل القريب، فبعد عام 2010 شكلت الأقليات العرقية والإثنية كل النمو السكاني في البلاد تقريباً ^(٢)، وهذا يرد من حق اليمين المتطرف، سواء كان متديناً إيمانيجياً أو قومياً عنصرياً، فبعضهم صار يؤمن بظئرية المؤامرة "الاستبدال العظيم" التي تهتم النخب الليبرالية المتحكمة بأنها تسعى لتحويل البيض إلى أقلية مستضعفة في البلاد

في عام 2016، أصدر المؤسس والرئيس التنفيذي للمعهد العام لأبحاث الأديان روبرت جوير كتاباً بعنوان "نهاية أميركا المسيحية البيضاء" (The End of White Christian America)، وتتبع فيه تلاشي الملامح العرقية وُلديية للثقافة التي شكلت وحده أميركا الحصري منذ نحو ثلاثة قرون، حيث لم تعد هناك لغة مشتركة للمجتمع عندما كان متجانساً كما في الماضي ^{١١}

(١) Bill McKibben, "The Unlikely Rebound of Mainline Protestantism", newyorker.com, 16 July 2021

(٢) Steven M. Gillon, washingtonpost.com

(٣) Tara Isabella Burton, "The age of white Christian America's ending: Here's how it got there", vox.com, 18 Jul 2017



يقول جوير، إن "البروتستانتية الرئيسية" التي كانت بشكل ثقافي أميركا وتمثل غالبية سكانها حشرت شعبيتها أمام صعود كل من العلميين والإيمانيين، حيث اصطدم الطرفان في الحروب الثقافية خلال التسعينات والتسعينات، مما أفسح الطريق لبعض التحولات الدائمة في الثقافة الأمريكية. إذ أصبح معظم الأميركيين المسيحيين الآن مدعومون رواج المثليين، وبترديد هذا الدعم أيضاً تدرجياً بين الإيمانيين الشباب أنفسهم، وهو تغير غير مسبوق في تاريخ المسيحية كلها⁽¹⁾.

وكي يفهم نتائج مشاريع العلمنة الهائلة التي احترفت كنائس "البروتستانتية الرئيسية"، فقد أصبحت كل الكنائس التابعة لهذا التيار تقريباً تؤمن بالمساواة بين الجنسين وتقبل ترسيم النساء في صفوف الكهنة، كما انضمت كل من الكنيسة الأسقفية (TEC) والكنيسة المشيخية الأمريكية (PCUSA) والجمعية العالمية التوحيدية (UUA) وكنيسة المسيح المتحدة (UCC) إلى "التحالف لديمي من أجل اختيار الإنجاب" (RCRC)، وهو تحالف تأسس في 1973 على يد مسيحيين وعلمانيين لتأييد الإجهاد، بينما تقدم الكنيسة لوثودية المتحدة (UMC) والكنيسة الإيمانية اللوثرية في أميركا (ELCA) دعماً مشروطاً للإجهاد أما الكنائس التي أصبحت تقبل بروج المثليين أو حتى تباركه فتشمل كلاً من جمعية الأصدقاء (Quaker) وكنيسة "ELCA" وكنيسة "UUA" وكنيسة "UCC" إضافة إلى كنائس كبرى في كندا ومع أن الكنائس المعمدانية الأمريكية لا تبارك رواج المثليين لكنها تسمح لهم باتخاذ هذا القرار، بينما قطعت كنيسة "UMC" شوطاً أكبر وقبعت في 2016 بانتخاب امرأة مثلية في منصب أسقف⁽²⁾، كما تقبل معظم الكنائس المذكورة تنصيب قساوسة متحولين جنسيًا، ما يعني

1. Ibid

2) Kathy L. Gilbert "Western Jurisdiction elects openly gay United Methodist bishop"

umc.org, 15 July 2016.



أن الأجندات الليبرالية العلمانية كسنت المعركة في النهاية، بينما لم يبق من "البروتستانتية الرئيسية" سوى محاولة الابقاء على إيمان أتباعه بوجود الرب ودوره في الخلاص.

وكي سطر من روية أعلى للتعبير السريع في المجتمع الأميركي بشكل عام، ففي عام 2004 أقر الرئيس جورج بوش الابن تعديلاً دستورياً يشدد على أن الرواح لا يكون إلا بين رجل وامرأة، إذ كان 60% من الأميركيين يساندونه ويعارضون رواح المثليين، في مقابل 31% من مؤيدي هذا الرواح وبعد 15 سنة فقط، أي بحلول عام 2019، انقست هذه الأرقام. حيث أيد 61% رواح المثليين وعارضه 31% فقط (1).

اندمجت أميركا في قوايس العولة التي كان يُفترض أن تكون سلاخاً بيد القوة العظمى لحرص ثقافتها على العالم، لكن ثقافتها هي نفسها أصبحت مهددة بالبلاشي، وبسرعة قياسية تنير عصب المحافظين وحققهم فمعظم شعارات الخصوصية الثقافية التي شكّلت العقيدة الأميركية للإيمان جديدين البيص اهرمت أمام قيم التعددية لليسار الليبرالي، ومعظم الصروح الكنسية والإمبراطوريات الإعلامية وثقافية التي بنت على يد الآباء لمسيحيين بكل طوائفهم لم تعد تمثل في نظر معظم أبناء الجيل الجديد سوى تراث عتيق عليه الرمن، أما قصص أحر الرمن التي ألهيت حماس ملايين لشباب قبر عمود قلبه فقط فلم تعد اليوم قادرة على منافسة قصص الأبطال الحارقين في السينما وألعاب الفيديو



(1) Steven M. Gillon, washingtonpost.com



أميركا اللادينية.. جدل الهوية

ومخاوف الانقسام مع انحسار التدين

يبدى الصحفيون والباحثون الاجتماعيون اهتماماً لافتاً بالتحول السريع في المجتمع الأمريكي، فتراجع اهتمام الشباب بالتدين والمسيحية يثير مخاوف البعض من تآثر وجه البلاد، وقد يفاقم أزمة الانقسام السياسي ومع أن مدد الطائفة بانت شائعة في شتى أنحاء العالم -خصوصاً في العرب- فهي تبدو أكثر حدة في بلاد لطالما نعلعل لدين في هويتها منذ بدء تشكل الأمة

شهد الغرب في القرن العشرين هزات كبرى كادت تعصف بالكثير من الثوابت والقيم الأخلاقية، ولا سيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي تركت أسنة مؤلمة عن جدوى الحضارة ومعنى الحياة وسما كان الساجون من الإبادة في أوروبا مشغولين بإعادة الإعمار كان ألام الشباب في أميركا يرفعون راية التمرد ويشكلون جماعات "الهيبيز" الراهضة للدين والحضارة

ومع ذلك، سرعان ما استعادت أميركا هويتها الدينية، إذ لم يتفنى المجتمع حركات التمرد العدمية، كما لعبت الكثير من مؤسسات السلطة والإعلام دوراً في لحد من انتشارها، فيما أحدث الكنائس البروتستانتية رمام المبادرة

فبالنوازي مع "الثورة الجنسية"، التي بلغت أوجها في سبعينات القرن العشرين، كان تحالف الكنائس الإنجيلية البروتستانتية يؤسس حركة كبرى تحت مسمى "الأغلبية الأخلاقية" بقيادة القس جيري فالويل، والتي نجحت في



إحياء قيم الأسرة من جديد، وأصبحت رفقا صعبا في كل الحملات الانتخابية للرؤساء وأعضاء الكونغرس⁽¹⁾.

وكانت مؤسسة غالوب قد نشرت في يونيو 2023 دراسة مفصلة لمقارنة إقبال الأميركيين على المعباد بما يشمل الكنائس والمعابد والكُسن اليهودية ومعابد الأديان الأخرى منذ الأربعينات، وأصبحت الدراسة بالرسم البياني أن عقد الخمسينيات كان الفترة الأكثر إقبالا على المعباد، ثم انخفض الإقبال في الستينيات والخمسينيات، ليعود إلى التحسن المتدبب في الثمانينيات والتسعينيات، ثم ينحدر المنحنى منذ منتصف العقد الأول من الألفية الجديدة نحو الهبوط⁽²⁾.

Church Attendance Post Seven Days, Historical Trend

Source: Gallup Organization, "U.S. Church Attendance Post Seven Days, Historical Trend," 2023.

وفي تصريح لمجلة أتلانتيك، يقول الأستاذ بجامعة كاليفورنيا سانتا باربرا جوزيف بلانكهولم إن عقد الخمسينيات كان الأكثر ندبا على الإطلاق في أميركا، حيث أصبح شعار "بالله يؤمن" انداك شعارا وطنيا رسميا، كما أصبحت عبارة

(1), "Moral Majority American organization" Encyclopaedia Britannica.

(2), Jeffrey M. Jones, "U.S. Church Attendance Still Lower Than Pre-Pandemic"

news.gallup.com, 26 June 2023.



"الله شهدي" إلى قسم الولاء ولطالما استمر تشكيل هذه الهوية الدينية على يد رؤساء مثل هاري ترومان ودوايت أيزنهاور، حيث كانوا يروّجون للهوية المسيحية في دحل أميركا وحارّجها لمواجهة المذ الشيوعي الملحد، ما يعني أن المسيحية كانت إحدى أدوات الحرب الباردة (1)

لكن هذا الواقع تغير كثيرًا في السنوات الأخيرة، فبعدما كان تُنصر منظمة "الغيبية الأخلاقية" ⁽²⁾ بجويون الشورع في ثماسات وتسعينات القرن الماضي وهم يرفعون لافتات تندد بالجنس خارج إطار الزواج أصبحت مسيرات المثليين والمتحولين الجاشدة هي التي تملأ شوارع أميركا ليوم، من دون أن تنير الاستيكر الذي كان معهودًا في الجيل السابق

ومن مظاهر هذا التغيير وقوف إداره الرئيس الأميركي حو بايدس بقوة وراء التغييرات الاجتماعية التي تنحدي الثوابت المسيحية، مثل التعريفة التي بشرها بايدس في مارس/ آذار 2022 وجاء فيها أن "المتحولين جديسًا خُفّو على صورة الرب"، وأعطها إصداره في ديسمبر 2022 قانون "احترام لروح" الذي يعرض على المجتمع احترام رواج المثليين وليس الاكتفاء بتسميه

هذه الموقف ما كان ليحرّض عليها أي رئيس أميركي قبل عشرين عامًا، بل لم يكن بايدس نفسه مؤيدًا لها عندما كان عضوًا في الكونغرس في التسعينات، ولو حدثت آنذاك كانت مستنير موجة من الاحتجاج والرفض الشعبي، لكن المجتمع نفسه تغير الآن.

1 Sigal Samuel, "Atheists Are Sometimes More Religious Than Christians" www.theatlantic.com,

31 May 2018

2 سبق الحديث عن حقبة هذه المنطقة ونشاطها في فصل "المسيحية (التصهيه من هذا) نكتب



٢٠) تمكثك وانقسام

في أواخر أكتوبر/تشرين الأول 20٢1، أصدرت مبادره "مجتمعات الايمان اليوم" (FACT) وجامعة هارتفورد لأبحاث الدين في الولايات المتحدة تقريرًا بعنوان "20 عامًا من التعبير الجماعي"، وهو أكبر مسح أجري في لولايات المتحدة للجماعات الدينية^(١).

سعى الباحثون في هذه الدراسة إلى تعقب الاتجاهات في المشهد الديني الأمريكي منذ عام 2000، وشملت دراستهم أكثر من 15 ألف جماعة دينية تسمى لنحو 80 طائفة.

ومن أهم نتائج لدراسة توقع الباحثون أن 30% من لجماعات الدينية في الولايات المتحدة لن تبص على قيد الحياة في السنوات العشرين لقادمة وفي مطلع 2023، نشرت مجلة أنلانتك مقالًا مشتركًا لويندي كيدج البروفيسورة في علم الاجتماع بجامعة بريندير، وإيلان بابشوك نائب رئيس المركز اليهودي القومي للتعلم والقيده، وأقرًا في يديته بما جاء في دراسة هارتفورد، وأن جوله بالسيارة في أي مدينه كبرى بالولايات المتحدة تكفي لاكتشاف برايد عدد الكنائس المعروضة للبيع بسبب غياب المصلين حتى صارت تباع أكثر من المنازل⁽²⁾.

ويسندشهد الكاتبان المديبان أيضًا بكتاب روبرت دي يوندم وديفيد بي كامبن لحداد عام 2010 بعنوان "العممة الأمريكية كيف يفرق الدين ويوحده"، إذ جاء فيه أن المجتمع الأمريكي فقد الكثير من أواصره الاجتماعية بتحليه عن دور العبادة، فهي الأجيال السابقة كانت العائلة تعثر على أصدقاء

(١) FACT 2020 Survey Results, www.farthfromunitiestoday.org

(2) Wendy Cadge and Elan Babchuck "American Religion Is Not Dead Yet" theatlantic.com, 16 January 2023.

جديد فور انتقالها إلى منزل جديد من خلال حلقات التعارف في أقرب در للعبدة. وإذا أصيب شخص بعرض ما سرعان ما يتكاتف زملاؤه المتدينون لرعايته والدعاء له. لكن هذه العادات أصبحت نادرة اليوم

وبالإضافة إلى الأواصر الاجتماعية التي ينسجها الانتماء الديني يعطي الدين معنى للحياة ويحجب عن الأسئلة الوجودية، ويحصر أتباعه على لمشاركه في بناء مجتمع أكثر عدلاً ولطفًا وحبًا، كما يقول الكاتبان

ويبحث لكاتبان في مقالهما -الذي يحمل عنوان "الدين الأمريكي لم يمت بعد"- على استعادة هذا الدور للدين في مجتمع أصبح "أكثر فردانية، وأكثر انقسامًا، وأقل أملًا، وأقل نعمة مما كان عليه في العقود السابقة". وذلك بغض النظر عن الدور الأهم للإيمان وهو الملاح في الآخرة

وقبل تسعين ونصف كتب ويندي كيدج مقالًا آخر عن "صعود القساوسة"¹، وكانت آنذاك متعائلة للعناية مع اريدبد نشاط رجال لدين في دروة جتياح فيروس كورونا، بد لعب الدين حينها دوره التخليدي في بث الامن واستعادة معنى الحياة، لكن هذا النشاط سرعان ما يحسر مع انحسار الوباء، و يقلب التناول إلى نقيضه كما يبدو من مقال الكاتبة

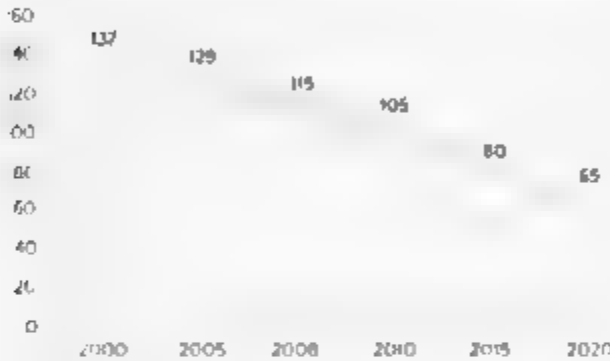
من جهة أخرى، نشرت شبكة NPR الإعلامية الأمريكية تقريرًا في مايو 2023 عن أزمة الكنائس في البلاد، واستشهدت أيضًا بالمسح الإحصائي الذي أعدته جامعة هارفورد، ولدي حاء في أحد بنوده أن معدل حضور لصوات في الكنائس انخفض من 13 شخصًا في عام 2000 إلى 65 شخصًا فقط في عام 2020، أي إلى أقل من النصف خلال عقدين وعلق أستاذ العلوم السياسية بجامعة إلينوي الشرقية ريان بيرج على هذا "التحول الراديكالي" في المشهد الديني

1 Wendy Ladge, "The Rise of the Chaplains" theatlantic.com 1 May 2020



بأنه نتيجة للارتفاع الحاد لعدد الشباب الأمريكيين الذين باتوا يصنفون أنفسهم في حانة "لا شيء" (nones) عندما يُسألون عن دينهم

Declining Median Worship Attendance among US Congregations



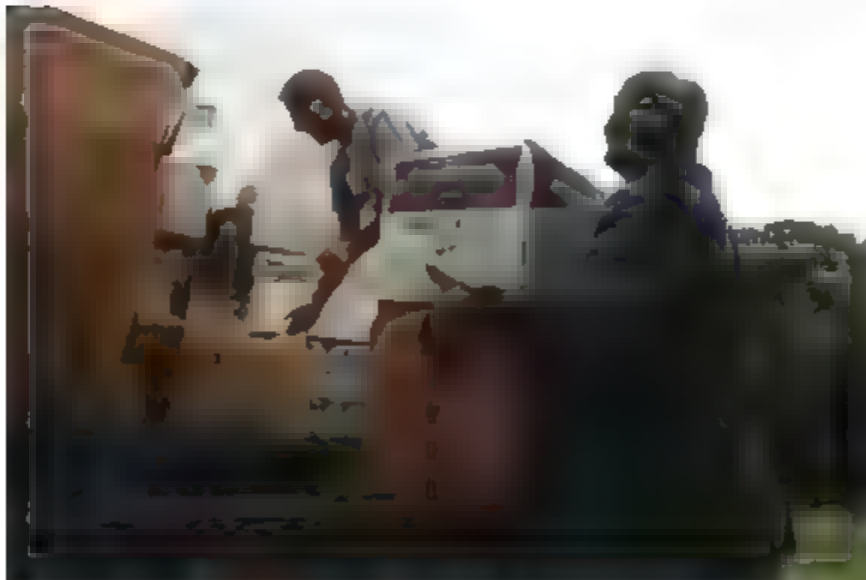
وكان يرح قد ألف كتابًا بعنوان "فئة اللا شيء" من أين أتوا؟ من هم؟ وإلى أين يذهبون؟. وقال في تقريره إن نسبة فئة "اللا شيء" بين جيل ما يسمى بطفرة المواليد وهم الذين وُلدوا ما بين نهاية الحرب العالمية الثانية ومتصفين بسننيات كانت تبلغ نحو 20% من أبناء جيلهم. أما فئة "اللا شيء" من أبناء جيل زد (Gen Z) وهم المواليد ما بعد منتصف التسعينات فتتصل نسبتها إلى 45%، أي أن حوالي نصف الشباب في أمريكا اليوم لا دينييون، ما يدفع بترح للاعتقاد بأن حوالي ثلث التجمعات المسيحية في البلاد البالغ عددها 350 ألفًا "على شفا الانقراض" (1)

(1) Scott Neuman, "The faithful see both crisis and opportunity as churches close across the country", npr.org, 17 May 2023.



ويصدر التقرير من الآثار الاجتماعية الكارثية التي سنعقب هـ التحول بعيداً عن الدين، فيقول مراسل خدمة أخبار الدين بوب سميت إنه يشعر بالقلق مع تبخر لمفاتيح للخدمات المجتمعية التي كانت لكنائس تقدمها ذات يوم، مثل بيوك الطعام، ومساعدته لمراهقين المصطربين، وعلاج الإدمان، وغيرها من البرامج، لا سيما أن الولايات المتحدة لم تشكل أنظمة قوية لشبكات الأمان الاجتماعي كما فعلت معظم الدول الأوروبية. بل كانت تترك الكثير من هذه المهام للكنائس والمؤسسات الدينية

ويستعرض التقرير أيضاً قصصاً لعرض كنائس تاريخية لبيع، وخصوصاً في المدن الكبرى، وكيف يتحول المريد منها إلى عمارات سكنية وتجارية. بينما تبقى الكنائس في المدن الصغيرة والأرياف فارغة من المصلين ولا تغري أحداً بشرائها



صوره يعود إلى ٢٠١٥ ويظهر فيه صدام امركفور معقول برعد عدايه لاجل كنائس الكاثوليكية في

هولندي [Adam Korolev](#) wik med at

٢) اليأس والانتحار

في منتصف 2020، أظهرت دراسة صادرة عن جامعة هارفارد الأميركية أن الأشخاص الذين يحضرون الشعائر الدينية في المعابد مرة واحدة على الأقل أسبوعيًا هم أقل عرضة للتعرض لما يسمى "وفايات اليأس" نسبة 68% من غيرهم ويُقصد بذلك الوفايات المرتبطة بالانتحار والجرعة الزائدة من المخدرات والتسمم الكحولي⁽¹⁾

وفي مطلع عام 2023، تداولت وسائل الإعلام الأميركية تفاصيل دراسة جديدة تؤكد نتيجة نفسها، وهي صادرة عن عن المكتب الوطني للبحوث الاقتصادية التابع لجامعة كامبردج في ماساشوسيتس، وجاء فيها أن تسهول التدين في المجتمع ليس شيئًا فحسب، بل هو "مमित" حرفيًا، فانهدام الشعور بالمعنى كان سببًا رئيسًا لتزايد نسبة الوفايات الناجمة عن إدمان الخمر والمخدرات والانتحار، وهذا مايجب بحسب الدراسة- عن تراجع الممارسة الدينية⁽²⁾

وقال لقائمون على الدراسة إن المواقف عن حضور الصلوات في الكنيسة تمنح صاحبها شعورًا بالانعفاء، وتمد تفكيك هذا الميكانيزم عن نطاق واسع في الثقافة الأميركية لم تظهر أي مؤسسة أخرى تقدم بديلًا حقيقيًا وتعميقًا على الدراسة، نشر موقع ميركاتور الأميركي مقالًا لكتاب مايكل كوك بعنوان "أعد إلي ذلك الدين القديم. هل حتى الدين الأمريكي من اليأس؟"⁽³⁾

(1). "Regularly attending religious services associated with lower risk of deaths of despair" hsph.harvard.edu, 6 May 2020.

(2). Leonardo Biale "Decline in church attendance drove deaths of despair among middle-aged white population study" christianpost.com, 19 January 2023

(3). Michael Cook "Gimme that old one religion: did it protect Americans from deaths of despair?", mercatornews.com, 18 January 2023.



وقال فيه إن جين الألفية هو أول جيل في تاريخ الولايات المتحدة الذي سيكون المسيحيون فيه أقلية، ففي عام 2070 سيكون أقل من ثلث الأميركيين فقط مسيحيين. وفقًا لدراسة أجراها "مركز بيو للدراسات" (Pew Research Center)

وطالب الكاتب المنطرس العثمانيين بالتراث قبل التصديق لانحسار المظاهر الدينية في انقضاء العام بالولايات المتحدة. مشددًا على أن حضور دور العبادة يعني الصلوات من الحواشي المدمرة لنعلة الاجتماعية والاعتزاز وغياب المعنى، وحتى الموت.

وبعد شهر من نشر المقال السابق، نشرت مجلة إيكونوميست أيضًا تقريرًا يستند إلى دراسات أخرى، تؤكد أن مشاركة المرضى المسيحيين بالأنشطة الدينية تمثل من نسب الوفيات بدافع اليأس، سواء بالانتحار أو بالإفراط في تعاطي المخدرات⁽¹⁾

٢. هوية المجتمع

لا يمكن اعتبار التحذيرات السابقة صرخة من المبالغة، فالتبطل لحاصل في بنية المجتمع الأمريكي يخلق بعض المراهبين من أطراف وتوجهات مختلفة ومع أن لولايات المتحدة أقيمت منذ نشأتها على أساس دستوري علماني فإن لحضور الديني للعقيدة البروتستانتية كان متجذرًا في لهوية الأمريكية طول تاريخها، فبالإضافة مع انحسار الدين في معظم أنحاء أوروبا خلال القرن العشرين ظلت نسبة الزعم الأميركيين بزيارة الكنيسة تدور حول ١٠% طوال القرن، لكن الانهيار بدأ قريبًا في مطلع الألفية الجديدة، وأحد في تسارع

(1) "Places with high religious participation have fewer deaths of despair" economist.com,



خلال عقدين، انهارت مؤخرًا نسبة المؤيدين إلى أقل من 50% للمرة الأولى في تاريخ البلاد

وفي أغسطس 2020، أكدت دراسة نشرت في مجلة "فورين أفيرز" (Foreign Affairs) الحجم والبرعة الهائلين لهذا التعبير، وقالت إن الولايات المتحدة كانت بين عامي 1981 و 2007 واحدة من أكثر دول العالم تدينًا، ثم سرعان ما صُفّت فجأة إحدى أكثر لدول ابتعادًا عن الدين¹¹

وأشارت الدراسة نفسها -بحسب الباحث رونالد إنغهارت- إلى أن التدين كان سحسر خلال تلك الفترة في الدول النسعة والأربعين التي احتارها من أنحاء العالم لتحليل التعبيرات في مجتمعاتها، لكن الانهيار المفاجئ بهذه السرعة العجيبة في جزء أصيل من مكونات هوية أقوى دولة في لعالم هو أمر يستحق التوقف

فعلى سبيل المثال، كانت العلمانية جزءًا أصيلًا من الهوية لفرنسية منذ نجاح الثورة في القرن الثامن عشر، وظل تراجع التدين في أوساط المجتمع الفرنسي يتريد منذ ذلك الحين كما هو الحال في بقية الدول لعربية، لذا لا يبدو مستغربًا أن يحصل أكثر من 80% من الفرنسيين حطر الفروض الدينية في الأماكن العامة، وفقًا لدراسة نشرها معهد بروكينغر في فبراير شباط 2020، لكن الشرائع العلمانية في الولايات المتحدة لطالما كانت تعتر بخلقيتها البروتستانتية باعتبارها مكونًا مهمًا لهويتها لوطنية

لهيئة الأميركية ارتبطت ثقافيًا باستعلاء البروتستانتية البيضاء، ولم تتخلص البلاد من ظاهرة الرق إلا بحرب أهلية طاحنة بين المؤيدين والمعارضين، كما ظل التمييز العنصري ضد السود رسخًا في القوانين حتى

(11) Ronald F. Inglehart, "Giving up on God: The Global Decline of Religion", foreignaffairs.com, 11



ستينات القرن العشرين، وما زالت آثاره تلقي بظلاله على الحياة العامة حتى اليوم لكنه انتفى على الأقل من مساحة المفاخرة إلى حانة التجريم، أم نحلي الأجيال الشابة اليوم طواعية عن انتمائها الديني فيطرح أسئلة صعبة عما تبقى من هوية الأميركيين.

يقول الباحث الأميركي شادي حميد في مقال نشره بمجلة اتلانتيك في أبريل/نيسان 2021 إن أتباع اسبولوجيا اليقظة الذين يمثلون أقصى اليسار الليبرالي أعادوا تشكيل الماهيم الدينية والطقوس المسيحية ووظفوها لتطبيق أسبولوجيتهم، للادينية، فالعلمانية أصبحت تنمى بمنس القدماء والجماس، والمتعصبون لها يرفعون درجة التحدي إلى حد الصدام¹.

وفي المقابل، لا يبدو أتباع الجمهوريين من المحافظين واليمينيين متمسكين بهويتهم الدينية كما كان أجدادهم من قبل، فبالرغم من أن لرئيس السابق دونالد ترامب استقطب في خطابه الجمهور المتدين بصفته جمهوراً محافظاً بطبيعة الحال فإن أغلبية أنصاره من اليمين المنطوق كانوا يرفعون ريات قومية وعرقية ووطنية أكثر من كونها مسيحية.

ومع ترايد الانقسام بين الجناحين لم يعد لدين المسيحي عنصرًا حامف لشعات الأميركي كما كان من قبل، وفي غياب صحوة دينية جديدة -كما يقول الباحث حميد- قد لا يبقى أمام الأميركيين سوى المستوطن في هج لحرب الاهنية من جديد كما سقط الأوروبيون في أهوال حربين عالميتين. حين أن يودوا بخصة إعادة التوحيد وتشكيل الاتحاد الأوروبي. وقد كُنت عشرات المقالات والتحليلات في لصحف الأميركية عن مخاطر اندلاع حرب أهلية بالمرأ أثناء حكم ترامب. ولا سيما في الأيام الأخيرة من حكمه عندما هجم أنصاره مبي الكونغرس بدرعة ترور الانحيازات الرئاسية.

1 Shadi Hamid, "America Without God" theatlantic.com, April 2021



وفي سياق الرد، يطرح العلمانيون دائمًا معايير الإنسانيّة لتقديم دين أخلاقي عن الدين، وإذا كان تطبيق هذا البديل باحثًا جريئًا في حالة المسم والرحاء، فالمؤشرات تشكك في نجاحه عند الأزمات والحروب

في مقال نشره موقع "حكمة الجماهير" (Wisdom Of Crowds) في سبتمبر/ أيلول 2020، يشكك الكاتب الأميركي مرتضى حسين⁽¹⁾ في جدوى الرؤى الإلحادية لإعادة ترويض الإنسان، فمع أن هذه الأحلام كانت تراود العديد من المنحدرين السلاء في الماضي فإن هناك احتمالات لواقع أكثر مؤلم ويتساءل الكاتب ما لدي يمنع اليسار اللاديني من اصطهاد خصومهم ببعض أدوات المتطرفين الدينيين، لا سيما أن اللادينية حالية أصلًا من الصوبط الدينية، كالرحمة والاعتراف بالضعف البشري؟

وفي مقال آخر للكاتبة هيلين لويس بمجلة أتلانتك⁽²⁾، تقول إن الأميركيين أصبحوا يستخدمون نفس أدوات المعصب الديني في انقساماتهم السياسية، فدلياشطون اليساريون الليبراليون يرفعون شعارات علمانية مؤدلجة ويحاكمون الآخرين لها كما يفعل المناديون بالصبط

وتصيف الكاتبة أن أيديولوجيا "العدله الاجتماعية" التي يتمسك بها اليسار الليبرالي أصبحت دينًا قائمًا بذاته، فشعار الدفاع عن الأقليات وخصوصًا ما يسمى بمجتمع الميم الذي يشم الشواد والمتحولين جنسيًا صار مفهومًا أكثر قداسة من كل ما جاءت به الأديان

وفي الخلاصة، تحذّر الكاتبة -مستشهدة بقول بعض رجال الدين- من

(1) Muraza Hussain "I ow the Death of Faith Will Hurt the Left" wisdomofcrowds.live, 15 September 2020

(2) Helen Lewis, "How Social Justice Became a New Religion?" theatlantic.com, 18 August 2022

صراع طائفي جديد في أميركا. ليس بين أتباع المذاهب الدينية المتصارعة كما كان في الماضي، بل بين أنصار "القبائل السياسية" الذين يرددون عطفًا في بعضهم الأيديولوجي، حتى بعد انتمائهم إلى أقصى درجات العمالية



انحسار المسيحية.. أسئلة مصيرية

عن التبادل والهوية ومستقبل الحضارة العربية

حمت الصحف ومواقع التواصل والمتديات العربية في الأسابيع الأخيرة من عام 2022 بنقاش حاد عن أسباب ونداءات انحسار الدين لمسيحي في آخر معاقبه. وذلك بعدما كشف إحصاء بريطاني للمرة الأولى عن هبوط نسبة معتقبيه في إنجلترا، وويلز إلى أقل من نصف السكان، وهو أمر تكرر مؤخرًا في لولايات المتحدة، التي تعد من أكثر الدول الغربية محافظة، مما يسلط الضوء على لتحولات العميقة في الثقافة العربية والتي يرى بعض المتطربين أنها ليست سوى مؤشر على اندثار "الحضارة المسيحية"

وكما أشرنا في فصل سابق، نشر مكتب الإحصاءات لوطي البريطاني في أواخر نوفمبر/تشرين الثاني 2022 نتيجة التعداد السكاني الذي يجريه كل عشر سنوات، وجاء فيه أن نسبة من يصفون أنفسهم بأنهم مسيحيون في إنجلترا وويلز لا تتجاوز 46.2%، مقارنة بنسبة 59.3% التي سجلت في التعداد السكاني السابق في عام 2011، وهو انحصار كبير في غضون عقد واحد فقط⁽¹⁾

وبعد إعلان هذه الأرقام، أقر رئيس الأساقفة يورك ستيمس كوتريل بالتحول الكبير الذي طرأ على بلاده، وقال إن بريطانيا "تركت وراءها حقبة كان يُعرف فيها كثير من الناس بشكل ثنائي تقريبًا على أنهم مسيحيون"، معتبر أن هذا لا يشكل مشكلة له لكنه يطرّح تحديًا كبيرًا، وفقًا لما نقلته شيكه "بي بي سي" (BBC)⁽²⁾.

⁽¹⁾ المرجع السابق في أعداد مسيحيين في إنجلترا وويلز، موقع بي بي سي عربي، 29 نوفمبر 2022

(2) المرجع السابق.

وفي سبتمبر/أيلول 2022. كشف استطلاع واسع أجراه "مركز بيو لدراسات" (Pew Research Center) عن نخبة أعداد كبيرة من الأميركيين عن المسيحية في الأجيال الشابة، وحتى العام 2019 قُدِّر أن 31% من الذين نشؤوا على المسيحية نخلّوا عنها بين سن 15 و 29 عاماً، في حين تحبى عنها قرابة 7% ممن تجاوزوا سن الثلاثين (1).

ولبيان حجم التحولات، تشير الدراسة التي نشره مركز بيو إلى أن حوالي 90% من البالغين في الولايات المتحدة كانوا يعتنقون أنصهم مسيحيين أو ثل التسعينات من القرن الماضي.

وكان المركز نفسه قد نشر دراسة عام 2019 أشار فيها إلى أن التدين في الولايات المتحدة في تراجع حاد، كما أشار استطلاع للرأي أجري في عام 2017 إلى أن متوسط تقدير الأميركيين لأهمية لرب في حياتهم انخفض خلال عشر سنوات فقط من 82 نقاط على مقياس من 10 نقاط إلى 46 نقاط.

وفي عام 2020، أجرت المنظمة المسيحية غير الربحية "ليغونير مينيستريز" (Ligonier Ministries) استطلاعاً للرأي جاء فيه أن 52% من البالغين الأميركيين يقولون إنهم يعتمدون أن "يسوع" المسيح ليس إلهًا، بل كان معلماً عظيمًا فقط، وهو اعتقاد يتعارض مع أهم أركان المسيحية (2).

كما أجرت مؤسسة غالوب استطلاعاً بين الأميركيين في منتصف 2023، وقالت فيه إنه بالرغم من عوده الاهتمام بالدين خلال فترة وباء كورونا، أي ما بين 2020 و 2022، لكن مستويات الحضور للكنائس سرعان ما عادت

(1) "Modeling the Future of Religion in America" pewresearch.org 13 September 2022

(2) "52 Percent of Americans Say Jesus Isn't God but Was a Great Teacher" newsweek.co.n.



للاحصاء بعد انتهاء الجائحة، إذ انخفضت هذه المستويات نحو 10 نقاط مئوية عما كانت عليه في عام 2012⁽¹⁾.

وفي كندا، تسود نسب النحولات متقاربة أيضاً، إذ انخفضت نسبة المسيحيين في البلاد من حوالي ٧٠% عام 2001، إلى 6٢% في عام 2011، ثم إلى 53% فقط في 2021، في حين ارتفعت نسبة الذين لا يؤمنون بأي دين من 16.5% إلى 23.9% ووصولاً إلى 34.6% في الأعوام الثلاثة على التوالي.

وفي أواخر يوليو/نمور 2018، نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" (The New York Times) تقريراً مطولاً عن تحول الكنائس التاريخية في كندا إلى مسارح وبوادر رابضة، وذكرت أن نسبة المسيحيين الذين كانوا يحرصون على حضور الصلاة كل أحد في الكنائس من سكان مقاطعة كيبيك في عهد الخمسينيات من القرن الماضي كانت تبلغ 95%، أما اليوم فلا تكاد هذه النسبة تزيد عن 5% فقط، مما يعني أنه حتى في حال إقرار نصف السكان بأنهم ما زالوا مسيحيين فإن معظمهم قد تخلى عن الالتزام بشعائر هذا الدين⁽²⁾.

وبالرغم مما نكشفه الإحصاءات عن تراجع المسيحية، فإن مصادر بحثية وتشهيرية عدة تتعامل بتريث الإقبال على الكنائس في مناطق أخرى، فهي عدد صادر بنهاية 2022 من مجلة "المسيحية اليوم" (Christianity Today) رصد تقرير بعنوان "هل تعيش أوروبا مرحلة ما بعد للمسيحية أم ما قبل الهوس؟" جهود المبشرين في إسبانيا والبرتغال، وأكد على تزايد وتيرة افتتاح الكنائس في فرنسا وبريطانيا⁽³⁾.

(1) Ibid. ٤. S Church Attendance Still Lower Than Pre-Pandemic

(2) Dan Bilefsky "Where Churches Have Become Temples of Cheese, Fitness and Eroticism", nytimes.com, 30 July 2018

(3) Sarah Breuel. "Is Europe Post-Christian or Pre-Revival?" christianitytoday.com 6



سلط التقرير الضوء أيضًا على فعاليات ومؤتمرات وإرساليات تشييرية عدة في أنحاء أوروبا. ولا سيما في أوروبا الشرقية، ووصولًا إلى أفريقيا والصين. ولكنه لم يقدم نظرة شاملة للمقاربة بين أعداد الكنائس الجديدة وبين تلك التي تعلق أبوابها وتتحول إلى مرافق أخرى، فجميع الاستطلاعات تؤكد أن نسبة معسفي المسيحية أو الممنكين يشعائرها تراجعت باستمرار في العقود الثلاثة الأخيرة. وبسبب أكثر حدة في العقد الأخير، وهذه حقائق لا يمكن دحضها بالاكتفاء بتبسيط الضوء على المفاعليات لشييرية التي مارالت قديمة

البديل الإنساني

في أواخر أغسطس/آب 2021، انتخبت منظمة "جامعة هارفارد للمساواة" لمحمد من أصل يهودي عريغ إبنين رئيسًا للمساواة في المجتمع الديني بهم جامعة في العالم، بحيث يتولى إبنين التنسيق بين عشرات المساواة لعاميين في الجامعة، مما أثار جدلًا في وسائل الإعلام عن التحولات الطارئة على المسيحية في الولايات المتحدة، بحيث أصبحت نرائًا ثقافيًا أكثر من كونها دينًا¹

واللافت أن رئيس المساواة الجديد ليس منحدً فحسب، بل هو ناشط في ما يسمى بالحركة الإنسانية، والتي تطرح بديلًا لمدين يجعل من الإنسان إنسانًا مستقلًا بذاته، وقد طرح إبنين أفكاره في كتاب بعنوان "الخير من دون إله"، وذلك قبل أن يُختار لذلك المنصب

ويحرص المرشد من الملاحظة واللاديين أيضًا على تقديم أنفسهم في صورة "الإنسانيين"، فبعدما عجرت حركة "الاتحاد الجديد" التي صعدت في العرب ببدئية القرن الحالي عن تقديم بديل مادي مماسك للأديان، يحاول

1) "Humanist Chaplain Greg Epstein Elected President of University Chaplains

Organization", thecrimson.com, 2 September 2021



الخارجون من المسيحية المتمت بموقف وسط بين الروحية والمادية، بحيث لا يتحلون جملة واحدة عن المظومة الاخلاقية التي نشؤوا عنها في ظل الدين، لكن هذه المظومة تحصر مفهوم "الخير" في عدم إيذاء الآخرين، ونبقى أسيرة العقلية الفردانية الليبرالية التي ترى أن من حق الفرد الاستمتاع بالجسم على الطريقة التي يحبها، وأن من حق المرأة إجهاد الحين الذي تحميه، فهي عياب التشريع الذي تنقلب الاخلاق إلى نقيضها في هذه المسائل

وفي منتصف 2018، نشر مركز بيو سائج مستطلاع لرأي شمل 15 دولة في أوروبا الغربية¹، وكشف أن نحو 55% من مواطنها يعتبرون أنفسهم مسيحيين غير ممارسين (أي لا يحضرون إلى الكنيسة). في مقاس 8% فقط من المسيحيين الممارسين، أما البقية فملحدون ولا دينيون. وبحسب لدراسة، فإن نصف المسيحيين غير الممارسين يؤمنون بوجود قوة روحية عليا (أي لديهم بصور خاص للإله)، كما يؤمن ربع آخر من هذه الفئة بالإله المذكور في الإنجيل حتى لو كانوا لا يصلون له في الكنيسة بل يؤمن 28% من اللادينيون أنفسهم بوجود القوة العليا.

وبالمجموع، سبع نسبة إجمالي من يؤمنون بإله الإنجيل أو قوة روحية عليا 65%، ما يعني أن الملحدتين المنكرين لوجود أي إله أو غيبيات بالمطلق يشكلون ثلث سكان أوروبا الغربية تقريباً

وستنتج الباحثون أن غالبية الأوروبيين ما زالوا منديين بشكل ما، وحتى مع تخلي معظمهم عن المسيحية، أو عن شعائرها على الأقل، وحتى لو لم يترك الإنجيل أي أثر في حياتهم، فعلا زالت لديهم قناعة بوجود بُعد روحي للعالم² ومع أن هذا الاستنتاج صحيح، لكن التحلي عن الالتزام بأي شعائر أو

(1) "Being Christian in Western Europe" pewresearch.org, 29 May 2018

(2) المرجع السابق.



تشريع ديني قد يكون أكثر أهمية من ناحية أثر الدين على الواقع فبحسب الدراسة نفسها. يتضح أن المسيحيين غير الممارسين يتفوقون مع الملحدين واللاذبيين في كل أرائهم الاجتماعية تقريبًا. وعلى رأسها قصايا الأجهاص وروح المثليين.

ولمزيد من التوضيح، نشرت مجلة "يكونوميست" في 2018 تقريرًا عن "كنائس الملحدين" التي يردد انتشارها في أميركا^(١). وهي تقدم بديلًا متكاملًا لكنائس المسيحيين، بحيث يجد فيها الأعضاء كل ما يحتاجون إليه من دعم نفسي وشعور بالانتماء وحملات موسيقى عائنية، ولكن بدون أداء لبصوات واستماع لمواعظ والأهم هنا ما جاء في التقرير عن زيارة قام بها مراسلو المجلة لإحدى كنائس الملحدين في مدينة سياتل، حيث شهدت الجلسة مناقشة قصاص اجتماعية أخلاقية، مثل الموقف من إطلاق صمّة "ناري" على شخص ما، وهل ينبغي دفع تعويضات للأميركيين السود عما تعرض له أحداهم من عبودية^(٢) فالنقش الذي يرمي إلى اتحاد مواقف اجتماعية، قد تتحول لاحقًا إلى مطالب لمن القوانين، تُناقش بعيدًا عن أي بص ديني

وبعود بداية ظاهرة "كنائس الملحدين" إلى مطلع عام 2013، عندما أطلق ممثلان كوميديان بريطانيان فكرة "جمعية الأحد" (Sunday Assembly)، فحجروا قاعة للاجتماعات في إيسلينغتون شمال لندن وخطّموا هذا الحدث الذي أريد منه تقديم بديل عن الدين، وكانت البداية بحضور ثلاثمئة شخص، ثم بدأ العدد بالتزايد في الجلسات التي تُعظم كل أسبوعين مع لتعطيات الإعلامية

(١) H.G. and Erasmus, "The elusive phenomenon of churches without God" economist.com, 16

May 2018.



ومن بين التغطيات، نشرت مجلة شبكة "بي بي سي" تقريراً بعد شهر من إطلاق الجمعية هتسائنة عما إذا كانت هذه بداية لظهور طائفة جديدة، واستعرض التقرير طقوس "قداس الأحد" التي لا يرى فيها سوى محاولة لتقديم بديل عن الدين، مما يكرّس بالفعل حقيقة أن الإلحاد ليس إلا حالة تمرّد غير أصيلة، فلقَدْ من ينضم أغاني يداي الترابيم، وقراءه من روية أدبية بدل الكتاب المقدس، ومحاضرة يقدمها أساذ جامعي ملحد عن فيزياء الجسيمات بدل موعظة عن الخلق، ثم يُطلب من الحضور إحياء رؤوسهم لمدة دقيقتين للتنام في "معجزة الحياة" وكأنه اعتراف بوجود الاعجاز مع الإصرار على جحود موجدّه ثم يختم رئيس "الكنيسة" الجلسة بخطبة عن كيفية تأثير وفاء والدته على رحلته لروحية ونصميمه على تحقيق أقصى استفادة من كل ثانية، وذلك بعدما قرر أن الحياة قصيرة للغاية وأنه لن يحصل شيء بعد انتهائها (1).

وبعد عشر سنوات على تأسيس "جمعية الأحد"، نجد في موقعها الإلكتروني عرصاً لأنشطتها الدولية بعدما اتخذت لنفسها مسمى "حركة" (movement)، وهي تفاجر بنصمهم أكثر من مئة جماعة لها في مدن عربية، وترتكر دائماً على رفع شعارات الاستمماع بالحياة وتعزير أواصر التعاون بين الأعضاء.

وتعنيقاً على دراسه مركز بيو السابفة، نشرت مجلة أتلانتيك تقريراً جريئاً بعنوان "الملاحدة أكثر تسبناً أحياناً من الممبحين"، وهو يكرّر نفس المفاهيم المجترزة لتدين، ويشير إلى "كائنات الملحدين"، فطالما كان معظم أفراد المجتمع يؤمنون بوجود الروح فهم إذن متدينون بالمعنى الإنساني الجديد، ويستشهد التقرير على ذلك بأمثلة صادمة، ومنها تقديم كنيسة في مدن فرانسيسكو حقلاً بعنوان "قداس بيونسيه"، حاول فيه مقدّموه تقديم حص

(1) Brian Wheeler "What happens at an atheist church?" bbc.com, 4 February 2013

غنائي باستخدام اسم أيقونة العناء الماصح "بيوسيه" من أجل جذب مئات الشباب إلى الكنيسة، والذي كان معظمهم من العلمانيين والشهود جنسيًا، ثم تكتمل الصورة بتعليق أحد المصاومين قائلًا إن "بيوسيه أكثر تدينًا من كثير من المصاومين والكهنة في كنيستنا حاليًا"⁽¹⁾

ولم ينجب "كنائس الملحدين"، بردهد أنصًا في السوت الأخيرة نثشار "معبد الشيطان" في اميركا وكندا ودول غربية أخرى، كما يرداد لنشاط العبي لأبباعها، فهي لا تكتفي باتخاذ موقف محايد أو غير مبال بالدين مثل غالبية الملحدين واللادنيين، بل تأخذ على عاتقها مهمة محاربة الكنيسة ومحو آثارها من هوية الدولة والمجتمع

وهناك عدة طوائف تنسب للشيطان في العرب، وبعضها أقرب إلى جمعيات حركة العصر الجديد بطقوسها العنوصية وممارساتها السحرية، لكن أكثرها شيوعًا ونشاطًا تلك التي تعلن أنها إلحادية عنصارية، وأن للشيطان الذي بقده لا مؤمن بوجوده بل نتخذه رمزًا لمحاربة الدين، وقد يكون هذا مجرد خطاب علي لجمعيات سرية باطنية تحمي عبادتها الحقيقية للشيطان ومن أبرز هذه الجماعات "كنيسة الشيطان" التي أسسها أطول ليفي عام 1966 في سان فرانسيسكو بكاليفورنيا، ثم ظهرت من بعدها جماعة "كتر قوة ونشاط" تحت مسمى "معبد الشيطان" (The Satanic Temple)، والتي تأسست في مطلع عام 2013 بالولايات المتحدة، وقالت في بيان تأسيسها إنها تهدف إلى "تشجيع التعاطف بين الناس، ورفض السلطة الطغوية، ودعم العدالة، واعتماد الضمير لتحقيق الغايات النبيلة"

1] Sigal Samuel, "Atheists Are Sometimes More Religious Than Christians" theatlantic.com, 31





مبنى كنيسة في بلدة ساسم لربنا بولس، مخرجة حول إلى متر هاتمة معبد الشيطان ويسمى بكنيسة

لأعمال شبة (Cusco 1492 wikimedia)

ومند تأسيسها. تسعى هذه الطائفة بشكل حثيث لأخذ موقعها بين الأديان المعترف بها، حتى حصلت في إبريل 2019 على حالة الإعفاء الصربي بعد الاعتراف الرسمي بها على أنها "كنيسة"، وفي شهر أغسطس من السنة نفسها حظيت الطائفة بشهرة عالمية عندما عُرض الفيلم الوثائقي "لمجد للشيطان" (Ha Satan) الذي قدّم الطائفة في صورة جماعة تواصل لصالح المجتمع، و"لوقف انتهاكات الكنيسة المسيحية للحياة الأميركية عبر مصادف سياسي المتزايد"⁽¹⁾.

١، كيف غيوغيمان، حكاية معبد الشيطان الذي يواجه طغيان المسيحية المتزايد في أمريكا، مواقع بي

وفي أبريل 2023، نظمت هذه الطائفة أكبر مؤتمر لها داخل حدود مدينة بوسطن الأمريكية، وجاء في التغطيات الإعلامية للحدث أن الطائفة باتت تستقطب أساساً المثليين جنسياً والمثليين ومؤيدي الأجندات ليبرالية مثل ما يسعى بحق الإجهاض، وقد ارتفع عدد المنتسبين لها من 10 آلاف عضو فقط في عام 2019، إلى أكثر من 700 ألف (1).

وتحاول الطائفة بقيد الكنائس المسيحية بتقديم الخدمات الاجتماعية نفسها، وكأنها تقدم نفسها بديلاً عنها، مثل حملات التبرع بالدم ودعم المشردين وتنظيف الشواطئ العامة، وإقامة أندية شيطانية يعد المدرسة للأطفال لتعديهم أن الأخلاق يمكن اكتسابها بدون انتماء ديني

“نهاية المسيحية أم الحصار القريب؟”

في عام 2021، أصدرت الكاتبة الفرنسية شاسال ديلسول كتاباً حظي باهتمام في الأوساط النقدية وجاء بعنوان “نهاية العالم المسيحي”، إذ حاولت الكاتبة إثبات أنها تشهد أفول الحصار المسيحية التي بدأ تشكلها في أوروبا على يد الرومن في أواخر القرن الرابع الميلادي، وأن البابا يوحنا الثالث والعشرين - المنيق عام 1963 - كان قد مهد للنهاية بقبوله مبدأ التعددية الدينية والانفتاح على الشيوعية (2).

وتشدد الكاتبة على أن المسيحية التي شكلت الثقافة الغربية على مدى 16 قرناً، تلاشت بنهاية القرن العشرين، ولم تعد هي المرجعية المعتمدة لقوانين والأعراف والأخلاق بعد حلول الليبرالية والفرادية والعلمانية محلها، وتبرهن

(1) رينكا سير، “عبدة الشيطان، ماذا تعرف عن معتقداتهم وطغمتهم؟”، موقع بي بي سي عربي، 20 مايو 2023

(2) عمر بن عبد الله، “نهاية العالم المسيحي في ‘الغيب الجديدة’ هل يعود الغرب وسبب من جديد؟”،



على ذلك بالتحولات الكبيرة في الأنظمة والقوانين التي جعلت من الإجهاد ورواح المثنيين أمورًا مشروعة في معظم الدول المسيحية

وبما أن الحصار المسيحية التي شكلت وجه أوروبا كانت قد اندمجت بروافد من الحصرات الوثنية السابقة عليها، لذا نبيدي ديلسول تفاؤلها بأن اندثار المسيحية لصالح العلمانية لن يؤدي إلى انهيار الحصار العربية نفسها كما يحذر المحافظون. بل تتمسك بالروية العلمانية التي تعدر "الإنسانية" بديلاً لا يتخلل عن القيم والأخلاق المسيحية. لكنه يربطها بالأعراف فقط وليس بالدين (1)

وكأي منظر علماني، ترى ديلسول أن هذا النهج "الإنساني" سيفقد بديلاً حصرًا قابلاً للاستمرار والارتفاع، إلا أنها لا تحوص في الأسئلة لصعوبة التي تتعلو بمبدأ القيم ومسوغاتها عندما يُبرع عنها الأصل لميسافيريقي. هأنسة العالم وبأليه الإنسان لا يقدمان أي أجوبة على الأسئلة لوجودية، ولا يصفيين معنى على الحياة، ولا يسوغان للإنسان إيثاره للتمسك بأهدب المصلحة من غير وعد بثواب أخروي يكافئ التضحية.

وإذا كان ما تموله ديلسول عن "نهاية العالم المسيحي" صحيحًا، فيبقي أن يُعاد لنظر في بعض تعريفات المفكر الراحل صامويل هنتغتون، فعندما وضع نظرية "صراع الحضارات" في التسعينات كان يرى أن الحصار لغربية هي "لعلم المسيحي" بقيمة العلمانية. ومع أن العديد من لباحثين استفادوا هذا التعريف انطلاقًا من بعض الدساتير الأمريكية والأوروبية على الفصدين لدين والدولة إلا أنه كان محققًا في اعتبارها حصار علمانية لادبية تمنبطل براثها المسيحي. لكن هذا البرث يوشك أن يصبح مسبق اليوم، تمامًا كما اندثر

[1] كريستوفر كالنويد، "العرب والمساعدات الغربية" مقال نشره صحيفه الشرق الأوسط

الثراث الوثني من قبل عندما تشرّبت أوروبا المسيحية وتشكّلت بها ثقافتها
وبعد أن هتبعنوا كان قد وضع "العالم الإسلامي" نصب عينيه أثناء سطره
لنصراعات ثقافية، التي رأى أنها ستكون محور التدافع البشري في العمود
لمقبل، فيجدر بنا التنبيه إلى أن انحسار المسيحية لصالح لعلمانية في الغرب
يحدث بالتوازي مع صعود نسبي للإسلام، وهو ما يستحق له فصلاً مستقلاً
من هذا الكتاب



الأرثوذكسية.. كنيسة ارتفعت بالسياسة

من قسطنطين إلى بوش

حتنص معظم المسيحيين حول العالم في نهاية عام 2022 بعيد الميلاد، بينما ابتظر رعداً الأرثوذكسية حلول الأعياد بعدهم بحو أسبوعين، لكن الحرب التي هزّت الأشقاء من هذه الطائفة دفعت الأوكرانيين لحطّي تقليدهم العريقة وتمجيد الاحتفال مع الطوائف الأخرى كي يحالفوا شفاءهم لروس، ما يسلط الضوء مجدداً على الترابط العنقوي بين الدين والسياسة

ومد قرون، درجت العادة على احتفال الكاثوليك والبروتستانت بعيد الميلاد في 25 ديسمبر/كانون الأول من كل عام، وذلك لاعتمادها على التقويم الغريغوري، لكن الكنائس الأرثوذكسية تؤجل هذا الاحتفال إلى 7 يناير كانون الثاني بناء على التقويم البوليفاني القديم.

ومع أن الدساتير نصّت على أن كلّاً من روسيا وأوكرانيا دول علمية، فإن الواقع تكشف بجلاء عن الدور السياسي الذي تدعيه الكنائس الأرثوذكسية فهما على صعيد التحشيد الشعبي وتعرير الهوية، فطالما تمتعت لكنيسة الأرثوذكسية بهذه الميزة الأثيرة لدى القياصرة والملوك، وما زال بطاركتها يحرصون على توظيف قوّتهم الباعمة في ساحات تصراع

لمحة تاريخية

نشأت المسيحية في ظل الاضطهاد الروماني، وظل أتباعها الأوّل يتجهجون العمل السري نحو ثلاثة قرون، إلى أن تولى الإمبراطور قسطنطين الأول السطة، وقرر الاعتراف بالمسيحية ديناً من أديان الإمبراطورية عام 312، ثم



اعتمدت ديتاً للدولة التي كانت تتنافس مع الإمبراطورية الفارسية على صدارة قوى العالم آنذاك

تُنسب الإمبراطور "الكيسمة القسطنطينية" في روما فوق المدفن الذي يعتقد أنه للمسيح بطرس، أحد تلاميذه المسيح عليه السلام، وهي لكيسمة التي نعد اليوم مقر الفاتيكان، ثم نقل الإمبراطور عاصمته إلى قرية للصيادين في آسيا لصعري تدعى بيربطة. وتحظى بموقع إستراتيجي لإشرافها على مصيقي تتلامس فيه أوروبا وآسيا، واشتق لها بصفاً اسمها من اسمه (القسطنطينية)، وهي مدينة إسطنبول اليوم (1)



نصن القنصل نصنر في إسطنبول

1 Robert Lee Wolff Romania: The Latin Empire of Constantinople. Speculum, 1948, p 5-12

في عام ٦25، انعقد المجمع المسكوني في نيقية (شمالي تركيا اليوم) لبحث في أركان العقيدة ولقضايا التنظيمية والشعائرية للديانة الجديدة. وبوالت المجمع برعاية الإمبراطور لتحقيق التوافق بين كبار الكهنة، لكن مجمع خلقيدونية الذي انعقد عام 4٥1 أسفر عن خلاف جوهري في تعريف طبيعة المسيح، وبدأ بذلك ظهور الأرثوذكسية المشرقية، ثم انقسمت المسيحية نتيجة الانقسام السياسي إلى الكنيسة الرومية البيزنطية الشرقية في القسطنطينية، والكنيسة الرومانية اللاتينية الغربية في روما^(١)

وفي عام 1054، تطور الخلاف إلى ما سمي "الانشقاق العظيم" بين الكيستين، وكان من أهم بؤده قضية انشقاق الروح القدس، وشعائر الفريس المقدس "الأفخارستيا"، وأحقية امتلاك بابا روما سلطة بابوية عالمية، وتبعية بطريرك القسطنطينية لروما وكان للخلافات السياسية والثقافية بين الإغريق والرومان دور كبير في حدوث هذا الشقاق.

وهكذا، نشأ المذهب الأرثوذكسي التابع للكنيسة لرومية البيزنطية، في مقابل الكاثوليكية التابعة للكرسي الرسولي في روما وظلت الأرثوذكسية -التي تعني باللغة اليونانية الطريق الموصم- منذ نشأتها موالية لسلطة في الدول المشرقية التي تحصص لها، كما كانت الكاثوليكية في الغرب الأوروبي تتمتع بسلطة كبرى من حيث امتلاك البابا للسلطين الدينية ولديوية معا

لم تستطع الأرثوذكسية منذ نشأتها مذهب الكاثوليكية في القوة والانتشار، إذ تشير التقديرات اليوم إلى أن عدد أتباع الكاثوليكية يناهز 12 مليار نسمة، ما يجعل هذا المذهب وحده أكثر الأديان انتشاراً في العالم، ثم يأتي عدد أتباع البروتستانتية بتعداد يبلغ ثلث 800 مليون، أما أتباع الأرثوذكسية فقد لا يتجاوز عددهم في العالم كله 300 مليون عملاً بأن

(1) "Council of Chalcedon", Encyclopædia Britannica.

البروتستانتية كانت قد انشقت عن الكاثوليكية في بداية عصر النهضة، ما يعني أن الفارق العددي بين أتباع الكاثوليكية والأرثوذكسية كان أكبر بكثير. تبادل الطرفان اتهامات الكفر والهرطقة حتى قبل الانشقاق. وعندما أطلق باب روما الحملات الصليبية وقعت مدافع وحروب طاحنة بينهما، حتى استولى اللاتين مؤقتاً على القسطنطينية وسبوهوا في الحملة الصليبية الرابعة عام 1204، لكن لصرية الكرى للكنيسة الشرقية كانت باسميلاء العثمانيين على القسطنطينية عام 1453 ونحوّلها إلى عاصمة الدولة الاملامية "إسلامبول" أي مدينة الإسلام.

لم يقص العثمانيون على الكنيسة وأتباعها، لكن السلطان محمد الفاتح حوّل مقره "كاتدرنية يا صوفيا" -حسب العرف المنبع في فتوحات العثمانيين وبعد شرائه بالمال- إلى مسجد^{١٠}، ففسد البطريرك المسكوني متى لثاني مقره إلى دير القديس حرجس في شمال غرب المدينة، والذي ما زال حتى الآن مقر البطريركية القسطنطينية، كما انتقل الكثير من رجال الكنيسة إلى ليوان آنذاك.



دير القديس حرجس في سلطبول (Kia chos kapo: sis wikipedia)

^{١٠} "حكاية 15 قرناً ما قصه يا صوفيا وشراء السلطان محمد الفاتح له"، موقع "جريدة مباشر"، ١ يونيو 2020

٣٠ العلم الروسي

في عام 988، اعتنق فلاديمير أمير كييف (عاصمة أوكرانيا اليوم) المسيحية على المذهب الأرثوذكسي، ومع انتشار الأرثوذكسية في بلاد الروس وألبان استقلت الاستمعية من كييف إلى موسكو في سنة 1448^(١).

وبإمبار الدولة البيزنطية، بدأت أحلام الروس بوراثنة هـ المجد قبل سدانه، ثم وجد أمير موسكو المعروف باسم إيمان الرهيب في الكنيسة الأرثوذكسية فرصة ذهبية لمح دولته الناشئة الشرعية الدينية، ومع تنويحه ليصبح أول قيصره روسيا في عام 154٧ استخدم إيمان الأرثوذكسية لتوسيع مملطته المطلقة

كان القيصر يتمسك بالحق الإلهي للحاكم على اعتبار أنه ممثل الرب على الأرض، ما يمنحه حق معاقبة كل خصومه بوحشية، إذ توثق الروايات التاريخية انتمائه من صحاباه بإعراقهم وإحراقهم أحياء، وكذلك تعذيبهم بالماء المعني أو المنجمد، مفتسما هذه الصور من عماب أعداء الرب في الجحيم

ومع أنه كان يعد نفسه من أتباع المسيحية المخلصين، فقد كان إيمان الرهيب مستعدا لتغيير شرائع ديانته بما يوافق هواه، إذ لم يكرث لموقف الكنيسة من لتعدد وكانت له سبع زوجات، كما كان يندحر في شؤون الكنيسة ويعزل أساقفتها وكهنها ويعذبهم أو يعذبهم لتحقيق مصالحه^(٢)

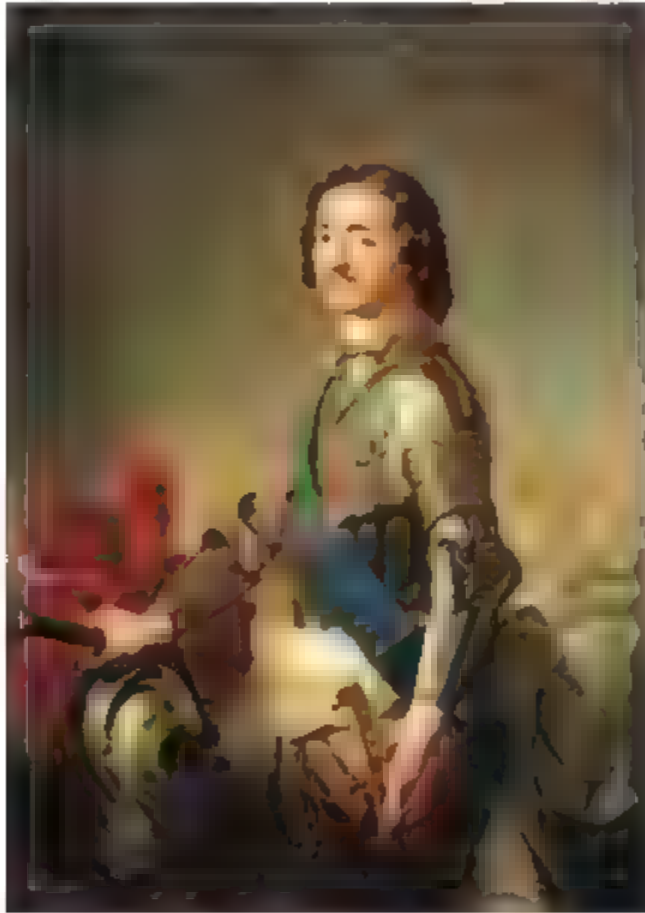
وفي عام 1589، بال رئيس الكنيسة الروسية لقب بطريرك وأصف نفسه بمرتبة بطريركة القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية وأورشليم، أملا في منح موسكو لقب روم الثالثة بعد سموط القسطنطينية، وهو أمر لم يحط بموافقة الكنائس الأرثوذكسية بعضها فصلا عن الكاثوليكية

(1) "Vladimir I", Encyclopaedia Britannica.

(2) "Ivan IV, tsar of Russia", Encyclopaedia Britannica.



وبعد نحو قرن ونصف القرن، عبّر بطرس الأول وجه روسيا، فجمع بحولها إلى إمبراطورية مترامية الأطراف بدأت القيم الأوروبية بالتغلغل فيها، وقرر الإمبراطور إلغاء البطريركية جاعلا الكنيسة من مؤسسات الدولة التي يدير شؤونها مجلس للأماقمة



بطرس الأول - بي. بعد بطرس الكبير

وبميدم الثورة البلشفية عام 1917 انهارت سلطة هذه الكنيسة، وعادت من اصطهاد السلطات الشيوعية للملحده في العهد السوقياني وعندما سقطت الشيوعية بعد سبعة عقود كاث الكنائس من كل الطوائف حول العالم قد

فقدت كل سلطاتها، فعلى غرار الدول الأوروبية، نصّ الدستور الجديد على أن الاتحاد الروسي دولة علمانية ولا يحوز اعتماد أيّ ديانة ديناً لها¹

٢. مادة الحلم

لم تستطع الأرثوذكسية توحيد صفوفها في منظومة هرمية كما هو حال الكاثوليكية لتخضع لسلطة بابا الفاتيكان. إذ بتورخ الرعايا الأرثوذكس اليوم على تسع بطريركيات كبرى، ومنها بطريركية موسكو التي يُقدّر عدد أتباعها بنحو 165 مليون شخص. إلى جانب 6 كنائس أرثوذكسية كبيرة تتبع النظم الأسقفية

ومع أن الحلم الروسي بتحويل موسكو إلى روما ثالثة لم يكتمل، فإن الكنيسة الروسية ما زالت تحتل بمقدون لاف على كنائس أرثوذكسية أخرى لا تتبع لها رسميًا

فعلى سبيل المثال، استقلت الكنيسة الصربية عن بطريركية القسطنطينية منذ عام 1879، وصارت بطريركية بلغراد وسائر صربيا في عام 1920 مستقلة تمامًا وبمقام مرتبة بطريركيات موسكو والقسطنطينية وغيرهما، لكن معظم الصرب ما زالوا يحتفظون بولائهم لروسيا روحياً، حتى أعلن وزير الداخلية الصربي ألكسندر فولين في صيف 2022 أن بلاده هي "الدولة الموحدة في أوروبا التي لم تعرض عقوبات على روسيا" بسبب الحرب التي بدأتها ضد أوكرانيا في فبراير/شباط الماضي²

ومع أن الدستور ينص على علمانية الدولة الروسية، فقد أعاد الرئيس فلاديمير بوتين -الذي صعد إلى السلطة من سلّم المحابر عام 2000 بشكيب

¹ نص دستور الروسي، متاح على الموقع www.constitution.ru

² صربيا: نحن نعتد في أوروبا لم نعرض عقوبات على روسيا، موقع وكالة الانباء

www.aa.com.tr، 23 أغسطس 2022



هونة لبلاد عبر استعادة مجدها القيصري بحلميته الدينية، وفي عام 2009 نجح بطريرك الجديد كيريل في إقناع الرئيس برّد ممتلكات الكنيسة التي صادرتها الحكومة الشيوعية، لتصبح بذلك أعمى مؤسسة في البلاد، ويبدأ بفوذها في الظهور على كل الأصعدة (1)



الطريرك كيريل بملابسه الرسمية (المصدر: الرئاسة الروسية)

صرح كيريل في عام 2011 بأن بوتين "معجزة" أرسلها العبدية الإلهية لإنقاذ روسيا، بينما يعتبر بوتين الكنيسة أحد أهم عناصر القوة الدعمة لطموحه الإمبراطوري ويرصد المحللون ملامح كثيرة للمصالح المتبادلة بين الطرفين في اكتساب النفوذ المحلي والعالمي (2).

١. محمد مصطفى، "الله ملك يا معجزة كيف أحصى بوتين الكنيسة الروسية لسيطرتها؟"، موقع إضاءات

www.ida2at.com، 19 أبريل 2022

(2) المرجع السابق.

ومع مزايا حدة التوتر بين روسيا والعرب، بصعد إلى السطح تحليلات المفكر الأميركي صامويل هنتغتون الذي طرح في عام 1993 نظرية "صرع الحصرات"، وعثر فيها أن الحصار العربية القائمة على لقيم العلمانية، بخفيها الكاثوليكية ولبروتستانتية، في صدام مع حصرات أخرى، ومنها الحصار الأرثوذكسية

وعى نفس هذا المآل، بسج المظّر الروسي لئارر ألكسندر دوغين المعرب من بوتين شخصيًا- خيوط نظريته، فبالزامن مع عقد القمة الخامسة عشرة لمجموعة دول لبريكس في 22 أغسطس 2023 بمدينة جوهانسبرغ¹، كتب دوغين مقالًا يشتر فيه بولادة عالم جديد متعدد الأقطاب، لا يستأثر فيه العرب لوحده بالسلطة، ومؤكّدًا صحة تصنيف هنتغتون للحصرات المنصرفة، مع تركيز دوغين على سيادة روسيا للعصاء الأوراسي بأكمله²

و ليوم، تحرص روسيا على تصدّر هذه الكتلة الحصارية بتزعمها للكنيسة الأرثوذكسية، معتبره أن بطريركية القسطنطينية -التي ما زال مقره في سطنبول لا يستحق توثي القيادة منذ سقوطها في يد العثمانيين، ولا سيما

[1] يفتت بين الخمسة المؤسسة للبريكس، وهي البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب أفريقيا على توسيع المجموعة لضم دولًا إضافية وهو قرار سيقه الكثير من الجدل بين الدول الخمسة نفسها، ومن المتوقع أن يطلب مفاوضات إضافية قبل أن يحقق هدفه، ويحذر إعلان بيه توسيع المجموعة اعتبر دوغين أن جميع الحصرات سائية السعة صارت ممثلة فيها، وأنّه باتت هاتره على التعاون في مواجهة الحصار الغربية المنصرفة، لكن هذا التعاون مقيد بصعوبات كثيرة وأهمها اختلاف السيامي ونوتر للمفكرين، سيمر بين الصين والهند، والسافن الاقتصادي ندي لا يمكن غفائه فيما بين الصين والهند وروسيا، وكذلك صعوبة استعفاء هذه الدول عن التولار لأنّه على رأس دول العالم التي تحتفظ باحتياطات كبيرة منه

[2] ألكسندر دوغين، "جميع حصرات سحكتم النظام العالمي الجديد"، موقع الحصادي alkhanadeq.com.

بعد انضمام الجمهورية لتركبة العلمانية إلى المعسكر العربي وحلف شمال الأطلسي (ناتو)

ومن هذا المنطلق، ينظر الكثير من الأرثوذكس إلى موسكو اليوم على أنها قادرة على نقد الأعراق البيضاء من التمسح الأخلاقي والانحطاط الفكري الذي تحمّل لواءه الأخنوخ الليبرالية الغربية، فيالنوازي مع صدور التشريعات الجسدية في الدول الغربية، تحظر روسيا منذ عام 2013 أي دعابة لمثلية الجنسية، ولعبت الشراب في هذا القانون اعتمد مجلس الدوما (البرلمان) الروسي بالإجماع في نوفمبر 2022 مشروع قانون مفصلاً يحظر الدعاية للمثليين ومروجي المير الجنسي ولتأثير على الهوية الجنسية للأطفال وتغيير نوع الجنس (1).

وبسبب يحرص لرعاة الأميريكيون والاوروبيون على التصريح في كل مناسبة عن حمايتهم لقيم الحرية والديمقراطية، مع دعمهم للأيديولوجيا لجسدية في هذه المنظومة، يصرح المسؤولون الروس في المقابل بحمايتهم لقيم الأسرة، مع دعمها أيضاً بالمنظومة الأرثوذكسية، ومن ذلك نصريح وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف عندما قال في أواخر أغسطس/آب 2021، إن "الكيسة الأرثوذكسية الروسية تحمل قيمها إلى الخارج، وتدافع عن لقيم الأخلاقية التربوية التقليدية التي تتعرض لهجمات قوية جداً من جانب لمتحية النيوليبرالية في عدد من الدول الغربية".

وفي عام 2017، أظهر استطلاع للرأي أن 80% من الصرب يرون أن وجود روسب القوية أمر ضروري لمواجهة الصود العربي، كما تنتشر هذه المشاعر أيضاً في دول أخرى مثل أرمينيا، وفرنسا في بعض مناطق ليبيا ومستونيا

١، هيلم نصوراي، "أغلب حراً على غيبس قو من وسية حبيده حرم الدعاية لشبود الجنسي"،



ولانتيف والجبل الأسود، وفي شرق أوكرانيا، وتسمى هذه الظاهرة بالروسوفيليا، أي "حب روسيا"، وغالب ما ينتشر في أوساط الأرثوذكس ولقوميين لذين يعتبرون روسيا بمثابة الوطن الأم^(١)

وفي سوريا، البلد الذي نعشق معظم منه الإسلام، تحظى بطريركية أنطاكية ومقرها دمشق - باستغلال تام منذ نشأتها، فهي من أقدم كنائس العالم، لكنها تعطف كثيراً مع بطريركية موسكو، في مقابل تحالف بطريركية القدس (المبغضة لها على الرعامة الأرثوذكسية في المنطقة) مع بطريركية القسطنطينية.

وبطراً لتبعية نظام لسوري السياسية لروسيا، تنتشر مشاعر لولاء والروسوفيليا بين الأرثوذكس السوريين، وهو ما سيجد على يوتين أيضاً توسيع إرسال قواته إلى سوريا بدرع حامية المسيحيين من تنظيم الدولة الإسلامية، وكأنه يستعيد درع الحامية التي قدمها القيصر في القرن التاسع عشر لسلطان العثماني، ولتي أدى رفضها من قبل السلطان إلى بدلاع حرب القرم

ومنذ بداية التدخل الروسي العمكري المباشر في سوريا عام 2015، حرص البطريرك كبريل على مباركة هذه الحملة الدموية وعندما زار يوتين دمشق في مطلع 2020، تعمد اصطحاب رئيس النظام بشر الأسد معه لزيارة لكنيسة ومشاركته في صلاة شموع يوم عيد الميلاد الأرثوذكسي^(٢)

(١) أحمد مولانا "البعد الفيلقي والديني في صراع الروسي العربي، كيف يصنع نكروايل الكنيسة (رثوذكسية)"، موقع عربي بوست arabicpost.net، 18 مارس 2022

(٢) صبيح حديدي، يوتين في دمشق شأن بين شععة الكنيسة وحط العار، صحيفة القدس نغربي،





طائرة سوخوي روسية تنفي قسبة بوزن 56 كجم فوق حدود مناطق شمال مغرب عام 2015. (AP Photo)

٩٠ حرب الأشقاء

كانت الكنيسة الأرثوذكسية الأوكرانية قد انتقلت من كييف إلى موسكو في القرن الرابع عشر كما أسلمنا، وظلت الكنيسة الأوكرانية تابعة لموسكو منذ عام 1686 ومع انهيار الشيوعية في مطلع التسعينات، عادت الكنائس لاستعادة حريتها في دول الاتحاد السوفياتي السابق، وحظيت الكنيسة الأوكرانية باستقلال تام في إدارة شؤونها مع الحفاظ على التبعية الرسمية لموسكو، ثم أعلن في عام 1992 عن تأسيس بطريركية كييف المستقلة، ولقي اعتبارها موسكو مشقة عنها، بينما واصلت الكنيسة الأوكرانية التابعة رسمياً لبطريركية موسكو أعمالها في البلاد.

في عام 2014، قرر بوتين انتزاع شبه جزيرة القرم من أوكرانيا عسكرياً وصقلها إلى روسيا. فهي منطقة تحظى بأهمية تاريخية لدى الكنيسة الأرثوذكسية، ولقيت هذه الخطوة مباركة البطريركية الروسية. كما أبدى الكثير من سكان القرم ولاءهم أيضاً لروسيا ولكيستها بعد اقتطاع أرضهم من أوكرانيا، بينما أصبحت الكنيسة الأوكرانية التابعة لبطريركية موسكو في



موقف حرج للغاية، فهي مدمرة بالولاء لبطريكية بيارك الحرب على البلاد أما بطريكية كييف فحطيت بالمريد من الشعبية، وواصلت عمليتها من دون أي اعتراف دولي، إلى أن قررت بطريكية القسطنطينية في أكتوبر/نشرين الأول 2018 الاعتراف بها بصفتها كنيسة مستقلة، وهي خطوة أدت إلى انشقاق تاريخي بين كنيسة القسطنطينية وموسكو وكان الرئيس الأوكراني السابق بيتر بوروشينكو المدعوم أميركياً قد أعلن آنذاك أن الأسقف الفخمي الأوكراني لن يتحقق إلا بالاستئصال الديني عن روسيا (1)

وتقدر الإحصاءات أن نسبة أتباع بطريكية كييف تصل إلى 44% من المسيحيين الأرثوذكس في البلاد، وهي نسبة تزيد بثلاثة أضعاف عن أتباع الكنيسة الأوكرانية النابعة لبطريكية موسكو

وفي فبراير/شباط 2022، أعلن بوتين الحرب مرة أخرى، وبدأ بدمار مناطق واسعة من شرق أوكرانيا، ولا سيما تلك التي ينتشر فيها مشعر لولاء "الروسوفيليا"، ولعبت الكنائس مجدداً دوراً كبيراً في إدارة المعركة، فأردد الشرح اتساعاً بين أتباع الطائفة الواحدة.

حاولت الكنيسة الأوكرانية النابعة لموسكو الذي بنفسها، وأصدرت بياناً يصف الحملة العسكرية الروسية بأنها "كارثة"، وناشدت بوتين بوقف حرب "الأشياء" فوراً (2)، لكن هذا الموقف لم يكن كافياً لرفع الحرج، فاضطرت هذه الكنيسة بعد ثلاثة أشهر لإعلان انفصالها عن بطريكية موسكو، لتصبح كنيسة مستقلة تماماً

(1) Luke Badigalupo, "The Orthodox schism: religion as a political instrument" globalriskinsights.com, 2 November 2018.

(2) "في عيد الفصح حرب بوتين تقسم العالم لمسيحي 'أرثوذكسي' موقع قناة الجزيرة www.aljazeera.com، 25 أبريل 2022



ومع استمرار الحرب، تتواصل الجهود لتوحيد قطبي الكنائس الأرثوذكسية الأوكرانية من دون إحراز تقدم كبير، إذ ينظر الكثيرون بعين الريبة للكنيسة التي انفصلت عن موسكو، حيث داهمت أجهزة الأمن الأوكرانية في نوفمبر 2022 المدير الرئيسي في كييف وعددًا من الكنائس التابعة لها، وقالت إنها صادرت أموالاً و"أعمالاً أدبية مؤيدة لروميا"¹، ما دفع الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي للإعلان في مطلع ديسمبر 2022 عن مشروع قانون يحظر عمل أي منظمة دينية تابعة لروسيا، في مؤشر بالغ الدلالة لدور سياسي الذي تنعنه الأرثوذكسية الروسية حتى في الأراضي التي يبيع أهلها الطائفة نفسها

كما أصدر القضاء الأوكراني في مطلع أبريل 2023 حكمًا بالإقامة الجبرية المطران الأوكراني المتروبوليت بافو بعد اتهامات له بتمجيد لقوات لروسية، وهو قرار لقي العديد من نصريحات التنديد في روسيا

وفي يوليو 2023، وقع زيلينسكي على مشروع قانون يهدف إلى "التخلي عن التراث الروسي لممثل في فرص احتمالات عيد الميلاد"، لينسق بذلك عيد الميلاد رسميًا من 7 يناير إلى 25 ديسمبر في كل عام

صرخة الساسة

يحظى بوتين بشعبية لا تخبى حول العالم، حتى بين المسيحيين من طوائف أخرى غير الأرثوذكسية، إذ أبرز التفارب بينه وبين الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب مدى إعجاب تيار أقصى اليمين في العرب بمياسة بوتين في مواجهة الأحداث اليسارية الليبرالية، كما يصرح العديد من المحافظين بتأييدهم له، مثل الإعلامي الأمريكي تاكر كارلسون الذي أثنى مرارًا على سياسات بوتين، والمشر الأمريكي البروتستانتي فرانكلين جراهام الذي امتدح قرار بوتين

¹ روسيا وأوكرانيا: الأمن الأوكراني يدهم أديرة دينية بعد عن جوسس. ورس، موقع بي بي سي



يحظر "لدعوة للعلاقات الجنسية غير التقليدية". كما سافر إلى روسيا مرت عدة خلال السنوات السبع الماضية وحظي بقاءات مع بوتين وكبريل

وفي مارس 2023، نشر الإعلام الروسي مقابلة مع الكاهن الأمريكي الأرثوذكسي يوسف جيمسوف، الذي هاجر في عام 201 مع أطفاله إلى روسيا، وقال "بالفعل يريد آلاف الأشخاص في الولايات المتحدة وأستراليا وكندا وبريطانيا، الانتقال إلى روسيا رغم وجود صعوبات بيروقراطية في هذا المجال، هم يعلمون أن الرب موجود هنا في روسيا، وأن الإيمان الحقيقي هو لقد تنقلت بصبي إلى روسيا لأن المحكمة العليا الأمريكية سمحت برواح المثليين أدركت أن أميركا ضد الرب وضد المسيحية وزدت أنا وعائلتي العيش في بلد توجه نحو الرب"⁽¹⁾.

وفي فرنسا، لا تخفي ربيعة اليمين المتطرف مارس لبنان تصرفها مع روسيا، كما أشارت تقارير إعلامية إلى مشاركته مطوعين ومرتبقة يمينيين فرسيين في المعارك إلى جانب الروس على الجبهات في أوكرانيا⁽²⁾، وصرح عدة سياسيين يمينيين بأنهم لصم شبه جزيرة القرم إلى روسيا

مع ذلك، لم تنجح جهود بوتين في اكتساب قلوب الكثير من الأرثوذكس أنفسهم، فالشقاق الذي أحدثته سياساته بين كدس هذه الطائفة يبدو أعمق من الشقاق القديم بين الأرثوذكس والكاثوليك، فمع أن الأرثوذكسية هي دينة الأغلبية في البلقان، لكن كلا من أوكرانيا وبلغاريا وصربيا ولجبل الأسود واليونان وقبرص وجورجيا تزداد ابتعاداً عن موسكو وقرباً من الغرب العلماني بخلصه البروتستانتية والكاثوليكية

(1) كاهن أمريكي لرب وإيمان في روسيا واسلمت إليها بعد أن سمحت أميركا برواح المثليين" موقع

روسيا اليوم arabic.rt.com 15 مارس 2023

(2) "روسيا تحقق في مخيمات بشأن وجود مرتبقة فرنسيين في صفوف القوات الأوكرانية"، موقع روسيا

اليوم، 15 أبريل 2022



وكي يدرك عمق الهوة بين أتباع الطائفة الوحيدة، **جذر الإشارة** إلى تصريحات رعيم بطريركية كييف متروبوليت أيممانيوس، الذي أصدر بيانا يعد فترة وجيزة من بدء الحرب قال فيه إن "روح المسيح الدجال تعمل في رعيم روسيا. وعلامات ذلك الكبرياء، والإحلاص لشر، والقسوة، ولتدبير الباطل. وقد كان هتلر بهذه الصفات خلال الحرب العالمية الثانية، وهذا ما أصبح عليه بوتين اليوم" (1).

أما رعيم بطريركية القسطنطينية البطريرك المسكوني بارثولوميو فلم يتردد في انتقاد الحرب الروسية في أوكرانيا، وقال في لقاء تلفزيوني، إن العالم كله ضد روسيا، محذرا من أن تؤدي سياسات بوتين إلى "حرب باردة جديدة" (2). وفي أفريقيا، لا تبدو لصوره مختلفة كثيرا، فمع تزايد جهود الكنيسة الروسية في السنوات الأخيرة لإنشاء أبرشيات جديدة في القارة السمراء، اعتبرت بطريركية الإسكندرية هذا التمدد اقتحاما لمناطقها، وجاء ردّها بالانحياز لاعتترف بطريركية القسطنطينية باستقلال بطريركية كييف (3).

وبعد ثلاث سنوات، وقبل إعلان موسكو الحرب الأخيرة في أوكرانيا، أعلنت الكنيسة الروسية عن إنشاء إكسركمية بطريركية (وحدة إدارية للكنيسة تقع خارج أراضيها الرئيسية) لها في أفريقيا، مما زاد من عمق الخلاف بين كنيستي موسكو والإسكندرية.

1. في عيد الفصح حرب بوتين تقسم العالم المسيحي (ارتودوكسي مرجع سابق)

2. "كيف أصبحت بحوث روسية في أوكرانيا العالم المسيحي (ارتودوكسي) موقع ترابطه سورية

للخبراء والمحللين السياسيين apa-inter.com نقلا عن واشنطن بوست

(3) Eugene Clay "Why church conflict in Ukraine reflects historic Russian-Ukrainian

tensions", theconversation.com, 7 Feb 2022



وفي ظل هذه التشاكك المعقد للعصالح السياسية المتغيرة، قد لا يبدو الطريق معبداً أمام الطموح الإمبراطوري ليوبين بعباءة الدين. وحتى لو نجح في دخول التاريخ بصفته "فلاديمير الثاني"، ثمرة بفلاديمير الأول الذي وضع أسس الأرثوذكسية قيد نحو ألف عام، فإن الشروع في ترداد اتساعاً بين كنائس هذه الطائفة يؤكد استحالة استعاده أمجاد إيفان الرهيب، القيصر الذي استبد بالكنيسة وحده.



التشيع.. طائفة إسلامية

انحدت من الحاكمية الساسية عميدة وشريمه

تتفاوت الإحصاءات لعالمية والمحلية بشأن تقدير عدد الشيعة ونسبتهم إلى عامة المسلمين، ففي تقديرات مركز بيو للأبحاث لعام 2009 هناك ما بين 154 مليون و200 مليون شيعي في العالم، وتبلغ نسبة هذا العدد إلى جمالي المسلمين 10-13%، ويتركز ما بين 68% و80% من الشيعة في أربع دول فقط هي إيران وباكستان والهند والعراق⁽¹⁾. هـ

أما في لجانب الشيعي، فسعدد الإحصاءات والتعديرات. وهي تميل غالباً إلى التشكيك في الأرقام الصادرة عن جهات دولية أو حكومات لدول غير الشيعية، ويذكر مثلاً دائرة المعارف الحسينية التي تقول، أن عدد لشيعة في مطلع الألفية بمصر من 350 مليوناً، بما يوازي ربع عدد المسلمين⁽²⁾.

وسوء كالت نسبة الشيعة هي الربع أو العشر، فلا يمكن، عمال القوة السياسية والاقتصادية لهذه الطائفة، ولا يمكن تجاوز عمق السريحي وأدوارها الثقافية وموقعها على المساحة العالمية، فقوة هذه الطائفة قد تبسو أكبر من وزنها الديمغرافي.

أصل التشيع وتطوره

التشيع هو التأييد والماصرة، ويقال في العربية إن جماعة ما هي شيعة فلاز أي أتباعه وأنصاره ويُقصد بالشيعة في التاريخ الإسلامي الطائفة التي تنبع

(1) "Mapping the Global Muslim Population" pewresearch.org ~ Oct 2009

(2) "كم يبيع عند شيعة آل البيت في العالم"، موقع مركز "إشيعاع" إسلامي، isiam4u.com

علي بن أبي طالب ابن عم النبي محمد ﷺ ، وبوآل أبي بيت النبي ومع آل مصطفي
آل البيت قد يشمل روحيات النبي وأعمامه وسلاطهم لكن الشيعة يقصرون
تعدسًا سلالة النبي بمعه من ابنته فاطمة، وهي روجة علي

ثم تظهر فكرة التشيع في حياة النبي ﷺ ، ويعتقد المسلمون السنة أن علي
بن أبي طالب بايع الخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه ورصي بخلافهم،
وكان محبًا لهم، وهو أمر يكره الشيعة لاعتمادهم بن الولاية أمر عقدي لا
يخضع للمشورة أصلاً، وأن النبي عهد بالخلافة إلى علي لكن الصحابة تأمروا
من بعده علي حرمان علي منها

يقول الأزهري لمحي، وهو أحد مؤسسي هذه الطائفة في القرن الثالث
الهجري، إن الشيعة كانوا معروفين في زمان النبي ويمولون بمأمنته، ومهم
الصحابة المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر وعمار بن ياسر وهم أول
من سُموا باسم التشيع من هذه الأمة¹ . وباتي الرد من علماء السنة بأن عمار
بن ياسر كان عاملاً للحليفة الثاني عمر بن الخطاب في الكوفة، كما كان سلمان
الفارسي عاملاً له في المدائن، فكيف يُعقل أن يكونا متمردين على خلافته؟

ويقول الإمام الشيعي محمد حسين آل كاشف الغطاء "إن أول من وضع بدرة
التشيع في حق الإسلام هو بعض أصحاب الشريعة، يعني أن بدرة التشيع
وصعت في بدرة الإسلام جنباً إلى جنب، وسواء يسوء، ولم يرل غارسها
يتعاهدها بالسقي والري حتى تمت وازدهرت في حياته، ثم أثمرت بعد
وفاته"² . وهذا لرغم يتكرر كثيراً لدى علماء الشيعة، بل يذهب بعضهم إلى

1) سعد بن عبد الله الأشعري الغني بمالاف و عرق تعليمات محمد جواد مشكور، مركز دراسات
علي، طهران، الطبعة الثانية 1360 هـ، ص 15

2) محمد حسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، تحقيق محمد جعفر شمس الدين، دار

الأضواء، بيروت، 1993، ص 43



القول إن مذهبهم يعود في جذوره إلى أبي البشر آدم نفسه، وأنه ما من بني إله
عُرض عليه الإيمان بولاية علي بن أبي طالب.

ومع ذلك، يقول كاشف العطاء في بعض الكتب الذي استشهد به أعلاه:
"لم يكن لشيعته ولتشييع بومد (أي في عهد بي بكر وعمر بن الخطاب) مجال
لظهور، لأن الإسلام كان يجري على مذهب القويمة".⁽¹⁾

والأرجح أن إرهابيات التشيع بدأت في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان
من بعد، وذلك على يد عبد الله بن سبأ وجماعته، وهو يهودي من اليمن أطهر
إسلامه بالمدينة المنورة في عهد عثمان. ثم حرق على الفور إلى العرق لبشر
أفكار العلوي بعلي بن أبي طالب وتقديسه بين عوام الناس، فطرده عبد الله بن
عامر، فتوجه إلى الشام وحزب الصنفاء هما على الثورة ضد الأعبي، فأخرجه
معدوية الذي كان ولياً على الشام. ليتوجه إلى مصر ويبدأ بتوسيع خطته
من هناك.

ونشبه قصة ابن سبأ قصة اليهودي شؤول (بولس) الذي سعى بكل جد
لحريف دين الوحيد الذي جاء به عمي عليه السلام وبشر أفكار العلوي في
تفديس هذا النبي بعد سنوات قليلة من وفاته، إذ رعم أن عيسى لم يكن محرّك
بني بل هو إلهه الذي حل في حسد بشر وبرز إلى الأرض ليكفر عن خطايا
الإنسان بصلب نفسه، وهكذا كان ابن سبأ يسعى لتكرار التجربة بنفسه بعد
وفاة النبي محمد ﷺ فيدأ بفكرة "الرجعة" قائلاً إنه يعجب ممن يرعم أن عيسى
يرجع (أي في آخر الزمان) ولا يصدق أن محمداً يرجع، ثم أرشقه بفكرة
"لوصية" وهي أن يكون لكل بني وصيّا، وأن علي بن أبي طالب هو بن عم النبي
وولد ملأته وأولى الناس بخلافته ومع أن هذه علي بن أبي طالب تصدّى
بمنه لهذه القشة التي تيجله، لكن أنصارها تكاثروا يسرعه في البصرة

(1) المرجع السابق، ص 48

والكوفة، ويُعتقد أنهم هم الذين دبروا مكيدة قتل الحليمه عثمان، وكانت لهم يد في الصنّ اللاحقة مثل معركة الجمل وإفشال المفاوضات بين علي وطلحة والزبير ونشر فكرة تأليه علي^(١).

نشأت الأمة بعد مقتل عثمان، ومع أن الغالبية بيعوا عليّ على الخلافة لكن معاوية بن أبي سفيان الذي كان واليًا على الشام لم يبايع، فاندلعت المعارك بين الطرفين، ومع أن الحسن بن علي تدرّج عن بيعة من بایعوه بعد أبيه لمعاوية، لكن الفخر تعمّق كثيرًا مع بدء توارث الأمويين لسلطة ومواجهتهم للحسين بن علي -الذي حرق على سلطتهم بالسلاح- حتى قُتل على يد بعض جنودهم، كما لاحق الأمويون كل من قدرّوا عليه من آل البيت لمعه من منافستهم على الملك.

ما رالت الروايات التاريخية لما جرى في تلك الأحداث المؤلمة محل خلاف شديد بين السنة والشيعة إلى يومنا هذا، فالمصادر التي يُعتمد عليها لدى كل طرف تُستند من الطرف الآخر، والكثير من هذه المصادر هي ذاتها التي يُستند إليها في الروايات الدينية أيضًا، ما يجعل الأساس العقدي والفقهني مطعون فيه من وجهة نظر كل طرف، وبما أن هذا الكتاب ليس مخصصًا لمسائل الديني فسنحذّر النقد مع عدم إخفاء اختيارنا للمصادر السنية واعتماد حججها في الموثوقية والمصداقية.

١، يشكك الكثيرون في ما ينسب إلى طائفة السنية من فتن، وسهم باحثون في طرف نسبة، تم تشييعه فقهنيون في وجود ابن سينا باعتباره مسطورة وأنا أسبل إلى المصنّعين بوجوده والكثير مما يُنسب إليه، ونسب في ذلك تصحيم نظرية المؤامرة ولا يغفل من شأن الصحابة كما يرمي البعض، ان يلقوا الدكتور علي الصلاحي "جمع العلماء على وجوده بلا استثناء" [سير عثمان بن عفان، دار ابن كثير، ص 316]

ومن الأبحاث المصنّعة التي يمكن العودة إليها في هذا الموضوع بحث الدكتور سامي عطّاح حسن بعنوان "عيد الله بن سينا اليهودي اليماني بين الحقيقة والخيال"



أصول التشيع

بينما سبق أن التشيع ظهر نتيجة لأحداث تاريخية دموية، ما يعني بالضرورة ارتباط الطائفة المنيعة عن هذه المفكرة بكل ما تستدعيه تلك الأحداث من شفاق وعنف وكراهية واتهامات لأطراف أخرى، فالتشيع لم يقم مثلاً على فكرة الوصية لعلي بالخلافة فقط، ولا بالولاية الدينية له ولسلالته كما سيأتي، بل هو مرتبط أصلاً بالمعارك التي حاصرها علي مع صحابة آخرين، ثم ما تعرضت له سلالته بدءاً باسمه الحسين من صطهاد وقتل، ما يجعل التراث لمعني ولعقدي وبالنبعية السياسي لهذه الطائفة مشحوناً بالتوجس وبظربات المؤامرة، حتى أصبحت هذه الصفات جزءاً أصيلاً وعصوياً من كيان الطائفة ووجودها ومقومات استمرارها، مع العلم بأن الطرف الآخر الذي توجه له هذه الطائفة كل أصابع الاتهام ونسطر له بعين الريبة والتحقر هو "الإسلام السي". لدى كما ذكرنا لا يقل حجمه عن ثلاثة رباغ الأمة الإسلامية بحسب أكثر تقديرات الشيعة تفاؤلاً

وهذا يعني أننا حتى لو أخذنا بجهود بعض الشيعة في الإصلاح والتقارب مع السنة، ولا سيما تلك التي لا تكفر المنة ولا تجاهر بتكبير كبر الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعائشة زوجة الرسول، فسيبقى التشيع في بسط معانيه قائم على فكرة اتهام أفضل البشر عند السنة بعد الأنبياء -أبو بكر وعمر بالتأمر ولعنن ونقص وصيه النبي ﷺ، ومن ثم يصيح كل السنة على مر التاريخ متبعين ومعظمين للمتأمرين الذين أنكروا الولاية ولوصية لآل البيت.

ويجدر بالذكر أن لتشيع لعلي في بداية الأمر لم يكن أكثر من وجهة نظر في مسألة سياسية بشأن الخلافة، فعالية الصحابة والتابعين رأوا أن عباً أحق بالخلافة من معاوية، وجمهور أهل السنة حتى اليوم يفصلون

عني بن أبي طالب على كل الصغاية يامثنياء العلماء الثلاثة الذين سبقوه،
ويعصون ولده سبطي النبي ﷺ على كل حلفاء بني أمية، لكن الخلاف اتسع
بإضافة أصول عقيدة وفقهية لدى علماء الشيعة. مما تراكم مع تعاقب
الأجيال حتى انتشرت عنه طوائف باطنية (غوصية) مارقة من الإسلام
كالإسماعيلية وما تفرع عنها من بصيرية ودرزية

وسنحصر بالحديث الطائفة الشيعية الأم، المسماة بالإمامية الاثني
عشرية. ونوجز هيف يلي أهم الأصول التي يحالفون فيها عامة المسلمين

1- الإمامة هي من أركان الإسلام لدى الشيعة، مع أنها ليست أصلاً معترفاً
به لدى المسلمين السنة، وتقتضي الإيمان بأن النبي لم يترك الأمة قبل تعيين
الإمام الذي سيحل محله، وهو علي بن أبي طالب. ثم يعين كل إمام من بعده
بالعين لا بالوصف ولا بالانتخاب، وكل الأئمة الاثنا عشر من ذرية علي ويعتقد
الشيعة أن النبي أمر ببليغ جزء من الوحي وكنم جزء آخر مما يخص به
الأوصياء والأئمة من بعده (1).

2- العصمة الأئمة معصومون من الذنوب كالأنبياء، فلا يقع منهم خطأ ولا
سهو، بل نال "الإمام الحميمي" وحمل مرتبه الإمام فوق الأنبياء والملائكة، فقال
"قرب للإمام مقام محمود ودرجه ساميه وحلافة تكوينيه تحصص لولاياتها
وسيطرتها جميع درات هذا الكون، وإن من ضروريا مذهبا أن لأئمتنا مقام لا
يلعبه علث مقرب ولا بني مرسل، وبموجب ما لدنا من الروايات والأحاديث فإن
الرسول الأعظم (ص) والأئمة (ع) كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله
يعرشه محققين، وجعل لهم من المنزلة والرفق ما لا يعلمه إلا الله" (2)، أما
الأحاديث التي يشير لها الحميمي في هذا النص فهي مكتوبة عند أهل السنة

(1) محمد باقر سبكي، العناوين في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية، دار السلام، القاهرة، ج3، 2014، ص 340

(2) روح الله نخميني، الحكومة الإسلامية، بنون للنشر 1389هـ، ص 52



3- انتظار المهدي: يشترك الشيعة مع السنة بالاعتقاد بخروج **إمام عادل** في آخر الزمان، لكن الشيعة يؤمنون بأنه الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي، ويعتقدون أنه احتفى في سرداب بمدينة **مُرَّ** من رأى (مسراء) في العراق بمنتصف لفرن الثالث الهجري وما زال حياً فيه حتى اليوم، وسيخرج في آخر الزمان ويحكم العالم باسم الشيعة وينقم من أعدائهم

4- **التقية** يقصد بها إخفاء التشيع وإظهار بقية عند الضرورة، ومع أنها أسلوب للمناورة والمداورة نشأ في ظل الاصطهاد السياسي، لا أنها أصبحت من أصول الدين عند الشيعة، حيث نسب مصادرهم إلى الإمام جعفر الصادق قوله "إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له"، ويُفسرون هذا بقولهم إن تسعة أعشار الدين تكون فيه التقية لأهم يخالفون فيه المذاهب الأخرى، ومع أن في هذا مبالغة إلا أنه إقرار بأن ما يؤمنون به أهل السنة يعادل 10% من أصول الدين

وبالإضافة إلى ما سبق، يفترق الشيعة عن غيرهم من المسلمين في قضايا إشكالية جوهرية أخرى، كنكثير معظم لصحية ولطعن في روحيات الرسول وخصوصاً عائشة بنت أبي بكر، التي يتهمونها بالفحشة مع أن القرآن الكريم برأها في سورة النور، وكذلك قضية الاعتقاد بتحريف القرآن الكريم¹

¹ بعد مسائل تحريف القرآن محل جدل وحلاف كبير، فمع أن بعض الكتب تصرح بذلك لكن نكثير من مباحث شيعة معاصرين يجتهون في نفي ما فيها واتهام المستشرقين بتزويرها، ومن ذلك مثلاً دفع للشيخ محمد الحسبي الشيرازي (توفي عام 2001) عن الكتاب المشهور "فصل لخطاب في الرد على تحريف كتاب أبي الدرداء" لمصوب للإمام الموري الصوري، أو يقول الشيرازي إن الكتاب كان اسمه في الأصل "فصل بخطاب في عدم تحريف الكتاب" وبما رتبده ونقصه بعض أيادي المستعمرين في نسخة من المسمى، مستشهد بالأدب التي تؤكد امتناع تحريف القرآن مثل "إن نحن نريد تذكر وما به يناهضون" اضطر كتاب "حول السنة شطيرة" من موسوعة "أنشده"، مؤسسة مجيبي.



ومع أن التشكيك في صحة القرآن الكريم واكتماله ليس أمراً مجمّعا عليه لدى جمهور علماء الشيعة، في عصرنا الحالي على الأقل، لكن الخلاف بين من التشكيك في مصادر التلقي، والشيعة كما أسلفنا يطغى في معظم الصحابة، ويتبع ذلك بعدهم لمعظم الأئمة والأحاديث التي نُقلت عنهم و تعتمد ما ينسب إلى الصحابة لمقبولين (المسيحيين) وآل البيت فقط، بينما يرى علماء السنة أن الروايات المتداولة لدى الشيعة لا تتمتع بأدنى شروط الصبغة والصحة، ولا يمكن التسليم بنسبتها إلى آل البيت

ومن هنا يفرق الشيعة عن بقية المسلمين في إقامة بيان مذهبهم الفقهية والأصولية والعقدية على أساس غير معترف به، وينتج عن ذلك تساؤلات كبيرة في عدد لا يحصى من المسائل الفقهية والعقدية، وقد يتعلق بعضها بشروط أهم العبادات كالصلاة والحج، وأيضاً بصحة عقود الزواج وما يتبعها من آثار اجتماعية خطيرة كاعتقادهم بإباحة نكاح المذنب

ويحذر بالذكر أن التشيع المذهبي لا يقتصر على ربط العقيدة بالكبار السياسي من خلال فكرة الوصاية والإمامة، و حتى "ولاية الفقيه" كـ سيأتي لاحقاً، بل طوّز أيضاً ربط المجتمع بمؤسسة دينية، لكنها ليست ذات تدرج هرمي "كهنوتي" كما قد يبدو للناظر إليها من الخارج، فمكانه المرجع أو الشيخ تعظم أو تصغر بحسب عدد أتباعه وإيجارته العلمية ومع أن هناك ترابية عممية في المدارس إلا أنها لا تُنال بالانتخاب ولا لتعيين، بل بالغرف وكثرة الانبعاث، باستثناء قلة قبيلة ممن يدلون لقب المرجع الأعلى أو المرجع لدى يتحقق فيه الإجماع، وقد يصفي الأتباع على أحد شيوخهم صفة مرجعية حتى لو لم ينسب من المرجع الأعلى، فلا يتحقق الإجماع على كونه مرجعاً لكنه يطر كذلك لدى أتباعه، لد قد ينال أحد الشيوخ لقب المرجع على صعيد دولة أو مدينة فقط، أو ربما يكون مؤهلاً لبعض كبار المرجع لكنه لا يشتهر ولا يكثر



عدد أتباعه ولا تحتاج المرجعية أن تنبع حكومة أو مؤسسة رسمية كي تؤكد شرعيتها، لذا يصعب القول إن التشيع يتمتع بهرمية دينية كالمسيحية مثلا، لكن حوزته تتمتع مع ذلك بمصود كبير على أتباعها قد يصدق أو يوارى على الأقل بمصود باب الفتيكان على رعاياه الكاثوليك، لا سيما أن الشيعة مُرمون بدفع صريبة "الخُمس" إلى الإمام العائب، وهذا يعني عمليا دفع 20% من دخلهم السنوي إلى من يسوب عن الإمام وهو المرجع. بحيث يصرف مصعب على المحتجين والنصف الآخر على مصالح المرجعية

تشكلت نواة المرجعيات بالمدارس الدينية في القرن الرابع الهجري، ثم تحولت مع مرور الزمن إلى تجمّعات ضخمة من المدارس والجامعات والمراكز (الأضرحة) والحسينيات، واصطلح في العصر الحديث على تسميته هذه الكيانات المركزية باسم الحوزة.

يتخرّج من هذه المدارس آلاف المشايخ سنويا، وتدار من خلالها عمليات التدريس والإفتاء والرعاية الدينية للرعايا في كل العالم. وتُسمى كل منها باسم المدينة أو المنطقة التي يحتصنها، ومن أهم المناطق التي طهرت هذه المدارس الكبرى خلال التاريخ الشيعي الكوفة وبعداد والحف والحلة في العراق، وقم وأصفهان وطهران في إيران، وجبل عامل في لبنان

وشهد التاريخ انتشار أو تراجع قوة بعض هذه المدارس، وكذلك ترايد قوة بعضها الآخر حتى اندثرت حوزات أخرى. فصارت الصعيفة منها تنبع الأقوى، ويمكن القول إن أشهر مرجعتين اليوم هما حوزة الحف العراقية وقم الإيرانية، ومع أن مرجعية الحف ضعفت خلال حكم صدام حسين إلا أنها سرعان ما استعادت قوتها، وما زال قادتها يحاولون إثبات أصالة خطهم لسيدي والبائي بأتباعهم عن المرجعية الإيرانية

وقبل الحديث عن الجاسد المياني، سنستعرض بإيجاز مرجعيات الشيعة الكبرى، فهي العراق تعد المرجعية الرئيسة هي حوزة الحف، والشيخ

عبي السبستاني هو المرجع الأعلى لها، وإلى حاشه ثلاثة شيوخ آخرين يتمنعون بقب المرجع وهم بشير حسين النجفي وسحاق الفياض ومحمد سعيد الطباطبائي، الحكيم، ومع أن الأخير توفي في 2021 لكن لم يتفق على خليفة له بعد ولعل أول المشكلات في هذه الحورة أن الحكيم المتوفى كان هو العرقي الوحيد بين الأربعة، فالسبستاني من أصول إيرانية، والفياض ذو أصول أفغانية، والنجفي ذو أصول باكستانية

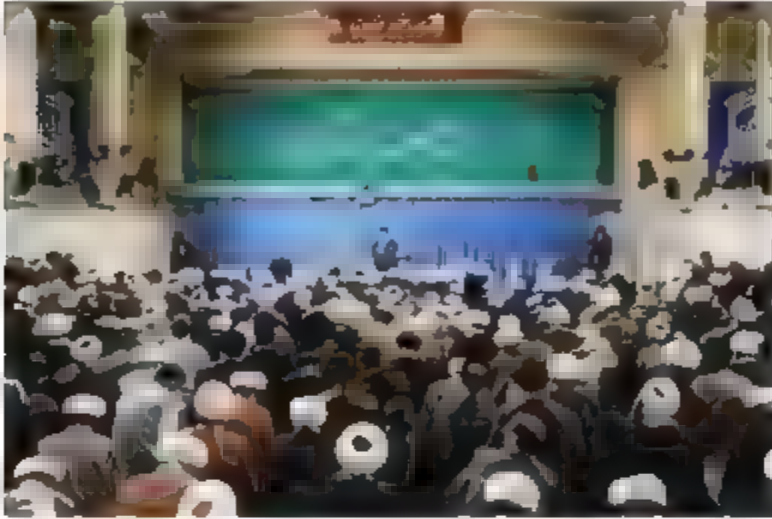
وفي لحف مرجعيات أخرى أقل تأثيرًا، منهم محمود الصرخي وقسم الطائي ومحمد البعوي وعدي الأسم، وهؤلاء لا إجماع على مرجعيتهم، بيد أن لهم أتباعًا كثر حول العالم

وفي لعراق أيضًا مكاتب وشيوخ ينتمون لحورة عم الإيرانية، مثل محمد نقي المدرسي وصادق الحسيني الشيرازي وفي المقابل يعدش في قم المرجع العرقي كاظم الحائري الذي يتبعه التيار الصدري في العراق

وفي إيران، هناك مرجعية طهران التي يتصدرها علي خامنئي الذي يجمع في يده السلطات الروحية والسياسية، فهو حائر على لقب آية الله، إلى جانب كونه المرشد الأعلى لثوره الذي يعد عمليًا القائد الفعلي للدولة ولا يدععه أحد على سلطته بانتخاب ولا غيره، وهالك من يشكك في مكانته العنمية وصعوبة مقارنته بسلمه روح الله الحميي، إذ كان خامنئي يشغل منصب رئيس الجمهورية ما بين عامي 1981 و1989 ثم رُفي فجأة إلى منصب آية الله العظمى بعد وفاة آية الله لعظمى محمد علي الأراكي الذي كان يتبوأ أعلى منصب ديني في إيران في عام 1994^{١٠} وبموراة طهران تأتي حورة قم، وعلى رأسها المرجع

^{١٠} مهتد لحاج عبي، تحليل مقتضب من باحثي كاربي حول أحداث المنعقة بالشرق الأوسط وشمال غربيا، موقع مركز هالكوم كير كاربي للشرق الأوسط، carnegie-mec.org، 31

الكبير، وحيد الخراساني وصادق الشيرازي، وفيه مراجع آخرون مثل ناصر الشيرازي وجعفر السبحاني وحميد الهمداني وعبد الله الجوادى الأمامي



حماسي يقدم رسالة في جامعة مجموعة طلاب في 2018 (khanone)

التاريخ السياسي

حرح التشيع كما أسلفنا من رحم الخلافات السياسية في عصر لصحابة، لكنه تطور لاحقاً ليتفرع عنه المذاهب الأهم في الموقف من عدالة الصحابة وموثوقيتهم، على اعتبار أنهم الجيل الذي نقل إلينا مصادر التشريع (لقرآن ونسبة)، فنتج عن ذلك ابتعاد الشيعة الكبير في مسائل جوهرية لا يمكن لنسأله فيها، وبصاف إلى ذلك اعتقاد الشيعة أن لحاكمية مسألة عقدية ضرورية، فلا تصح عندهم خلافة أحد من حكام الدول لرشدة والأمنوية ولعباسية إلا علي بن أبي طالب ومن بعده ابنه الحسن فقط، لذا كانوا يجتهدون في إسقاط هذه الحكومات والسعي لمبايعه الأئمة الذين يعتقدون أنهم حازوا حق الولاية بأمر إلهي لا رجعة عنه

ومع أن محاولات التمرد والتسلل إلى الحكم نجحت في مناطق عدة عبر التاريخ الإسلامي، إلا أنها لم تصح في أي منها لإعادة الحكم إلى أحد الأئمة، بن كانوا جميعاً مُطاردين حتى احتفى أحدهم محمد بن الحسن العسكري في العصر العباسي

ومن الدول التي نجح الشيعة في امتلاك مدة الحكم فيها، يذكر دولتي الأدارسة في المغرب والعلويين في نديلم وطرمستن، فالأولى استمرت في الحكم حوالي 130 سنة، والثانية أقل من 100 سنة، وتزامن سقوطهما في السنوات الأولى من القرن الرابع الهجري، وأيضاً دولة الحمدانيين التي حكمت الشام والعراق وعظم شأنها طوال القرن الرابع، وترى نشوؤها مع نجاح الإسماعيليين -وهم طائفة مشتقة عن الشيعة- في الهرب من الشام إلى تونس وتأسيس دولة العبيديين التي سرعان ما امتد نفوذها لتصبح الدولة الفاطمية الصورية. بعد صمتها لقرن في مصر، والتي لم تسقط إلا على يد صلاح الدين الأيوبي إبان استعداده لتوحيد المسلمين ضد الصليبيين في القرن السادس، ولا نسي أيضاً دولة البويهيين التي قامت في ظل الدولة العباسية وسيطرت على حلفائها خلال القرنين الرابع والخامس.

وبالرغم من هذه التحاحات الحزنية، لم يصل الأئمة إلى لحكم كما أسبق، كما لم يحرج الإمام الأخير (المهدي) من معبته، ما أدى إلى نشوء أئمة فقهية وعقدية طويلة لدى الشيعة، ربما كانت من أهم أسباب تراجع ثقلهم لديي وحاصتهم الشعبية منذ سقوط الدولة الفاطمية، إلى أن ظهر الفقيه الشيعي محمد بن جمال الدين الحزبي العاملي (من جبل عامل في لبنان) في القرن الرابع عشر الميلادي وحاول وضع حل لمعضله غياب الأئمة بابتكار نظرية "ولاية الفقيه العامة"، التي تعني قيام أحد الفقهاء المجتهدين الكبار بمهمة النيابة عن الإمام العائب (المهدي) في قيادة الأمة وإقامة حكم الله، ويرى ذلك مع صعود عائلة تركمانية صوفية تدعي الانساب لآل البيت في شمال إيران، على رأسها



صفي الدين أزدبيلي الذي اشتهر بأنه شيخ سي شافعي صوفي، على مذهب
حال غالبية السكان، فالتفّ حوله الناس مع ديوغ أخير كراماته

وفي عام 1501م. صعد حفيده إسماعيل إلى الحكم، معتمداً على شعبية
العائلة، لئلا يهبط، وأعلن اعتماد المذهب الشيعي بوصيه مباشرة من الإمام
العاشق. وطبقت بذلك نظرية ولادة المقيم مع تأسيس الدولة الصفوية
بقول الممكر الإيراني، الشيعي المعاصر علي شريعتي إن لدولة الصفوية
قامت على مريح من القومية الفارسية والمذهب الشيعي، حيث تولدت آداب
تيارات تدعو لإحياء التراث الوطني والاعتزاز بالهوية الإيرانية، وتفصيل المعجم
على العرب، وإشاعة الياس من الإسلام. وفصل الإيرانيين عن تيار الهبة
الإسلامية المدفع، وتمجيد الأكاسرة الساسانيين +

خاصت الدولة الصفوية حروناً طويلاً مع الدولة العثمانية لسنّة، وكانت
الحرب بينهما سجّالا، وانتهت سلسلة الصفويين بصعود سلالة الأفشاريين عام
1736م، ومع أن الشاه نادر حاول في بداية تأسيس دولته اعتماد مذهب يوفقي بين
لشيعية والسنة لا أنه فشل في ذلك وكان مصيره الاعتقال، وظل لتشييع منسجاً
يراس في السلالات الملكية المتعاقبة، حتى وصول رضا بهلوي إلى الحكم عام 1925،
ولدي بدأ في عهده تكريس الحكم العلماني. ثم تولى من بعده به محمد رضا بهلوي
هذه المهمة بإصرار أكبر، حتى صار من أكثر حكام المنطقة ولاءً للغرب، وعدم
أقيمت دولة الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين كان نظامه هو الثاني في لعالم
الإسلامي بعد تركيا العثمانية- الذي يعترف بها ويسارع إلى التحالف معها

في عام 1971م، أقام الملك الإيراني (الشاه باللغة الفارسية) احتمالاً
أسطورياً مدخاً بمناسبة مرور 2500 سنة على تأسيس الإمبراطورية الفارسية
الاحمسية على يد الملك كورش، ودعا للاحتفال كبار رعماء العالم، كما

1 علي شريعتي الشيخ العلوي والشيخ الصفوي ترجمه جبر مجيد، دار النشر لسفاعة ولقبون،



استعرض فيه جيشه وحاشيته في مراسم فيل إنها برعي إلى تنصيب نفسه إمبراطورًا، ما أثار حفيظة علماء الشيعة وأطلق شرارة العصب الشعبي وبولت الاضطرابات بعد ذلك في إيران لتصل في النهاية إلى ثورة شعبية، بعبدة العالم الديني روح الله الخميني

كان الخميني مرجعًا دينيًا شيعيًا تعلم في مدينتي قم الإيرانية، والنجف الأشرف العراقية، وصعد نجمه عندما اعتقله الشاه الإيراني عام 1963، ثم نُفي إلى تركيا، وتجوّل في العراق وأقام مجددًا في النجف، حيث لقي هناك سلسلة محاضرات جمعت



لاحقًا في كتاب "الحكومة الإسلامية"، الذي يعدّه الشيعة دستورًا لإعادة حيء نظرية "ولاية الفقيه"، ثم سفل إلى فرنسا، وطل يحشد أنصاره من المنفى بحطبه النارية حتى قامت الثورة عام 1979، حيث هرب الشاه تحت ضغط الاحتجاجات العاشدة، واستقبلت الحشود

الخميني يهر من الطائرة في مطار مهر باد
(ص. 19) في 1979 هجر من فرنسا

الخميني استقبال الفاتحين عندما
وصل طهران على متن طائرة
فرنسية، وسرعان ما بدأ تشكيل

الجمهورية الإسلامية الإيرانية على أساس نظريته، وتولى منصب المرشد الأعلى

لثورة الإسلامية، ليصبح بذلك الولي المفيه الذي يفود الدولة بمنصب ديني، ومن تحته رئيس للجمهورية وبرلمان منتخب.

كان تأسيس هذه الدولة الدينية الشيعية على أنقاض نظام حليف لإسرائيل ولغرب بداية لثمة سياسية كبيرة، أهم ملامحها احتجاز الثور لموظفي السفارة الأميركية كرهائن، وما زال النظام الإيراني حتى اليوم خصمًا للعرب.

ومع ذلك، هناك من يشكك في الرواية الرسمية لثورة الخميني، ومهم الصحفي الاستقصائي الأميركي روبرت دريفوس Robert Dreyfuss مؤلف كتاب "رهينة بقبضة الخميني" (Hostage to Khomeini) الصادر عام 1981¹. الذي يرى أن الخميني لم يكن سوى أداة بيد العربيين لإحداث انقلاب على حليفهم الشاه في صورة ثورة شعبية.

ويقول في كتابه أن مشروع رعرعه استقر حكم الشاه تمتد جذوره لقرون من الزمن، حيث عملت المخابرات البريطانية على زرع بدورها عبر رجال الدين الشيعة والجمعيات السرية لهينة الأجواء وشحن الشعب بالتمرد، ثم جاء تمرير لمطمة العمود الدولية في نوفمبر ١٩٧٦ ليكون "الطنمة الأولى" التي أشعلت مبرن الثورة بعد ثلاثة سنوات. فبدأ بذلك تسبب لصوء داخلها وحارجيًا على انتهاكات حقوق الإنسان في نظام الشاه².

^١ كان دريفوس مدير شؤون الشرق الأوسط لدى مجلة ELR (أميركية شعبية بشؤون المخابرات، وهي تابعة لـحركة لاروش ذات الميول الماركسية، والتي اسمها المنشط ليندون لاروش الذي حاول مرات الرشح بترسبه عن حزب تديمقراطي ولم ينجح وحوكم بالمعجزة خمسة عشر عامًا بينهم الآخرين، وكان يُتهم أيضًا بالانسفال من الممار إلى أقصى اليمين وعشق العديد من نظريات المؤامرة، لذا لا نستبعد أن يكون دريفوس متأثرًا بالهوية الممارية، فهي كنية ومعالاته الكثير من المبالغات والاقتراضات غير المثبتة، فضلًا عن المعلومات المضللة.

² روبرت دريفوس، رهينة بقبضة الخميني، نسخة مترجمة بنون مترجم عن الأصل المنشور في دار ديو

ببجانب في نكلى هاروس كومياني إنك، نيويورك، 1980، ص 34-39



ويسرد المؤلف بمفاصيل الاستعمار الذي قامت به منظمات المجتمع المدني العربية لتحشد الرأي العام ضد الشاء ونظامه. إلى جانب دعم منظمة فدائي الإسلام (فدائيان إسلام) التي كانت قد انتقلت إلى العمل السري تحت قيادة آية الله خدالي وآية الله الخميني، والتي كانت تدير نحو 200 ألف من الملاي المنتسرين في نحاء إيران لتتصيد حطة الانقلاب عبر التهييج لشعي الديي⁽¹⁾

ويسكر دريموس أن الرئيس الأميركي جيمي كارتر كان في يناير ١٩٧8 يحتضن الشاه ويمتدح إيران بأنها "جزيرة الاستقرار" في الشرق الأوسط المضطرب، بينما كان معاوبوه قد بدؤوا بتدبير مؤامرة إسقاطه⁽²⁾، ويصيف أن الرجل الذي في جهر السافاك "منظمة المحسرات والأمن القومي" حسين فردوست كان هو المسؤول عن تدبير الانقلاب لصالح الخميني بإشارة من لعرب، لذا كافأه الخميني بعد إسقاط الشاه بخلّ جهاز السافاك ونسبب جهاز "السافاما" بقيادة فردوست نفسه⁽³⁾.

ويرى دريموس أن استحداث الحكم الإسلامي الشيعي في إيران من قس العرب كان بحجة التصدي للتمدد الشيوعي بالمنطقة، مستشهد بتصريح رئيس مجلس الأمن القومي الأميركي ربيعو برجبسكي الذي كان القوة المحركة في إدارة كارتر. عندما قال لصحيفة نيويورك تايمز إنه يجب على واشنطن أن ترحب بابعاث قوى الإسلام في الشرق الأوسط لأنها تعارض عقائدي تلك القوى الكامنة في المنطقة الموالية للاتحاد السوفيتي⁽⁴⁾

(1) المرجع السابق، ص 40

(2) المرجع نفسه، ص 24

(3) المرجع نفسه، ص 45 و نظر أيضا د سالم حميد نرس من الفارخ معغدوعين بوراث الحميم

العربي الخميني صودحا، موقع مركز أبحاث الدراسات والبحوث almiezmiahi.com، بدون تاريخ

(4) رهيه بقبصه حميي ص 25



وعلى المستوى الشعبي، تنتشر كثيرًا بين المسلمين العرب السنة في المنطقة اتهامات مماثلة للنظام الإيراني بالعمالة للعرب، وأعتقد أن في هذه الإطلاقات ميلغة شعبية تسدج تحت نظريات المؤامرة، والكثير مما قاله دريموس في كتابه ليس سوى صاظر تؤكد جهله بعقائد المسلمين وتعقيدات الأنظمة السياسية في المنطقة. لكن هذا لا يعني استبعاد الفكرة تمامًا، فقد ثبت تاريخيًا دعم المخابرات الأميركية للجهاديين العرب السنة في أفغانستان لوقف التمدد الشيوعي، ولا يستبعد أيضًا دعم هذه المخابرات لقيام نظام شيوعي ديمي ثوري يواحه بدوره المد الشيوعي بذلك. ونستخدم في الوقت نفسه للإجماع أي ظموح ستي بوشعي، وبشعل المسلمين بمعارك طائفية كما حدث بالفعل مع اندلاع الحرب ضد العراق في لعدم التلي لتأسيس نظام الخميني، والتي استمررت حتى صيف 1988، واستمرقت المخابرات من ثروات بلاد لجيج وإيران ولعراق وأهلكت أكثر من مليون جندي من الطرفين وأكثر من مئة ألف مدني.

٢٠ تصدير الثورة

أقام الخميني نظام الدولة الشيعية الجديدة كما ذكرنا على أساس "ولاية المقيه"، معتبرًا أنها وظيفة عملية ومصعب اعتباري جعله أنه في حالة غياب لني والأئمة لعقهاء، وكان الخميني قد تلقاها من الشيخ محمد الرافي، الذي عاش في القرن التاسع عشر الميلادي واشهر بأنه أول من طورها وأعاد صياغتها في كتابه "عوائد الأيام"، وسمى محققون أنه تقدم على الرقي آخرون في الإشارة إليها كالمحقق الكركي في القرن السادس عشر الميلادي، وأيضًا المجسبي والميرداماد والبهائي والآخوند والنائيني.

وبحسب النظرية الحميرية، يحق للمرجع أن يتدخل في جميع أمور المجتمع سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ربوية، ويبعي على القواعد الشعبية أن تطيع أوامره التي تتخذ صفة التشريع الإلهي

وفي المقابل، يرفض تيار شيعي آخر ولاية المقي، وله أبناع في إيران و لدول العربية، وعلى رأسه حوزة النجف في العراق ومرجعها الأعلى علي لسيستي الذي ستتحدث عنه بالتفصيل لاحقاً، فهذا التيار لا يجبر للمرجع أن يتدخل في الأمور السياسية والاجتماعية إلا بتقديم التوصيات غير الملزمة

ويلخص النائب والشيخ العراقي إباد جمال الدين الخلاف بين التيارين بقوله إن النظرية الحميرية في إيران نص على أن "لمقية ولاية على المقه دته، ويستطيع أن يعزّر نصوص الشريعة ويسمها ويكتب مكابها شرعاً جديداً"، أما النظرية السيستية في العراق فتتص على أن "المقية مقصر للفقّه ومحلل للموقف الشرعي"⁽¹⁾

وبنعي للتيار الثاني شيوح كبار في لبنان، مثل المرجع السيد علي الأمين، د قل في أحد الحورت "ولاية المقية ليس معصداً دينياً أو مذهبياً لشيعه، ولدت لم يقر بها الكثير من علمائهم في الماضي والحاضر إن ولاية المقية هي نظرية سياسية في السلطة والحكم، وقد عارضها وعارضها الكثير من الشيعة داخل إيران وحارجها، وهي ليست ولاية عابرة للشعوب والأوطان"⁽²⁾

وفي لقاء تلفزيوني على قناة "العربية الحدث"، قال أبيض "لا يرى أن ولاية المقية عابرة لحدود ولاية المقية يجب أن تبقى محدودة في إيران"

(1) "ميد ولاية المقية بين المعاهيم الشيعية والنجوية الحميرية" حوار على موقع فطره، 12 / 2014

(2) "مرجع لشيعي السيد علي أمين له أهرام العربي" ولاية المقية نظرية سياسية وتبعص دينية يرفض سب الصحابة وأمهات المؤمنين، حوار جزمه صحيفه الأهرام العربي ونشر على موقع نسيد

علي الأمين، 3 أكتوبر 2015



وأكد أن "لنهج الإيراني تم رفضه منذ بداية ثمانينات لقرن الماضي"، معتبراً أن "الرؤية الإيرانية نجحت في لبنان نتيجة ضعف الدولة"، ومشدداً على رفض ارتباط الشيعة في لبنان "بالرؤية الإيرانية"، كما اعتبر أن "حرب الله لا يمثل المذهب الشيعي" (1).

لكن التيار الحميري حظي بانتشار أكبر في الأوساط الشيعية بين العرب والفرس معاً، حيث نجح في تحويل الفكرة إلى واقع وإنشاء دولة قوية وغنية بالنمط على أسس "ولاية الفقيه"، مما أتاح له السطوة أيضاً لمصدير الفكرة وعولمها

ففي كتاب "تصدير الثورة كما يراه الإمام الحميري" (2)، نجد مئات المقطوعات من خطب ورسائل الحميري التي يعتبر فيها أن تصدير الثورة سيكون بمثابة رسالة لحرر الطغيان وإسقاط عروش الجباة والانصار للمظلومين، مع التركيز على أن رسالة الثورة هي رسالة الإسلام العالمية وتوجب الإشارة لبعده المذهبي الشيعي

وفي إحدى رسائل الحميري المؤرخة بتاريخ ٢٨ أبريل ١٩٨٦، يقول إن رسالته الأخيرة لأتباعه هي "نعملوا على إعداد الأرضية لظهور منقذ البشرية وخاتم الأوصياء ومفخرة الأولياء" (3)

وقد ساهم مفكرون شيعة آخرون في تسطير لتصدير الثورة، مثل رئيس جمعية الصبياء والرياضيات في إيران محمد حواد لاريحاني الذي طرح فكرة اعتبار إيران "أم لقرى"، مستعيراً هذا المصطلح من مكة بوصفها كعاصمة للمسلمين، وكان إيران أصبحت مركزاً للعالم الإسلامي في هذا العصر (4)

١ - علي الأمين، ولاية الفقيه يجب أن يبقى محموداً بإيران، موقع قناة العربية arabeyanet، 26 أبريل 2015

٢ - منشور على موقع مؤسسه تنظيم ونشر التراث، إمام الحميري arabicrib.ir بدون تاريخ

(3) المرجع السابق، ص 20

٤ - محجوب الزويري، "حدود الدور الإقليمي الإيراني الطغوان والمخاطر"، مركز الجزيرة لدراسات



وكان نجاح الحميري في إسقاط نظام متحالف مع العرب وإسرائيل قد أثار بالفعل مشاعر الكثير من الإسلاميين السنة، وعلى رأسهم جماعة الإخوان المسلمين، حيث يذكر موقع "ويكيبيديا الإخوان المسلمون" أن الجماعة قابلت ثوره الحميري "بحماس كبير وتأييد عني نطاق واسع"، حيث أحقت صورته الحميري غلاف مجلة الإخوان الرئيسية "الدعوة" في آذار 1979، كما وُجّهت للجماعة دعوة لقيادات الحركة الإسلامية في كل من تركيا وباكستان والهند وإندونيسيا وأفغانستان وماليزيا والسليبي، بالإضافة إلى تنظيمات الإخوان المحلية في لعلم العربي، لتشكيل وفد يقوم برعاية إيرين وبني الحميري بالثورة، وهي زيارة حدثت بالفعل في يونيو من العام نفسه^(١).

لكن هذا الافتتان بالشعارات الإسلامية المرفوعة في طهران تبدد لاحقاً، فعلى سبيل المثال قال القيادي الإخواني السابق عبد المعظم أبو المتوح في



مرقد فاطمة بنت موسى الكاظم من

أهم معالم مدينة قم

مذكراته: "لكن حماسنا للثورة بدأ يخفت تدريجياً، خاصة بعدما بدت منها روح طائفية في بعض المواقف، والتي استغيت للتشهير بها وتقديمها على أنها دولة صفوية جديدة تكنّ العداء لأهل السنة، ثم جاءت الحرب بينها وبين العراق لترصد من فتور مشاعر التضامن معها"⁽²⁾.

^(١) "الإخوان المسلمون ونشيطه (الجزء السادس)", موقع الموسوعة لتاريخية الرسمية لجماعة

الإخوان المسلمين ikhwanwiki.com

⁽²⁾ "عبد المعظم أبو المتوح شاهد على أرتخ الحركة الإسلامية في مصر (٦)", لموقع السابق.

٢٠ مرحلة الصدام

بالرغم من ثودد الإسلاميين المسة إلى الحميي عقب نجاح ثورته، كان الاحير عى وشك الاشتباك مع أكبر جيرانه من العرب السة في العراق ترمثا مع تخطيطه لتمدد في دول الخليج، ولا سيما السعودية التي تحتص لحرمين وقبله المسلمين.

كان التوتر بين إيران والعراق قائما أثناء حكم الشاه، وبعد تولي الحميي بالحكم سحو ثلاثة أشهر اسنولى صدام حمين على السلطة في بغداد وراذ من حدة التهديدات، وسرعان ما انتقلت التصريحات إلى مساوشت على لحدود ثم إلى حرب طاحنة، فدعمت دول الخليج العربية السية نظام صدام باعتباره خط الدفاع الأول ضد تمدد ثورة الحميي، واتحد صدام للحرب اسفد بعد طائفي عراقي وهو "قادسية صدام"، في إشاره لمعركة القادسية بين لعرب المسلمين والفرس المجوس عام 636م.

وفي فيفم وثانفي منه تلمربون "بي بي سي" في سبتمبر 2010 صم سلسلة وثانقيت "ماذا حدث؟"، انهم أول رئيس لإيران بعد الثورة الإسلامية أبو الحسن بي صدر الحرب الجمهوري الأميركي -وبعض قاده خاصة بيلسون روكفلر وهري كسينجر- بالتخطيط لزمة احتجاز الرهائن الأميركيين في طهران (موطني السفارة)، وقال "حاء بعد ذلك مباشرة فرص العقوبات الاقتصادية ثم الهجوم العراقي على إيران بالترتيب الذي قلنه"

كما أكد في الفيفم نفسه عاري سيك مساعد مستشار الأمن القومي الأميركي (بريجسكي) لشؤون الخليج في إدارة جيمي كارتر أن نظام الحميي أرسل مبعوثاً إلى ألمانيا لبحث إنهاء أزمة الرهائن في 12 سبتمبر 1980، لكن الهجوم الذي شهه صدام بعد عشره أيام "أنهى كلياً لمباحثات التي كانت جارية



حيث عتقد الإسرائيليون أن الأميركيين هم المحرضون على هذه الحرب بسبب أزمة الرهائن⁽¹⁾

في لوقت قصير، كان لحميي يحاول حثواق السعودية عبر بوابة الشرق حيث يتركز الوجود الشيعي في البلاد، وبدأ بدعم حركات الاحتجاج في مدينة لقطيف عام 1981 ضد الحكومة السعودية

وبحسب الرواية السعودية، أنشأ النظام الإيراني منظمة شيعية سرية داخل إيران لشر فكر لثورة في دول الخليج، وعهد إلى الشيخ الشيعي حسن لصفر سرعادي الروحية. وأطلق عليها اسم "منظمة لنورة الإسلامية لتحرير الجزيرة العربية"، لتصبح لاحقاً "منظمة لنورد الإسلامية في الجزيرة العربية"، وفي عام 1987 تشكل جرح عسكري للمنظمة تحت اسم "حرب الله الحجر"، ويُعتقد أن هذا الجراح انفصل عن المنظمة ليصبح تابعاً مباشرة للحرس الثوري الإيراني⁽²⁾.

ويشير مؤرخو تلك لمرحلة إلى أن أغلبية السعوديين لشيعية الدين كانوا في قم أنداك يؤيدون لمدرسة الشيرازية التي نرى أن الحكومة الإسلامية لشيعية تدار من قيس تجمع من المقهاء وليس لولي الفقيه الواحد، لكن الحرس الثوري 'حبر العديد مهم على الالتحاق بالمكر لحميي، بينما صطر آخرون للجوء إلى دمشق ودول أخرى⁽³⁾.

1. "ماد حدث؟ أسرار الحرب العراقية الإيرانية بلسان شيوعها" ،bbc.com ، 22 سبتمبر 2010

2. خالد لمصوح "حرب الله الخليج تاريخ من المؤامرات باسم المنس وصناعة"، مجلة بجية 15 نوفمبر 2011

3. "حرب الله الحجر السعودية"، موقع بوابة الحركات الإسلامية islamist-movements.com 12



وفي موسم الحج بنواحر يوليو 1987، بدأ الصدام الفعلي عندما قادت مجموعة من لجرم الثوري الإيراني وحرب الله الحجارة المئات من الحجج الإيرانيين ولشيعه لسهوديين للتظاهر في مكة المكرمة ودعوة المسلمين لثورة ثوره الخميني، ما أسفر عن صدام دموي مع السلطات السعوديه، ذهب صبحينه 402 قتيلًا و649 جريحًا، أكثر من نصفهم من الإيرانيين^(١)

وتجددت مظاهرات الحج في العام التالي وأسفرت عن سقوط ضحايا، كما تنهم السلطات السعوديه "حرب الله الحجارة" بالمسؤوليه عن أعمال "رهابيه" عدة، من أهمها تفجير شركة صدف البروكيمياويه في مدينه الجبيل عام 1988، وتفجير مبنى للجرم الوطني في الرياض عام 1995، وتفجير أبرج الخبر عام 1996 والذي أسفر عن مقتل 19 مبركيا بمدينه الخبر^(٢)

ويرى الباحث السعودى خالد المشوح أن "انكشاف مخططات إيران" دفع لعدد من الدشطين الشيعه في الخليج للتراجع عن موالاتهم لنظام ولاية الفقيه، كما اضطروا لموقف إلى جانب سلطات بلادهم أثناء حرب الخليج الشديه جراء احتياط الكثير من الأوراق في المنطقة وفي عام 1993 تم الاتفاق بين الحركه الإصلاحيه الشيعيه والحكومه السعوديه على إنهاء النشاط السياسى في الخارج وقطع العلاقات مع طهران^(٣)

لكن هذه المصالحة لم تصنع حدًا للتوتر بين السعوديه وإيران، كما لا يزال الشيعه في السعوديه والخليج متهمون بإثارة لعلاقل وموالاته طهران، ولا سيما بعد اندلاع الربيع العربى ومطلاق موحه احتجاجات البحرين عام 2011

١. Emmanue Sivan and Menachem Friedman, Religious Radicalism and Politics in the Middle East, SUNY Press, 1990, p. 190

(2) "حرب الله الحجارة السعوديه"، مرجع سابق.

(3) خالد المشوح، مرجع سابق.



١٥ الصراع في لبنان

يتعقد لمشهد لطائفي في لبنان أكثر من أي بلد آخر في المنطقة، وقد كانت الحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990) من أبرز الشواهد على الاحتقان الطائفي هناك، وستركز بحثنا هنا على الصراع المتعقّب بالشيعّة وتجب ما له علاقة بالمسيحيين الموارنة.

يمكن القول إن ظهور حركة أمل كان بداية للاضطهاد الطائفي الشيعي في لبنان، وكان تأسيسها قد سبق الثورة الإسلامية في إيران بسحو خمس سنوات، إذ تشكلت على يد الشيخ الشيعي موسى الصدر عام 1974 تحت مسمى حركة المحرومين، وكان هدفها المعلن في بيها لتأسيس "محرية الحرمان وإرساء العدالة الاجتماعية"، إلى جانب مقاومته الاحتلال الإسرائيلي.

احتضن الصدر خلال زيارته إلى لبنان عام 1978، وعندما وصل الحميري إلى السلطة في إيران تعالت قيادات الحركة بأن يدعمهم بالضغط على نظام العدائي للكشف عن مصير الصدر، لكن طهرن لم تحرك ساكناً، إذ يُعتقد أنها لم ترغب بإفساد علاقتها مع طرابلس، ما دفع وهذا من الحركة إلى نسج عتراضه خلال زيارته إلى طهران⁽¹⁾.

ويمول الشيخ الشيعي اللبناني السيد علي الأمين لصحيفة الشرق الأوسط إن حركة أمل كانت عربية شيعية، وإن الخلافات بدأت تظهر بينها وبين نظام الحميري عندما ظهرت ملامح المشروع الإيراني لتصدير أفكار الثورة الإيرانية إلى لبنان، فأدركت إيران أن أمل لن يكون أداة مناسبة في مشروعها⁽²⁾.

ويقول المفكر اللبناني الشيعي هاني فحوص إن غياب الصدر أدى إلى تزايد نمود تيار داخ حركه أمل يدعو للتوجه صوب الارتباط بثورة الحميري، تزامناً

[1] سال لطيفي، "ولادة حرب أهلية على أنقاض أمل"، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 10363، 17 مايو 2008.

(2) نلرجع السابق.



مع نشاط إيران لاحتصاص الحوزات الدينية في لبنان بعد بصؤل أهمية الحوزات في مدينة النجف الخاضعة لسلطة صدام حسين، وقاد هذا التيار كل من الشيخين صبيح الطفيلي وعباس الموسوي، مما فتح الباب أمام تأسيس حركة جديدة أكثر ارتباطاً بطهران تحت مسمى "حزب الله" ⁽¹⁾

نُخب الشيخ صبيح الطفيلي عام 1989 لمنصب أول أمين عام لحزب الله، وبدأ تصعيد عمليات المقاومة المسلحة ضد الوجود الإسرائيلي في الجنوب اللبناني، وتقديم الدعم للانتفاضة الفلسطينية، وفي عام 1991 نولى عباس الموسوي قيادة الحرب عبر استجابات مباشرة، وعندما أعلن الطفيلي العصيان المدني ضد الحكومة اللبنانية عام 1997 احتجاجاً على تردّي أوضاع الشيعة قرر الحرب فصوله، حتى وقعت اشتباكات مسلحة داخل لحزب نفسه في مطلع عام 1998، ووقف فيها الجيش إلى جانب مسلحي الحرب ضد أنصار الطفيلي

اكتسب الحرب الشيعي شرعيته منذ تأسيسه في منطقة ذات أغلبية سنية بكونه ممثلاً للمقاومة ضد إسرائيل، فاشتبكت مباشرة مع القوات الإسرائيلية مرات عدة، ومنها عمليات التصدي لهجمة "تصفية الحساب" عام 1993، ولعدوان "عناقيد العصب" عام 1996، وتنفيذه عملية "نصيرية" عام 1997 التي أسقطت 17 إسرائيلياً بين قتيل وجريح واستمر صعود شهرة الحرب كحركة مقاومة إقليمية مروراً بانسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان عام 2000. ووصولاً إلى حرب تموز عام 2006 التي دُمّرت فيها البنية التحتية في الصحاح الجنوبية لبيروت، معقل الحرب الرئيس ⁽²⁾

(1) المرجع نفسه

(2) ناديه سعد الدين، الحركات الدينية السياسية ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، مركز الجزيرة

لدراسات في الفوحة، دار عربية للعلوم في بيروت، ط 1، 2012، ص 36، 381



وبال حرب الله جراء هذه الانتباكات وعمليات تحرير الأمري شعبية كبيرة في الوسط السني بالمنطقة كلها، لكنها سرعان ما تبددت بعد تورط الحرب في قمع الثورة السورية منذ شهورها الأولى عام 2011، ولعل مؤسس الحرب بمعه هو أبرز الشهود على تحولات أهداف الحرب من المقموعة إلى الصراعات الطائفية مع المحيط السني

وكان لطيفي فد عاني من التهميش بعد فصله، وبدأ بإعلان موقفه بتعدد تدرجياً عن الخط الشيعي في المنطقة، فقال إن دور الحرب تحول في لسبوت الأخيرة من المقاومة إلى حرس حدود لإسرائيل، واسفد يشدة احتياج حرب الله للعاصمة بيروت في السابع من مايو 2008، كما عارض تدخل حرب الله في لحرب السورية إلى جانب قوات النظام السوري، ورى فيه تهديداً لشيعه وخطاً سيدمر الأمة، بل أيد الثورة السورية بمسها بالرغم من التدخل الإيراني المباشر لقمعها (1).

وعندما هاجم الأمين العام للحرب حسن نصر الله السعودية وعمية "عاصمة لحرم" ضد الحوثيين الشيعة في اليمن في مارس 2015 انتقده الطيفي بشدة، كما وحه استقاده للحوثيين، وشمل في نقده لنظام السوري الذي اتهمه بتأسيس تنظيم الدولة الإسلامية، مشيراً إلى أن الحكومة العراقية فيما مضى اتهمت النظام السوري بالوقوف خلف تدريب وتجهيز الانتحاريين الذين كانوا يصحرون المساجد والأسواق في بغداد وغيرها، وقال "هؤلاء أنفسهم حولهم النظام السوري إلى داعش (تنظيم الدولة)" (2).

(1) سبيح الطيفي، "موسوعة الحرية، موقع الحرية نت، ajazeera.net 2 أكتوبر 2014

(2) "مؤسس حرب الله ينتقد مهاجمة نصر الله السعودية"، الجزيرة نت، 29 مارس 2016

الصراع في العراق

يختلف الشيعة والمثّة في العراق على نسبة ما يعتنه كل مذهب من مجموع السكان، فالشائع لدى الشيعة أن نسبتهم إلى مجموع السكان بكل ما همهم ومرجعياتهم تزيد على 60%، ويرغم البعض أنها تمثل 85% من سكان العراق⁽¹⁾. لكن أكاديميين شيعة يشككون في هذه الأرقام ويرون أن النسبة لا تزيد عن 45%⁽²⁾، بينما يرى عميد جامعة الهرير العراقية سابقا مرز الرضائي أن أول من طُبق المراعم يكون الشيعة يمثلون الاغلبية في العراق هو الكاتب اليهودي حنا بطاطو، حيث يشير العديد من الدراسات المستندة إلى إحصاءات رسمية إلى أن السنة يريدون عن نصف سكان العراق بقبيل⁽³⁾



مظاهرات ملايين شيعه كل عام من يوم ١١ مديني المحرم وكربلاء في عراق فوجده سعيه جمع ٦ مليون

التي تمثل الحداد على وفاة الحسين بن علي رضي الله عنه

- (1) 'شيعه في عراق اليوم'، موقع 'الامام الشيرازي' alsh-razi.com
- (2) ومنهم محمد جواد علي رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة بغداد. انظر مؤند غزاد الألوسي، الغزو الاميري للعراق: حقائق وأرقام، دار المشرق، 2012، ص 239
- (3) المرجع للمابق.

وتشير لكثير من دراسات والتقارير الصحفية إلى أن العراق كان بعيداً عن الاحترق الطائفي بين الشيعة والسنة في العقود الماضية^١، وفي ظل الحكم الشمولي لحزب البعث، لم تسمح السلطات للطائفة بالطهور، بل فرصت الأفكار القومية العلمانية بحكم القوة، إلى درجة اضطراب الكثير من الشيعة للاضطهاد وراء السلطة في الحرب ضد نظام الحميدي^٢

لكن لتعايش الطائفي الذي تمثل في الكثير من حالات لرواح بين الشيعة والسنة سرعان ما تبدد أثناء الاحتلال الأميركي للعراق بدءاً من عام 2003، فبعد استهداف مرقد الإمامين العسكري والهادي عام 2006 في سامراء ببعدها^٣، شهد العراق أعمال عنف طائفي غير مسبوقة^٤، وسائل إعلام الشيعة بالحديث عن "مطلوبيتهم" التاريخية والمطالبة بحقوقهم بصفتهم "أكثرية"⁽⁵⁾.

١ عن سهل المسال لا نجد في كتاب الأكاديمي عبي النوردي "دراسة في طبيعة المجتمع العراقي" أثر بوضوحه وقد درس في كتابه هذا المجتمع العراقي ما بين الثلاثينيات وخمسينيات استتبات من نفوس العشرين، أي ما بعد الاستقلال عن بريطانيا

٢ Helen Chapin Metz, Iraq: A Country Study Federal Research Division, Library of Congress, Washington D.C. 1988

٣ بينهم شيعة سنيهم لبعاده بتفجير صريحين بينما ينفذ باحثون سنة أو الأميركيين ولا يزالون تأمرهم لتفهد هذا الهجوم بحسباً لتعديات بعض طائفي ضد السنة في بغداد وهو ما حدث بالفعل. نظر عبد الهادي عبي، الأسبلاء على معاهد السنة من خطوط ممنوع شيعة في لتعير الديمغرافي في العراق، سلسلة الراصد الإلكترونية، العدد 110 يوليو 2012

٤ علاء يوسف "التعير السبعراقي إليه طائفة لتعير العراق" موقع الحرية، 11 سبتمبر 2014

٥ من السنة عبي ذلك تصريح عبد العزيز الحكيم نائب رئيس المجلس الأعلى بشؤون الإسلاميه في العراق بقوله "صنعى ولا إلى إشاعة نظام سياسي وطني ولكن تشعب العراقي سيطالب في النهاية



وتبعت هذا العنصر موحدة بغير اب في تركيبه العراق السكانية قد تطل آثارها على مدى قرون، ومن ملامحها حث مكان المحافظات الجنوبية من الشيعة على الانتقال للمناطق السنّة في الوسط والعرب ولشمال، وخصوصاً بغداد. كما سنعلم الشيعة مراكزهم الدينية في وسط المواقع لسياسة لشر التشيع في محيطهم (1)

وقبل أن نستعرض المواقف السياسية لشيعة العراق، لا بد من التوقف عند الخلافات الفكرية أولاً فكما ذكرنا سابقاً يحتصن العراق مرجعية لجنف التي يتبعها ملايين الشيعة حول العالم، وعلى رأسها السيستاني، وبلى جانبه كل من محمد باقر الصدر وبشير النجفي. وهؤلاء الثلاثة من أصول غير عراقية، لذا فهم

يتمتعون بقيمة دينية أكثر السياسية، وبادراً ما يتدخلون في السياسة. والأهم من ذلك أن مرجعية السيستاني لا يؤمن أصلاً ببطرية ولاية الفقيه، التي أقيم عليها النظام الإيراني، بل يؤمن فقط بالولاية الحسنية للفقيه، أي أن له ولاية في الأمور الحسنية وقبض الحقوق الشرعية والتنصرف فيها مثل الأوقاف وأموال اليتامى والمفقرين، أما الولاية العامة فلا تكون إلا



صورة تعود إلى 2009 للمرجع الأعلى

علي السيستاني

للإمام حتى لو كان غائباً

جمهورية إسلامية" وأضاف: "إن إرادة الشيعة في إقامة جمهورية إسلامية سينتصر لديهم يمثلون أغبيبه بنسبة 60% من السكان" اضطر علي كميل ود بريمسد. وأنشطن هوجبت بقوة سخيم الشيعة في العراق وبحسب من فيم حكومة اصوليه على النمط الإيراني، صحيفة الشرق الأوسط. العدد 8913، 24 أبريل 2003

1 عبد الهادي عبي، "الخطط الإيرانية لتقسيم المحافظات المسية العراقية"، سلسلة الراصد

الإلكترونية، العدد 107، أبريل 2012

ومع ذلك، تصب حورة الحنف مرجعيات أخرى بأراء مختلفة ولو كانوا أقل تأثيراً، مثل قسم لطائي ومحمد اليعقوبي. اللذان يعتقدان بولاية الفقيه، ويتبع بذلك روحاً للخامس في إيران، ومحمود الصرحي الذي يؤمن بطرياً بولاية الفقيه ولكنه لا يتبع حامي بل يتبع مدرسة الصدرين التحديدية التي أسسها محمد باقر الصدر الذي عدده صدام حسين عام 1980، ومحمد صادق الصدر الذي اغتيل عام 1999. لذا نجد للصرحي مواقف رافضة للسيستاني مع أنه تابع لحوزته (1).

وبعد أيضاً في حورة الحنف خلافاً علمياً بين رواد الحديث. فهناك فريق يعتمد على رجال الشيوخ الحلي، الذي عثر في القرن الثامن الهجري، بينما يعتمد فريق آخر على رجال الشيوخ الطوسي من القرن الخامس، ويتبع هذا الخلاف خلاف فقهي في تفاصيل كثيرة.

وبالعودة إلى المدرسة الصدرية، نجد أن في داخلها أيضاً خلاف بين المؤسسين، فمحمد باقر الصدر كان يرى أن الفقيه الذي يستحق الولاية هو الأعلم بأصول الفقه، بينما كان محمد صادق الصدر يرى أن الفقيه لن يصبح ولياً إلا بسلوك طريق باطني شاق، أي بطريقة صوفية وبذلك فإن لمدرسة الصدرية تحالف حورة قم التي ترى أن الولي الفقيه هو الأعمى بكل من الأصول والعقيدة المنطقية وقواعد الفقه المستمدة من تراث الإمام، لذا لا يتبع التيار الصدري حوزتي الحنف وفهم، بل يتبع المرجع كاظم الحائري، وهو شيخ عراقي تعلم في الحنف و انتقل إلى قم وما زال يعيش فيها، ومع أنه محسوب بدلت على حورة قم إلا أنه يمثل مرجعية مستقلة نسبياً (2).

1 - د. فخر الدين الصدر، ما صبيغة الصراع بين المرجعيات الشيعية في العراق وأسباب خلافها مع مرجعية

قم الإيرانية، الجزيرة نت، 21 أبريل 2022.

(2) المرجع السابق.

وعلى الصعيد السياسي، سبغ الطائفة الشيعية في العراق بين قطبين متنافسين، الأول هو التيار الصدري بقيادة مقتدى الصدر، والثاني هو تحالف "الآطار التسبيقي"، الذي يضم أحرارًا وفصائل مفرقة من إيران، وهم ممثليها قائد مبيش الحشد الشعبي هادي العامري ورئيس الوزراء السابق نوري المالكي وبالعودة إلى تاريخ صعود التيار الصدري، فقد ردّ صعود رعيمة مقتدى الصدر في 9 أبريل 2003 عندما دعا إلى مقاومة الاحتلال الأمريكي، وبنفذ صميمًا حياذ حوزة نجف أمام الاحتلال، ثم شكّل في شهر يونيو مليشيات "جيش المهدي".

كما ندد الصدر بمجلس الحكم الانتقالي، الذي عينته واشنطن آنذاك لأنه "غير شرعي"، وهذّب بإعلان الثورة على الأميركيين عندما صرح الحاكم الأمريكي بول بريمر برفض الإسلام كمصدر رئيس للشرع في العراق. قدسلعت مواجهات بين أنصار الصدر والأميركيين، وأعلن الصدر أنه يصعب نصه تحت تصرف حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وحرب لله اللبناني ليكون "ذراعهم الصارية في العراق"، لكن الحماس الذي أعقب هذه الموقف تبدد لاحقًا، بدخل الميستاني وهذم مبادرة سلام انتهت باتفاق لوقف إطلاق النار بين جيش المهدي والأميركيين، وبحول الصدر إلى المهادنة والانضمام للعملية السياسية، ومع أن القوات الأمريكية رادت أعددها في 2007 إلا أن الصدر مرّ أتباعه لمسلحين بوقف جميع أنشطتهم، بدتهم السنة "جيش المهدي" بتحويل سلاحه في تلك الفترة من مقاومة الاحتلال إلى ارتكاب أبشع الجرائم الطائفية ضد السنة، مع دفع رئيس الوزراء آنذاك نوري المالكي لتسوية بش هجوم كبير لتسحق "جيش المهدي" في مدينة البصرة في مارس 2008، بعدما اتهمه بتشكيل فرق اغتيال لحطف وقتل شخصيات سنية، مع أن المالكي نفسه وهو قائد حرب الدعوة الشيعي- منهم أيضًا بالتورط في الجرائم لطائفية، وانتهى



الأمر بإعلان الصبر حل "جنش المهدي"، ولم تأت هذه الخطوة إلا بعد اكتمال التعبير الديمعرافي لصالح الشيعة في مناطق عدة، وأهمها بغداد.

كانت موقف الصبر تتسم بالتحافص عند بداية صعوده، إذ انتقل من معارضة الأميركيين إلى دعم حلفائهم، ومن تأييد حكومة نوري المالكي اساك إلى معادته^{١١}. ومع أنه أعلن حل تنظيمه المسلح في 2008 إلا أنه أعس لاحقاً في يونيو 2014 تأسيس "مرايا السلام" لحماية المرافد والمفدسات الشيعية إبان توسع صعود تنظيم لدولة الاسلاميه^{١٢}. ومع أنه استقل بعد إعلان لتهدئة في 2003 إلى قم الإيرانية كي يصرغ للدراسة على يد مرجعه الحائري، فقد ظل محسوباً على حصوم يرس، وعندما كان الوجه الأبرز للحرثم لطائفية صيد لسنة بدر في 2009 زيارة أنقرة للقاء الرئيس التركي عبد الله غول ورئيس الوزراء رجب طيب أردوغان آنذاك، ثم قام في 2017 بزيارة أخرى مفاجئة إلى كل من السعودية والإمارات للقاء ولي العهد في البلدين



مفتي ناصري يخطب اجتماعاً في صبر في 2009 من بين المندوبين على خميني في لقاء مفتي ناصري
فاسم بلفيتي (knafeir)

١١ "النبا، الناصري" تاريخ من حواقب (سناقصة)، الجزيرة نت، 4 مارس 2015

١٢ طه العادي "البيان، ناصري في العراق من النشأة إلى صداره الاشخباء"، الجزيرة نت، 16 أكتوبر 2021

ربما تكون رغبة مقتدى الصدر في التمرد وعدم لئبية لإيران هي ممدح فهم مواقفه التي جعلته الرقم الأصعب في المساحة العراقية، ففي فبراير 2016 قد أنصاره في مسيرة مديونية لاحتلال مساحة التحرير بعداد احتجاً على "الفساد"، واقتحم أنصاره البرلمان في اسعراص صرح للقوة، وبعد عامين نجح ائتلاف "سائرون" برعامة الصدر في الفوز بأكثر عدد من مقاعد البرلمان، ووصلت قيادات تياره إلى مناصب عليا في وراثة الدلية والدفاع

وكانت تحليلات المراقبين أنذاك ترى أن صعود الصدر السياسي ما كان ليحدث بهذا التسارع لو لا الصراع الذي تركه العسكاري بميله إلى الحياد، فمع أن لصدر لم يكمل درسته الدينية، ولا يبدو به مؤهل لبلوغ درجة "الاجتهاد" كي يبال لقب "اية الله" مثل والده الراحل محمد باقر الصدر، لكن صبر مراجع حوزة الجعف على العزلة سمح لمقتدى بالنحدي ومحاولة اكتساح الشارع الشيعي كله، وحتى لسي أيضاً، فهو ينقر الطهور في صورة القائد الوطني المحارب لفساد الداعي ولاحتلال لخارجي مغا، وينجراً على التصدي للسمود الإيراني

في المقابل، كان لئسستاني قد لرم نصبت عبداً سقطت بغداد في أيدي الاحتلال عام 2003، ولم تصدر عنه أقوى تتيح المقاومة، بينما كان أنصار الصدر يخصوصون معارك صارية ضد أقوى جيش في لعالم ويحتل أحبارهم صدارة الصحف العالمية

من جانب آخر، كان الشارع العراقي يرداد غضباً كل عام مع تراكم مشكلات الفساد والبطالة والطائفية⁽¹⁾، ثم جاء الانسحاب المفاجئ لتنظيم الدولة الإسلامية حتى كاد ينتلع نصف مساحة العراق⁽²⁾، قبل أن نعلن لحكومة

(1) في عام 2019، حسب ع ي عسيف 162 د بين 180 نوع في يوم الفساد العالمي بطر

تقرير منظمة الشفافية الدولية-2019

(2) سيض نمر هذا الانسحاب العجيب من أسوأ فصاح الفساد السياسي في العصر الحديث، إذ سيطرت مشيقات تنظيم الدولة بسلحها سسيط على مقارن فين، ما كانت تحتوي على ربع سلحه

تشكيل فصائل "الحشد الشعبي" ذات الأيديولوجية الشيعية المتطرفة لمقاومة التنظيم، وتغرق البلاد في دوامة طائفية قد تمتد آثارها الاجتماعية المدمرة لعقود مقبلة. فضلاً عما سببته هذه الحرب من دمار هائل في محافظات الأنبار وبيّن وكرّوك¹، مع تحميل الحكومة مسؤولية السماح لتنظيم الدولة بالتوسع، وأدى كل هذا الاحتقان إلى اندلاع "مظاهرات تشرين العرقية" في بداية أكتوبر 2019، والتي اتسع مدامها ليشول إلى أزمة سياسية كبيرة، شملت حملات واسعة من الإضراب والعصيان المدني وأعمال الشعب، ما دفع السيستاني للتدحرج ومطالبة رئيس الحكومة (الشيعي) عادل عبد المهدي بالاستقالة، والذي كان يشغل أيضاً منصب وزير الدفاع والداخية بالوكالة، وهو أحد قادة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية الذي أسسه محمد باقر الحكيم في إيران لمحاربة أي جيش الإيراني ضد العراقي في عهد صدام حسين وفي

«جيش نعر في كلّه، سبنا الكفّ الجنّ بالأسلحة»، وهو «جيش الذي سمح لثلاث سجون السطيم من دولة حفيظة يبر رعب العالم من الإرهاب الذي سم بدفع المجتمع الدولي إلى تشكيل حد أكبر تحالفات العسكرية ضد الحرب العالمية الثانية لمساندة هذا الوحش، وبمشاركة جيوش عربية، وهو الأمر الذي أدى فعلياً إلى إنهاء الثورة السورية والسماح للدمار السوري بالبقاء في الحكم بعدما صرّحت الأنظار عن مطالب «سوريين» إلى هدف يرمي إلى حد وهو القضاء على تنظيم الدولة وكان الجيش العربي قد شكّل في عام 2014 لجنة نيابية للتحقيق في أحداث الموصل، وحرب بالفهم مناقشات في البرلمان مع قادة في الجيش والشرطة ومسؤولين من الموصل وبعدها ولكن لم تنحصر لمحاكمة أي مظهر من مظاهر التحاكمة، مع أن اللجنة توصت بالعمل كمنسّرين في وجود مؤسسة كبيرة لإدراج الفرصة لتنظيم الدولة بالتعمّل قبل القضاء عليه انظر ريد سائيم، تسع سنوات على سقوط الموصل صحيفة العربي الجديد، 10 يونيو 2023

1. يقدر حجم هذه الحرب وفقاً لوزاره التخطيط العراقية بأكثر من 88 مليار دولار، مع أن معظم الشعب يعاني من تدهور الوضع الاقتصادي وغياب الحاجات الأساسية، كما لخسائر البشرية المؤسسة تقدر بنحو ربع مليون قتيل وجريح وعشرات آلاف المختطفين والمعتقلين ويكفي أن نعرف أن مدينة الموصل وحدها شهدت تدمير أكثر من 56 ألف منزل، وتسجيل أسماء 11 ألف مفقود انظر المرجع السابق.

29 نوفمبر 2019 استقال عبد المهدي بالمدعي بالمدعي⁽¹⁾، لكن المواجهات استمرت حتى أسفرت عن سقوط ألف قتيل على الأقل من المتظاهرين

استمرت الاضطرابات عشرة أشهر حتى يوليو 2021، وشهدت تدخلًا لكل الميليشيات والأطراف الشيعية، حتى أصبحت بغداد ومناطق عدة مسرح حرب حقيقية، وكان أكثر الأيام دموية هو السابع والعشرين من نوفمبر 2019 عندما تجرأ المحتجون لعاصيون من التدخل الإيراني في بلادهم على إحراق القنصلية الإيرانية في مدينة النجف، إذ يعدّ هذا اليوم من أكثر الأيام حرجًا للنظام الإيراني الذي صرّح ما ألقى باللائمة على «مُفسدين وعملاء للخارج»، بينما طهر للعالم أن الكثير من شباب الشيعة عاصيون من مرجعيات الكبري، ومن تفاجرها وتدخلاتها السياسية

وقبيل استعادة الشوارع هدوءها، طهر أول تصريح من شخصيه محسوبة على حوزة النجف يسدّ عبثًا بالتدخل الإيراني، فقال الشيخ حميد الهاشمي أحد ممثلي السيستاني في لقاء عدي "أنّ يأتينا الصوت والتوجيه والإرشاد من خلف الحدود، فهذه ليست عميدة الإمام الحسين، فنحن نرفض هذه الانتماءات والولاءات ونعلن بأعلى أصواتنا بلا خوف ولا تردد أن من يوالي غير الوطن فهو حائن"⁽²⁾، وكان يقصد بذلك ميليشيات لحشد الشعبي الموالية لإيران

(1) جون ديفيسون "رئيس وزراء العراق يعلن استقالته بعد دعوه من السيستاني بكن العجف استع"،

وكالة رويترز 29 نوفمبر 2019، ara.reuters.com

(2) "مخرب من السيستاني يهاجم إيران ويتهم ميليشيات (الحشد بالحياة)"، موقع ميدل إيست أونلاين

middle-east-online، 15 أغسطس 2021



وكان مقتدى الصدر قد شارك بدوره في تلك الأحداث وأعاد تسمية مليشياته باسم «القبعات الزرقاء»، ودفعها للمساحات بحجة حمايته المتظاهرين السنيين، كما أعاد رفع شعارات محاسبه الماسيين والمتورطين في «العنف»، وفي أكتوبر 2021، فاز التيار الصدري مجدداً بالعدد الأكبر من مقاعد البرلمان، لكن العدد لم يكن كافياً لشكل الحكومة. وفي يونيو 2022 افتتح أنصهره البرلمان مجدداً لإعلان رفضهم لتشكيلة الحكومة. وأعس مقتدى الاعتصام المفتوح في مبنى البرلمان حتى تُشكل الحكومة التي ترصيه

وفي 28 أغسطس 2022، أعلن المرجع كاظم الحائري من فم عتراله للمرجعية، موجهاً نصاً صمياً إلى مقتدى الصدر. ودعى «بإبعاده إلى طاعة حاشية، ليصع بذلك الصدر في مواجهة حاشية نفسه، وبدلت رُفع عطاه المرجعية الدينية عن التيار الصدري، إذ لا يتمتع مقتدى بالأهلية العلمية ولا بد له من إبعاع مرجع بلغ رتبة الاجتهاد ويُعتقد أن مرجعية الحائري كانت رمزية فقط لدى مقتدى بناء على وصية والده محمد الصدر له بإبباع رفيق دربه الحائري، لكن مقتدى كان قد شقَّ ليمسه طريقاً خاصاً عندما شكّل جيش المهدي ودخّر معتزك، لسياسة، بل حدثت قطبعة بينه وبين مرجعه عندما اصطدم مقتدى بحكومة المالكي في 2008¹²، فلم يعد الحائري بدأ في لهاية من إعلان الاعتزال كي يتخلص من ارتباطه بمقتدى، مع أنها المرة الأولى التي يعس فيها شيخ تحليه عن المرجعية حتى لو نعدد بالمرص

وراء هذا الموقف المجرح، أصدر مقتدى في اليوم التالي إعلانه باعتزال الحياة السياسية نهائياً وإنهاء الاعتصام في البرلمان، وألج في رسالة اعتزاله إلى

(12) "Iraqi Sadr threatens to withdraw supporters from Tahrir after teenager lynched" middleeasteye.net, 12 December 2019

12. سناء الحوري، م ن هو مرجع الشيعي كاظم الحائري؟ وما علاقته بمقتدى الصدر؟، بي بي سي

أن إيران تقف ريثما حلف اعتقال الحائري واستقاذه له، وقال أبص¹ إن "الجف الأشرف هي المقرّ الأكر للرجعية"، وكأنه يلمح إلى أن شيعة العراق ليسوا مضطرين للرصوح لسلطة خامني⁽¹⁾

لم يحن هذا الإعلان المراقبين لمعرفة شحضية مقننى وتاريخه، بل عتبروه مجرد مصادرة أخرى قبل أن يعود لإستراتيجية حافه الهوية التي يستهجبها واحتجاجات الشوارع، لتكون له "ليد الطولى على حصومه" (2)، د سبق له أن أضق عده هسيدات بالاعتزال، بل أعلن أيضاً الاعتزال بالفعل في أحداث سابقة، ومها مثلاً، أعلن الانسحاب من العمل السياسي وحل التيار في فبراير 2014، ثم، إعلانه في أبريل 2016 تجميد كتلة "الأحرار" التابعة لتياره في البرلمان⁽³⁾

وقد عاد أنصاره بالفعل للاحتجاج في صيف 2023، ولكن ليس على الحكومة هذه المرة، فبعدما تجرّ لاجئ عراقي ملحد في سوكهولم على حرق نسخة من المصحف تحت حماية الشرطة، نزل أنصار الصدر إلى شوارع بغداد وهمجموا مبنى السفارة السعودية وأحرقوا جزءاً منها، وتجددت المظاهرات بعدها وسط تسديد من الصدر بصعب العالم الإسلامي على حادثة قام بها لاجئ، بينما تحدث مراقبون عن استعراض الصدر لقوته تمهيداً لعودته إلى المباحة ومناقشة حصومه من الشيعة أيضاً⁽⁴⁾

في الخلاصة، وبعد عشرين عامًا على سقوط نظام صدام حسين، يبدو أن الأزمات السياسية المتلاحقة في العراق كشفت عمق الشروح في جسد الطائفة

¹ تحليل مقصّب من بحثي كاريبي حول الأحداث المتعلقة بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مرجع سابق

² Mohamad Bazzi, "The Revenge of Muqada al-Sadr" foreignaffairs.com, 13 September 2022

³ "مقننى الصدر والمهامة 9 عولاب في 9 صوب"، وكالة الانصول (aa.com.tr) 30 أغسطس 2022

⁴ "هبة الصدر أبعد من مصره (سلام) أهرب لتسعرارص انقوة"، صحيفة العرب، arab.co.uk، 21 يوليو 2023



الشيعة، والتي وصلت إلى درجة قد تمتحيل معها استعادة الوحدة، فالتنافس بين مرجعيي النجف العراقية وقم الإيرانية لم يعد حافياً، ومحاولات لصدر لإيجاد حيدر ثالث بينهما وصلت تقريباً إلى طريق مسدود.

ويمكن القول بإيجاز إن مرجعية النجف المتمثلة في لسيستاني تؤثر لصمت في مواقف عدة، بينما لا يحصى امتعاضها من التدخل الإيراني في العراق، كما أنها تعجز عن احتواء الصدريين، ومرجعيتا طهران وقم من حيث كونهما المرجعية الروحية للنظام السياسي الإيراني تعقد وراء قوات الحشد الشعبي الشيعة العراقية التي تشكلت بديره محاربة تنظيم الدولة وارتكبت بدورها جرائم طائفية - وهي أكثر قوة وسلطاناً من أنصار لصدر، كما أنها مدعومة من لحكومته العراقية رسمياً. أما التيار الصدري فقد تبرزت منه مرجعية الحائري، ولا يبدو أن الصدر قادر على مواصلة تحدي الموالين لإيران حتى لو طرأ بحشد الملايين من أنصاره في الشوارع كل عام، إلا إذا كان الحد في النهاية هو اندلاع حرب أهلية فيما بين الشيعة أنفسهم، وهو ما حذر منه رئيس الوزراء (لشيعي) مصطفى الكاظمي أثناء اعتصام الصدرين في البرلمان في أغسطس 2022 قتلاً "إذا انطلق الرصاص هل يتوقف لسين" (1).

٢ الصراع في سورية

قبل قرن من الزمن، حرصت فرنسا إبان احتلالها لسورية على استقطاب الأقليات لطائفية لتتطوع في "جيش المشرق"، ليكون القوة الصاربة التي يُحكم بها غالبية الشعب من المسلمين السنة وبعد حلاء فرنسا عام 1946 أصبحت تلك القوات هي بواء الجيش السوري، وحارت الطائفة العلوية تحديث -التي

١. الكاظمي محضر إذا انطلق الرصاص هل يتوقف لسين، موقع سكاى نيوز عربية، 27 أغسطس



تُقدر نسبتها إلى بقية السكان بنحو 10% على نصيب الأسد من الجيش في جميع مستوياته منذ عام 1955⁽¹⁾.

وخلال فترة الوحدة مع مصر (1958-1961)، تشكلت داخل حزب البعث المبحر حلبة سرية تحت مسمى اللجنة العسكرية، على يد خمسة صباط في الثلاثينات من العمر، ثلاثة مهم علويون وهم صلاح جديب ومحمد عمران وحافظ الأسد، واثنا إسماعيليان هما عبد الكريم لجسدي وأحمد المير وقد سبقت الإشارة إلى أن الإسماعيلية طائفة مارقة من الإسلام انتقلت عن التشيع، ولعلويه (البصريه) هي طائفة انتقلت بدورها عن الإسماعيلية⁽²⁾.

لعبت اللجنة دورًا مهمًا في تحقيق الانفصال عن مصر ثم في حكم سورية بواجهة سنية يمثلها الصباط أمين الحافظ، وفي عهده بدأت أولى مظاهر التمرد السني، وبخصّ الشيخ مروان حديد عام 1964 مع أنصاره في مسجد السبطان بحمص، ظلّ مهم بأن السلطات لن تقننهم المسجد احترامًا لحرمة كما كان يفعل جنود الاحتلال الفرنسي، لكن الجيش هدم لمسجد بالديابات وقتل البعض وحكم على الآخرين بالإعدام⁽³⁾.

تشكلت إثر ذلك جماعة الطليعة المقاتلة المنشقة عن جماعة الإحوان المسلمين، ثم حاول بعض الإسلاميين في دمشق التحرك ضد السطة، ويقول مؤرّحون إن النظام نشر دعوته مريبة للجمع في الجامع الأموي الكبير

⁽¹⁾ عبد الله سباعنة سوريا عبرة الأسد، دار البواكير بيروت، ط 1، 2011، ص 7-9.

⁽²⁾ هناك خلاف بين الروايات التاريخية لسوء هذه اللجنة وأعضائها، وما ذكرناه علاه هو رواية الرسمية بحافظ الأسد الذي متأثر بالسلطة لاحقًا، بينما يقول البعض إن العلويين لم يكونوا من مؤسسي اللجنة بل انضموا لاحقًا وأن السنة والدروز كانوا من مؤسسيها. ينظر أمير سعادته،

الجنة العسكرية لبعث حقيقة أم خيال؟، جريدة الناس نيوز، 8 يونيو 2022.

⁽³⁾ سوريا مزوعة الأسد، مرجع سابق، ص 23.



استعداداً لتطاهر في مطلع عام 1965. وعندما تجمع الشباب الإسلاميون هناك بالفعل اقتحم الجيش الجامع بالدبابات. وُطّئ موجة قمع واسعة ضد السنة (1)

تسم حافظ الأسد وررة الدفاع في تلك الفترة، وبهمه كثيرون بالناظر مع إسرائيل لسحب لجيش السوري وتسليم الجولان للصهاينة خلال حرب 1967 (2). كما كان الأسد يعمل آنذاك على تصفية زملائه في اللجنة العسكرية إلى أن انقلب على السلطة فيما أسماه بالحركة التصحيحية عام 1970، بعد موجة واسعة من تسريح الصباط السنة (3)، وهكذا وصل العلويون إلى أعلى هرم السلطة وتمسكوا بها حتى الآن.

منح الأسد لجماعة الإخوان المسلمين في البداية هامشاً للمضط الاجتماعي والسياسي، وكان في المفضل يسابق الرمن لمصلحة "تطهير" الجيش والمخابرات وتعيين أقاربه وأبء طائفته في أعلى المناصب، بينما كان شقيقه حميد الأسد يعمل على نشر الشيع عبر جمعيه المرتضى وعندما تطاهر الإخوان ضد الدستور عام 1973، أطلق الأسد يد أنصاره لقمعهم وتعذيبهم، وبدأت سياسة إقصائهم عن المناصب والوظائف، ولا سيما في الجيش والتعليم (4).

شنت الطليعة المقاتلة سلسلة مناوشات وتفجيرات وعمليات متتالية من تصف السبعيات، وكان نظام يرد بعمليات الاعتقال والتعذيب والإعدام، لكن الطليعة واصلت صعودها إلى أن جاهزت بالتمرد والعصيان المدني عبر المدارس والمساجد في حلب وحماة وإدلب وأوحر السبعيات، حتى صطر

(1) مدير الفضيان، سوريا في قرن، 2006، الجزء الأول، ص 342

(2) جليل مصطفى، سقوط الجولان دار الاعتماد القاهرة، ط2، 1980، ص 169

(3) سوريا مرزعة الأسد، ص 79-82

(4) للرجع السابق، ص 120



الأسد في خطاب جماهيري عام 1980 إلى امتجداء النهضة مع الاحواز (1)، بينما كان يدفع بالجيش إلى المواجهة -بدل عناصر الأمن- حتى يحج في تطويق مدينة حماه بالكامل في مطلع فبراير 1982، وقبل نهاية لشهر كان الجيش قد قس ما بين 10 آلاف و30 ألفاً وفقاً لساوث النضيرات من السكان ودمر الكثير من مباني المدينة التي يعود تاريخها إلى العهد الروماني (2)، كما ارتكب النظام مجرر أخرى في معاقل الاسلاميين بكل من حلب وإدلب، ليستتب الحكم بدلت للطائفة العلوية، في ظل صمت دولي استثنائي



حائب من الممار في حماة بعد المجرة

كانت المجرة مبرراً لسلسلة طويلة من إجراءات القمع والاستئثار بالسلطة، ونشأ جين جديد على ثقافة الخوف إلى درجة جهل كثير من الشعب بما حدث في بلادهم في جهل الأباء وعندما هبت رياح الربيع العربي في مطلع عام 2011، وسقط النظامان التونسي والمصري في غصوب أسابيع بعد الاحتجاجات، تفاعل الشعب في سورية -وفي معظم دول المنطقة- بأن التحرك على الحشد في الشوارع سيكون كميلاً بإهاء كل مشاكل الفساد ويعيد إنشاء نظام سياسي

(1) المرجع نفسه، ص 150

(2) المرجع نفسه، 181

على أساس العدالة الاجتماعية، ولم يكن معصلة الطائفة وتعقيبها ولا أحداث حماة الدامية حاضرة في ذهن الشباب المتحمسين في البداية، إلى أن جاء لتصريح المبكر من بثينة شعبان مستشارة رئيس لجمهورية -وهي من الطائفة العلوية- بأن ما يجري هو "مشروع فتنة طائفية نحاك ضد سوريا"¹، وذلك بعد تسعة أيام فقط من بدء الاحتجاجات، ما "وحي لكتنبرين بأن النظام سيق إلى الحشد الطائفي قبل أن يفكر به المحبسون.

وبالرغم من الشعارات العلمانية التي يرفعها حزب البعث منذ تأسيسه، لكن جدحه لحاكم في سورية لم يكن سوى عطاء فومي علماني لمعني ملامح دينية سنية من الظهور، سواء في المعيم أو الإعلام أو الجيش أو أي قطاع حكومي، وبسرعة صرورة لمصاء على "الرجعية" في سبيل "بعث" الأمة لعربية وبحقبي انتصارها على الإمبريالية وإسرائيل⁽²⁾ ومع أن هذه المبادئ كانت تلتى على مسامع كل أفراد الشعب السوري يومئذٍ وبساليب الروا عند المقتدسة من الاتحاد السوفيتي وكوريا الشمالية، إلا أنها لم تنجح فعدياً في انتزاع هوية المجتمع كما حدث حربيًا في مجتمعات المعسكر الشيوعي⁽³⁾، بل سرعان ما تحولت الاحتجاجات إلى نورد بشعارات إسلامية سنية، رفعها الشباب الذين نشؤوا في مدارس النظام، مع أنهم كانوا يلقبون قبل أن يعلموا القراءة والكتابة أنهم "طلّاع البعث" و"شبيبة الثورة"⁽⁴⁾.

1. ليس فرح حمانيه الاغليات لديمقراطية في خدمة النظام، موقع مركز دراسات الجمهورية الديموقراطية drc-sy.org، أكتوبر 2013

(2) سوريا مرزعة الأسد، ص 179

(3) كارستين ويلاند سورية الاقترع م الرصاص، ترجمة حازم بهار، دار رياض الريس، بيروت ط1، 2011، ص 180-184

(4) "طلّاع البعث" هي منظمة تسميها حافظ الأسد لتضم كل أطفال سورية، جبراً خلال مرحلة التعليم الأساسية، ما "اتحاد شبيبة الثورة" في المنظمة التي تضم كل طلاب مرحلي الدراسة

لا يمكن لهذا المصطلح أن يسوِّع موجزًا لأحداث الثورة السورية التي استمرت نحو عشر سنوات، والتي جمعتُ مقالتي الصحفية عنها في كتاب أسماه "مقاتلات العشرية الحمراء" فحاء في 240 صفحة

أعتقد أن هذه العشرية الدموية كانت من أكثر أحداث لعصر الحديث تشعبًا وتشابكًا وتعقيدًا. فكل يوم من هذا العقد كان يحصل حدث جديد يستحق التوثيق، سياسيًا كان أو عسكريًا أو إنسانيًا، ولكن ما يهمني في هذا المقدم هو الخط الطائفي الذي رُسم للأحداث، واضطرار الثوار السوريين لاتخاذ موقف طائفي سني بعد عدة شهور على انطلاق لمظاهرات عندما اتضح لهم أن النظام كان يتحضر لمعركة طائفية. إذ كان البعد الطائفي غائبًا عن أذهان معظم الشباب الجامعيين الذين استمروا بحماس التغيير عندما رأوا الشوارع تنفص في دول المنطقة، لكن استحوذ النظام بمطالب المحتجين وإصراره في الأسابيع الأولى على الرجوع بدعوات الجيش في شوارع المدن، بعدما فشل رصاص قوات الأمن في تخويفهم، شجّع بعض جنود الجيش من السنة في حمص على إعلان الانشقاق، وذلك بعد شهرين فقط من بدء الاحتجاجات، ثم سرعان ما تشكلت فصائل معارضة من المنشقين والمتطوعين في بعض الجيوب، واستغرق الأمر بعض الوقت حتى تأخذ هذه الفصائل بعض الملامح الإسلامية مع أنها كانت بصريًا في اللقاءات الإعلامية على أنها ذات مشروع وطني

في الوقت نفسه، أطلق النظام من سجن صيدنايا سبي السمعة¹ عددًا من المعتقلين الإسلاميين، وكان الظاهر من هذه الخطوة هو مرسوم عمو من

¹ الإعدادية والثانوية، ما يعني أن كل مواضع في البلاد مجبر على الانخراط في أيديولوجيا حرد البعث منذ سن السادسة خصوصًا وأنه لم يكن في البلاد أي مدرسة خاصة قبل حكم نزار الأسد

² هذا السجن كان مخصصًا لعيسى ونعديب الإسلاميين، ومنهم الشباب الذين عادوا من العراق بعد مباركتهم في المقاومة ضد الغزو الأمريكي. فكان النظام يجبرهم مع عناصر من تنظيم القاعدة ويبيع بعضهم إلقاء الدروس ويبدأ النقاشات ما جعل البعض يعمد مدرسة لتخريج الجهاديين

رئيس النظام ضمن مشروع إصلاح، لكن باطنها يؤكد سعي النظام للرجع بالنزاع إلى أعدائه في المعركة كي تنقل مباشرة إلى حرب طائفية، وقد حدث هذا بالفعل، فمع تآت هبة العام لا يعد إعلان هؤلاء المعنصرين السيفيين عن تشكيل الفصائل الجهادية المسلحة (1)

كان النظام السوري يتوقع أنه سيقضي على الحراك المسلح كله خلال بضعة أشهر فقط، لكن موارد القوى كانت تنبدل بسرعة غير متوقعة، كما أتيحت للفصائل المعارضة عدة فرص للسيطرة على محاور السلاح، فضلاً عن التمويل والنسج المحدود الذي حصص عليه من الخارج، فاضطر النظام الإيراني لتدخل تدريجياً، كما أمرت طهران حرب الله الشباني بدخول المعركة بالرغم من نفي قائد الحرب مراراً تورطه في المعركة

في سبتمبر 2014 قبل أهم فاده، الفصائل الجهادية السلفية أثناء اجتماعهم في مقر محصن لهم في إدلب، وما زال المصير الذي استهدف لغزاً لا يُعرف بالضبط تورط أي حمار معابر فيه بحج هذا الحدث في إضعاف عزيمة المعارضة، لكن جهودها المصيبة واصلت تحقيق الانتصارات، إلى أن أعلنت روسيا في سبتمبر 2015 تدخلها المباشر في الحرب، وعدم الانكفاء بالدعم، فكانت هذه هي نقطة انقلاب موارد المعركة بعدما كان النظام على وشك السقوط

سقطت مدطق المعارضة الواحدة تلو الأخرى بعد مجازر هائلة، وبدأت سلسلة التهجير في صورة صفقات تسوية، سلم المسلحون المحاصرون بمقتضاها أسلحتهم ونُقلوا بالحافلات إلى أقصى الشمال في الشريط الحدودي مع تركيا، ثم جاء التصريح الصادم من رئيس هيئة الأركان الروسية فلاديمير غيراسيموف في أبريل 2019، عندما قال في مؤتمر أممي بموسكو وبوضوح تام

[1] خرجوا من سجن صيدسيا إلى قيادة فصائل المعارضة، جرسه عيب بلدي enabbaladi.net 7

"إن لقوات الحوفصانية الروسية بدأت عملها في سوريا، تلبية لطلب من النظام دمشق، في مستمير 2015، عندما كان يسيطر على 10% فقط من الأراضي، وكانت الدولة السورية مهددة بالزوال في غضون شهر ونصف أو شهرين"⁽¹⁾



مسي سكي - قرية عنة حوبه في سوريا - khaudakaaba wikipedia

في عام 2016 نشر البروفيسور السوري حميد إبراهيم قطريب بحثاً عن التعبير الديمغرافي في «سوريا المصيدة»، وهذا المصطلح أطلقه رئيس النظام بشار الأسد على محافظتي اللاذقية وطرطوس وأجزاء من محافظات دمشق وزيف دمشق وحمص وحمص⁽²⁾، وجاء في الدراسة أن هذه المحافظات كانت تضم 46% من سكان سوريا نهاية عام 2011، وكان لتوزيع لطائفي لهؤلاء

(1) «اجتمع اسنانه بنطق اليوم وبركيز على «الدمسورية السورية» وبيدل لاسرى»، صحيفة لشرق الأوسط، 24 أبريل 2019

(2) كان لا بد من يستحب في بداية 2016 عن هذه المناطق بأب المصيدة والتي سيدفع عنها بكل قوة، أما المناطق الأخرى التي دمرتها قواته فلا تتمتع بنفس الأهمية

السكان هو 69/ سنة، 21/ علويون، 1/ شيعية، 1/ درور، 2/ إسماعيليون و6/ مسيحيون وبحلول عام 2016 كان عدد سكان هذه المناطق قد انخفض من 98 مليون إلى 76 مليون نسمة، وتغير توزيعهم الطائفي ليصبح 52/ سنة، 24/ علويون، 13/ شيعية، 1/ درور، 3/ إسماعيليون، 7/ مسيحيون، أي أن نسبة الشيعة ارتفعت خلال خمس سنوات من 1% إلى 13/، وتركز هذه الريادة في محافظتي ريف دمشق وحمص، حيث انخفضت نسبة السنة في الأولى من 87/ إلى 54/، بينما انخفضت في الثانية من 64/ إلى 21/ فقط ⁽¹⁾

نصحت الدراسة أيضاً حقائق عن حملات التشييع التي تعود إلى بداية حكم لطائفة العلوية لمورية في السبعينات، مما بين 1970 و2007 بلغ عدد المتشيعين في سورية 76 ألفاً، معظمهم من العلويين وبعد استلام بشار الأسد للحكم حلّقاً لولده تصاعفت نسبة التشييع بين لسنة تحديداً أربع مرات تقريباً ⁽²⁾، لكن التعبير الديمغرافي الهائل حدث بعد اندلاع الثورة في 2011 وشس الجيش حملته العنيفة على مناطق السنة، حيث دُمّرت مناطق واسعة في كل المحافظات ذات الأغلبية السنّية، ما دفع معظم سكانها للفرار داخلياً أو للخارج، لتحلّ محلهم عائلات شيعية وعلوية

ومن ملامح التعبير الديمغرافي المبهج، منح النظام الجنسية السورية للشيعة المترقة الذين قاتلوا إلى جانبه بالتنسيق مع إيران وتوطينهم في دمشق وريفها ومحافظة حمص ⁽³⁾.

(1) حسين براهيم قطريب، "سوريا مقيدة" والتغير الديمغرافي في سوريا، مركز لندن لفيض البحوث

و نشر تحت الاصلاحية، 2016، ص 8 وما بعدها

(2) المرجع السابق، ص 12

(3) المرجع السابق، ص 14

الصراع في اليمن

تذكر بعض المصادر الشيعية قبل اندلاع الثورة والحرب اليمنية في 2011 أن نسبة أتباع الطائفة الزيدية هي 28% من عدد سكان اليمن، إلى جانب 5% من الإسماعيلية، و2% فقط من الشيعة الإمامية الإثنا عشرية⁽¹⁾. لكن لدعم الإيراني لحركة التشيع في السنوات الأخيرة أدى إلى اندماج الكثير من الزيدية بالشيعة الإمامية حتى كادت الحدود التاريخية بينهم أن تزلزل، وكانت فرقة الجارودية هي حلقة الوصل بين الطائفتين⁽²⁾، فهي واحدة من فرق عدة تنتمي للزيدية لكنها أقرب تسميًا إلى الشيعة الإمامية، وقد يعتبرها بعض الزيديين خارجة عن أصول مذهبهم.

تنشأت الزيدية بتاريخها ونظامها السياسي الخاص، فهي لا تتفق مع لشيعة الإمامية الاثني عشرية ولا مع بطريركية ولاية الفقيه، بل كانت تتبع عدة سلالات إمامية حاكمة في مناطق صعدة الجبلية بشمال اليمن. وكان من أشهرها السلالة القاسمية التي أسسها الإمام القاسم بن محمد في القرن السابع عشر، ثم حكمت من بعدها المملكة الموكلمية بقيادة الإمام يحيى حميد الدين المتوكل، الذي توسع طموحه لتشمل كل اليمن ومناطق من جنوب الدولة السعودية المعروفة اليوم، لكن دولته أسقطت بدعم من تنظيم لصباط الأحرار في مصر عام 1962، وانتهى بذلك حكم الأئمة وأقيمت على أنقاضه الجمهورية اليمنية

ظل حم إحياء الإمامة الزيدية حاصراً في أدهن الطائفة، وهم يرون أن الإمام (لحليمة) يجب أن يكون هاشمياً ومن سلالة آل البيت، لكن هذا لا يمنعهم من القبول برئيس غير هاشمي باعتباره حاكماً إقليمياً وليس إماماً للمسلمين.

(1) الشيعة في اليمن، موقع مركز الأبحاث العقائدية (مكتبة مكتب نسيستاني) aqaed.com

(2) عبد الرحمن مجاهد، التشيع في صعدة، دار الأفاق للطباعة والنشر، 2007، ص 54

في عام 1991، "سُيِّس المرجع الفقهي الرئيسي بدر الدين الحوثي (هواليب



بدر الدين الحوثي

(1926) حركة "الشباب المؤمن"، وبما أنه من آل البيت فقد تمتع بشعبية كبيرة، واستطاع أن يستقطب الكثير من شباب الطائفة، لكن الغلبة الجارودية للحركة كان بوابة لنشر أفكار الاقتراب من إيران. تولى حسين الحوثي -نجل بدر الدين-

قيادة الحركة التي تغير اسمها إلى "أنصار الله"، وازداد نشاطها التعليمي والثقافي بين الشباب بشكل أثار غضب السلطات، وكان لحسين الحوثي نشاط سياسي أيضًا عبر تأسيسه مع شخصيات

رسمية حزب الحق في 1990، والذي صار من خلاله بمقعد في البرلمان اليمني.



الشعار الذي ترغمه حركة

نص: سنة 2001

في عام 2003 رفعت الحركة شعارًا جريئًا يقول "الله أكبر، لموت لأمرئكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام"، وصارت حطاب حسين الحوثي مشحومة بالتحريض على مواجهة أميركا وإسرائيل واليهود، وكذلك حطاب الجمعة التي يقدمها أنصاره، ما سبب حرجًا للحكومة التي اتهمت الحركة بالتطرف والعمالة لحرب الله اللبناني

وبعد سلسلة من المصابقات والمفاوضات، بدأت في عام 2004 أولى المواجهات المسلحة بين الحوثيين والسلطات اليمنية، وقُتل فيها حسين الحوثي بمراسل الجيش، فتولى القيادة أخوه الأصغر عبد الملك، وبواصت المعارك حتى عام 2010 الذي شهد الاشتباك أيضًا مع القوات السعودية عبر الحدود، لتأخذ المعارك بعدًا طائفيًا وإقليميًا⁽¹⁾.

وعندما انطلقت ثورة اليمنية ضد نظام الرئيس علي عبد الله صالح عام 2011 وقبض الحوثيون على حبيب المصعبي، ومعجب الاحتجاجات بعد سنة في إقناع الرئيس بالتنحي مع حصوله على الحصانة، وولى نائبه عبد ربه منصور هادي رئاسة لمرحلة الانتقالية ثم وقعت جماعة الحوثي على محرجات لحزب الوطني في مطلع عام 2014 التي نص على برع سلاح كل الجماعات المسلحة، لكنهم لم يترموا بتسليم أسلحتهم، وعادوا للنزال ضد القوات الحكومية في فبراير 2014 للسيطرة على مدينة عمران الشمالية⁽²⁾.

وتحت شعار الاحتجاج على زيادة أسعار الوقود، تظاهر آلاف الحوثيين في صنعاء في 18 أغسطس 2014، وطالبوا بإسقاط الحكومة مع طلاق التهديدات وسط انتشار لمسحهم، ثم أغلصوا مداخل العاصمة، وارتفعت مرة التهديد وحدة التوتر وصولًا إلى السيطرة على العاصمة وإسقاط الحكومة

وفي يناير 2015 استقال الرئيس عبد ربه منصور هادي ونقل إلى السعودية، وفي الشهر التالي اكتمل الانقلاب على السلطة عندما أعلن الحوثيون ما أسموه بالإعلان الدستوري ومن عجائب السياسة أن صالح الذي كان يتمتع بالحصانة وما زال لديه نفوذ في الجيش - تحالف مع الحوثيين

(1) "الحوثيون - فرقة جازوية بحوث من الرديبة إلى الشيع تؤمن بدور اليمن بـ"حروب الغمامة"

وتهاجم الصحابة وترتبط بإيران"، موقع ذي إن إن، 26 مارس 2015

(2) "جماعة الحوثيين في اليمن"، موقع الجزيرة، 12 أغسطس 2009



الدين كانوا من ألب أعدائه طوال عقود. وهكذا سقط ليم في حرب أهلية طاحنة.

أعلنت السعودية مع دول عربية وحليجية أخرى عملية عسكرية تحت مسمى "عاصفة الحزم" ضد الحوثيين في شهر مارس (1)، وامتألت وسائل الإعلام بتحليلات كثيرة عن حرب إقليمية ذات بعد طائفي بين السنة والشيعة، وتحديداً بين السعودية وإيران، بالرغم من محاولة المسؤولين في الرياض إنكار ذلك^(١).

نول التحليلات لوصف "عاصفة الحزم" بأنها خطوة أولى نحو وضع حد للتوسع الإيراني الشيعي في المنطقة، لا سيما بعد اكتساب التحالف تأييد باكستان وتركها -سيامياً وليس عسكرياً- مما يوفر تورباً طائفيًا غير مسبوق في وجه إيران^(٢). كما كشفت وسائل التواصل الاجتماعي عن اكتساب "عاصفة الحزم" تأييداً شعبياً واسعاً من الجمهور السني في المنطقة، في مؤشر إضافي على حدة الاصطفاف المذهبي.

حققت العملية في بدايتها بعض المكاسب، وكالت التصريحات كلها تؤكد أن الأمر لن يتطلب أكثر من أسابيع لنقصاء على الحوثيين وإعادة الرئيس لشرعي إل صنعاء، لكن لحوثيين فاجؤوا حصومهم بقوة تنظيمهم وحيارهم لصورج بالسنية وطائرات مسيره^(٣)، كما مكنت إيران من تجاوز إحصار المفروض على الحوثيين مرات عدة وتهريب الأسلحة لهم وعندما حول صالح التملص من تحالمة معهم في ديسمبر 2017، تمكن الحوثيون من قطع الطريق عليه في محاولته للهرب وقتل على الفور.

(١) "عاصفة الحزم" موسوعة الجزيرة، موقع الجزيرة نت، 26 مارس 2015

(٢) "الجيو العملية العسكرية في اليمن ليست حرباً بالوكالة" موقع قناة روسي اليوم، ١١ مارس 2015

(٣) "عاصفة الحزم: عادة ترتب الأولى انقلابية" مركز الجزيرة للدراسات، 2 أبريل 201٩

(٤) "محمود الطاهر"، ترسانة الحوثيين: حجم ومصادرهم، نون بوس noonpost.com، 1 فبراير 2022



ستمرت الحرب الطاحنة سنوات عدة، حتى أعلنت الأمم المتحدة مراراً أن اليمن يعيش أسوأ كارثة إنسانية على مستوى العالم¹، ولطالما فشلت الجهود في إقناع أطراف النزاع بوقف هذه المأساة التي أحدثت بعداً إقبيماً، حيث تهدف إيران من تدخلها في اليمن إلى دمج الحوثيين وطيفاً في محورها الإقليمي الذي يشمل حرب الله في لبنان ونظام بشار الأسد في سوريا ولبنان الشيعية في العراق⁽²⁾.

تراحمت حدة القتال بشكل ملحوظ بعد وقف إطلاق النار الذي توسطت فيه الأمم المتحدة في أبريل 2022، وظلت الهدنة سارية حتى بعد انتهاء مدتها في أكتوبر 2022. ثم توالى مشروبات التوصل إلى تسوية مع تواصل جلسات الحوار بين الحوثيين والمسؤولين السعوديين.

وإذا وصعباً جداً ملف الأمن وما خلفته لحرب من مأساة إنسانية هائلة، فلا يمكن إغفال ما تعرض له اليمن خلال هذه السنوات من تغيير ديمعري وسياسي، إذ عمل الحوثيون على إعادة هيكلة المؤسسات الدينية خلال فترة حكمهم لتصبح شيعية الطابع، كما تسارعت عمليات سيطرتهم على أراضي في صعباء وغيرها منذ بداية عام 2023 مع قرب التوصل إلى تسوية، وفقاً لتصريحات معمر الأرياني وزير الإعلام في الحكومة التي يعمل في المنفى بالسعودية³، وذكرت تقارير إعلامية أن الحوثيين وصعوا يديهم على أراضي

١. "اليمن يعيش أسوأ كارثة إنسانية على مستوى العالم، والمأساة تعمق أكثر فأكثر مع استمرار الصراع" موقع مكتب صندوق الأمم المتحدة للسكان لنزول الغريه، ٦ ديسمبر 2020

٢. هاشم اشرف علي "المدخل الإيراني في اليمن" لمركز بحري للبحوث والدراسات acsrseg.org ٦8 مارس 2023

٣. "مخصصات حوثية لإحداث تغيير ديمعري بصعباء والحكومة محدة"، موقع انغريدية نت، 5 مارس 2023



في محيط صغاء سرعة وجود وصية تؤكد ملكية "آل البيت" لها، بهدف تطويق العاصمة بمستنعمرات شيعة موالية لنظام ولاية لفقيه (1)

وكانت إيران تعمل منذ الثمانينات على استقطاب الحوثيين والمعلين في قواعدهم الشيعية بمنطقة صعدة، فقدمت الكثير من الملح الدراسية لطلاب الرئيسين لدراسة في حوزة قم كي يعودوا رجال دين شيعية، وفتحت أيضاً دار العلوم العليا والمدرسة الجعفرية في عدن، ومركز بدر العلمي ومركز لدراسات الإسلامية في صعدة، ومدرسة الهادي في صعدة، حيث تقدم هذه المراكز وغيرها دورات تتراوح بين ستة أشهر وعامين تحت إشراف السفارة الإيرانية (2)

ونتيجة لهذا، يمكن القول إن "الهلال الشيعي" (3) الممتد من البحرين والأحساء مروراً باليمن والعراق ووصولاً إلى سورية وليسان قد اكتسب باليمن، هناك حظ متحصل جغرافياً يتفرع أيضاً من شرق إيران ليشمل مناطق شيعية في أفغانستان وباكستان، بما يصمم انتقال المقاتلين لشبهة بين هذه المناطق بحرية، وإذا أضفنا إلى الهلال مناطق الحوثيين في اليمن، فسيصمم النظام الإيراني بالفعل تطويق جزيرة العرب.

ويجدر بالذكر أن قائد الحرس الثوري الإيراني السابق، اللواء محمد علي جعفري حرق الأعراف الدبلوماسية وعترف صراحةً بمشروع "الهلال الشيعي"،

(1) "نحوي يشرح في التعبير الديموقراطي قبل التسوية السياسية"، صحيفة المحدثت عربية 27 مارس 2023

(2) "التدخل الإيراني في اليمن"، مرجع سابق.

(3) حسب بعض مصادر هذا المصطلح إلى الملك الأردني عبد الله الثاني عندما حضر الأميركيين أثناء زيارته لواشنطن في 2004 من وصول حكومة عراقية شيعية إلى المنطقة في بغداد بما يسمح بنظامين الأيراني والسوري بإنشاء حلال شيعي يمتد إلى ليسان، وما زال المصطلح يستخدم كثيراً في المراسلات الإستراتيجية ووسائل الإعلام.

فقال في خطاب جماهيري في عام 2015 "عندما بنم الحديث عن نمو الهلال الشيعي فإن ذلك بعثابة السيف الذي يتم عرسه في قلب إسرائيل الهلال الشيعي يعني نصامس ووحده المسلمين في دول المنطقة مثل إيران وسورية واليمن ولعراق ولبنان والدول الأخرى في المنطقة التي نعتمد بهج لمقاومه" (1) وكان قدة لبطام الأبرني وكبار مسؤوليه بذكرون دائماً وجود مشروع كهذا ويسدور بالمصطليح، ومهم رئيس الجمهورية السابق حسن روحاني الذي تحدث بعد ثلاثة أشهر من نصريحات جعفري خلال مؤتمر في طهران، وقال "ليس لدي هلال شيعي، وإنما لدينا قمر إسلامي، ويجب أن نتحد معاً لمواجهة التحديات والمخاطر التي تحدث بنا" (2)

٩. طموح وتحديات

قد يصعب التنبؤ بمستقبل الطائفة الشيعية سياسياً وديناً، فالتطورات تتسارع باستمرار في ساحات الصراع التي استعرضنا أهمها كان الطموح رومسي وحالاً للغاية عندما تحجب النور الأيرانية في عام 1979، كما كانت لحطة عودة الخميني من مناه وهروب لشاه مبهذاً أسطورياً دفع بحماس الجماهير الشيعية إلى أقصاء، ولم تكن الحرب مع العراق ومن وراءها دول عربية أخرى سوى نتيجة صورية لهذا الاندفاع نحو تصدير لثورة والتعجيل بخروج المهدي، كي يحكم العالم بالعدل وينتقم من "عداء آل البيت" ويرصع له لكمار من كل الطوائف الأخرى ومع أن أكثر من أربعة عقود قد انقضت على تعدد هذا الحلم المؤجل منذ قرون، فما زال هناك من يؤمن به ويسعى إليه ويحس الظن بأنه سيشهده في حياته، ومسؤول الحديث عن هذا الحجاب من الصراع المتعلق بالنبوءة إلى آخر الكتاب

(1) قائد الحرس الثوري الإيراني يقوب علي المكشوف، قناة أوريب or-ent-news.net 8 مايو 2015

(2) صالح حميد، "روحاني ينفي تأكيد قائد الحرس الثوري حول الهلال الشيعي"، العربية نت، 16 أغسطس



مع كل ما سبق، هناك مؤشرات كثيرة على تراجع حماس الأجيال الجديدة في إيران مقارنة بما كان عليه الحال إبان ثورة الخميني، وهذه هي سنة لتاريخ مع كل لثورات التي تسجح في استبدال السلطة، إذ يعمس بعض رمورها في ملذات الحياة وبعيمها، وتبدأ امارات الاستبداد والتكبر بالتسلل إلى نفوسهم البشرية بعدما كانوا يمددون بها أثناء ثورتهم. ثم يظهر الانقسام بين القادة المنقسمين وبين قواعدهم لشبابة الدين يتلقون الأوامر ويرون بأعينهم تناقص سلوك الطبقة العليا مع مبادئها⁽¹⁾

تكرّس هذا الانقسام بعد وفاة الخميني في صيف 1989، فظهر جيل جديد لم يؤخذ رأيه في اختيار شكل نظام "الجمهورية الإسلامية"، وبدأت لمطالب بالتعبير تنقث نهار الإصلاحيين هذه المطالب، ونجح ممثلهم محمد خاتمي في الانتخابات الرئاسية عام 1997، ولكنه لم تسجح في إحداث تغيير حقيقي دحر النظام، بل شهم من المحافظين بالتعاطف مع الليبراليين الراضين لنظام الملالي، والبراهي الاجتماعي الذي أدى إلى انقلاب قمبي في صفوف الشباب⁽²⁾، وعندما فاز ممثل المحافظين محمود أحمدي نجاد في الانتخابات الرئاسية عام 2005 رد د احتقان الشارع، إلى أن تمجر مع فوز نجاد بولاية رئاسية ثانية عام 2009، وبدأت بذلك احتجاجات "الحركة الخضراء الإيرانية"، والتي اعتبرت أول حرك ثوري يعتمد على مواقع التواصل حديثة النشأة، د سمها البعض "ثورة تويتر"، وظهر فيها بقسام الشعب الإيراني ورعية الكثير من الشباب إلى تمكيت نظام ولاية الفقيه وإنشاء نظام ديمقراطي لا يعتمد على الدين

1. نجاح محمد علي "ثورة إيران الإسلامية بعد 30 عاماً إلى أين؟" موقع سويس، نمو 24 swissinfo.ch

فبراير 2009

(2) للرجع السابق.

ستمرت موجة الاحتجاج فريدة العام، وأظهر فيها النظام استعداد للقمع بالقوة ثم تجددت الاحتجاجات في إيران عام 2017 واستمرت حتى أواخر 2018، وسادت مرة أخرى في نوفمبر 2019، ثم خرجت مظاهرات على نطاق واسع في أنحاء البلاد في سبتمبر 2022 عقب وفاة لشيابة مهسا أميني في السجن أثناء حشرها من قبل شرطة الاحلاق بسبب عدم التزامها بالحجاب كما قيل، وأحدث المظاهرات في هذه المرة بُعداً علمانياً وصحفاً، وطهرت فيها ملامح التمرد على الدين، حتى أصبح حلع الصناعات الأعطية عن رؤوسهن خلال التظاهر أو في الصور المنشورة على مواقع التواصل من أبرز صور الاحتجاج والتعدي، بن وصن الامر ببعض شباب لتباهي بصور "سقاط العمامة"، أي التسلل وراء الشيوخ لشبهة أثناء سيرهم في لطرقا والاطاحة بعمانهم على الأرض ثم الهرب^(١) وقد لقيت هذه الاحتجاجات ومطالبها ترحيباً واحياءاً كبيرين في الاعلام العربي



مجاية إيرانية في مكوف كشميه بعد سقوطها في ن سبتمبر 2022

(١) برهام غوندي، مظاهرات إيران 100 يوم على اندلاعها والاضطرابات لا تزال مستمرة، بي بي سي

تشير بعض استطلاعات الرأي في السنوات الأخيرة إلى أن لشباب الشيعة في إيران أكثر ابتعاداً عن الدين من الشباب السنة في الدول المجاورة، بل ينفي الكثيرون عن أنفسهم التشيع بصفة، فهي استطلاع أجرته مجموعة التحيين وقياس التوجهات في إيران GAMAAN، قال 32% فقط من المشاركين إنهم يعرفون أنفسهم كمسلمين شيعة. وهي نسبة صئيلة جداً قياساً إلى الإحصاءات المتداولة التي لا تجد في أي منها أن نسبة الشيعة في إيران تقرب عن 90%!

لم تكن هذه هي المفاجأة الوحيدة، إذ قال 9% من المستطلعة آراؤهم إنهم محبون، و7% روحانيون، و6% محايدون دينياً وهما يتفق بالطوائف الأخرى. قال 8% إنهم زردشتيون، و5% مسلمون سنة، و22% من طوائف أخرى.

وعلى المحاضر بجامعة أوبراكت الهولندية والمشارك في إجراء الاستطلاع تيمبي عرب "يصر المجتمع الإيراني بتحويلات ضخمة، مثل ردة التعلم بمعدل مدلل، وما يشهد للدولة من عمية نمذ هائلة، وتغيرات اقتصادية تؤثر على البدء التفليدي للأسره، وهو معدلات الدخول على الإنترنت بما يشبه دول الاتحاد الأوروبي، وانخفاض معدلات الموليد"

واعتبر تيمبي عرب أن الدراسة النتائج تشير إلى "ارتفاع في العثمانية وتنوع في الأديان والمعتقدات"، وأن المعيار الأكثر حسناً يكمن في "تشكك الدولة والدين بما يتعصب في رفض المكان لمؤسسات الدينية بالرغم من إيمان الأغلبية بوجود الله" (2)

١. جيهنرهوبس وروس سلمان، "هل ابتعد شباب الشرق الأوسط عن الدين؟" dw.com 6



وأراء هذه التغيرات الاجتماعية، هناك من بنى سُلطة مرجعيات الكبرى على الجماهير الشيعية متنصلاً بعد رحيل كل من آية الله علي السيستاني (مواليد 1930) وآية الله علي خامنئي (مواليد 1939)، فمع أن هناك مراجع آخرين يمكنهم ملء الفراغ، لعلهم لا أن الشيعة مثل غيرهم يعيشون في عالم يزداد تفككاً، حيث يحظى المفكرون المجددون بإعجاب الشباب حتى لو لم ينتموا بطرق لتعميم التقليدية في الحوزات ولم يبلعوا درجة الاجتهاد^١. بينما يرفض كثير من الشباب الدين والدين نفسه، أو لا يرغبون على الأقل في أن يظهر للنشيع أثر في حياتهم وبنظرتهم للحياة والنظام السياسي الذي يعيشون في ظله.



١. غور ريجي "قرن على التأسيس ما هو مسجل حوزة قم وعلاقتها مع السلطة والمرحلية الدينية في

إيران؟"، موقع البنت الخليلي للدراسات والنشر، 1 مارس 2023.

الإسلام.. هل تشهد صعوداً قريبا؟

في عام 2015، أصدر مركز بيو للأبحاث⁽¹⁾ دراسة تتنبأ أن عدد معتقي الإسلام سيقفز من عدد المسيحيين حول العالم في عام 2050. وإذا استمرت المعدلات الحالية فسي تساوى العددان في حوالي عام 2070 ثم سيصبح الإسلام هو أصخم ديانة في العالم. وذلك مع أن عدد المسيحيين كان يُقدَّر في بداية لقرن العشرين بنحو 560 مليوناً، مقابل 200 مليون مسلم فقط⁽²⁾.

Long-Term Projections of Christian and Muslim Shares of World's Population

If current trends continue, Muslims would outnumber Christians after 2070



Source: "The Future of World Religions: Population Growth Projections, 2010-2040"

PEW RESEARCH CENTER

(1) "The Future of World Religions: Population Growth Projections, 2010-2050" pewresearch.org, 2 April 2015

(2) Marija Šenč "The Rapid Rise Of Islam In The West: Will Islam Become The Leading World Religion?", eurasianeview.com, 17 November 2022.

وتتجه الدراسة أيضًا إلى أن عبد المسلمين سيتربد بسبب مخطوطة في الدول العربية، وهو الأمر الذي ما زال يثير حميظة اليمين المتطرف في العرب، ويدفع الحكومات إلى سن التشريعات لتقييد هجرة المسلمين، في حين يتغلى المرشد من الشباب عن المسيحية بتسارع حاد، وتحتبط أطروحات لمفكرين في محاولات تقديم الدين العلماني "الإنساني"، ويبدو مستقبلي الحضارة الغربية أكثر غموضًا

ومن اللافت أن دراسة مركز بيو أطلقت مبدأ من لتحليلات والمقالات منذ صدورها في 2015 وحتى اليوم. إذ تساءل الكثير من المحللين لعربيين عن سبب جاذبية الإسلام حتى لدى الكثير من الأشخاص الذين شأوا في بيئات بعيدة ومعايرة للثقافة الإسلامية. وكان من بين الأجوبة ما ذكره عبي سبيل المثال الكاتب لكرواني ماتيجا سيريش قائلا "من المعروف أن جميع الديانات الكبرى في العالم، بما في ذلك الإسلام، أرست أسس المبادئ الأخلاقية والمعتقدات التي تشكل المجتمعات بطريقة إيجابية وتشكل أسسها. يمتلك الإسلام إمكانات هائلة لحل مشاكل مثل لظلم الاجتماعي والعنصرية وعدم مساواة الاجتماعية والصرعات السياسية، كما أنه يحقق الهدوء ولطمانية لمعتقدية المخلصين، ويوفر لهم لتصلح مع الله والناس ومع مرور الوقت سيكون الناس أقل تحيزًا، وأكثر استعدادًا للاستماع واكتشاف حقيقة الإسلام في جوهره. إن جاذبية وجود الإسلام هي التي جعلت منه الدين الأسرع نموًا في العالم ببساطة التعاليم الإسلامية وعقلانياتها وطابعها العالمي تجذب العديد من الأشخاص، سواء أولئك الذين حاب أمليهم من المسيحية، أو لم يكونوا مؤمنين على الإطلاق في السابق" (1).

(1) المرجع السابق.





وقبل أن تنابع بحثنا وساقش بعض الحقائق عن واقع مسلمين اليوم، لا بد أن أتوقف عند نقطة مهيبة، وهي أن منافستي للطوائف في الحصول السابقة كانت تشمل غالباً عوامل القوة والضعف لدى المجتمع الذي يعتنق ديناً ما، بل جانب لقوة الحصرية لهذا الدين والدور السياسي الذي يضطلع به، وحتى القوة الساعمة التي تسمدها منه السلطة في بعض الدول أما عند حديثي عن دين الإسلام الذي أؤمن به، وعن الطائفة السنية تحديداً التي أنسب إليها، فلن أجد للأسف أي دور سياسي يذكر لهذا الدين في أنظمة لدول التي يدين معظم سكانها به، بل أصبح مصطلح "الإسلام السياسي" لدى حكومات هذه الدول وصمة عار لا تُطلق إلا على من يُرمون تفتاتاً في حانة المعارضة ولتأمر، ولا يستحقون سوى المسح والمحي، سواء كانوا منطرقين ومتهمين بالعرف أو مجرد أصحاب فكر، فما أقصده هنا هو أن جميع الحكومات المسلمة تعتبر أي انحراط لهذا الدين تحديداً بالسياسة أمراً مرفوضاً من حيث المبدأ وبعض النظر عن النتيجة، وهذا يعني بطبيعة الحال أن لا نجد دولة تتخذ من الإسلام قوة حصارية يمثلها وتعتز بها وسافح عنها، وبعبارة أخرى، فإن "الحصرة الإسلامية" التي وصفها هنتغتون في كتابه

"صراع الحصارات" باعتبارها كتلة حصارية متجدسة في مواجهة حصارات أخرى وعلى رأسها العرب ليست هناك قوة سياسية تتساها، أو حتى تمثل جرةً منها^١، بل هي حصاره يحملها جزء من المجتمعات المؤمنة بهذا الدين، لكن من يحكمون هذه المجتمعات لا يعملون تلك الحصار ولا يسمون إليها أصلاً.

قد تتحد بعض الحكومات المسلمة من الإسلام قوة ناعمة لاستثمارها، لكن هذا يظل محصوراً في أصيق نطاق، وما يُسعمل في العادة هو أحد المدسب الإسلامية الذي ترى فيه الحكومة ما يحقق التغير والمصلحة، وعالب ما يتخصص في تكريس ثقافة طاعة للمسطة والولاء لها، وهذا ليس من القوة لناعمة للإسلام نفسه في شيء من الأخرى نشونه له.

لذا سيخصص معظم حديثنا لأحوال المجتمعات الإسلامية في العالم الإسلامي والعالميات في بلاد غير مسلمة، فهي التي شكل "الطائفة الإسلامية"، وليست حكوماتها.

١، يحدسي هذا طالان قد يحسب الفارق فهما تمارض مع المذكور علاه، وهذا حكومة أمانيسن الوليدة بعد معنى "حكومة الإمارات الإسلامية" وحكومة تركيا "ما لاوى فهي تجربة بوحيدة التي تربعت شرعيتها وبموهها بانقوه بعد حرب باربعية مع أقوى جيوش العالم وما ريت قيد المجربة ومع ر المجتمع الدولي ثم بصحبا الاعتراف بعد إلا أنه مسطر مكرها في أغسطس 2021 بقبول بوجودها في هذا العالم كأمم واقع وبعض ما ريت براهيب استمراره وبصحب قد ر يحكم بإمكانية تمدهن المجتمع الدولي مع هذا النموذج خشية أن يُسمح في بلاد أخرى حتى لو كان مجرد دولة صغيرة أما الحكومة التركية فهي حكومة مرتبطة بحرب حاكم ذي هوية إسلامية لكنه يحكم ضمن نظام علماني صارم، وحتى لو قبل بها بعض بالفعل الحصاره الإسلامية وبمعنى تنسها في مواجهة الحصارات الأخرى فلا معنى أن النظام السياسي في تركيا ليس كذلك، وأن المفارصه نبي يدعمه نصف الشعب تقريباً لا تعمل تلك الحضارة بل هي أقرب إلى أعدائها منها.



الإسلاموفوبيا

أفردت في كتابي "مستقبل الخوف"، الصادر عام 2021، فصلاً كاملاً لتحليل ظاهرة "الخوف من الإسلام"، مركزاً على صعود اليمين المتطرف في الغرب خلال السنوات القليلة الماضية

ولفهم هذه الظاهرة، كان لا بد من العودة إلى الحدود، ففي بداية القرن العشرين كتب أحد مؤسسي جمعية الشباب القومية في فرنسا مقالاً يحذر من انخفاض معدل المواليد، ومن رحف المهاجرين إلى بلاده لتدمير هويتها. ثم رفع المشايخ والسيرون شعارات ريادة الأقليات في كل من إيطاليا وألمانيا وأستراليا، لكن هزيمة "دول محور" في الحرب العالمية الثانية أدت إلى وضع التوجهات العنصرية في خة التحريم، لاسيما أن "المحرقة اليهودية" كانت من أهم نتائجها



ومع ذلك، كانت لحرب المدمرة سبباً غير مباشر في تدجيج **العنصرية** لاحقاً، إذ احتاجت أوروبا آنذاك إلى عدد غير مسبوق من العمال المهاجرين لإعادة الأعمار، وكان معظمهم من شمال ووسط أفريقيا ومن الهند وباكستان وتركيا، وهم الذين رفضوا لاحقاً لعوده إلى بلادهم ليشكلوا بذلك شريحة واسعة من **المسلمين الأوروبيين**.

ومن السبعينات، بتصاعد باستمرار خطاب اليمين المتطرف في عموم أوروبا والعرب، حيث ظهر آنذاك مصطلح "الاستبدال العظيم" الذي يرغم وجود مؤامرة خفية لتحويل أوروبا إلى مجتمعات مسلمة، ومن ذلك مثلاً تقرير نُشر في صحيفة لوفيفارو قبل 35 سنة يتساءل "هل سيهيئ الفرنسيين في الثلاثين سنة القادمة؟"، والطريف أن المدة انتهت ولم تتجاوز نسبة المسلمين في فرنسا حسب التصديرات 5%، وهي نسبة أقل بكثير من نسب المسيحيين في دول إسلامية كثيرة (1).

ومع أن الجاليات المسلمة في الغرب أقل عدداً وتنتز بكثير من الجاليات ذات الأصول الصينية والهندية، لكن أصابع العنصرية والتحذير تنجّه كلها نحو المسلمين فقط، فالخوف يمتص على ميباريو صعود الإسلام باعتباره ثقافة منافسة لا يمكن احتوائها ولا الصالح معها، بالرغم من أن لجاليات المسلمة لا تسبب ظهورها في أي دولة مسلمة دعت شأن على المساحة الدولية، بينما تصعد الصين والهند إلى مصاف الدول الكبرى التي ينبغي لعرب أن يخشى من منافستهما.

أشرت في كتابي السابق أيضاً إلى التصاعد المتسارع للإسلاموفوب منذ مطلع الألفية الجديدة، وتحديداً بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 من قبل تنظيم القاعدة، حيث أصبح الإسلام هدفاً مباشراً للقوميين المتطرفين، سواء

(1) أحمد دعوش، مستقبل الخوف، دار المازني، تونس، 2021، ص 293.

كأول علمانيين أو مسيحيين متشددين ومع الصبح الإعلامي ليومي لتحويل من
تشار الإسلام، صارت علامات الهجرة واللاجئين و"مقومة الأسمعة" من أهم
لقصبا المطروحة في التوامج الانتخابية للسياسيين في أوروبا، ونمك من خلالها
الهميون من حشد الأصوات لأحزابهم ومشاريعهم على حساب الفصيص لتي نفس
حياء الناس العاديين كالاقتصاد والصمان الاجتماعي والصحة والتعليم

فعل سليل المثال. حشد اليمين المطرف في سويسرا كل طافته في 2009
لطرر سمعاء شعبي يحظر بدء المأذن في البلاد. ومع أن مشهد المأذن نادر
للغاية في كل الدول الغربية، حتى في أكثرها تسامحًا وتعددية، حيث يعتمد
المسلمون غالبًا على شراء الماسي الحاضرة لتحويل إلى مساجد بدلًا من بنائها
ورفع منادبها، لكن هذا لم يمنع اليمينيين من إشعل الشعب كله بالدعاية
المنطرفة على مدى عدة أشهر، لتتوَّج هذه الجهود بتأييد مشروع القوانين بحو
57.5% من الأصوات



لوحة إعلانية في أحد شوارع العاصمة السويسرية عام 2019

ويقاس على هذا التوجه كل ما يكرر في الدول الأخرى من حملات
لاستصدار قوانين من قبيل منع الحجاب في المدارس، ومنع لنقاب في الأماكن
لعمة، ومنع لسياحة بملابس محتشمة (الموركيني)، وتجريم أي طالب أو

طالبه في كليات لطب يمنعان عن معالجه مريض من الجنس الآخر، وتقييد السبح الحلال، وصولاً إلى إغلاق عشرات المساجد والجمعيات الخيرية، وتأتي فريسة دائماً على رأس لدول المشعولة هذه الحملات

ومع اندلاع الثورب والحروب في العقد الأخير، بلغ الرهاب من الإسلام أوجه اثر موجة اللروح من سورية وبقيّة الدول المنكوبة، حتى أصبحت قضية الحفاظ على الهوية لدى الدول العربية عن رأس الملفات الساحة في معظم الحملات الانتخابية

واللافت أن أكثر الدول الأوروبية استقبلاً للمهاجرين، وهي المديب، لا يكاد المسنون يشكّلون فيها جالية مؤثرة سياسياً أو ديموغرافياً، فبعد كل الصحيح الذي أطلقه اليمينيون عن مؤامره "الاستبدل العظيم" أصدر مكتب الإحصاء الفيدرالي الألماني للسكان الاحاب إحصائية في 2022 توصح أن عدد اللاجئين السوريين منذ 2011 بلغ حوالي 876 ألفاً فقط، أي أن البلاد استقبلت أقل من مليون سوري لإدماجهم في مجتمع يضم 83 مليون إنسان⁽¹⁾

وحتى عندما يستشهد اليمينيون بالإحصائية التي تؤكد أيضاً أن أكثر من ربع الألمان ينحدرون من أصول أجنبية مهاجرة⁽²⁾، أي أن أحد الولدين لم يكن يحلّ الجنسية الألمانية عند الميلاد، فهذا لا يعني أن الميلاد تفقد هويتها الأوروبية المسيحية، فنسبة المهاجرين من أصول تركية تبلغ تقريباً 4% فقط، أما نسبة المهاجرين من أصول بولندية وإيطالية ومن دول أوروبية شرقية فتزيد عن الصعف، لذا فإن نسبة المسلمين في كل ألمانيا لا تكاد تزيد عن 6% فقط⁽³⁾، علماً بأن الكثير من أبناء هذه الجالية لا يتمسكون بديهم أصلاً

(1) "ألمانيا تبصر إحصائية جديدة حول اللاجئين السوريين على أرضها"، موقع سترين سورب

syna.tv، 20 أبريل 2022

(2) "المصدر روتترز"، 13 أبريل 2022

(3) بالرغم من أنني هذه النسبة، فقد اعرب مستعدر ألمانيا "ألبين هيلموت شبيت" عن ندعه على



ومن تعجيب ان خطابات الحفاظ على الهوية من "عرو" الثقافة الإسلامية صدر مشتركاً لدى اليمين واليسار في معظم الدول الأوروبية، فهناك ارتعاج ومخاوف تختلف حدة التعبير عنها من أي ظهور لمظاهر لتدين الإسلامي لمفرد، حتى لو كان مقتضياً على ملائمة أصحابه وطريقة تناولهم لطعام وأدائهم للصلاة من غير أن يتعدى ذلك إلى ما هو خارج نطاق حياتهم الشخصية، إذ ينصو المسيحي مع الملحد في أوروبا على الخوف من أن تؤدي هذه المظاهر إلى "أسلمة" الفارة، مع أنهما يمارسان في الوقت نفسه طقوس اليوغا الهندوسية على الملأ، ويستمتعان بمظاهر انتشار الثقافة البوذية في كل المدن الغربية الكبرى تقريباً. سواء في الأحياء التي تسعى عادة بالقرية الصينية (China Town) أو في أي مكان عام، ومن غير أن يبدد أحد على الإطلاق بهذا العرو الثقافي الوثني القادم من الشرق كما أن جميع مظاهر "الأسلمة" التي تتجلى في تزايد أعداد المسلمين وانتشار مساجدهم في الغرب لا تكاد تُقارن بالوجود المسيحي في بلاد المسلمين، سواء كان وحوذاً أصيلاً كما في سورية ومصر أو حادثاً كما في بعض دول الخليج، ومع ذلك لا يكاد يُسمع صوت في الشرق أو الغرب عن المخاوف على هوية هذه البلاد من "العرو المسيحي"، بالرغم من فارق القوة بين العالمين!

هل يصمد الإسلام في الغرب؟

تشير الدراسات والاستطلاعات التي أُشْرِبَ لها سابقاً إلى أن المسيحية تنحدر إلى الأهل في معظم الدول الغربية، فهل هذا يعني أن الإسلام سيملاً حيزاً مهماً

سبحه بغيره أعمال المسلمين. وقال في مذكراته لصادره عام 2004 إن التجمع بين المسيحية والإسلام حتم صعب أسأل فعلاً عن حالة الجسولي، وقد في بوربون الجين الثالث من الماخرين المسلمين،

مجلة اتجاهات الأحداث مركز البحوث للدراسات المتقدمة، أبو ظبي، فبراير 2019



من الصراع الناشئ عن انحصار المسيحية؟ أم ستكون لعبة للإلحاد واللايديية والروحانيات الجديدة؟

تبدو الإجابة على هذا السؤال معقدة للغاية، فالنغيرات الاجتماعية تتسارع بوتيرة قد لا يلاحظها بعض الباحثين، كما تتطلب الأجاية الحصول على معطيات حديثة لجواب عدة، ومنها إحصاء عدد المسلمين المواطنين على لعبادات في العرب وعدم الاكتفاء بمن ينسب للإسلام من غير الترم، وكذلك إحصاء عدد معتنقي هذا الدين من العربيين، ثم تحديد أعداد الحارحين من الإسلام، سواء كانوا من أبناء المهاجرين أو ممن اعتنقوا الإسلام ثم هرقوه وينبغي أن يربط هذه المعطيات بمعايير دقيقة لقياس قوة المجتمعات لمسمة في العرب من السحمة السياسية والاقتصادية، وإحصاء أعصائهم لا يعطي بالضرورة تصورًا سليمًا لمدرة هذه المجتمعات على توحيد صفوفها وتشكيل قوه انتخابية مثلاً، ولا لمدرتها على تشكيل جماعة للمصطف (لوبي) يمكن الاعتماد على إصدار التشريعات في المجالس التشريعية وبلدية

حاولت أثناء إعداد هذا الكتاب الحصول على دراسات أو إحصاءات بشأن واقع التدين لدى الجيل الثاني وما بعده من مسلمين في العرب، وعمدت أن هناك مشروعًا لإجراء دراسة شاملة لدى جامعة أميركية في المستقبل لقريب، أما المعطيات المتاحة حاليًا فتبدو شحيحة، إذ عثرت على إشارة لدراسة أجريت في الولايات المتحدة، وكشفت أن 32% من الدين تربوا على الإسلام لا يعتنقونه في مرحلة البلوغ¹، كما أشار الشيخ خالد حمدي رئيس لجنة المئوى في ألمانيا إلى دراسة صدرت عام 2021، وجاء فيها أن نسبة الشباب الذين يؤدون صلاة الجمعة في ألمانيا تبلغ 25% فقط، أما نسبة من يلتزمون بالصلوات الخمس في

1) Darren E. Sherkat "Losing Their Religion: When Muslim immigrants leave Islam"

foreignaffairs.com, 22 June 2015.



مسار لهم فتبلغ 37%. سيما أقرّ حوالي ثلث أبناء الجيل الثاني من المهجرين المسلمين بأنهم ملحدون (1)

ومع أن هذه النسبة تبدو مرعبة، فإنها لا تعكس واقع المسلمين بكل أبعاده في لغرب كله، وعندما يقارن وضع الشباب من أبناء الجالية المسلمة في ألمانيا بأقرانهم من الألمان الأصليين فالنمط يبدو محتلماً بوصوح، أما إذا قرأناها بوصف لشباب المسلمين في بلادهم الأصلية فقد لا تكون لتنتج صدمة كما سيأتي لاحقاً فعلى سبيل المثال، وصف ثلث الشباب التونسيين أنفسهم بأنهم غير متدينيين في 2019. وهي نسبة تقترب مما يذكره المصدر لسابقة عن تحوّل عن لدين من أبناء الجيل الثاني في الولايات المتحدة والمكسيك

من ناحية أخرى، قد لا يشكّل تحلّي تلك النسبة الكبيرة من الشباب عن إسلامهم، أو تساهمهم على الأقل مع الصلاة، بهية القصة فقد يصنّ معظم هؤلاء على النمط هويتهم الإسلامية حتى مع إقرارهم بالتفصيل السلوكي والشفائري، أو حتى العقدي، فبعض الدراسات تشير إلى أن غالبية أبناء الجيلين الثاني والثالث يعزّزون أنفسهم على أنهم مسلمين، قبل انتماء آبائهم القومي، وأيضاً قبل كونهم "أوروبيين" ². وقد يقوّي هذه المقولة ما جاء في الدراسة المشار إليها سابقاً عن أبناء الجيل الثاني في الولايات المتحدة، فمع أن 32% منهم لم يعودوا مسلمين إلا أن نسبة من لا يحملون أي هوية دينية هي 18% فقط، أي أن أكثر من نصف الدين رتّبوا (وهم الشك) ما زالوا يقرّون بهويتهم الدينية.

1. "كارتة هدد نجهن النبي ونالّث من المسلمين بأوربا"، موقع الجزيرة مباشر mubasher.ahjazeera.net

19 أبريل 2022

(2) "ولد في أوروبا"، مرجع سابق.

وفي دراسة أخرى أجراها معهد إيسوس للاستطلاع **موقف** الشباب المسلمين في بريطانيا عام 2018، مثلت عينة من الشباب عن دور بعض العوم في تشكيل هويتهم، فكانت العتلة تأتي في الصدارة لدى الجميع، ثم قل 74% من الشباب لمسلمين إن الدين يأتي في المرتبة الثانية، مقارنة بلسبة 48% من الشباب الهندوس، و23% فقط من الشباب المسيحيين¹

يضاف إلى ما سبق أن الاستطلاعات تشير إلى يسب الشباب الدين اختاروا العلمانية أو الاتحاد، لكنها لا تمنأ بمصيرهم المستقبلي، فمن خلال تعهد لتوقع المعاش يرى أن بسبه معتبرة ممن يقررون التحلي عن دينهم -وخصوصاً في سن لمرهقة تعود إليه لاحقاً، ولا سيما أولئك الذين ما زالوا يقررون هويتهم الدينية مع أنهم يعتبرون أنفسهم غير مسلمين

في 2015، اصدرت عائلة الاجتماع التركية الرسمية بيدهير غول كتاب بعنوان "مسلمون في الحياة اليومية تحقيق أوروبي حول الجدل لمحيط بالإسلام"، ووثقت فيه نتائج مقالات أجرتها على مدى خمس سنوات في أنحاء أوروبا مع الكثير من الشباب المسلمين لخاصين للجمعيات الأوروبية، وخصيت من خلال بحثها إلى أن غالبيتهم يمارسون تعاليم دينهم وفقاً لسباق الأوروبي، أي أنهم تمكنو من إيجاد "مسوية مؤقتة" لتأقلم مع الحداثة ولعلمانية من دون التحلي عن دينهم وخصوصيتهم وهويتهم

وبحسب الباحثة أيضاً، أنتج الجيل الثاني من المسلمين أشكالاً جديدة من التهجين تختلط فيها الهوية الدينية مع الثقافة الأوروبية، وتصيف أن هؤلاء مدمجون تعاف لأهم متمكنون من اللغة ولديهم وطائف جيدة ويعرفون

1) "A review of survey research on Muslims in Great Britain" Ipsos Research Institute March



تقاليد وقوانين بلادهم العربية التي ينسبون إليها، ولكن عندما يبرسون ممارسة تديهم يبررون ويظهر تميزهم بدلاً من أن يدوبوا في المجتمع⁽¹⁾

وبالعودة إلى الدراسة الصادرة عن مركز بيو في عام 2015، والتي اهتمت بها هذا المصدر، فمن المتوقع أن تصل نسبة المسلمين في أوروبا إلى 10% بحلول 2050، وأن تتجاوز نسبة المسلمين في الولايات المتحدة نسبة اليهود بحلول العام نفسه⁽²⁾. علماً بأن السبب الرئيس لهذه الزيادة هو ارتفاع معدلات الولادة عند المسلمين، إذ تنوقع الدراسة أن عدد الدين سيعتصموا الإسلام حول العالم حتى 2050 هو ثلاثة ملايين فقط وفي دراسة أخرى، يتوقع الباحث في جامعة لندن ريك كوفمان أن المسلمين سيشكلون 15% من الأوروبيين الغربيين بحلول عام 2050⁽³⁾، وليس 10% فقط

من جانب آخر، تشير دراسة صادرة عن مركز بيو في 2018 إلى أن عدد الأميركيين الذين يعتنقون الإسلام يعادل تقريباً عدد أبناء المسيحيين الذين يحارون الخروج من الدين، ما يعني -بحسب الدراسة- أن طاهرة التحلي عن الإسلام لن تؤدي عملياً إلى نقص عدد المسلمين وورهم لنسبي في لولايات المتحدة طالما يتم تعويضهم بأعناق الآخرين لهذا الدين، فضلاً عن ارتفاع معدل الولادة لدى المسلمين⁽⁴⁾

(1) ريم فرج، "نجيب الثاني من المسلمين الأوروبيين مؤلفات بين الدين والحداثة"، مركز ميسار للدراسات almesbar.net، 2 أبريل 2018

(2) "The Future of World Religions: Population Growth Projections 2010-2050" pewresearch.org 2 April 2015

(3) Darren E. Sherkat, Op cit.

(4) "The share of Americans who leave Islam is offset by those who become Muslim" pewresearch.org, 26 Jan 2018

أثناء إعداد هذا الكتاب أيضًا حدثت تطورات سياسية غير متوقعة، وكان لها أثر بالغ الأهمية على هذا الملف، ففي 7 أكتوبر 2023 ضمت فصائل لمقاومة في غزة هجوميًا صخميًا على الكيان الصهيوني، مطلقًا نحو خمسة آلاف صاروخ على مناطق متفرقة، بالقرام مع هجوم بري على غلاف غزة، وكانت هذه نقطة لتهديده لعدوان إسرائيلي وحشي، وبدعم غربي ماهر، ضد قطاع غزة بالكامل وبطريقًا لصخمة الحدث على كل الأصعدة، فقد سلطت أصواء الإعلام العالمي كله على غزة. وبعدها اكتسب الصهاينة تأكيدًا هائلًا في بداية الأحداث سرعان ما قلب لهم الشباب الغربي ظهر المجن.

كشف استطلاع للرأي في منتصف ديسمبر 2023 أن 51% من الشباب الأميركيين، الذين يتراوح أعمارهم بين 18 و24 عامًا ويُطلق عليهم اسم "جيل زد"، يعتقدون أن الصراع في هذه المنطقة لن ينتهي إلا بفتحك دولة إسرائيل ورحيل يهود عنها وعودة الفلسطينيين إلى أراضيهم، مما دفع العديد من الصحف الأميركية والأوروبية للتعبير من بيعات هذا التغيير لصدم ولسرعة في ثقافة الجيل الجديد، بينما ظهرت حملات ضخمة على مواقع التواصل لتشكيك في كل ما نشأ عليه هذا الجيل. حتى تدفّل الملايين "رسالة بن لادن" متحدثين عن صدمتهم من اكتشافها، وهي رسالة سبق أن نشرها زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن في صحيفة "غارديان" البريطانية عام 2002، عقب أحداث 11 سبتمبر 2001 والحرب على أفغانستان، حيث شرح فيها للشعب الأميركي أن الجواب على السؤال الذي كان مطروحًا آنذاك "لماذا يكره المسلمون؟" يلخص في دعم الولايات المتحدة المباشر لجرائم الاحتلال الصهيوني، مصيقيًا "يجب الانتقام للدماء التي تسيل من فلسطين على قدم المساواة يجب أن تعلموا أن الفلسطينيين لن يبكو وحدهم؛ ونساءهم لن

الأغرب من ذلك هو حملات التعرف على الإسلام التي أطلقها الشباب الأميركيون في هذه الفترة، والتي بدأت بدفع الفصول لاكتشاف حلقات لصراع فلسطيني إسرائيلي، وأيضاً لمهم السرّ العجيب الكامن وراء قدرة أهالي غزة على الصمود في وجه آلة القصف الوحشي، وكاتب النتيجة حول نفوح من الشباب في الإسلام ولم يستطع التوصل إلى إحصاءات أو استطلاعات لفهم بعاد هذه الظاهرة، لكن يمكن الاستئناس ببعض التقارير والتغطيات الإعلامية، ومنها مثلاً ما نشرته محطة "فوكس نيوز" لبيعية الأميركية، التي أبدت برعاجها الشديد من ظاهرة اعتناق الإسلام، واستضافت للجدّة المرتدة عن الإسلام آياں هرمي علي لتبدي اسمها على الشباب لدين اعتنقوا هذا الدين (2).

١٠) صمغ العربي رسالة جن لانس ١٤٠١: أعداد خاصون أميركيون التذكير بها ٢٠٠٠، نيويورك، ١٨ نوفمبر

2023

(2) Ba'ee H. "Progressive Western women converting to Islam sharing reasons on social media since 10th Hamas attack" foxnews.com, 20 November 2023



بشرف معهد هارفورد للأبحاث الدينية وجاء فيها أن ثمانية آلاف امرأة أمريكية اعتنقن الإسلام في العام الذي أعقب أحداث 11 سبتمبر 2001⁽¹⁾

وبالرغم من تفاؤل كل ما سبق من حملات وإحصاءات، ولدي تشير في المحصلة إلى تزايد عدد المسلمين في العرب، وهذا لا يعني بالضرورة أن قوتهم التنظيمية ستزداد، فالحكومات العربية تعمل جاهدة على احتوائهم وإدماجهم، وصولاً إلى ترويضهم في النخاعة العربية، بسبب لا نسمع كثيراً عن جهود موارد من قادة الجاليات لصدد هذا الاحتواء

بتفصيل بعض المراقبين بوصول عدد متزايد من أبناء المسلمين إلى مناصب قيادية⁽²⁾، ولكن معظم هؤلاء الواصبين قد حققوا بالفعل شروط الاندماج قبل وصولهم، ومهم مثلاً رشيد طليب وإلهان عمر، أول مسلمتين تصور بعصوية الكونغرس الأمريكي، وصادق خان عمدة لندن، أكبر مدن أوروبا، وحمزة يوسف الذي نجح في سن السابعة والثلاثين في الفوز بقلب أول مسلم يتزعم لحزب الوطني الأسكتلندي ويرأس الحكومة نفسها هؤلاء جميعاً يصزحون بديدهم لما يسمى "حقوق المثليين" وانخراطهم في الأجندة الليبرالية اليسارية، بل فاجأ حمزة يوسف الجالية المسلمة عندما سئل في لقاء تلفزيوني أثناء حملته الانتخابية عما إذا كان يرى في رواج الضواد حسنة معصية دينية، فكان جوابه "أنا أؤمن بأن هذا لرواح ليس أقل من رواجي لشخصي من امرأة"⁽³⁾، ومع أن السؤال كان عن إيمانه بالحكم الشرعي وليس عن موقفه

(1) "Millennials and Gen-Z women are sharing their conversion to Islam in wake of Israel-Hamas war", [dailymail.co.uk](https://www.dailymail.co.uk), 19 November 2023

(2) "Millennials and Gen-Z women are sharing their conversion to Islam in wake of Israel-Hamas war", [dailymail.co.uk](https://www.dailymail.co.uk), 19 November 2023

(3) يمكن الاطلاع على كتاب نشرته وزارة الخارجية الأمريكية بعنوان "الأمريكيون المسلمون" وساهم في كتابته النائب الأمريكي المسلم كيث إيفسون والناشط شاهد أمين الله وممثلة أريانا نيمبقة داليا مجاهد، وغيرهم

(4) السؤال ورد في مقابلة على قناة سكاي نيوز في فبراير 2023

السياسي فقد احتذر الانحياز لما يعترض حذرًا مع حكم الإسلام، وهو موقف لم تحج إليه المرشحتان المناهضتان له على رعاية حرية مع أيهما من غير المسلمين!

ومع أن بعض هؤلاء السياسيين المسلمين ما زالوا يلتزمون بأداء لشعائر الديانة من صلاة وصيام وحج، كما تصر إليهم أيضًا على مطهرها الإسلامي بالحج، لكن أحراهم لم تجد في ذلك -كما يبدو- هديدًا للثقافة والهوية العربية، ما يوحي بأن لتوافق المكري هو لشرط الررس للاندماج المطلوب، أما الالتزام بالعبادات فلا يشكل عائقًا طالما ظل محصورًا في نطاق الممارسة الشخصية

وعلى هذا الأساس، يزايد الجدل بشأن جدوى وصول المسلمين إلى المناصب السياسية، إذ يرى البعض أن هؤلاء السياسيين ما زالوا قادرين على خدمة قضايا الجاليات المسلمة، فضلًا عن القضايا الدولية الأخرى كالمعلقة بفلسطين وكشمير والاعور، حتى بعد تحللهم عن قضايا الأخلاق الأسرية ودعمهم للأجندة اليسارية، بينما يشكك آخرون في الأمر برمته، ويعتبرون تقديم التدرجات السابقة هو السبيل الوحيد لوصول بعض المسلمين إلى مناصب عليا، ما يؤدي في المحصلة إلى حرمان المسلمين من المنافع المأمولة، بر يشوه صورة الإسلام نفسه بعملته وتحويله إلى وسيلة لمصالح شخصية وحزبية.

وإذا وصفت المعايير السابقة حاليًا في سبيل البحث عن معايير أخرى، فقد تتضاءل البعض ترس عدد المسلمين لارتفاع معدلات الولادة وتدفق المزيد من المهاجرين، أو بتزايد عدد المساجد والمدارس والجمعيات الإسلامية في معظم لدول لغربية -باستثناء فرنسا التي شرعت في إغلاق العشرات منها- أو بتوالي مظاهر تكرس الوجود الإسلامي منذ امتلاء بعض الشوارع ولساحات بآلاف المصلين في سنوات التراويح والاعباد، وتربس أحد شوارع لندن في رمضان.



والسماح لمساجد مدينة مينسك بوليس الاميركية برفع الأذان عبر مكبرات الصوت للصلوات الخمس

وقد يجدر بنا في هذا السياق الامتنان بتصريح وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف في منتصف 2023، عندما قال إن الإسلام يشهد في بلاده نهضة غير مسبوقه، لكن هذا الشاء كان مشموعاً بإشارته إلى مشاركة العديد من مسلمي الشيشن في الحرب على أوكرانيا¹. مما يدكر في المقاب بمشاركة عدد من الأوكرانيين المسلمين في المعارك ضد الروس، حيث يرفع المسلمون من الطرفين شعارات إسلامية "جهادية" لمعائلة الآخر وبفس المسووعات التي يسوقها الفادة لسياسيون من كل طرف وهذا المثال يعيد إلى الواجهة واحدة من أهم المشكلات التي

تعصف بالجاليات المسلمة، فهي في الغالب منزوعة القرار وخاضعة لتقلبات السياسة، وما زال ههنا الأول هو حماية أبنائها من الانجراف في تيار الحداثة والإلحاد ومنعهم من الذوبان، أما التحول إلى كتل مؤثرة وقوى فاعلة فما زال حلقاً بعيد المنال.



الجامع الكبير في موسكو (A.Savvin)
(Wiki Commons)

¹ لافروف (إسلام في روسيا يشهد نهضة غير مسبوقه - موقع روسيا اليوم arabic rcom، 19 مايو 2023

وتعيقاً على قوة المسلمين في روسيا، يستشهد المؤلف لرومي يوري ميخائيلوف، لدى أسس دار النشر "لادومير" في مطبع السعديتات، وقد رآل مهتف مد ثلاثة عقود بتعريف الروم بالثقافة الإسلامية، حيث نشر في 2002 ترجمة لمعاني لمرس الكرم وكان قد نشر في عامي 2005 و2006 مقالات أعدد طبعها لاحقاً في كتب، وهو مترجم إلى العربية بعنوان "حان الوقت لهم الفران"، وهو يحاطب فيه الطبقة السياسية في روسيا لإقناعها بالاستفادة من قوة الجالية المسلمة الصخمة في بلاده، بحيث يصبح الإسلام أحد أركان الدولة لتتصدر "الوجه الامامي للشرق" في مقابل العرب، كما يدعو في كتابه إلى تأسيس جامعة إسلامية عالمية في موسكو، على أن يكون من أهدافها تكوين لعيب إسلامية من "رجال الدين الذين يدودون عن مصالح روسيا في الأقاليم" ¹، أي أن المشروع الذي ينادي به ينحصر في الهاية بتحقيق مصالح روسيا الإستراتيجية عبر احتواء قوة الإسلام الروحية والأخلاقية والحصارية وصهرها في بوتقة الحصار الأرتودكسية التي تقودها روسيا في مواجهة لعرب لعثمان.

وبالخلاصة، سيكون من الصعب في الوقت الراهن ترجيح أحد جدي التفاؤل والشاؤم، فقد تجري الرياح باتجاه غير متوقع وفي وقت قصير كما هو حال السبسة دائماً لكن الوقوف على واقع لجاليات المسلمة في العرب قد لا يكون معيذاً وحيداً لتنبؤ بحال الإسلام نفسه هناك، فعندما عصفت الأزمة المالية باقتصادات الدول الكبرى في عام 2008 تعالت الأصوات من العرب نمسه للاستفادة من نظام التمويل الإسلامي لكبح جماح لتقلبات المدمرة في لظام الربوي، لذا قد لا نكون معرقين في الأحلام الرومسية عندما نضع حتملاً لسياربرو امتاح جزء من العرب في المستثمر القريب على الإسلام.

¹ يوري ميخائيلوف، حان الوقت لهم الفران، مؤسسة وعي لدراسات والأبحاث، نسوخة، 2023.



شريعة وعقيدة، سواء للبحث فيه عن حلول لمشكلات العالم. أو حتى للبحث عن أحوبة للأسئلة الوجودية والخلاص في الآخرة وربما لا يكون للجاليات المسماة "الصعيقة" نفسها دورٌ في ذلك. بل قد يأتي هذا لبعث على يد مفكرين وعلماء وسياسيين عربيين بمبادرات داتية ولكن عليها ألا تسيء أيضًا أن نحاح مشروخ كهذا من د حل الغرب نفسه يطلب نفسًا جديرًا لأهم أسس لثقافة العربية التي تشكلت على مدى قرون، فقد يقنع سنوًا آلاف العربيين من العوم والنخب على المواءم برسالة الاسلام، لكن إصاع شريحة معتبرة من المجتمع بها سيتطلب تعبيرًا عميقًا لمط الحياة وأسس لتمكين، وهو أمر يبدو صعب المال حتى لو لم يكن مستحيلًا.

قبل نحو قرن من الآن، اعتنق صحفي يهودي بمسوي الإسلام وتحول إلى مشكّر إسلامي متحمس يحمل اسم محمد أسد^١. وكان رحمه الله يبيد تماؤلاً بقدره الإسلام على حل مشكلات العرب، ولكنه كان يراه مكبلاً بتخلف معتنقيه، فكتب كتابه "الإسلام على مفترق الطرق" لمحاولة لفت أنظار المسلمين إلى ضرورة الإصلاح الداني "أما مالكوم إكس^٢، الدشط الأميركي الذي اعتنق الإسلام بعد أسد بنحو عقدين، فكان يرى احتمال العنور على حلول لمشكلات العرب وعلى رأسها العنصرية بالعودة مباشرة إلى مديع

^١ كان رحمه الله صحفيًا يهوديًا ينجو في انحاء العالم الإسلامي، ثم اعتنق الإسلام واكتسب الجنسية البكستانية وبرز عدد من المؤلفات المهمة، وبقي عام 1992، أما الكتاب المذكور فترجمه الدكتور عمر فروخ، وهو مطبوع لدى دار العلم للملايين عام 1987

^٢ كان رحمه الله من الشباب السود المنحرفين في أعمال العصابات في شيكاغو ثم اعتنق الإسلام في المسج على يد جماعة "أمة الإسلام" التي كان يهودها الإلجي محمد، وفي جماعة عصرية سوداء تدعى مفهوم مشوة بالإسلام، تكن مالكوم إكس إكتشاف الإسلام المعدل بعد أدبه سحق، واصطدم بالجماعة التي رفضه بعدما كان يهدف بانسها حتى اعين رحمه الله عام 1965 قبل أن يبيع من



الإسلام ومن دون انتظار الدعم من بلاد المسلمين. ثم جاء من بعدهما الدبلوماسي الألماني مراد هوفمان، ليعتق الإسلام بسوره ويحاول تقديم رؤية أكثر واقعية



محمد أسد رحمه الله

ففي كتابه "الإسلام في الألفية الثالثة"، يبرز هوفمان العديد من المشكلات والحوال، ثم يقول "إنني أثق في قدرة الإسلام على النجاح في أن يستبدل بالموذج القائم بمودجه المأذر على تجاوز فشل الحداثة، وذلك بالرغم من القصور بين أنشاعه"⁽¹⁾

١. مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، بيانه في صمود، ترجمة ياسين يرهيم وعادل المنعم،

وعندما نشرت الكاتبة الأميركية المسلمة بيبي باومن *الاشتراف* مع الكاتب عظمّر حكيم- كتيّبا بعنوان "الشمس تشرق في الغرب" بـهية القرن الماضي، وحولت أن نشت فيه أن مشروع تجديد الإسلام قد يطق من الولايات المتحدة نفسها ليعمّ العالم كله، استنادًا إلى فكره تطابق قيم الإسلام مع قيم الثورة الأميركية، شكّت هوفمان في هذا الطرح الرومسي، واستشهد بأثلة عديدة لصعب المسلمين في أميركا قبل بشارته إلى أفكار بيبي باومن، وقال في كتابه "الإسلام في الألفية الثالثة" إن احتراق الإسلام لعرب وتحقيق تنصار فيه أمر غير متوقع حاليًا، حتى في أميركا الشمالية.^(١)

واللافت أن هوفمان نشر كتابه قبل هجمات 11 ستمبر بـقيل، مشيرًا إلى ما يتعرض له مسلمو أميركا من اضطهاد ومهامات جائزة بالإرهاب، ولا سيما على يد اللوبي الصهيوني، مستبعدًا بذلك أن يستمد الإسلام بو عت مهصته للألفية لثلاثة من أميركا^(٢). ولا شك في أن هذا أصبح كثر وصوح وتأكيدًا بعد هجمات تطعيم القاعدة وانطلاق ما سمي بالحرب على الإرهاب ود كان هذا هو حال المسلمين في أميركا الشمالية التي بعد موطنا للأقبيات المهاجرة وساحة لسافس الأيديولوجي، فإن الدول الأوروبية داب الثقافة العريقة والقوميات الممتكة باريحها وهونها هي أكثر تعسا بكثير إراء أي بعث إسلامي قد يطل برأسه من داخل مجتمعاتها

٢. وماذا عن الشرق؟

تحدث هوفمان مطّولا في كتابه عن الحريا الرائعة لمجتمعات مسلمة ولتي سحرت العديد من معتنقي الإسلام الغربيين وقبعتهم بالهجرة نحو الشرق، وعندما اتقن المؤلف رسم هذه الصورة الامدشرقية اليديعة، أفرد

(١) المرجع السابق، ص 243

(٢) المرجع نفسه، ص 240

عشر صفحات للحديث عن النصف المارغ من الكأس كي تكتمل الصورة، فتحدث عن غياب العدالة الاجتماعية ومظاهر الترف والبدخ لمصرطين في بعض الدول العربية، كما انتقد استثمار الاموال المائصة لدى الحكومات والأفراد في البنوك الربوية العربية، متسائلا عن سبب التساهل في ارتكاب هذه الخطيئة الشرعية الكبيرة.



مراد هوفمان (by Farawneh, WikiCommons)

تحدث هوفمان أيضاً عن معصلة الاستبداد والسلطة المطلقة لمطلقة وغياب المسائلة، وعاد بالمرس إلى نوراء ليمول بن حمبة التراجع الحضاري التي بدأت في القرن الخامس عشر الميلادي تكشف أن الانحطاط هو الذي أدى إلى

الاستعمار وليس العكس. فأصل الوباء نابع من الداخل. وهو **لدي** دفع الآخرين للطمع في احتلال بلاد المسلمين وتغيير أنظمتها وسلب ثرواتها

ومن الأمراض المؤلمة التي أشار إليها هوفمان شيوع عملية المؤامرة لدى الكثير من المسلمين اليوم، فمسبها إلى تصنيف مفهوم لتحديد وتوسيع مفهوم البدعة، حتى أصبح السديد بالبدعة سلاحاً يُرفع في وجه كل يسعى للتجديد المكري، ما أدى بطبيعة الحال إلى الجمود المكري⁽¹⁾

وهذا النقد العميق، يبدو لي أن هوفمان لم يفع في فتح التمييز، فنظام كانت لصورة لشائعة عن العالم العربي أنه يصمم أكثر المجتمعات تجانساً، وخصوصاً أن حرية التعبير فيه مثبته، فحتى لو كانت السلطات المستبدة مسلخة عن الدين فإنها تمسك الحماظ على المظهر المحافظ للمجتمع من خلال الصرايات والبيئة، مع الإمساك بمرام "المؤسسات الدينية" ليبقى الخطاب الديني حاصلاً لسيطرتها ومحققاً لمصالحها

ولكن هذا الواقع تغير جدياً منذ مطلع الألفية الجديدة، ففي ظل ثورة الاتصالات والمعلومات لم يعد الحجب ممكناً، كما لم تعد لسلطة تقبض بيده الحديدية على كل ما يصل إلى الجمهور من معلومات ومع انطلاق لربيع العربي في مطلع العقد الثاني من الألفية أصبح التعبير دراماتيكي، واهترت عروش لسلطة، واهترت معها الثوابت الاجتماعية والدينية، ودخلت الأجيال لشباب في دوامة غارمة من تساؤلات الحادة.

ولهم هذه التحولات، يعود إلى دراسات "شبكة البارومتر العربي" ليحثة المستمرة، والتي طرحت منذ تأسيسها عام 2006 سبع دورات استطلاعية ضخمة، وتعد حتى الآن من أهم المراجع ليحثة للتحولات الاجتماعية في المنطقة

تتجلى الموارد بمقاربة نتائج الدورين الثالثة والحامسة، حيث خصصت الأولى لاستطلاع آراء الشباب في منطقتي الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ما بين أواخر عام 2012 ومتصف 2013، أما الثانية فما بين عامي 2018 و2019 ويرى في هذه المقارنة نسبة التدين تحمض عدة خلال فترة قصيرة، فمبد عام 2013 ارتفعت نسبة الدين يصمون أنفسهم بأنهم "غير متدينين" من 8% إلى 13% عام 2019، حيث وصف ثلث التوسمين وربع الليبيين أنفسهم هكذا، أما في مصر فتضاعف حجم هذه الفئة، بينما تضاعف حجم أربع مرات في المغرب خلال الفترة نفسها

وكان جنوح لشباب نحو "عدم التدين" واضحاً في كل الدول المشمولة بالدراسة، باستثناء اليمن، الذي انحصرت فيه نسبة "غير المتدينين" من 12% في عام 2013 قبيل اندلاع الحرب إلى 5% في عام 2019، وقد يعود ذلك إلى الاستقطاب الطائفي في هذا البلد.

ومع نشر نتائج هذه الاستطلاعات، كتبت عشرات المقالات والتحليلات عن موجة الإلحاد التي تضرب العالم العربي، وعن الشباب العرب الذين "يبدون طهرهم للدين والتدين"¹، إلى أن جاء التعبير المفاجئ نحو الطرف المقابل بأسرع من الإهيار السابق فهي الدورة السابعة من الاستطلاعات (2021-2022)، تبين أن الشباب أصبحوا أكثر إقبالاً على اعتبار أنفسهم "غير متدينين"

ويقول الباحثون في شبكة إن احصاء التدين على مدى عقد كامل تقريباً دفع البعض إلى التساؤل عما إذا كانت المنطقة ستصبح أكثر تدنّ في السنوات

1. مخر عن سين حثال. "الدين العربي في سبعة رموز بيانية هل بدأ شباب عربي يدير ظهره

لديني؟" موقع بي بي سي عربي، 23 يونيو 2019



المقبلة، ويصيرون "يبدو أن الإجابة هي لا، أو على الأقل لن يحدث هذا في المستقبل القريب"⁽¹⁾

وحاء في أحدث دورات الاستطلاع أنه في جميع الدول التي غطاها الاستطلاع، قال 1 من كل 10 أشخاص أو أقل إنه "غير متدين"، وبالمقارنة صورة الاستطلاع التي جاءت قبل سنتين فقط، فهذه المعدلات تمثل تراجعاً كبيراً، ودلت بواقع سبع نقاط في المغرب وست نقاط في مصر وخمس نقاط في الجزائر وأربع نقاط في الأردن وفلسطين والسودان وتونس، على التوالي وكان الاستثناء فقط في لبنان والعراق.

وهتم الباحثون استمرار تراجع التدين في لبنان بتعرض البلاد لانهيار تام في نظامه المدني، فمع إحراق النظام الطائفي على تحقيق المورث لثق الشباب باللائمة المنظومة الدينية برمتها إلى حد ما⁽²⁾

ويجدر بالذكر أن استطلاعات الشبكة لا تقدم صورة كاملة عن المنظمة، فدول الخليج وسورية غاب عنها، باستثناء الكويت التي شاركت في لدورات الأولى، وكانت إدارة الشبكة قد برزت ذلك بأن دول الخليج لم توفر لصلاحية والحرية لكافة لإجراء الاستطلاع، أما سورية فكانت تعيش حرباً طاحنة على مدى عقد تقريباً، ولا يمكن بسهولة التنبؤ بتحوليات التدين بين شياها الدين تنوعت مواقفهم بشدة ما بين الانتماء إلى الثورة بملامحها الدينية والجهادية والالتحاق لنظام بخلمينته الطائفية المعادية حذر للتدين السي، وبقى هناك شريحة واسعة في الوسط من شباب الجيل الذين نشؤوا في ظل هذه الأزمة ولم يحترطوا فيها، لكن أثرها الكارثية عصفت بهم ووضعهم في مواجهة أسنة

١ "لشباب عربي يصعدون عودهم، تنطلقه إلى الدين"، موقع البارومتر العربي arabbarometer.org

27 مارس 2023

(2) المرجع للمسايق



وجودية صعبة، مع انهيار للمجتمع وغياب للقناعات، ما أدى إلى تشظي الكثير منهم بين أقطب التيارات والأفكار التي قد يصطدمون بها على شبكة الإنترنت، بعدما باتت الملاد الوحيد للهروب من الواقع

٥ مستقبل عامص

لا يخفى أن المعطيات التي ناولناها أعلاه تقتصر على نقضي وقع التدبّر لدى المجتمعات فقط، أي مدى نمسك الشباب بتعاليم الدين وعبدائه، وأن عودة لشباب إلى الدين صارت أمرًا واقعيًا لا يمكن إنكاره، فمن يمتد هد التحول المماحي إلى ما يتوقعه الشباب من الإسلام في الجواب السياسية والاجتماعية أيضًا؟

قد لا يكون ممّاحيًا ن التعبّر في مواقف الشباب من دور الدين في السياسة يتشبه مع التعبّر في نسب الدين، إذ يقول رئيس البرومر العربي مايكل روبر أن "الإسلام لسيسي" في طريقه للعودة، فهي "علب الدول التي شمس الاستطلاع الأخير، يعرب لموطنين من الصغار والكبار سنا على المساء عن نصصين واضح لرياده دور الدين في السياسة، وذلك لأول مره تتصح فيها رياده دعم "الإسلام السيسي" بقدر يُعنده به منذ انطلاق الانتصااص العربية في 2011¹

وبصيف "في الوقت الراهن، تلعب الاحراب الإسلامية دورًا أصغر بكثير في سياسة المنطقة، مقارنة بالوضع في السنوات التالية للانتصااصات العربية"، لافتًا إلى أن معظم الجماعات والاحراب الإسلامية باتت محظورة أو تتعرض للتصنيق والملاحقة والإقصاء، ومع ذلك نتراب نسب قبول الشرع العربي بن يحظى الدين بدور أكبر في السياسة (2)

١. مايكل روبر، "شباب نعالن العربي بات يؤيد عوده الدين إلى السياسة لكن ليس عوده (سلام السياسي"، موقع الهبوط albahamut.com، 13 مايو 2023

(2) نلرجع السابق.

ويقول روسو إن هذا التعتر في المواقف لا يعني بالضرورة أن أبديولوجية "الإسلام السياسي" مستعمو وتنحول إلى حركة شعبية كما كان الوصع قبل الانتماءات، أي أن الأرقام لا تعكس ريادة شعبية الاحرب ذات الخفية السببية. بل تكتسب فكرة دور الدين في السياسة قبولاً أكبر في عقول وقلوب الناس، ومن دور انتماءات حزبية أو حزكية⁽¹⁾.

لم يبحث الاستطلاع في أسباب هذه التحولات، ولكن يمكن أن نتبدأ بأن الكثير من الشباب الذين فقدوا الثقة في الاحراب المحافظة ودات الطابع لديني عادو لتصبح مواقفهم من خلال تصحيح العلاقة مع لدين بمسه، أي أنهم لم يحقلو الإسلام مسؤولية الفشل. بل عادو للبحث من حاله عن الأمل.

ويكتسب هذا التعير أهميته من حدوثه في وقت متأزم للغاية، فمعظم الدول العربية تعاني من أزمات سياسية وقنصادية حادة، وجميع الشعارات التي رفعها الشباب في الانتماءات ذهبت أدراج الرياح، وما زالت مشاكل الاستبداد والفساد وغياب العدالة الاجتماعية تهيمن على المنطقة

ومع أن دوافع الثورات التي انطلقت في مطلع العقد الثاني من هذا القرن لم تكن دينية ولا طائفية في جوهرها، إلا أنها سرعان ما اكتسبت ربحها من الشعارات الدينية، ولا سيما في سورية التي انحد فيها المحتجون من المساجد مصطفًا لمظاهرهم الأولى. ثم وجدوا أنفسهم في صراع مسلح بطابع ديني مع محاولات النظام الأولى لتحويل بوصنة الثورة نحو الصدام الطائفي لكن فشل مشاريع الإصلاح السياسي في المنطقة، أدى -إلى جانب عوامل أخرى- إلى تراجع الثقة بالدين بمسه وبما يسمى "الإسلام السياسي"، لثمتعاد الثقة تدريجيًا في نهيه لعقد الذي كما يشير الاستطلاعات السابقة



ومع أن الأوضاع كانت أقرب إلى الاستقرار والركود قبل الثورات، إلا أن بعض المحن كانوا يقرّون انداك بصعوبة التنبؤ بالمستقبل، وهو أمر يترّر لنا لتدرّع بصعوبة التنبؤ بمستقبل واقعنا الأكثر عموصاً ليوم ففي أواخر 2009، أصدر المفكر الأميركي من أصل إيراني أصف بياب كتاباً بعنوان "لحيه سياسة كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط"، وقال فيه إن الشرق الأوسط يبدو أنه دخل في طريق مسدود لا يستطيع أحد أن يتنبأ بالعروج منه إلا ليرر ليسير، مشيراً إلى أن هذه المنطقة تتمتع بخصوصية ثقافية، وأن الأنطر لتقليدية لتحيل لا تنطبق عليها⁽¹⁾

واعتبر المفكر العلماني أصف بياب أن القوى العربية الدفده تطبق معيير مردوحة في المنطقة العربية، فهي تدعم المظم الاستبدادية، وفي الوقت نفسه تتفاصى عن أي حراك اجتماعي في هذه المنطقة يتعارض مع المصالح الغربية⁽²⁾

وسواء تدخل العرب لإسقاط الأنظمة كما في العراق وليبيا، أو امتنع عن التدخل لوقف مجازرها كما في سورية، فالنتيجة النهائية لا تكاد تختلف عن الحالين، إذ لم تمنع الديمقراطية الناشئة في العراق وليبيا استمرار التدخلات الخارجية وسدّالاع الصراع الداخلي محدداً، بينما لم يختبر السوريون تجربة ديمقراطية بعد من القحاء عليها في ستينات القرن العشرين، وفي الحالين ما رلت التدخلات الإقليمية والعربية تحول دون نجاح أي تجربة سياسية بطابع إسلامي، وخصوصاً عندما يكون في الجانب السّي

وبالرغم من العداء الشديد بين القوى العربية والمظم الإيراني دي الطابع الديني الشيعي، إلا أن لوائح يؤكد أن العرب لا يمانع في نقبل لعمود

١. أصف بياب العهد سياسة كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط، ترجمة أحمد زايد المركز

القومي لترجمة، القاهرة، 2014، ص 69

(2) لتراجع السابق.



السياسي الشيعي وتمدده في المنطقة. بالواري مع محاولات احتوائه ليبقى تحت السيطرة، إلا أنه لا يكاد يسمح بأي عقود سني مفاب، حتى لو كان موصوفاً بالاعتدال وحتى على التصعيد الأمني يبدو التمييز واضحاً، إذ يصرح بعض السياسيين الأوروبيين بأن "الإرهاب السني" هو الذي يؤرقهم وليس "الشيعي". مع أن بعض المنظمات والمليشيات الشيعية لمحسوبة على إيران تُصنّف في قوائم الإرهاب العربية، ففي زيارة قام بها وزير لداحية الفرنسي جيرالد دومان إلى نيويورك في منتصف 2023، قال بصراحة "أبغضهم" لأنه بالنسبة إلى الأوروبيين والفرنسياء فإن الخطر الأول هو الإرهاب الإسلامي السني، والتعاون لمكافحة الإرهاب بين أجهزة الاستخبارات ضروري للغاية

وتابع الوزير "بينما قد تكون للأميركيين رؤية وطنية أكثر لثغرات، مثل التفوق العرقي الأبيض وحوادث إطلاق النار الجماعية المتكررة والتأمر، لا ينبغي أن ينسوا ما يبدو أنه في أوروبا بمرحلة تهديد الأول الإرهاب السني"¹

ومع عدة نظريات هذا المشهد المعقد، يصبح السبيل أكثر صعوبة مما كان عندما وضع أصف بيت كدبه، فالأجبال التي فشلت في التعبير عبر تجربة "الربيع العربي" أصبحت أكثر انقساماً وشنقاً وارتباك من الأجبال السابقة، والأجبال التي تصعد لتجمل مكانها ما زالت تشتمل طرقها في واقع أكثر غموضاً وفهراً ونسراً، وما زالت القوى المساعدة داخلية وخارجية تحاول توطيف تصوراتها الحاصلة للإسلام في تكرس مودها، لكن الإسلام سيبقى عصياً على التحريف، وقادراً كما كان دائماً على إطلاق الطامات الكامنة في نفوس معتقيه للإصلاح والتغيير



¹ "الإرهاب الإسلامي السني عدو الأول فرنسا تحمسه له الحق بحودها بأفريقيا وثبت أميركا محورها".



صراع البؤات..

المشاريع المكوت عنها في عالم السياسة

بعد الجولة التي أطعنا بها على تاريخ الطوائف ووقعها المعاصر، ومحاولتنا استشراف بعض ملامح التنافس والسافع، لن تكتف الحارطة حتى نقف على الرؤى التي بصورها بعض القادة والاتباع في هذه لطوائف لمستقبل الصراع الديني، وتحديدًا تصوراتهم الغيلية لقصة نهايه لعالم

قد يتاحأ بعض لقراء إد، علموا أنه لا يكاد يحلو دين أو معتقد في هذا العالم من رؤية مستقبلية لأحر الرمان، وأن هذه الرؤى تشعير حيزًا مهمًا في العلوم لدينيه (اللاهوتيه)، وتُصنّف ضمن مجال بحثي يدعى علم الأخرويات أو علم أحر الرمن (Eschatology) كما لا يحلو دين تقريبًا من مهية حتمية للعالم، وأن تكون مرتبطة بنزول المخلص أو المنتظر بواسطة قدره إلهية

وبالرغم من شيوخ الاعتماد ببؤات أحر الرمن في كل الأديان، إلا أن صراع لمرار ولشتغلين بالمساسة ومحلها لا يكادون يشيرون إلى شيء من هذه لمعتقدات إلا ماديًا، ولا يُطهرون أكثرهم بها أثناء ادلاع الصراعات السياسية والعسكرية، بينما تدل بعض المؤشرات على إيمان بعضهم بها، بل وسعهم أحيانًا لتحقيقها، ولعل هذا الحرص اللواصح على تجنب الجوص في تلك الأمور يعود أولًا إلى سيادة المرجعية العلمانية في جميع الدساتير التي أقيمت عنها، لمطومة السياسية، لعربية، والتي امتدت لتشمل معظم دول العالم بقوة لتأثير الغربي، حتى أصبح الغرف السبسي يقتضي بند أي مفهوم ديني في بنية الدولة ومرجعيتها ومودجها الاقصادي وخططها لعسكريه ومع

(1) هالغ للمهدي، البحث عن منقد، دار رشد، بيروت، 1981، ص 426



ذلك، يظل هناك قادة سياسيون في دول شتى، بما فيها الولايات المتحدة التي تُعد "قائدة العالم الحر"، يعمقون أفكارًا دينية تؤثر مباشرة على تصوّراتهم للعالم ومستقبله، وتحديدًا عميدة أحر الرمان، وقد أشرنا لذلك في فصل "المسيحية المنصهية"، وهو ما سيعيد، لنتطرق إليه في هذا الفصل.

إضافة إلى ما سبق، قد يعتمد السياسيون والمحللون، حفاء قضاعاتهم الدينية المنعقدة بهذا الملصق عن الجمهور، أو حتى التظاهر بتسحيب هذه الأفكار في الفضاء العام، نظرًا لحظوره شبوع الاقتنع بها في المجتمعات، فمعظم السيئات المتعلقة بأحر الرمان يقدم تصوّرات كارثية (ديستوبيا)، قد تصل إلى دمار العالم وانهيار الدول وباداة شعوب كامئة، ولا شب في أن انتشار فكرة اقتراب هذه الأحداث الجسيمة سيثبت الرعب في قلوب الناس، وقد يدفعهم للتقاعس عن العمل، بالتوازي مع انتشار الموصى والجرائم وربما يتهرب السياسيون أيضًا من الإفصاح عن اقتناعهم بسياريوهات أحر الرمان كي لا يبدو ذلك مسوّغًا لانهكاكهم العسكرية، لاسيما إذا كانت تلك لعقيدة مرتبطة بمعركة هزمجدون التي تسوّغ للبعض ارتكاب إبادة جماعية.

سنستعرض في هذا الفصل أهم الساريوهات الأخروبة لدى الديانات والطوائف الكبرى، وذلك بهدف الاطلاع والاستكشاف كي نكتسب خارطة الطوائف بين أيدينا، ونجور مهمة لتقد والتقييم، مع الحرص على الإيجار غير المخل.



١- في طائفة السنة:

يشغل هذا الملف جزءاً مهماً من العقيدة الإسلامية، وقد أفرد المؤلفون منذ بدء عصر التأليف كتباً ومصنفات كثيرة لأشراط الساعة. أي علامات اقتراب يوم القيامة، ويمكن أن نوجزها فيما يلي:

لعلامات الصغرى وهي تشمل علامات بعيدة ظهرت وانقضت، ومنها بعثة النبي ﷺ، واشفق القمر في حياته، وحروج نار عظيمة بالمدينة المنورة^(١) وتشهد أيضاً علامات متوسطة ظهرت ولم تنقض بعد، ومنها أن تلد الأمة ربها، وتطول الحفاة العراة رعاء الشتاء في البس^(٢).

لعلامات الكبرى هي عشر علامات هائلة. نجدها في الحديث الشريف عن حذيفة بن اليمان^{رضي الله عنه} قال «اطلع النبي ﷺ علياً وجرى تذاكر، فقال ما تذكرون؟ قالوا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والديه، وطلوع الشمس من مغربها، وبرول عيسى بن مريم عليه السلام، وبأجوح ومأجوح، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بخرية العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم» (رواه مسلم).

وجاءت في أحاديث أخرى علامات كبرى إصافية، ومنها خروج المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض^(٣).

^(١) الدار لمضيفة وريد في حديث بيوي، وتوفي الحديث عن خروج يركي في محيط المدينة المنورة أولها كان في عصر نصيرية، ثم في سنة 654 للهجرة بطن محمد العربي، نهاية العالم دار نصارة

لنشر والتوزيع، ط8، 2017، ص 15 16

(2) أترجع السابق، ص 20-21.

(3) أترجع نفسه، ص 21، 22.



وما يهتف في هذه السياق من أحداث آخر الرمان هو لجأت المتعلق بالملاحم والصراع، فهي مرحلة ما من المستقبل متكرر الفن، ومنها فن ثلاث جاءت في الحديث قل عبد الله بن عمر «كما قعوداً عبد رسول الله فذكر الفن. فذكرها حتى ذكر فنه الأجلال فقال قائل بـ رسول الله وما فنه الأجلال؟ قال هي هرب وحرب، ثم فنه الحراء دحبها من تحت قدمي رجل من أهل بني يزعم أنه مي وليس مي وإنما أوليائي المتقون، ثم بصطليح الناس على رجل كورك على صبع، ثم فنه الذهباء لا تدع أحداً من هذه الأمة لا لطمته لطمه، فهذا قبر انصبت تعاديت يصيح الرجل فيها مؤمناً وبمسي كافرًا، حتى يصير الناس إلى فسطاطين. فسطاط يمان لا يفاق فيه وفسطاط يفاق لا يمان فيه، فإذا كان داكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده» (رواه أبو داود وأحمد، وصححه الألباني)

وفي الفترة نفسها تقع الملحمة الكبرى بين المسلمين ولروم، وتفتح القسطنطينية. والراجح أنه عبر الفتح الذي حدث على يد العثمانيين للفتح القادم مرتبط بأحداث مستقبلية لم تقع ونطلق مصطلح الروم نرجح على اليونان الأرثوذكس، وقد يشمل لروم، لكنه لا يطلق على الأوروبيين الغربيين كما يظن البعض وقد جاء في الحديث "عمران بست المقدس حراب يثرب، وحراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح لقسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال" (رواه أبو داود، وصححه الألباني وحسنه الألباني)

والراجح أن الملحمة العظيمة ستكون مع عودة حكم الخلافة للأمة الإسلامية. ففي الحديث. وضع النبي ﷺ يده على رأس عبد الله بن حولة وقال «يا ابن حولة، إني رأيت لخلافة قد برلت الأرض المقدسة فقد دبت الرلازل والبلايا والأمور العظام، ولساعة يومد اقرب من الناس من بني هذه من رأسك»



(رواه أبو داود وصححه الألباني). وهذا يعني أن الخلافة مسترل في آخر لمرمان بيت المقدس، وقد يكون هذا هو تفسير قوله "عمران بيت المقدس"، والله أعلم وجاء في حديث طويل بصحيح مسلم أن الروم سبزلون بمنطقة دابق (قرب حلب)، فبحرح لهم جيش المسلمين من المدينة، وبطلت لروم برد أسراهم إلهم مما دل على وقوع معركة سابقة بين الطرفين، ثم تقع الملحمة الكبرى، وستصر فيها المسلمون وتُفتح على إثرها القسطنطينية، ثم بحرح الدجال مباشرة بعد ذلك.

في الفترة نفسها أيضاً سيخرج إمام عادل (حليفة) يدعى المهدي. ومع أن التشكيك في حقيقة هذه الشخصيه صار شائعاً اليوم، وربما بدرعه منع العوم من التماس وانتظار خروجه، إلا أن مجموع الأحاديث الواردة في حقه بهذا التواتر، وقد ذكر الشيخ محمد بن إسماعيل المقدّم أن الدين فُردوا لمهدي بالنصيف في ترائد بعوا 31 مصفاً¹، كما ناقش المقدّم أحاديث المهدي باستفاضة في كتبه الصمخ، مشدداً على صحة بعضها، وكثرة طرفها

وقد جمع الشيخ مازن السرمساوي في كتابه "كشف المكون في الرد على كتاب هرمجدون" الصادر عام 2002 أقوال بعض العلماء المعاصرين في التأكيد على أن هذا ليس رمن المهدي، فلا بد أن تعود الخلافة وتستقر قبل ظهوره، وفق المؤلف عن كل من الشيخ الألباني وسعيد حوى وسليم لهلاي ورياد السبيح أن ظهور المهدي سيُسبق بالملحمة الكبرى مع الروم، وأيضاً بفتح القسطنطينية (مركز الأرثوذكسية) وروما (مركز الكاثوليكية)، واستعادته المسلمين لبيت المقدس⁽²⁾.

1. محمد بن أحمد بن إسماعيل المصم، المهدي، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ص 11-2008. ص 65-66.
2. مازن السرمساوي، كشف المكون في الرد على كتاب هرمجدون، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط 1.

ومع أن توافق على هذا الرأي في عودة الخلافة فـ **ظهور المهدي**، لكن تريب الأحداث قد يكون محل نظر، إذ تشير الأحاديث السابقة إلى أن الدجال سيخرج مباشرة بعد المنجاة وفتح القسطنطينية، كما جاء في بعض الأحاديث أن فترة مكوث الدجال هي أربعون يوماً، وسيقتل في فترة حكم المهدي، ولمهدي سيجعلكم ثمانين أو مئتين سنواً، ما يعني أن بدء حكمه سيكون سريعاً على الملاحم، والله أعلم.

ومما يجدر الاستشهاد به هنا الحديث الصحيح "يُبع الدجال من يهود أصهبين سبعون ألفاً عليهم الطيامة" (رواه مسلم)، ثم سيقتل الدجال في باب لد بفسطاطين، وهذا يرجح أن المعركة الكبرى بين المسلمين واليهود ستعود خروج الدجال، وفي حياة المهدي وأثناء خلافته وليس قبله وقد جاء ذكر هذه المعركة في الحديث الصحيح «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يحسب اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي حلمي فتعال فاقته إلا العرفد، فربه من شجر اليهود» (رواه البخاري) ويرى كثير من العلماء المسلمين أن المسيح الذي ينتظره اليهود في آخر الزمان -كما سيأتي لاحقاً- هو الدجال نفسه، وأنهم سيكونون من أتباعه معتصدين أنه المسيح، وهذا ما أكدته بن تيمية (1)

ومن الأدلة على عودة الخلافة في آخر الزمان الحديث «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاصياً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون جنسية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن



برفعها، ثم تكون خلافة على مهاج النبوة» (رواه أحمد والطبراني والبيهقي والطبري، وصححه الألباني وحسنه الألباني)، وأيضاً لحديث الصحيح "إن هد الأمر لا يقصّي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة" (رواه مسلم)، وقد جاء الحديث بعدة روايات في صحيح البخاري ومسلم. وقال النووي في شرحه ناقلاً عن القاضي عياض "ويحتمل أن يكون المراد مستحقّي الخلافة العادليين، وقد مضى منهم من علم، ولا بد من تمام هد العدد قبل فيم الساعة" ⁽¹⁾، واستشهد القاضي بالحديث "الخلافة بعدي في اثني ثلاثون سنة، ثم منك بعد ذلك" ⁽²⁾، وقال به لم يكن في ثلاثين سنة إلا الخلفاء، الرشدون الأربعة والأشهر، التي بوع فيها الحسن بن علي، ما يعني أن عدد الخلفاء اثني عشر الذين سيعزّ بهم الإسلام لم يكتمل بعد ونصيف أن الخليفة المهدي الذي سيفطر برول عيسى المسيح ومقتن الدجال قد يكون هو آخر الخلفاء الصالحين ⁽³⁾، فسينوئى لمي عيسى عليه السلام لحكم، كما في الحديث "يوشث المسيح عيسى بن مريم أن يرل حكف قسطاً وإماماً عدلاً" (رواه أحمد)، وسيحكم عيه الصلاة والسلام أربعين سنة ⁽⁴⁾، ثم يعود الكمر والظلم والفساد إلى الأرض حتى تقوم الساعة، ونستنتج من ذلك أنه لن يكون بعد المهدي خليفة (5).

(1) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي: دار الكتب العلمية ج 6، ص 171

(2) مع أن الإمام أحمد صرح هذا الحديث الذي رواه سفيان بن عيينة بغير النص صعبه انظر مقتن "صعب حديث الخلافة ثلاثون سنة"، موقع الشيخ محمد الأمين ibnamin.com

(3) جاء في رواية: "ثم لا خير في الحياة بعدد"، رواه أحمد لكن مسنده ضعيف

(4) جاء هذا في حديث رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي

(5) هناك آراء أخرى قد لا يتفق بها إمامنا، وقد ناقشنا النووي في شرح مسلم، كما ذكرها ابن حجر في فتح باري بالتفصيل، نقلاً عن ابن الجوزي والقاضي عياض، ومنها ما ذكره أبو الحسن بن

بالخلاصة، تتضمن نبوءات آخر الزمان لدى المسيحيين السنة ما يلي. معركة حاسمة بين المسلمين والروم، سيطرة المسلمين على معاقل المسيحية الأرثوذكسية والكاثوليكية، عودة حكم الخلافة الجامعة لكل المسلمين وتوحد الدول الإسلامية في دولة واحدة، خروج شخص ذي قدرات حارقة يدعى الألوهية وهو الدجال وتحالف اليهود معه، برول المسيح عيسى بن مريم عيسى عليه السلام من السماء لقيادة المسلمين، انتصار المسلمين على الدجال وعلى اليهود وتحرير فلسطين، مقتل الدجال على يد عيسى عليه السلام وفي أرض فلسطين، قصاء عيسى عليه السلام على الديانة المسيحية التي كانت تؤلهه، خروج جيوش هائلة الحجم (ياجوج وماجوج) لمحاصرة المسلمين الذين يفقدونهم عيسى عليه السلام ثم مقتل هذه الجيوش بتدخل إلهي وبدون قتال، استمرار حكم عيسى عليه السلام للأمة الإسلامية أربعين سنة، وهي فترة يعقها الرجاء والسم، وفاة عيسى عليه السلام وانتشار الكفر والطغيان والفساد مرة أخرى، ثم تهدم الكعبة وتُرفع القرآن ولا يبقى أثر للإسلام حتى تقوم الساعة على شعوب لا تعرف الإسلام.

ومع أن آخر الزمان يتضمن انتصارات كبرى في بعض مر حله للمسيحيين، لكن هذه الانتصارات ولفتوحات مسبقة بمن كبرى، وينتشر الهرج والفتن والربا والموت وحش والزلازل. لذا لا يتعجل المسلمون قدوم هذه الأحداث، وقد ورد عن بعض الصحابة والداعين أنهم كانوا يخشون حدوثها في زمانهم

امسدي عن أن خلفاء الأنبياء عشر سيظهرون بعد المهدي، لكن بن حجر يرجح وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة يعملون بالحق وإن لم تنزل باميم، ثم يكون الهرج، أي الفتن مؤدنه بميام الساعة، من خروج الدجال ثم ياجوج وماجوج، إن أن تقضي الدنيا بضر ابن

ومن الملاحظ أيضًا أن لا نجد في النصوص الإسلامية أي إشارة لمعركة "هرمجدور"، فمع أن الأحاديث تؤكد وقوع معركة بين المسلمين واليهود على أرض فلسطين لكن بدون الإشارة إلى تحالف المسيحيين مع اليهود، بل تنص الأحاديث على أن عيسى عليه السلام سيكسر الصليب عندما ينزل، ما يعني أن المسيحية ستنتهي برؤيته، وقد يُسيطر من ذلك أن من كان مسيحيًا آنذاك فسيؤمن بسبوة عيسى ويسعى عن تأليهه. وربما تلحق بجيش المسلمين ضد اليهود كما لا نجد في الأحاديث ما يشير إلى أن هذه المعركة ستكون ملحمة كبرى، أو أن شعوبًا أخرى متحالفة مع المسلمين أو مع اليهود



يقود المهدي أتباعه من الشيعة، فيظهر عبوه اللدود في ثشام الذي يسمى السفيني، لأنه من سلالة الصبحي أبي سفيان الذي يكفره الشيعة، وسطوق صبيحة مدوية من جريل في السماء يؤكد أن الحق مع المهدي، فيسمع كل أهل الأرض، ويسير لسفياي بحشيه نحو المدينة المنورة، لكن الأرض تخسف له وبحشيه في البيداء قبل وصوله، ولا تستمر حكمه أكثر من تسعة أشهر¹

أما الدجال فلا يرد ذكره كثيراً في مصادر الشيعة، ومعظم صفاته التي يروونها تأتي نقلاً عن كتب المسلمين السنة، بينما نركز معظم كتبهم على السفيني الذي يعد العدو الأول للمهدي وليس الدجال، ويعلن بعض شيوخهم ذلك بأن الشيعة في مأمن من هبة الدجال².

ومع قلة الأثر المتعلقه بالدجال فهي تشير إلى أن المهدي سبب في بيت المقدس، وأنه سيقتل الدجال ويقضي على أتباعه اليهود، وهكذا يستتب الأمر للمهدي ويحكم العالم بالقسط والعدل³.

تشهد هذه المرحلة أيضاً معجزة الرحمة، وهي عودة قسمين من الأموات إلى الحياة قبل يوم القيامة، وهم المؤمنون الشيعة والكمار، أما الشيعة فيرجعون للحياة كي يتمنعوا بحكومة العدل الإلهي تحت قيادة المهدي، وأما الكفرة الظلمة فيحاصمون وسيكون آل البيت من بين المؤمنين الراجعين للحياة، وأولهم الحسين بن علي، وهو الذي سيدهن المهدي بعد موته

1. يذكر بعض المصادر أن السفيني هو الدجال نفسه وأنه أعور العين نظر محمد الباهر صديقي، فكرة المخلص. بحث في الفكر المهدوي، ص 162

2. تعيد عبد المهدي العلوي، "ما هو موقف الشيعة من خروج المسيح الدجال وهل يوجد لنبي رويات معتبرة منه؟"، مركز الرصد العقائدي التابع للجنة التحقيقية التابعة لـ alrasd.net، 25 يونيو 2021

3. البحر الناصي، زينات الهداة بالخصوص وشعيرات، مؤسسه لأعلى للطبوعات، بيروت، 1425هـ ج

وبالخلاصة، يعتقد الشيعة أن الملاحم والأوثنة منسوبة لظهور المهدي، وستقصي على أعدائهم من دون أن يسميهم بسوء، كما ستحسف الأرض بالمسيحيين ويجيشه قبل أن يصل إلى المهدي. ولن يخص المهدي إلا معركة واحدة ضد الدجال لاستعاده فلسطين، ويستتب بدلت حكم الأرض للمهدي، لذا يعدّ حروب المهدي منسوبة لحلام الشيعة وأقصى طموحاتهم، ويحرصون على السعاء بتعجيل فرجه في صلواتهم وحيثالاتهم ومناسباتهم. سيما تصع قيادتهم السياسية (إبرار وحلفاؤها) إستراتيجيتها بناء على مركبة الأيديولوجيا المهدوية

يتضح مما سبق أن مشروع آخر الزمان لدى الشيعة مختلف جسرنا عن النبوءات لدى المسلمين السنة، فالمفكرة المركزية لدى الشيعة هي عودة الإمام الأخير من غيبته ليستقم من حصومه، وعلى رأسهم السلطة السنية لتاريخية الممننة بالدوليين الأموية والعباسية، والتي سيحسدها في المستقبل العدو اللدود السعيفاني، ثم سيتبين لمن بقي حيا من المسلمين أن الحق كان مع الشيعة وأنهم الممنون الوحيدون للإسلام الحقيقي فيتشيعون، أما قصة الصراع مع اليهود وقائدهم الدجال فتتشابه مع ما يؤمن به المسلمون السنة لكنها قصة فرعية لدى الشيعة، وستأتي لاحقا بعد الدار لآل البيت وانتصار التشيع

3- في اليهودية:

أشرب سابقًا في فصل يهودية إلى اعتماد اليهود بأن الرب احتارهم شعبًا له ووعدهم بإحضار بنية البشر لهم في "يوم الرب"، وهو اليوم الذي سيأتي في آخر الزمان، وينصم كل ما يؤمن به المسيحيون والمسلمون من نعيم وعدب، إذ أنكرت طائفة من اليهود البعث في الآخرة، وجعلت لحساب في هذه لنسب. فالنعيم الذي ينتظرونه هو الذي مستحق مع نصارهم على بقية الشعوب.

يتضمن مشروع آخر الزمان لدى اليهود سلسلة من الأحداث المهمة، وقد يستغرق حدوثها فترة طويلة، فهي تبدأ بإسعاد الرب لهم من السبي البابلي، وقد حرزهم قورش إمبراطور فارس بالعمل من هذا السبي وسمح لهم بالعودة إلى أرض فلسطين وإعادة بناء الهيكل، لكن تدمير الهيكل الثاني ونشنتهم على يد لرومان في عام 70م دفعهم لانتظار المرحلة التالية، وهي إعادة لشتات من أصقاع الأرض إلى "أرض إسرائيل". وقد بدأ تحقق هذه المرحلة أيضًا في عام 1948 بالإعلان عن تأسيس دولة إسرائيل على يد الصهيونية

وقبل ظهور الحركة الصهيونية في القرن التاسع عشر كان لشائع بين الحاحامات انتظار تحقيق وعد الرب، واعتبار الهجرة إلى أرض الميعاد معصية، لكن هذا لا يمنع محاولات لندخل البشري لتعجيل خروج المسيح، فالتلمود يؤكد أن كل عمل إيجابي يعنى خروج، كما تؤمن الطائفة الحميدية بأن ممارسة الصلاة الجماعية تساعد في التعجيل¹، ثم نبئت الصهيونية فكره "بداية الخلاص"، وعندما رأى الحاحامات لدعم العربي الأسعمازي لمشروع الدولة اليهودية أعادوا تفسير بصوصهم ومعتقداتهم حتى أصبحت عاليهم

[1] خالد السيوطي، امصورة المسيح المنتظر في اليهودية وأثرها على تحركات الإسلامية، مركز

تؤمن إيماناً عميقاً بإمكانية التعميد. بل صاروا يفتخرون تسلمهم صبراً لتحقيق وعد الرب لهم (1).

في المرحلة التالية، يسعى على اليهود إعادة بناء بيت داوود وهيكل سليمان في أورشليم، وعيدت مقيم الرب وصيًا من بيت داوود، وهو المسيح المنتظر (المسيح أو المسيح)، ليقود الشعب اليهودي والعالم، وبدأ عصر العدالة والسلام (لعصر المسيحي)، والذي سيعني فيه العصر، حتى أن الأرض تطرح القطن وملابس الصوف، وتصنع حبة القمح في حجم الثور (2).

وتظهر هذا المسيح مشروط بهدم المسجد الأقصى بالكامل لبناء الهيكل الصالح في مكانه، ووضع قدمي الأقدس في موضع قبة الصخرة تحديدًا. أما في تعاليم المبالاة اليهودية، فيأخذ الرابع شكل الدورات الكونية، وسيمر تكون في سبع دورات متتالية، كل منها مكونة من سبعة آلاف عام، كما تنقسم كل دورة إلى حقبة رمزية طول كل منها سبع سنوات، وعندما تكتمل دورة الدرع الأخيرة "الشحيحة" سيحين موعد آخر الزمن ويسود شعب إسرائيل على العالم (3). وهذا التصغير يحظى أيضًا باهتمام الحركة الصهيونية، لا سيما أنه يسوغ لجميع شتات اليهود قبل خروج المسيا وترعم القبالة أيضًا وفقًا لأساطير تشكلت في القرون الميلادية الأولى أن المنتصوفين مهم يمكنهم الارتفاع بأرواحهم إلى السماء السابعة، وأن يتمكنوا من معرفة موعد خروج المسيح (4).

1، سحر القوالب، "يوم الآخر عند اليهود والصهيونية"، مجلة الإرشاد arashad.org، 4 أبريل 2022.

(2) خالد المصطفى، ص 25.

3، عبد الوهاب المصري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار المشرق، القاهرة، ط 6، 2010، ص 41.

(4) خالد المصطفى، ص 32.

ولن يتحقق حلم حروج المسبّا في اعتقادهم إلا بسيطرة اليهود الكاملة على ما يعتبرونه أرض اليعاقب التي منحها لهم الرب، فحتى مع سماح اليهود لبعض العرب والمسلمين بالبقاء في هذه الأرض فهذا لا يعني إطلاقاً التساهل مع منحهم أي فرصة للسيطرة، ولو كان ذلك في صورته حكم ذاتي، قلبي، بل ينبغي أن تكون الهيمنة المطلقة لليهود على كامل الأرض

لن فرب مساعي الدول العربية لحل الصراع في المنطقة تطبق حل الدولتين لا يقضى أي قبول إسرائيلي، بل ما رآه الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تعمل على إفشال اتفاقية أوسلو منذ عام 1993 التي تقضي بمنح الفلسطينيين حق تقرير المصير على جزء من أراضيهم في الضفة الغربية وقطاع غزة، مع بقاء الهيمنة الإسرائيلية فالضفة قُطعت أوصالها بأعداد لا نهائية من المستوطنات والجوهر والطرق، ثم أُطلق الاحتلال عملية عدوان واسعة النطاق لتدمير غزة في أواخر 2023

وأثناء هذه الحرب، أجرى الرئيس الأميركي جو بايدين مكالمة هاتفية مع رئيس وزراء الاحتلال بنيامين نتنياهو في 19 يناير 2024 لتذكيره بمشروع إقامة دولتين، على أساس أن تكون إسرائيل "مضمومة الأمر" في هذا المسار، وأن تمال فرصة التطبيع الكامل والاعتراف بالوجود من قبل بقية الدول العربية، لكن نتنياهو صرح بكل وضوح في اليوم التالي قائلاً "لن أساوم على سيطرة الأمية الإسرائيلية الشاملة على كامل المنطقة الواقعة غرب نهر الأردن، وهذا أمر يتعارض مع إقامة دولة فلسطينية"، ثم أصدر بياناً باللغة العبرية في اليوم التالي يقول "صبراري هو الحاجر الذي منع -على مر السنين- إقامة الدولة الفلسطينية التي لو أقيمت لكاتب حظراً وعوداً على إسرائيل" وكان قد صرح أيضاً قبل يوم من مكالمة بايدين بقوله "على مدى 30 عامًا، كانت تصريحاتي متسقة للغاية، وما أقوله وصرح بهام الوصوح هذا الصرع لا بدور حول عدم



وجود دولة. ي دولة فلسطينية. بل حول وجود دولة. وهي دولة "يهودية" كما صرح العديد من النواب والوزراء اليميين في حكومة نتنياهو بتأييد هذا الموقف، ومهم مثلاً وزير الثقافة والرياضة الإسرائيلي ميكي زوهار الذي قال: "أقولها بوضوح لكل من لا يزال غافلاً في يوم 6 أكتوبر لن تسمح أبداً بإقامة دولة فلسطينية"⁽¹⁾

وبالتزامن مع الحرب على غزة أيضاً، نشر البروفيسور الفرنسي جان بيير فيبيو مقالاً بصحيفة لوموند يرصد مساعي الحكومة الإسرائيلية اليمينية لتشجيع المجموعات المسيحية ودعمها، مشيراً إلى كتاب "الهيكل الثالث" للمؤلفه يشاي ساريد الذي أحرى مئات المقابلات مع ناشطي الحركة لمسيحية في مستوطنات الضفة الغربية، ليكشف لنا أنهم يأحدون مشروع إقامة الهيكل الثالث على محمل الجد، وهم الذين كانوا وراء اغتيال رئيس الوزراء اليساري إسحاق رابين في عام 1995 لمعاذته على المصفي في مسار السلام مع الفلسطينيين، فهذا التيار المندس لا يقل بأي مهادية، ويرى أن التنازل عن أي شبر من الأرض لغير اليهود بمثابة تأخير لحظه الرب⁽²⁾

وبعد "معهد الهيكل" من أهم المنظمات التي تعمل على تعجيد هدم الأقصى وبناء الهيكل، وقد تأسست في عام 1992، أي قبل اتفاقية أوسو بقليل، ويقع مقرها في البند القديمة بالقدس، ولها علاقات وثيقة بمنظمات إسرائيلية في الولايات المتحدة، وكان من آخر مشاريعها استيراد 5 بقرت حمراء بالكامل من تكساس في وقت ما من عام 2023، وذلك تمهيداً لتحقيق أحد الشروط المهمة، إذ تنص التعاليم التوراتية على ذبح بقرة حمراء (حالية من أي

(1) "لن تسمح أبداً بوجود دولة فلسطينية ما الذي يريد نتنياهو إقامة من بهر إلى البحر؟"، عربي

بوست، 22 يناير 2024

(2) برافيسور فرنسي، العد الساري لبناء الهيكل الثالث، بصارغ، الجزيرة نت، 4 ديسمبر 2023

شعرة بيضاء أو سوداء) على جبل الزيتون، ثم حرق جثمانها وبثر رمدها قبالة الأقصى، وحنط بعض الرماد بالماء. وذلك لتطهير الشعب اليهودي من كل آثامه كي يصبح مؤهلاً لتحقيق وعد الرب، وبدأ بذلك طموس إقامة "الهيكल الثالث" والتجهيز لصعود ملايين اليهود إلى "جبل الهيكل" (المسجد الأقصى) وقد طرد اليهود المتدينون يبحثون عن بقره حمراء تحقق عده شروط صعبة في تكويها وتزيينها. واهتموا أخيراً إلى النعميين الخبيث لتعجيل ظهورها

وفي أو حر يوليو 2023، كشفت القناة 12 الإسرائيلية في تقرير مصور عن وجود تسسيق وتعاون بين عدة وزارات حكومية لتمويل استيراد البقرات الخمس وتزيينها، حيث تتوافق الأحزاب اليهودية المشاركة بالائتلاف الحكومي على ضرورة تنفيذ فكر بناء "الهيكل" (1).

تتضمن الرؤية اليهودية لهابه التاريخ أيضاً قيام حرب هائلة بينك فيها لنا البشر، وهي التي يطلق عليها المسيحيون المتصيبون اسم معركة "هرمجدون"، وبعدها سيبدا العصر المسياني بظهور المسيح المسطر "المسيح" من سل د وود، وسيترك غير اليهود أن له إسرائيل هو الإله الحقيقي الوحيد، وحينئذ يعم العدل والرحاء تحت قيادة بني إسرائيل، ويعيد الرب إحياء الموتى، ويخلق سماء وأرضاً جدينتين، وهذا كله في نهاية هذه الحياة الدنيا وليس في الآخرة

ويرى الدكتور لراحل عبد الوهاب المسيري أن الرؤية الصهيونية للتاريخ قائمة على فكرة الحلونية، أي حلول الإله في الشعب الإسرائيلي وفي التاريخ نفسه، وأن هذا لتاريخ الحلولي المقدس يشكل الخريطة الإدراكية للصهيبة، بحيث لم تعد لديهم أي حساسية تجاه حقوق الآخرين أو حتى بسايتهم، لأن الرب حسب معتقدتهم قصي بأن يكون جميع البشر حدمًا لهم، لد يصبح

[1] محمد وتد، مجازيات حكومية و5 بقرات حمراء: خطة إسرائيلية لبناء 'الهيكل الثالث' في ياحاب

الأقصى، الجزيرة نت، 30 يوليو 2023



احتلالهم لفلسطين أمرًا طبيعيًا، ودعّهم للفلسطينيين مجرد دفع عن أنفسهم وعن الحقوق اليهودية المطلقة الممنوحة لهم من الرب، وكل ما فعلوه هو عودة شعب مقدس إلى أرضه المقدسة، وسيأتي المسيح (المسيّا) في نهاية لتحقيق الحقة الأخيرة من سلسلة التاريخ فقط، وسيحدث العصر المسياني خارج التاريخ، بحيث ينتهي التاريخ الرمي على بدء ويعود التاريخ لمقدس^١

٢- 4- في المسيحية:

جاء في إنجيل متى أن لشيطان سيهجم في حر الرمن على مكوث الرب، وسيكون هذا هجومه الأخير وبكل قوته وسلطانه، وسيخرج في هذا الرمن أشياء كدبة لتصديق الناس، وأخطارهم هو "عدو المسيح" (الذجال) الذي سيخس في هيكل الرب ويدعي الألوهية، وبقوة الشيطان سيحقق المعجرات فيؤمن به كثير من الناس، ثم سيرحل المسيح للقضاء عليه^١.

وكان البابا غريغوري الأكبر المتوفى عام 604م قد بشر بقرب نهاية العالم، وذلك قبل مولد لبي محمد - بمئة قصيرة، وأدت نبوءة البابا إلى تبرع الكثير من النبلاء بأراضيهم للكنيسة^٢، ثم تكررت هذه الإشارة في بداية القرن العاشر الميلادي، ونشر في أنحاء أوروبا الاعتقاد بأن نهاية الرمن ستحدث مع نهاية الألفية الأولى، فترع الكثير من الأغنياء أموالهم للكنيسة أيضاً^٣ وتحتضن عقيدة "الألفية" ملف آخر الرمن ونبوءاته لدى الطوائف المسيحية، وقد تعرضنا لهذا الموضوع بالتفصيل في فصل "المسيحية المنتهية"، مع الإشارة إلى تطوره التاريخي من التأويل المجازي الذي لم يكن يعتقد بالمجيء الثاني للمسيح في حر الرمن إلى حين تبوره في التأويل الحرفي على يد العروتستانت في عصر النهضة الأوروبية.

نقسم العقائد تحاء ملف الألفية إلى تيارين رئيسيين، وهما

1- تيار الشيلغورية (Chillegorism) لم نجد ترجمة عربية لهذا المصطلح، وهو المذهب الذي يُنكر المجيء الثاني للمسيح وتأسيس مملكة حقيقية له في

(1) فتح المهدى، مرجع سابق، ص 138-139

2- ول ديوب، ص، قصة الحصار، ترجمة محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م، ج 7، ص 14

ص 345

(3) لمرجع السابق، ص 382



آخر الزمان، وينعكس بالتأويل المجازي لمصوص سفر الرؤيا التي تتحدث عن
مملكة المسيح والمستقبل، وينقسم إلى عقيدتين، هما:

أ- اللاألفية (Amillennialism) يرفض أنبأها لرأي لفائل بأن يسوع
المسيح سيتمك جسديًا على الأرض لمدة ألف عام، ويقولون إن الألفية بدأت
بالفعل وتتر من مع عصر الكنيسة الحالي، فقد أسس المسيح مملكته روحيًا في
الملكوت وما رلك نعيش فيها الآن، وإن مجيء المسيح سيكون في يوم الحساب
وليس في هذه الدنيا، وهذه العقيدة هي التي كانت شائعة قبل ظهور
البروتستانتية

ب- البعد-ألفية (Postmillennialism) تصم عدة تفسيرات لكها تتفق على
أن يسوع المسيح أسس مملكته (مجازيًا أو رمزيًا) على الأرض من خلال الصاء،
وأنا نعيش فيها الآن من خلال السلطة الروحية للبابوت ولبطاركة، ولا تنظر
هذه العقيدة إلى الألفية على أنها ألف عام بالصسط، ولكنها فترة ممتدة لمدة
محدودة، وسيتهي الزمان بالقيمة العامة والديونة النهائية التي يليها
الخلود.

2 تير لشيلية (Chiliasm) لم نجد لهذه الكلمة أيضًا ترجمة في المعاجم
لغربية، وهي تمثل المذهب الذي يعسق فكرة المجيء الثاني للمسيح وتأسيس
مملكة أرضية حقيقية له في آخر الزمان لمدة ألف عام⁽¹⁾، مع الأخذ بالتفسير
الحرفي لسفر الرؤيا، ويتفرع هذا التيار إلى:

أ- لشيلية اليهودية (Judeochiliasm) هذه العقيدة هي الشئعة بين كل
طوائف اليهود تقريبًا، حيث يعتقدون كما مسلم أن المسيح (المسيح أو المسيح)
الذي جاء ذكره في التوراة لم يظهر بعد، بسما يؤمن المسيحيون والمسلمون أنه
هو عيسى بن مريم نفسه- وأنه سيظهر في آخر الزمان من سلالة نبي الملك

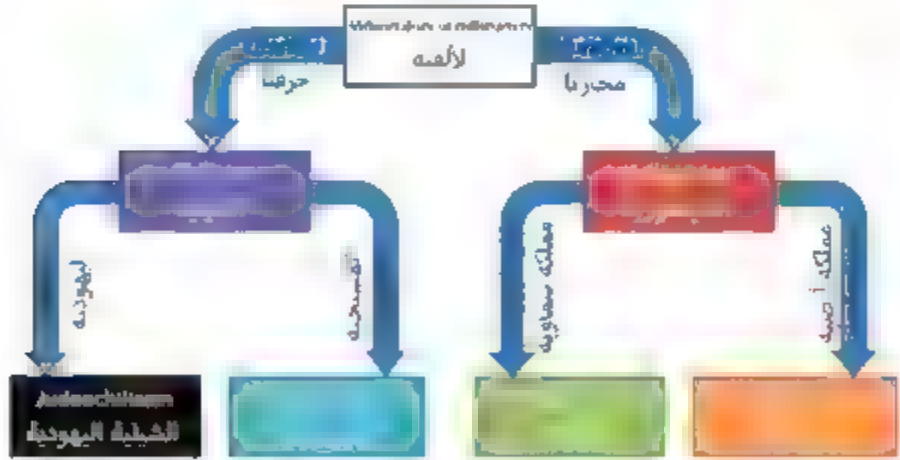
(1) "Chiliasm", New Catholic Encyclopedia.



داود عليه السلام، وسيؤسس المملكة المميتانية بالمعنى الجسدي وليس الروحي أو الرمزي- التي ستشمل العالم كله، وستمنع أتباعه بنو إسرائيل بكل أنواع المذات الجسدية في ظل حكمه.

ب- قبل-اللفية (Premillennialism) هي العقيدة التي يعتنقها الكثير من المسيحيين البروتستانت، وعلى رأسهم الإيفاحيليون، وتنصم الاعتقاد بأن يسوع سيعود جسدياً إلى الأرض (المجيء الثاني) قبل الألفية، وسيقود المعركة ضد الشر المتمثل بالشيطان و"عدو المسيح" (الدجال)، وسيقتصر عليهم، ثم يبدأ بذلك تأسيس مملكته بالمعنى الجسدي وليس الروحي أو الرمزي- التي تمتد ألف عام، وهذه العقيدة هي محل بحث هنا

وختصاراً، يُطلق مصطلح "الألفية" على نيار الشيلية، أي على من يؤمن عمومًا بأن المسيح سيؤسس مملكته الحقيقية على الأرض، وسيحكم ألف عام



ويتضمن سيارينو آخر الزمن لدى البروتستانت المؤمنين بالتفسير الحرفي خطة لإنهاء لدمر، وهي تقوم على أساس نمير شعب بني إسرائيل عن بقية البشر، بحيث ينبغي لمسيحي لإعادة هذا الشعب إلى أرض لميعاد وتأسيس دولة إسرائيل، وهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل، تمهيداً لوصول المسيح

وقبل بروله لا بد من بعض العلاقات، مثل مكاثرات الحروب والزلزلات والمجاعات، ثم سينزل المسيح إلى العيوس ويصعد إليه كل من آمن به، سواء كانوا أحياء أم أمواتاً، ولا يبقى على الأرض سوى غير المؤمنين يسوع. لتبدأ فترة "المحنة العظيمة" أو "لصيقة الكبرى" (Great Tribulation) بتسلط الأمراض والكوارث عليهم

ترى بعض الطوائف أن المسيحيين الأحياء في تلك المرحلة لن يصعدوا، وعليهم أن يتحملوا ويصبروا على آلام المحنة، ويرى آخرون أنهم سيصعدون في منتصف المرحلة وهناك خلاف أيضاً على تحقق هذه لفترة وطولها، فالبعض يرى أنها وقعت في عصور سابقة وكانت عقوبة لليهود، لكن الإيمانيون عمومًا يتطرونها في آخر الزمان ويزرون أنها ستستمد سبع سنوات

يؤمن الإيمانيون أيضاً بأن المحنة العظيمة ستشهد خروج "عدو المسيح" (Antichrist)، الذي يماثل الدجال لدى المسلمين، وهو طاغية يهود حيوش الشر ويتحالف مع الشيطان، ويطرأ لقوته الهائلة فيسيطر على العالم ويدنس الهيكل في أورشليم، ويعيد بناء مذبحة بابل التي تعد مدينة الخطيئة لدى كل من اليهود والبروتستانت.

وبعدما يعمّ الفساد والظلم الأرض، يحين موعد "المجيء الثاني" لبرول المسيح مع المؤمنين به. فيؤمن به بنو إسرائيل ويتخلّون عن يهوديتهم، ويصبحون حلفاء للمسيحيين. ثم تبدأ الملحمة الكبرى "هرمجدون" في منطقة مجيدو على أرض فلسطين، ليخشد فيه المسمومون مع بقية الأمم حلف قيادة "عدو المسيح" (الدجال) والشيطان "الوسيمر"، في مقابل اليهود والمسيحيين حلف قيادة المسيح، ويُقتل "عدو المسيح" مع كل جنوده في ما يشبه الإبادة الجماعية، بينما يُرمى لشيطان في "الهاوية" ويُقيد بالسلاسل، ولا يبقى على الأرض سوى المسيح ومن آمن به، لتبدأ بذلك فترة الألف عام، وهي التي يقبم فيها المسيح مملكة الألفية ليحكم الأرض بالعدل، ويعمّ تحرير والرحاء

وبعد انتهاء الألفية. يرفع المسيح والمؤمنين به إلى السماء، وتكسر قيود الشيطان ليخرج مع جنوده من الهاوية، ويستدعي جيوش يأجوج ومأجوج لمحصرة أورشليم، فيُرسل عليهم الرب النار ويرمهم في بحيره النار الأبدية، ويعبد الرب حق السماوات والأرض بعد دمارها، ويعيش المؤمنون في جنة المسيح إلى الأبد.

تلعب هذه العقيدة دورًا مهمًا في تصورات شريحة واسعة من الأميركيين كما أسلمنا، وتحدد مسار حياتهم وحياراتهم الانتخابية، وقد لعبت دورًا بارزًا أيضًا في السياسة الخارجية لبعض رؤساء القوى دولة في العالم، وعلى رأسهم رونالد ريغان وجورج بوش الابن.

أما الكنيسة الكاثوليكية الممثلة بالماتيكان فتأخذ بالتأويل المجري ولا تعتنق فكرة الألفية، لكن أتباعها ينتظرون مع ذلك ظهور "عدو المسيح" في آخر الزمان، حتى مع إنكارهم لفكرة حكم المسيح في الألفية السعيدة.

ويؤمن الأرثوذكس أيضًا بفكرة خروج "عدو المسيح" (المدجال)، ويقول المفكر الروسي البارز ألكسندر دوغين -وهو مقرب من الرئيس فلاديمير بوتين ومؤثر في سياسته- إن هذا الاهتمام اتخذ في روسيا شكلًا مستقرًا بحلول نهاية القرن الخامس عشر، مع ظهور نظرية موسكو- روما الثالثة، أي مع سقوط القسطنطينية (روما الثانية) وتحول مركز ثقل الإمبراطورية الأرثوذكسية إلى موسكو، وهنا أصبح الشعب الروسي مقنعًا بأن مهمته روسيا هي إبطاء مجيء "ابن الهلاك" (المدجال) ومع أن هذا الحماس الديني تراجع في عصر الإصلاحات لعربية فقد عاد للانتعاش مرة أخرى في القرن التاسع عشر، ثم ظهرت طائفة روسية تدعى "خليستي" تؤمن بالمجيء الثاني "للمسيح الرومي"^[1].

[1] ألكسندر دوغين "سبع حصارات: سحقكم النظام العالمي الجديد"، موقع الحصادي alkhanadeq.com.

لاحقاً بنى البلاشفة (اليسى ورفلاؤه) الفلسفة الشيوعية الإلحادية، لكن الروس طُلبوا مع ذلك يؤمنون بالجمعية التاريخية في الصورة العثمانية المركزية لهاية التاريخ -والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً- ثم مهدت لشيوعية. ونبنى بونين الحلفية القومية الأرثوذكسية لإعادة الهوية القبطية لروسيا، وأصبح لروس مضغعين الآن بأنهم يواحبون الحصاره الليبرالية المدية للمحدة في لعرب ويقول دوغين. "وبطبيعة الحال. فإنه مع ترسيخ روسب لضمها كحصارة مضمصة، فإن دور علم الأمور الأخيرة والأهمية المركزية لوظيفة التعليم المسيحي سيتزايد"⁽¹⁾.

هناك أيضاً طوائف أخرى قد تُعتبر متشعبة عن المسيحية، ولديها تصوّره لخاص عن آخر الزمن، ومن أشهرها جماعة "شهود يهوه" التي نشأت في أوائل سبعينات القرن التاسع عشر في ولاية بسلاميا الأميركية على يد تشارلز تار رسين. وهي تعتبر نفسها مضمصة عن كل الكنائس المسيحية، وربما تبدو أقرب إلى اليهودية من أصلها المسيحي ويعتقد أتباعها أن للشيطان ملاك ساقط، وأنه هو حاكم النظام العالمي الحالي من خلال سيطرته على معظم الحكومات، وأن الأمم المتحدة تمثل رأس الشر كما يعتقدون أن العالم دخل في مرحلة "الأيام الأخيرة" منذ عام 1914، وميعلن الشيطان قريباً حربه عليهم لأنهم وحدهم أتباع الحق، لكن الرب "يهوه" سيطلق حرب "هرمجدون" الشاملة لتدمير كل البشرية باستثناء أتباعه المخلصين. وبدأت حكيم الألفية بقيادة الرب لتصبح الأرض مثل الجنة

(1) المرجع السابق.

٢- 5- هي العلمانية الإلحادية العربية:

قد يبدو تناولنا للإلحاد في حديثنا عن علم آخر الرمان (Eschatology) عربياً ومستهجئاً. لكن غربة حب السيطرة والنطوع إلى صياغة المستقبل -بعد صياغة الحاضر- قد تدفع الملحدين إلى نبي -بيدولوجيات لا نختلف كثيراً في بعض جوانبها عن العقائد الدينية، ومنها نظريات مهدية لتاريخ

م بقصده مد هو حليط من النظريات التي تشكل بمجموعها ملامح لرؤية الإلحادية للمستقبل، ولتي قد لا تكون رؤية شاملة ومشاركة بين كل الملحدين الليبراليين، لكن الملامح الرئيسة قد تحقق لحد الأدنى من الشمولية

من أهم هذه النظريات التي نشأت في الحصرة الأوروبية الحديثة فكرة "التقدم الاجتماعي"، وهي تقمص الصهم المسيحي للبارح، فبدد كانت المسيحية تشر بالانهيار الأخلاقي وتريد مؤشرات الفساد في آخر لزمان، وصولاً إلى خروج الدحل، فإن الفكرة المصادة هي رفض كل هذا الانحطاط والإيمان بقدرة العلم المادي على حل المشكلات والارتقاء بالحصرة والإنسان^(١)

وهنا يأتي أيضاً دور النظرية الداروينية في الشوء والارتقاء، فكما يتطور الكائن الحي إلى كائن أكثر تعقيداً عبر سلسلة التطور الممتدة لملايين السنين فإن الحصرة نفسها تتطور، وبمعنى آلية الصراع وانتخاب الأقوى والأصبح سيستمر مسار الإنسان في الصعود والارتقاء نحو الافصل.

لنظريات الاجتماعية والأنثروبولوجية الإلحادية تنفق كلها تقريباً على أن الإنسان ارتقى من حالة وحشية عندما كان يعيش في الكهوف، إلى التفكير الوجودي وانتكار الأساطير، ثم إنشاء المنظومات الدينية وتشكيل الحصات والدول، وصولاً إلى تشكيل المجتمعات العلمانية القائمة على النظرة العلمية المادية للعالم.

(١) نلرجع نفسه



ومع استمرار هذا التطور الاجتماعي، بالواري مع التقدم التكنولوجي على كل الأصعدة، سيصل الإنسان حسب هذه الرؤية إلى اكتشاف سر الحبود ومقاومة الموت، وسيُبدع تقنيات حارقة في مجال الدكاء الاصطناعي لتحمل عنه كل الأعباء وهذا قد تنشق التطورات المستقبلية إلى شقين، أولهما تفعيل بقدرته الإنسان على توظيف هذه الاختراعات لصالحه، حتى يعم السلام والأمن وتنتهي لحروب ونمذود الديمقراطية لكوبية على كل الكوكب وتصبح البيوتوبيا (المدينة لفاصلة) حقيقة واقعه، والثاني على النقيض وهو يتصور النهاية الكارثية (ديستوبيا) للبشرية بـسيطرة الروبوتات على كل شيء، ويقرص البشر، أو ماقرص اندلاع حرب نووية تقضي على كل شيء، وثمة مـسـياريوهـت أخرى تتصور دمار الكوكب بسبب التغير المناخي والتلوث والحروب، وهروب أقلية من البشر إلى الكواكب الأخرى لبدء مسيرة جديدة للبشرية

ولعل نظرية "نهاية التاريخ" للمفكر الأميركي من أصل ياباني فرسيس فوكوياما من أشهر الأمثلة على المـسـياريو المتفائل، إذ وضع نظريته في منتصف التسعينات ليعلى أن سقوط الشيوعية هو دليل على انتصار الديمقراطية العربية بمطوومها الاقتصادية الرأسمالية، وأن التاريخ البشري قد وصر بذلك إلى نهاية تطوره أما الكاتب الإسرائيلي الملحد يوفال نوح هـراري فيبدو أكثر تطرفاً، إذ لخص في كتابه "العقل تاريخ مختصر للجـنـس البشري" الرؤية الإلحادية لتطور بشري من رجل الكهف إلى الإنسان المـمـر في لـدي لم يعد يتقيد حتى بجـنـسه البيولوجي¹، ثم اعتر في كتابه "الإنسان الإله" لصـدـر عام 2016 أن لتقدم التكنولوجيا غير المسبوق في مجال الدكاء الاصطناعي قد رفع الإنسان إلى مرتبة الآلهة، وسيسمح له قريباً بتربية جسده وعقله اصطناعياً وقد تتفاوت مواقف هذا المؤلف بين التأمل والتشاؤم، وتحظى كتبه ودروسه بترويج استثنائي من كبار السياسيين ووسائل الإعلام في العرب،

¹ أصدر إنساره إلى نـ هـراري بعـه شاد جـنـسـياً ويعـس في حاله روح مع رجل مثله

حتى بيعت كنيته بعشرات الملايين من النسخ، وبأل عدة جوائز عالمية، مع أن طرحه لم يأت بجديد في الوسط الثقافي الإلحادي!

من جانب آخر، ظهرت في الحناح الإلحادي غير الليبرالي نظرية أخرى لهيأة الخارج، ونقصها هنا في العالم الشيوعي الماركسي، ومع أن نمود هذه النظرية في الجانب السياسي قد تدثر عملًا إلا أن الأفكار قد تبقى حية على الدوام

كانت بداية هذه النظرية على يد الفيلسوف الألماني فريدريش هيجل المتوفي عام 1831، مؤسس النظرية الجدلية (الديالكتيكية)، إذ كان يرى أن التاريخ يتطور في سلسلة دورت جدلية، تتصارع فيها الأضداد حتى تصل لحصارة إلى حالة أكثر تطورًا بنهاية كل دورة، وقد أثرت هذه النظرية على الرايخ الثاني في ألمانيا بقيادة بسمارك، ثم ثرت أيضًا على الرايخ الثالث والحكومة لبارية التي قاده أدولف هتلر لكن مؤسس الشيوعية الألماني كارل ماركس قدم تصورًا مقلوبًا لهذه النظرية، وبى فهمه الشيوعي للتاريخ على أساس صراع الطبقات، راعيًا أن البشرية ستنتهي أخيرًا إلى شيوعية شاملة تلتشى فيها الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، وتدير حكومة الشعب كل شيء في ظل المساواة المطلقة، وطبقًا تحت راية الإلحاد وقد تبنت حكومة الاتحاد السوفييتي هذه النظرية بكل حماس، وأقامت عليها سياساتها للسيطرة على ملايين البشر في روسيا ودول المحيطة بها.

وبالحلابة، قد تقدم النظريات السابقة للسياسيين المنحدين من الليبراليين والشيوعيين- مسؤعات أخلاقية للسيطرة على العالم، كما كانت الداروينية الاجتماعية من أهم أدوات الدافع عن الاستعمار وسرقات الشعوب التي اعتُبرت أقل تطورًا من الإنسان الأبيض، وقد شكل أيضًا أحد الروافد لفكره للحطط الإستراتيجية لدى بعض لدول العربية ليوم، وخصوصًا مع انهيار المنعمر والسريع للعلمية المسيحية

٦- هي الهندوسية:

تنص الأساطير الهندوسية على أن العالم يمر بعدة دورات رمزية طويلة، ولسوء الحظ فبحر نعيش حاليًا في رابع وأسوأ العصور، وهو عصر كالي يوغا (Ka Yuga)، والذي بدأ حسب رعلمهم في عام 3102 قبل الميلاد، ومع أن أكثر من خمسة آلاف سنة قد مرّت على بدايته إلا أنه ما زال في بدايات فطول هذا العصر يبلغ 432 ألف سنة.

يعدّ العصر الحالي حسب اعتقادهم مليئًا بالصراع والخطيئة، وهو عصر الظلام والرديلة وليؤس والنفاس، وعندما يقترب من نهايته سيظهر في عالم البشر الكائن لعظيم كالكي، قادمًا من عالم شامبالا الحقيّ لذي نعيش فيه الآلهة والأرواح الخالدة، وكالكي هو الصورة الرمزية (أفاتار) العاشرة للآله فيشنو، وسيقاتل الشيطان الشرير كالي يوغا وينصر عبه، وينتهي بذلك لعصر المظلم ويبدأ العصر الجديد "ساتيا يوغ"، وهو عصر الخير الذي تقوده الآلهة، وسيستمد مدته مليون و728 ألف سنة، ويكون الجميع فيه صالحون وأنبياء، ثم تعود دورات الزمن للتجدد ويظهر عصر كالي يوغ مرة أخرى بعد ملايين السنين.

قد لا تشكل هذه لعقيدة أهمية كبيرة في الهندوسية، وربما يبدو للبعض أنها لا تترك أثرًا مهمًا في الحياة اليومية للشعب الهندوسي، فهذه هذه العصر حتمية ومعروفة، والأهم من ذلك أنها بعيدة جدًا في المستقبل، لكن الإهمال بالكارما عمومًا وبالعصر النفاقي والانحطاط الأخلاقي الحالي يؤثر بالفعل في بعض قرارات الهندوس، وأيضًا في سلوك الحكومة فعلى سبيل المثال، كشفت دراسة أجريت عام 2010 أن الإيمس بالكارما طويل المدى يحفف تأثير حساسية عدم التأكيد على التوقعات لدى المستهلكين، أي أنهم يسعون لريادة المتعة على المدى



القصور¹ كما يظهر أثر هذه العصيدة في محاولات تفسير ما قد يحدث من كوارث طبيعية، أو حتى ما يسود العالم عامةً والهند خاصةً من طيفية وقهر وفقر بأنه من لوازم العصر الذي نعيش فيه، وقد يدفع البعض لسقوع عن الإصلاح من جهة أخرى، كثيرًا ما ادعت بعض الشخصيات الدينية ولسياسية أنها تمثل كالكي، مع أن الأسطورة تنص على أن ظهوره سبقي أن تناحر أكثر من 400 ألف سنة عن عصرنا الحالي، لكن هذا لم يمنع الطامحين إلى التصبّر من محاولة الاستفادة من الأسطورة، حتى اشاعت بعض الدوائر لعمومية الهندوسية المؤيدة لرئيس الوزراء الهندي ناريسرا مودي أنه يمثل كالكي نفسه، أو على الأقل هو النذير الذي ينشر بقرب ظهوره



يُصوّر كالكي دالما على هيئة رجل مع حصان أبيض ومعه سيف

وفي عام 2000 أسست جماعة صوفية في بريطانيا "مؤسسة أفاتار كالكي" (Kalki Avatar Foundation) لتبني الدعوة إلى أفكار الداعية الصوفي الهندي رياض أحمد جوهر، الذي ادعى أنه المهدي وكالكي في آن واحد، وبنو أنه مار في ذلك على خطأ من سبقوه، إذ ادعى مؤسسها القاديانية والبهائية أنهما يمثلان المسيح والمهدي وكالكي معًا.

(1) Praveen K. Kopalle, Donald R. Lehmann, John L. Farley, "Consumer Expectations and Culture: The Effect of Belief in Karma in India" Journal of Consumer Research, Volume 37 Issue 2 August 2010, Pages 251–263.

7- هي البوذية.

يؤمن البوذيون أيضاً بأن الكون يمرّ بدورات طوبى ومتعاقبة، وأن تعاليم بود ستظل حية لخمسة آلاف سنة بعد رحيله، ونعدهم سيبدأ الاصحاح والفساد.

سيترجع عمر الانسان حتى يبلغ عشر سنوات فقط، وسيقلص حجمه أيضاً، وسيصبح عدوانياً للغاية ومحبا للحرب، لكن هذه لفترة الرهيبة لن تطول، وسيأتي المختص "مايتريا" لإنقاذ البشرية، وهو بودا الخامس والأخير، وسيحقق الاستعادة الكاملة خلال حياته، كما سيعيد إحياء تعاليم لدارما كما فعل سلفه من قبل.

يعتقد البوذيون أن مايتريا يعيش حالياً في توشيتا، وهي إحدى العوالم الخمسة في السموات، والتي كان يعيش فيها بودا السابق قبل ولادته وبما أن مايتريا حيّ الآن فيمكن للبعض التواصل معه، كما نرى البعض أنه رهم في الواقع أو في الرؤى والأحلام.

تنص بعض التعاليم البوذية على أن ظهور مايتريا الأول سيكون في الهند، وعندما يراه الناس بأحجامهم الصغيرة وهو على هيئة الجميلة سيسألونه عن السبب، فيقول إنه نتيجة تأمله الدائم في الحب، وعندها سيبدؤون بتعلم الحب ولتأمل لأول مرة، وسرعان ما ستبدأ أعمارهم وأحجامهم في الزيادة، ويدخل عصر ملوك العالميين العظماء، وفي نهاية المطاف سيبلغ عمر الإنسان 80 ألف سنة

وعند الوصول لهذه ندوة، وقبل أن يعود عمر الإنسان للانحصاص مرة أخرى، يحين موعد ظهور مايتريا كمعلم عالمي، فهد هو الوقت الذي سيكون فيه العالم جميلاً وسعيداً للغاية، فالأرض ستكون حالية من الجبال لوعرة، والزرق موفر، والسلام يعمّ العالم لن يكون بودا مايتريا بحاجة لتتشف كما



كان أسلافه، إذ لن يبقى هناك معاناة في هذه الحياة، وسيصبح الحب هو شعار العالم⁽¹⁾.

وبعد هذا السلام سيحين وقت الاندثار، وبدأ الشمس بالتصخم وتجهيف مياه الأرض، ثم يظهر سنة شمس أخرى لتقوم كل منها بتجهيف أحد مصادر المياه أو إشعال البراكين، ويظهر الشمس السابعة ستحترق الأرض كلها وتلتبخر، فلا يبقى لها أي أثر⁽²⁾.

وكما هو الحال في الهندوسية، فإن معي المخلص مثير في آخر الزمان سيكون بعيدًا جدًا، إذ نص بعض التفسيرات إلى أنه لن يأتي قبل خمسة مليارات و670 مليون سنة من الآن، لكن هذا لا يمنع البوذيين من لتناول بظهوره المؤقت والتعلم منه في عصرنا الحالي. كما يتفاءلون أيضًا بأن يعودوا للحياة في العصر لدهي. لدي سيطر فيه مايريا، ولا تمنح كتهم على العمل لتحقيق هذا العصر لدهي أو تعجيله، إذ لا يمكن التدحر في الطبيعة الدورية للرمز

وتشابه الموقف البوذي مع الهندوسي أيضًا في نسبة لكثير من الكوارث لقوانين الكارما، فاحيى وباء كورونا للعالم في عام 2020 مثلًا لم يكن سوى نتيجة للعمل الكارمي، وكانت وراءه أربعة أسباب، وهي العولمة التي سهلت النقل والسفر حول العالم، وزيادة معدلات التحضر في المجتمعات البشرية، ولسمر البيي وتغير المناخ، وظاهرة الجشع والاستهلاك التي أشعها النظام الرأسمالي التسوي⁽³⁾ لنا يصبح القاده البوذيون بمقاومة هذه المؤثرات

(1) Tsen-shap Serkong Rinpoche. "The Coming of Maitreya Buddha" November 1982

Study Buddhism by Berzin Archives studybuddhism.com

(2) Yalch Wasurendra. Buddhist Answers: For the Critical Questions. Al. bris, 2013. p. 108

(3) Tsetan Namgyal. "Buddhist world-view during covid-19 pandemic" Journal of indian Research, Vol.9, No. 1&2, January-June 2021, p. 29



للحيلولة دون وقوع المزيد من الكوارث، لكن منظورهم الأوسع لسورات الرسم يظل مقيدًا بضرورة الاصمصال التدريجي.



مخطوطة بابانية قديمة تنصص تصويرًا لشخصية ماير.

8- في حركة العصر الجديد:

يمكننا القول إن هذه الطائفة هي الأكثر اهتماماً بديوءات آخر الزمان، فوجودها قائم أصلاً على هذا المعتقد وكما سيقت الإشارة في فصل "حركة العصر الجديد" هناك فريق يعتقد أن العصر الجديد (السلو) على وشك البدء، وفريق آخر يعتقد أنه بدأ بالفعل، وكلاهما ينتظر المائتريا الذي ينتظره البوذيون، لكنه أقرب لظهور في رأيهم مما يعتقد أتباع بودا

كانت لبداية على يد هيليا بلاهاتسكي مؤسسة جمعية النصوصوفيا، ولدي ذكرت في كتابها "العقيدة الممرية" أن الإنسان يتحدر من سبعة أعرق جذرية، وهي تتطور منذ ملايين السنين، وكل عرق جذري ينقسم إلى سبعة أعراق فرعية، وكل منها ينقسم إلى سبعة أخرى. ونحن نشهد الآن المراحل الأخيرة من وجود العرق الجذري الخامس، ولدي انقرضت منه أربعة أعراق فرعية، عاش كل منها أكثر من مئتي ألف سنة وبعد حوالي 25 ألف سنة سيبردهر العرق لسادس، وأحياناً لن يبقى على الأرض إلا العرق السابع والأخير، وهو الأكثر تطوراً وقرناً من الكائنات الروحية. وفي نهاية هذه الدورة سيصبح الإنسان من الكائنات لسماوية التي شيدت الكون، وسيعيش حياة روحية ويسبح بين الكواكب⁽¹⁾.

ذكرت بلاهاتسكي أيضاً أن الكائنات الروحية التي تحكم عالمنا تعيش على كوكب الزهرة (جمعة الصباح)، وأنهم تساعدنا على النمو الروحي حتى يرتقي ويصبح مثلهم في نهاية المطاف، معتبره أن الأديان أساءت فهم هذه الكائنات الملائكية واعتبرتها من الشياطين، وعلى رأسها كائن يدعى "سادات كومارا" (Sanat Kumara). وصفاته نطابق مع صفات إبليس⁽²⁾ كما أكدت

(1) "Fifth Root-Race", theosophy.wiki

(2) The Secret Doctrine, vol. II, p. 106.

ملا هاتسكي أن لكل عرف مرشده الخاص (بودا)، وأن المائتيا بتكرر ظهوره عبر التماسخ في كل العصور والأعراق. وسبق له أن تجسد في عرفنا الحالي على هيئة الإله الهندوسي كريشنا، ثم في صورة بودا، ولاحقاً في صورة يسوع المسيح، وسهعود للتجسد قريباً

كاتب جمعية الثيوصوفيا رانده في استيراد الأفكار الهندوسية والبودية وبشرها في العرب منذ منتصف القرن التاسع عشر، لكنها أصافت عليها الكثير من التعديلات، وقد جعلت التمهيد لاستقبال مائتيا على رأس أولوياتها، ثم رهنت الجمعية على الصبي الهندي حيدو كريشنا موري ليكون هو المائتيا، لكنه تخلى عن هذا الدور في أوائل ثلاثينات القرن العشرين، وظل أتبع الحركة بتطرون البديل، ولعل أشهرهم البريطاني بياض كُريم، الذي روج منذ الثمانينات فكرة وجود مايريا بالفعل وأنه يعيش متخفياً في لندن، وظل كُريم يكرر هذه المزاعم حتى وفاته في عام 2016

رغم كانت حركة العصر الجديد مسؤولة بشكل غير مباشر أيضاً عن ظاهرة ادعاء الكثير من الشخصيات أنهم هم المائتيا، أو محاولة بعض الأتباع إلصاق هذا اللقب بقادهم الدينيين، ومع أن هذا الادعاء قد ظهر سابقاً في الصين وكوريا على مر القرون، لكن الظاهرة أصبحت أكثر شيوعاً وتكراراً في القرن لعشرين مع انتشار فكرة انتطار المائتيا في العرب

ومنذ ستينات القرن العشرين، استمدت "الثقافة المضادة" فكرة منتطار المائتيا من حركة العصر الجديد، ومع أن هذه الثقافة استثرت تقريباً لكن فكرة المائتيا ما زالت تقاوم الزمن وتتجدد، لاسيما مع تزايد نشاط الجماعات المؤمنة بوجود الكائنات الفضائية في القرن الواحد والعشرين، والتي أصبحت تنشر أفكارها عبر الإنترنت بكثافة، وهي تركز باستمرار على فكرة وجود كائنات متطورة لبعية على الكواكب البعيدة وقد هبطت على الأرض مرر قبل آلاف



السياسيين، وهي المسؤولة عن تخليق الإنسان الأول مخترعاً، كما أنها عا رالت تراقب تطوره ويقدم له بعض المساعدة في الخفاء، وقد اقرب موعد ظهورها العلني لتنفذ البشرية من الدمار الذي يحل بالكوكب، سواء بالتعير المادي أو بالجشع والاستهلاك الرأسمالي ومع أن هذه الجماعات لا نتحدث غالباً عن لمايتري نفسه ولا تلمص إلى الحجاب الروحي لكنها تلمصك بسيباريو مشايه لأخر الرمار. مع تطوعهم إلى الخلاص القادم من كائنات متطورة



: 9- هي الغنوصية:

يُقصَد بالغنوصية عمومًا تيار واسع من المذاهب الباطنية الممتدة على طول التاريخ، لكن المعنى الأخص يتعلق بالطائفة التي يعود نراؤها إلى القرن الميلادي الثالث وما بعده، وهي طائفة سرية لا تُعرف الكثير عن مؤسسها وقادتها وتباعها، لكن أفكارها وعفائدها شائعة لدى كل لطوائف الباطنية والجمعيات السرية

من أهم وثائق هذه الطائفة مخطوطه سمّاها المؤرخون "في أصل لعالم" (On the Origin of the Word)، وقد اكتشفت ضمن مخطوطات نجع حمادي في عام 1945 في صعيد مصر، وتشرح هذه المخطوطة الباطنية الغنوصية لأصل الخلق ونهاية الزمان⁽¹⁾، فالخالق هو بند بوث وليس آله الذي يعبدّه المسيحيون، وهناك "حامل للدور" فتح عقول آدم وحواء على الحقيقة عندما أكلوا من شجرة المعرفة، وهو إبليس نفسه الذي تبيّنه الغنوصية وكافة الطوائف السرية

يسود الكون لدى الغنوصية ميثاقًا بأنواع متعددة من الآلهة والكائنات السماوية، وهي منقسمة بين عالمي الخير والشر، وتاريخ الكون حافل بالصراع فيما بينها وفي النهاية ستحدث حرب كبيرة بين الملوك العظماء، حتى تمتلئ الأرض بالدماء، وتظلم الشمس ويظلم القمر، وتتهار السماوات واحدة تلو الأخرى، لكن النور هو الذي سينتصر ويفضي على الظلام، والمؤمنون بالغنوص سيدخلون عالم الخلود⁽²⁾

(1) Hans-Gebhard Bethge and Bentley Layton, "On the Origin of the World" The Gnostic Society Library, gnostic.org

(2) Ibid.



ومع أن القصة ليست غنية بالتفاصيل، لكن يمكن بسهولة استنتاج اعتقاد الغوصية بأن إبليس هو قائد عالم النور الذي يبغثونه، وأنه إله الذي سينتصر في النهاية، وأنهم سيلحقون به في جنة الجلد. وسجد أثر هذه العقيدة لدى أتباع الجمعيات السرية وحركة العصر الجديد، وفهم فئة من المتنقيين والنخب.



١٠- الزرادشتية:

تقوم هذه لديانة على عميدة الصراع بين إله الخير **أهورا مردا** وإله الشر **أهريمان**، وهو صراع ممتد منذ زمن طويل وقبل ظهور البشر، وعندما ولد زرادشت بدأت الحقبة الأخيرة التي تمتد ثلاثة آلاف سنة، وسيظهر في نهاية كل ألفية بني مجدد، أو **مُحلّص**، لبشر نعاليم زرادشت حول لعالم، ومكافحة الفساد والظلم والانعزال، وسيكون آخرهم "شاو شينايط" أو "شوشير" أو "سوشيايت"، وهو بمثابة المصلد للبشرية في آخر الزمان

تقول الأسطورة، إن عدراء منبرل للاستحمام في بحيرة كانا ساف، فتسرب إلى رحمها بدور زرادشت التي حملتها الملائكة بانتظار اليوم لموعد، وهكذا تحمى العدراء شوشاير في رحمها ويولد من نسل زرادشت، بدلاً من أن يكون المخلص إنساناً مولوداً من أبوين بشريين. لأن خلاص العالم في النهاية هو مسؤولية الإنسان.

تعتقد الزرادشتية أن الصراع بين عالمي الخير والشر سيبلى دروته في هذه المرحلة، وسيمنأى العالم بالظلم والكفر والفساد وعندما تبلى الطوبى الحماجر، ويتطلع لبشر لظهور المحلّص، يولد شوشاير بتلك الطريقة الإعجازية، ثم يعلن عن ظهوره بعلامات عديدة، ومنها أن الشمس ستقف في كبد السماء ثلاثين يوماً وعندها سيأمر شوشاير الناس الطيبين ولصالحين بالانضمام له كي يحاربوا قوى الشر ولطلام معه، ثم يقود لمعركة الأخيرة الفاصلة ضد أهريمان، ويقضي عليه.

وهكذا ينتهي الشر وتعلو كلمة أهورا مردا، وينتشر الخير والعدل والصحة والسعادة، وتبعث المؤمنين من قيورهم ليعيشوا في هذه الجنة الأرضية التي



سنة ألف عام^(١) ومع أن الطائفة الرادشنية لم يعد لها وزن كبير في خارطة الطوائف، فقد ارتابنا ذكر حطها لأحر الرمان لإمرار تشابهها مع ما ورد في الأديان الأخرى، لا سيما أن أتباعها وهم قلة يعولون كثيرًا على قرب تحققها

ويحذر بالذكر أن الديانة المانوية التي ظهرت في إيران، بصفتها سعة معدلة من الرادشنية، قالت أيضًا بظهور المخلص في أحر الرمان، وقد كان أتباعها في ظل الدولة العباسية يضطرونه، حيث رعم أبو سعيد الماسوي، وهو أحد قديهم، أنه بقي لأحر الرمان خمسون سنة^(٢)

٥ صراع النبوءات

يمكننا، بصافه نبوءات أخرى إلى ما سبق، فهناك سياريوهات لأحداث أحر الرمان لدى كل من اليهودية ولعاديايه. والديانة الرسافارية التي ظهرت في جاميكا وكانت تؤله الإمبر طور الانهوي هيلاسيلامي الأول، وأيضًا لدى بعض الطوائف المسيحية واليهودية الصعيرة، وكذلك لدى بعض الديانات الشمسية عند قبائل السكان الأصليين في الأمريكتين، وبعد أيضًا في تاريخ مصر القديم أن الإسكندر الأكبر عندما دخل مصر استقبله كهنة "أمون" بحفاوة كي يطرد لفرس، واعتبروه لمخلص المنتظر لأحر الرمان^(٣)، لكننا تجاوزنا كل ما سبق لتركيز على الأديان المؤثرة في جماعات بشرية أكبر، وهوى سياسية فاعلة، فهناك أيضًا رؤى أخرى لدى ديانات مندثرة مثل الأساطير الإسكندنافية، التي لم يعد يعتنقها إلا القلة من الباحثين عن الروحانيات القديمة

(١) محمد عوي بدراي "المسيح، مخلص في الأديان وانحصارات انعمية (الروادشنية نموذجًا)"، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، طرابلس: لبنان، عدد 75، ص 91

(٢) محمد الناصر صديقي، فكرة المخلص بحث في الفكر اليهودي، دار جداول، بيروت، ط 1، 2012 ص 52

(٣) فاج الميني، مرجع سابق ص 29



في المقابل، هناك أمة ذات وزن كبير لكنها لا تمتد بطول أي رؤية أحادية، وهي الصين. فمعظم الشعب الصيني ملحد، والحكومة تنبئ الإلحاد الشيوعي بصيرمة، وحتى مع عادة اكتشافها لتراثها الطاوي والكونفوشي فهي لا يعزّز الكثير لأن أساطير هاتين الديانتين لا تذكر شيئاً عن حجر الرمن ونكتهي الطاوية بالاعتقاد بأن الإمبراطورية الصينية هي صورة لتسلسل الهرمي الكوني، مما يحدث في الصين هو انعكاس لما يحدث في العوالم الخمسة من الكون، والإمبراطور يدل الحكم بنموذج من السماء، وهذا كل شيء.

بناءً على كل ما سبق، سنحاول إجمال تأثير نبوءات آخر الزمان على رؤى أطراف الصراع الرئيسية في خارطة الطوائف، وذلك في الأجزاء التالية:

1- العالم الإسلامي السني وهو مقسم إلى عشرات لدول متنوعة الأعراق ولماهات واللغات، ومع أن الكثير منها ينص في دساتيره على أن الإسلام هو المصدر الأساسي للتشريع، أو ربما المصدر الوحيد، لكن تبني الإسلام تطبيقاً عملياً في سياسة الحكم الرشيد ليس له وجود، كما لا يبدو أن هناك أي حكومة في هذا العالم السني تستمد جزءاً من رؤيتها الإستراتيجية من رؤى آخر الزمان، ولو كان ذلك على المدى البعيد أما أفراد المسلمين فتتوقع أن العالمين الكبري مهم تؤمن بحقيقة ما جاء في القرآن والسنة عن آخر الزمان، وليست هناك حصص أو استطلاعات رأي يمكن التعرف منها على مدى تأثير هذه النبوءات على سلوك الأفراد والجماعات بعيداً عن قرارات الحكام. لكن يمكن القول من خلال أطلاعا على محركات الأحداث أن الاهتمام بتدوين أحاديث لفتن والملاحم على الوقائع يزداد في أوقات الحروب، كما حدث أثناء حرب الخليج (عاصفة الصحراء) وخلال الثورة السورية (لتي اندلعت في 2011)، وأيضاً كلما تحدد العدوان الصهيوني على قطاع غزة، ثم يختم هذا الاهتمام في حالات السلم والهدوء، وهناك شريحة من الشباب -لا يمثل

إحصاءات عن حجمها تنشوف في كل الظروف لتبريل النصوص على الوقائع من خلال اهتمامها ببعض الكتب التجارية⁽¹⁾ والقنوات المتخصصة في هذا الملف على شبكة الإنترنت.

2- العالم الإسلامي الشيعي وهو ممثل -من الناحية السياسية- بيران في الدرجة الأولى، ولتي يصودها منذ أواخر السبعينات نظام ديني مؤسس على نظرية ولاية لفيقه، ويسبى بكل حماس رؤيته الخاصة لمشروع آخر الرمن، القائم على تعجيل حروح المهدي ونظرًا لشيوع الترواعدا (لدعية) لطائفة التي يتبناها النظام الإيراني وفيه المرجعيات الشيعية في العراق ولبنان وغيرهما، تنتشر حتى انتظار حروح المهدي بين الجماهير الشيعية بشكل قد لا نجد له مثيلاً لدى أي طائفة أخرى

3 العالم لعربي ممثلاً بأمركا الشمالية والاتحاد الأوروبي وأستراليا وحلف شمال الأطلسي (ناتو)، وهو يصم أغلبية سكانية لادبية أو محددة، كما تقوده مؤسسات وأنظمة تتحد من العلمانية دمتورًا صارفًا وقد تتفاوت درجة تبني هذه الدول للعلمانية في بعض المشكلات، فهي فرنس مثلاً هناك حساسية

رأى تسو صاهره همام شريحة من القوام بهذا الاسم شائعة على مر العصور، فكتب العس "لشيعي عيم بن حماد من لقرب ثالث 'مهرري' مارال يفتح ونعرا على نطاق واسع، مع ن كبار العلماء ما فتلوا يتسبون لناس هالف هذ الكتاب وامتلأه بالأحبا، بموضوعه و نواهي، فهو لا يصح أن يكون مرجع في هذا باب ونظرًا لجاذبية قصص الفس وغرابها، وما قد يحوي عليه من مل بالخلاص في رمن المدة، ما آل بعض المؤرخين بنشرون كتبا من هذا النوع، وبعضهم لا يتورع عن الكتب والأهراء ونميق 'لحديث على ألسنة الصحابة، وبعضهم قد يكتفي بن اعتناق 'أحاديث' أو الاستشهاد بنس ابن حماد لتزييلها على وقعة المعاصر وقد أحسن الباحث السعودي عبد الله العجوري في وضع صوابط مهمة لفهم هذه النصوص في كتابه 'معالم ومبارك في تدريل نصوص بنس والملاحم ونشرط لمادة على الوقائع والحوادث، كما خصص الشيخ محمد العريفي في كتابه "هبة بعلم" جرة لتفصيل قواعد التعامل مع اشروط لمادة وتزييل على الوقائع انظر بابة العالم، ص 12 20.

متطرفة في النمر من الأديان وفي تبني العلمانية لشامله في السياسة والمصء العام في المجتمع. لكن النمط العثماني الأنجلوسكسوني يبدو أكثر تصالء مع الدين، ومع هذا تبني العلمانية دستوراً للنظام السيامي في لعالم لعربي كله. ومن ثم تصبغ لرؤفة الإلحادفة المءدبة للمستقبل هي النموءج لرسمي للإستراتيجيات العالم الغربي

مع ذلك، هناك طائفة إسماعيلية ذات وزن لا يستهان به في الولايات المتحدة حديثاً، وبسبب أقل بكثير في دول أنجلوسكسونية أخرى، وقد يكون لها دور ما في صبائه بعض المواقف السياسية والعسكرية المبينة على سياربو "الألمفة" لأجر الزمن، وبالطريقة التي سبقت الإشارة لها في درتي ربعين وموش الآن، لكنها تستبعد ذلك في المستقبل القريب مع ترايد انتشار الإلحاد والعلمانية في المجتمع الأميركي وانحسار المءد الإسماعيلي

والأهم من ذلك أن جزءاً لا يستهان به من المنتمين العلمانيين في لعالم الغربي ليسوا ملحدين، بل يُحسبون على طوائف العنوصية وحركة العصر الجديد. وهم غالباً أعضاء في الجمعيات المسمرة (الماسونية وغيرها)، وهذا يعني أن تصورهم الإستراتيجفة مبينة على فكرة جومرية وهي برقب ظهور المائتية (السي يبدو أنه الدجال) أو السعي إلى تعجيفه. وربما ممارسة طقوس لعبادة وتقديم القرابين إلى "لوسيفر" نفسه وهو بضمن. وقد يتصمن ذلك العمل على كل المشاريع التي تحقق أفايات إبليس في مءهضة الأديان والاحتلال الأخلاقي ومسخ لفطرة البشرية وبما أن هذا الانتماء الطائفي سري بحت. فمن الصعب تقدير وزنه ومدى انتشاره بين الشعب، خصوصاً أن بعض القرارات التي صبب في صالح هذا التيار -مثل أجندة الجندر وما بعد الإنسانية- قد تصدر عن حلففة إلحادفة بحتة وليست عنوصية شيطانية

4- الطرف اليهودي مع أن دولة الكيان الصهيوني (إسرائيل) محسوبة سياسياً على العالم لعربي فلا بد في هذا العميق من عزلها في جزء مستقل. لأن



الرؤية اليهودية لأحر أرمان مستقلة تمامًا وأشاع في الأوساط السياسية أن الحركة الصهيونية أقيمت على نوافذ علمانية، وعُلقت بقشرة دينية طاهرية، أي أن قادتها ملاحدة، وهم يوظفون الحماس الديني لدى شركائهم المتدينين لتحقيق مآرب سياسية بحتة، لكننا نرجح أن قيادات الصهيونية تجمع حليط من الطرفين، وأن لجامع الذي يوحدهم في عمل مشترك هو تقاطع المصالح المتمثل في قيام واستمرار دولة إسرائيل.

بدء على ما سبق، فهناك عدة رؤى لميسريو أحر الرمن لدى لطائفة اليهودية على مستوى العالم الرؤية الأولى علمانية إلحادية، لا تختلف عما سبق شرحه لدى الملاحدة العربيين، لكنها في الطرف اليهودي تكتسب خصوصيتها من الشعور بالنموق اليهودي، حتى مع عدم الإيمان بالدين نفسه وهذه الشريحة (اليهودية الملحدة) قد ترسم إستراتيجياتها لتصرع بدء على ضرورة بقاء وسمو دولة إسرائيل، ويدون أكثر ث لاقي نبوءة دينية

لرؤية ثنائية يهودية متدينية، لا تنظر للعالم إلا من زاوية التعالي على بقية البشر، ويستظر أصحابها بكل حماس لحظة بدء الهيكل وحروج "المسيح" وسمو العصر المسيحي وكل القرارات السياسية لدى هذه الشريحة من اليهود مبنية على هذه العقيدة

الرؤية الثالثة شيطانية بحمه وهي مطابقة لرؤية معسقي الأديان العنوصية، وكبار الأعضاء في الجمعيات السرية، وأصحاب هذه الرؤية من الحب في العادة، وهم لا يستظرون خروج المسيح في حر الرمن، بل الميتريا، أي الدجال

5- العالم الأرثوذكسي بقيادة الدولة الروسية، ويصمم دولًا أخرى تدور في الصك الروسي في أوروبا الشرقية وسياسة الكرملين تتبنى فعليًا رؤيتها القومية الأرثوذكسية لأحر أرمان، وترسم إستراتيجياتها في ضوء الصراع المحتفي مع



رؤى لقوى الأخرى، وعلى رأسها العالم العربي ومن الراجح أن شريحة كبيرة من الشعب الروسي، تريد عن النصف، تنبئ هذه الرؤية أيضًا

6- العالم الهندوسي صانعو القرار في الهند مهووسون بامتداد أفكارهم وتصوّراتهم للعالم من أساطيرهم الدينية، لكن ملف آخر لزمان ليس مؤثرًا كما أملنا لأنه بعيد جدًا في المستقبل.

7 العالم البوذي كما هو الحال في العالم الهندوسي، لا يترك ملف آخر الزمان تُرّ واصحًا على الثقافة والسياسة في العالم البوذي، لا سيما أن رسوم مايتريا المتوقع سيكون بعيدًا جدًا في المستقبل، كما أن الدول ذات الأغلبية البوذية لا تمنع بورن إستراتيجي كبير على الساحة الدولية، وهي كمبوديا وتايلاند وفيتنام وميانمار وبوتان وسريلانكا ولاوس، ولكن إذا أضفنا اليابان إلى هذا العالم فستميل الكفة بقوة، مع أن اليابان دولة شنتوية بالأساس، لكن شعبها ينتهي حاليًا من الأديان كما أملنا، ويميل إلى تصيل البوذية بالنواري مع تراثه الشنتوي وعلى أي حال، لا تبدو الأوساط السياسية لهايانية متأثرة بالبوذية، ولا يقيم وزنًا لقنوم مايتريا في إستراتيجياتها



الخاتمة

في نهاية المطاف، وبعد مرور ثلاثة عقود على صدور "صراع الحضارات"، نرى أن صامويل هنتغتون كان محقاً في تأكيده على أن تباين الحضارات الثقافية والهويات هو المحرك الرئيس للدفاع الأمم، وأن هذه الحقيقة ما زالت قائمة حتى مع تزايد نسبة العلمنة وانحسار الدين سرجه لم يدركها هنتغتون عندما صاغ نظريته مع أهول حقبة الحرب الباردة فالعصاميّة نفسها تنقب باستمرار إلى دين وأيديولوجيا، وكنسب مع الزمن معتقدات صلبة ومعدّسات يفتح عنها لملاحظة بحماس قد يفسس التطوّف الديني كم نستمر عريضة التعالي الثقافي ولتدافع بين قادة الأمم ومفكرها كما كانت على مر العصور، ونفس الدوافع والمسوغات.

وخر بصيف لي لدوافع الثقافية والدينية في فهمنا لصراع الطوائف التبين في رؤى آخر لرماس، وبالأحرى الصدام الحتمي فيما بينها. إذ بين لنا أن معظم الطوائف لكبرى تنتظر أو ترفب، أو حتى تتعجل، حطّتها الخاصة لآخر الرما، والتي تتصم عالماً انتصارها الديوي على بقية الأمم، فالأديان لا نكتفي بتشيير أتباعها باليعيم والخلاص في الآخره فقط، بل نشرهم أيضاً بانتصار حثاميّ على الأعداء ولحصوم والمافسين، وقد ينصم هذا الانتصار في بعض الأديان وعداً بعودة أتباعها الموتى إلى الحياة أيضاً للمشاركة في هذا الانتصار، بحيث لا يقتصر على من حالمه الحظ بالعش في ذلك لرم فقط ولمريد من التوضيح في حاتمة هذا الكتاب، بقول إن المسمين لسنة يترقبون توحيد أمهم بحث قيادة خلافة واحدة، وانتصاراً ملحمياً على العالم المسيحي، ثم رول النبي عيسى عليه السلام ليعود الانتصار على الدجال



واليهود معًا، ثم هلاك شعوب أخرى (بأجوح ومأجوح) بدون قتل، فلا يبقى ورن كبير لمن بقي من عمر المسلمين على بقية الأرض أما الشيعة فينتظرون خروج إمامهم المهدي ليبيّن للمسلمين المسألة أن الشيعة هو الحق، ونفى معظم البشرية في حروب وأوبئة من غير أن يمس الشيعة سوء، ثم ينتصرون أيضًا على اليهود ولدحال وسيطرون على الأرض وهذا فإن مشروعاتهم صريح في استعانة تقاربهم وتعالمهم مع المسألة ما لم يشيخوا. كما أنه صريح في صدامهم مع المشروع اليهودي (انتظار المسبب) ومع المشروعات الغربيين (العلماني والإبليس)

أما رومب فهي تتطلع لتحقيق سيادتها الخاصة في صدامها مع العرب الذي تراه ممثلًا لدجال (عدو المسيح)، وأما العرب فتنازعه حطتان رئيستان لأخر الرمان (لحادية عسبه طاهره، وإبليسية سرية، وكلاهما في صدام حتمي مع مشروع وحطط كل من المسلمين السنة والشيعة وروسيا وهناك أيضًا حطه ثالثة فرعية في لعرب تتبناها الطائفة الإيمانييلية التي تستظر مدحمة هرمجسون لإهفاء معظم البشر والاحتمال المألجء لثاني للمسيح، ثم لعيش في ظل حكمه ألف سنة، لكن هذه الطائفة لم تعد مؤثرة بقوة في صبح القرار وأما اليهود فهم ينتظرون خروج "المسبب" للاحتفال بحصول كل الأمم لهم تحت قيادته، بما فيهم حنماؤهم الإيمانييليون، وإما يسيطرون لدجال ولتحقيق الهدف بصبه أيضًا في إخضاع البشر لحكمهم، وهم في الحاليتين يقبلون بالتحالف مع أي طرف لتحقيق مصالحهم، مع إيمانهم بحنمية، حصاع لجميع في النهاية.

وأما الصين والهند فلكل منهما مشروع خاص، وهو لا يبني بالضرورة على مسيريو أحروري، وهما في صدام حتمي مع مشروع العالم الإسلامي، لكن علاقتهما بالمشروع الإسلامي العلمي العربي مبنية على تدافع وتقاطع لمصالح

بتبّ الكثیر من المحلّين بأنّ العالم يمرّ بمرحلة محدّص سريعة، إذ كشفت أزمة وباء كورونا (بدءاً من عام 2020) عن مواطن حثّ حليّة في منظومة العولمة، وتسيّت أزمة لتصحّم الناشئة عنها في تعميق الهوة بين المقراء والأغنياء على المستوى العالمي. وما زالت عملة لدولار تواجّه صعوبات متصاعدة وتهديدات جاذّة مع تزايد أزمة الديون، كما قدّمت قفّة مجموعة "بريكس" المعقّدة في 2023 تصوّراً طموحاً لعالم متعدد الأقطاب يتحدّى الانفراد الأمريكي. تراءت مع صعود روسيا في تحدّيها للعالم العربي على الجبهة الأوكرانية، وموصلة الصين نموّها الاقتصادي المتسارع، والامهيد غير المسموق لمنظومة الأخلاقية، العربية في دعمها المسافر للإبادة الاسرائيلية الوحشية في قطاع غزة. وأيضاً في محاولتها فرض معاييرها الجندرية ولجنسية المصادمة للمطرّة التي تتوافق معها معظم شعوب العالم

ومع كثرة هذه العنصر والأحداث وتعدّد نقاط التشابك، نقرّ بتواضع بصعوبة التنبؤ بما يحمله لنا المستقبل، ويكتفي ختاماً بالتأمّن في هذا الاقتباس من القرآن الكريم: "وَبَشِّرِ الصّالِحِينَ إِذْ أَخَذَ مِنْهُمُ الْمِيثَاقَ قَالُوا إِنَّا نَبُوءُ لَكَ بِمَا عَمِلْتَ مِنْ الصّالِحَاتِ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُ تُحْسِنُ إِلَىَّ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ مُخْلَعِينَ" [هود 118-119]



خارطة
الطوائف

مِنْ إِصْدَارَات



مستقبل الخوف

أحمد دعدوش



حِوَالَتِي مَعَ الْقُرْآنِ

أحمد رعدوني

